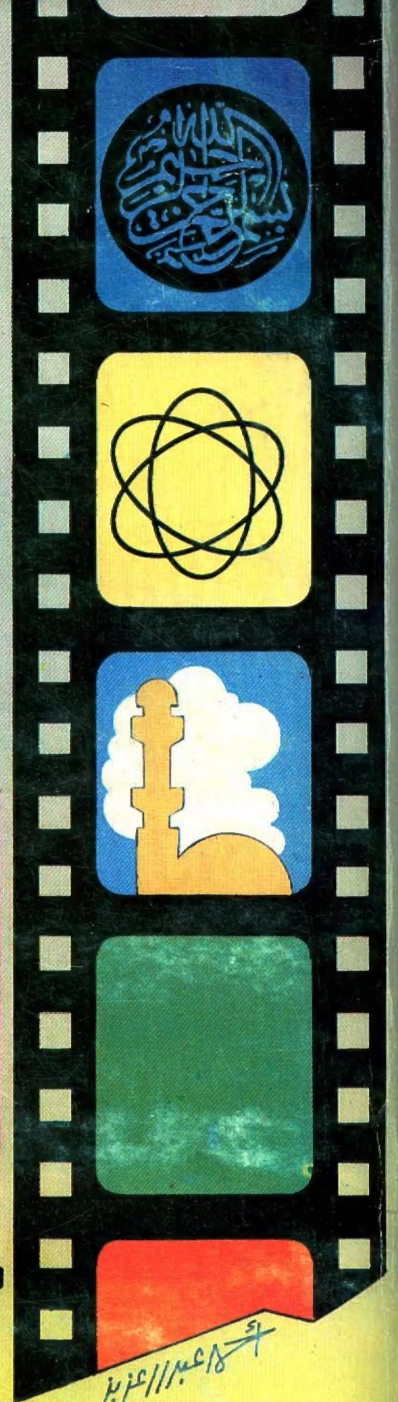
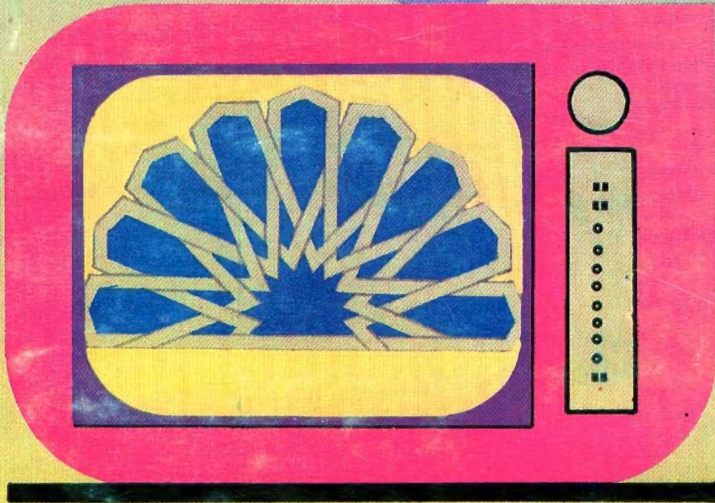


موسوعة العلوم الإسلامية

العلم
والإيمان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والقضايا والمصطلحات المعاصرة

دار الأحياء

البحر

مَوْزُوعَةُ الْمَأْرُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ

اِسْمُكَ الْمَلِكُ الْبَنَّا حُجَّ وَالْعُلَمَاءُ

وَالْقَضَايَا وَالْمُصْطَلَحَاتُ الْمَعَاصِرَةُ

أَنْوَارُ الْجَنَّةِ

ذِي الْأَعْيُنِ

آفاق البحث

٣	مدخل الى البحث
	الباب الأول
٩	التغريب دعوة مسمومة
١١	كذبت نبوءة جب
١٤	في ضوء النصحوة : من التغريب الى الأصالة
١٦	ماذا تتطلع اليه حركة التغريب
	الباب الثاني
١٧	الاستشراق في خدمة التغريب
	الباب الثالث
٢٥	التبشير الغربي والنصير العالمي
٢٠	حقائق جديدة عن التبشير
	الباب الرابع
٣٣	احياء الفرق والدعوات الهدامة
	الباب الخامس
٣٨	التعليم والثقافة والتربية
٤٥	أسلمة التعليم
	الباب السادس
	في مواجهة المؤامرة
٥٢	علم مصحح المفاهيم ودحض الشبهات
	الباب السابع
٥٨	أسلمة القوانين
٦٠	قضايا الشريعة - نظرية النسبية الأخلاقية وفقد تطوير الشريعة
٦٣	فساد نظرية علم الجريمة
٦٣	قصة الاسلام والسياسة
٦٤	مقارنة الشريعة والقانون الوضعي

الباب الثامن

٦٦ إسلامية الاجتماع

الباب التاسع

٧١ القرآن الكريم : مدخل الى صياغة اسلامه للعلوم

٧٢ اسلامية العلوم

٧٥ صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية

٧٦ نظرية النفس الغريبة ليست على

الباب العاشر

٧٩ اسلامية المعرفة

الباب الحادى عشر

٨٣ اسلامية الفن

الباب الثانى عشر

٨٦ اسلامية مفهوم الحضارة

الباب الثالث عشر

٩٢ اسلامية كتابة التاريخ

الباب الرابع عشر

٩٨ اسلامية منهج اللغة

الباب الخامس عشر

١٠٢ اسلامية الادب

١١٠ الادب العربى

١١٤ المدرسة الاسلامية فى الادب

١١٩ لماذا لا يكون الادب العربى عالميا

١٢٢ الحداثة

الباب السادس عشر

١٢٩ اسلامية الاقتصاد

الباب السابع عشر

١٣٥ اسلامية التصوف

الباب الثامن عشر

١٤٠ اسلامية علم النفس

الباب التاسع عشر

١٤٥ اسلامية التراث

الباب العشرون

١٤٩ أسلمة الانتماء

الباب الحادى والعشرون

١٥٧ الفصل الأول : مدخل الى البحث
١٦١ الفصل الثانى : الفلسفة المادية
١٦٣ الفصل الثالث : علم الكلام
١٦٥ الفصل الرابع : المنطق اليونانى
١٦٦ الفصل الخامس : الاشتقاق
١٦٧ الفصل السادس : العلالية
١٦٩ الفصل السابع : العصرية
١٧١ الفصل الثامن : السلفية
١٧٣ الفصل التاسع : العلمانية
١٧٥ الفصل العاشر : الاعلام
١٧٨ الفصل الحادى عشر : الثورة
١٨١ الفصل الثانى عشر : الآثار
١٨٢ الفصل الثالث عشر : الأدب الشعبى

أسلمة المناهج والبرامج

هو المنطلق الحقيقي للمجتمع الإسلامي الجديد

ونعلم تماما : أن هذه الانحراف الأخلاقي الذي ينسوه أهلنا ومسرحياتنا سيؤدي إلى تدمير هذه الأجيال الجديدة من الشباب التي يؤمل بناؤها على كلمة الله بحماية هذا الوطن ، والدفاع عنه وعمرته .. ونؤمن تماما بأن هذه النذر التي تواجه مجتمعنا من نقص في الأموال والثروات ، وانقطاع للمطر وما يتصل به من هلاك المحاصيل ، وفساد التربة .. إنما يرجع إلى التقصير في طاعة الله عز وجل ، والانشغال بهذه التفاهات العاجلة عن الاتصال بالله تبارك وتعالى ، وإداء حقه في الزكاة ، وفرائضه في الصلاة والصيام وغيرها . ولقد نودع الله تبارك وتعالى الأمم التي خرجت عن طاعته وتعالفت عن الالتزام بشريعته بالهزيمة في الدنيا ، والضربات المتوالية لخسر شواكلها . ونحن أمة إسلامية مؤمنة نطعن إلى رضا الله ، ونلتزم برضائه بأقامة مجتمع كريم ، بعيد عن الربا وعن الفساد ، ونسير على الطريق الموصل بأذن الله إلى الجادة .. فعلينا أن ننتبه تماما إلى هذه الأخطار المهيبة بنا ، ونحن في مصر ندوة للأمة الإسلامية كلها ، ونعرف لنا أن نخطو الخطوات الواثقة نحو إقامة المجتمع الرباني وقد ظلت لنا أسبابه ووسائله ، وإمامنا عبدة التاريخ والأحداث محمد مكي ، والاسلام يجب ما قبله . صلى الله ببارك وتعالى أن يفقد اقتصادنا ، ويفتح لنا من فضله عطاء بانفسنا إذا التمسنا طريقة يرضى عنها ، وإذا أخذنا بالأسلوب الرباني الذي أمر به والذي حين أخذت به الأمة الإسلامية أنقذها من الأخطار التي تحيط بها ، وأمدتها بالقوة والتمكين في الأرض .

إن هذه الصحوة الإسلامية هي عطاء حقيقي لهذه الأمة بكل مقاييس علماء الاجتماع ، وقذى في عيون أعدائها ، الذين لا يريدون لها أن تخرج من مرحلة الحصار التي تهر بها . فعلينا أن نلتزم الأصالة والعودة إلى منابع ، ونلتزم الطريق الرباني الأصيل الذي أنقذ هذه الأمة من قبل من كل أزمة مرت بها في غارات الصليبيين والتتار والفرنجة . عندما عادت الأمة إلى

كان اسؤال في ندوة الاعتصام عن المنطلق الحقيقي لتصحيح مسار مجتمعنا في مواجهة هذه التحديات التي ظهرت على الساحة ، والسبلات التي تبرز نتيجة البرامج والمسلسلات والأفلام والمسرحيات التي تسرف كثيرا في عرض قضايا وافدة ليست من مجتمعنا ، والتي تركز كثيرا على الجريمة والجنس ، وما يتصل بتعاطي المخدرات ، وعدم الأمانة في التجارة ، وانتشار الرشوة واغتصاب الفتيات ، والجشع في الحصول على الأرزاق والافاق المسرف الفاسد .. لكل هذه المشاكل لا يمكن أن تحل الا عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية التي تقوم على مجتمع سليم نقي ، وعن طريق الفهم الصحيح ..

أن تطبيق الحدود هو وقاية من الجريمة لا عقاب عليها ، وأن الاسلام يعمل على حماية المجتمع من السقوط في الآثام والأهطار .. وإنما أراد الاسلام صد الناس عن الخطأ لا عقوبتهم ، فالشريعة الإسلامية تعلم أهلها أن ينتقوا موارد كسبهم ، وأن يحسنوا انفاقهم ، يعيدوا عن الاسراف والمترف الزائد ، وعن الغل والبخل . وذلك حين يحميهم من شارب الخمر والربا ، والتحلل الاجتماعي والفساد الاباحي .

ان علينا أن نقيم المنهج الرباني في نفوسنا وبيوتنا وأن نكمل المناهج بالثقافة الإسلامية ، وأن نجرى تعاملنا في اطار الحلال بعيدا عن الربا ، وعن أساليب الفهلوة والشطارة التي ان حققت ربحا عاجلا فهو سحت حرام وسوف تتقاذفه الأهواء ، ثم يكون حسابه يوم القيامة عسيرا .

ان مجتمعنا يجب أن يدخل الى نطاقه الخوف من الحساب في الآخرة . وأن يقيم نظريته وتعامله على أساس الالتزام الأخلاقي والمسئولية الفردية . ولا بد من أداء حق الله في هذا المال . وحق الله هنا هو حق المجتمع في الحقيقة ..

معطيات كبرى : منها : الناطقة والثروة ، والتفوق البشرى
تمثل أمة كبرى ، وقارة عظمى هى قارة الاسلام .

ان ترسيده هذه المعطيات التى بين ايدينا ، وتوجيهها
لخدمة المجتمع ، وبناء جوائبه ، وتحريره من عوامل
ضعفه ، وما يتحوطه من أخطار . أبرزها الحظر الذى
يرمى الى القضاء على التماسك الأخلاقى والقوة الإيمانية
الحقيقية التى تستطيع ان تحمى الأمانة ، ونحافظ عليها .
وقد تكشفنا أماننا مخططات الأعداء واضحة . وكلها
ترمى الى التهامنا ، وتعوين نهضتنا (ولو أن أهل القرى
آمنا وأنقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

ان علينا اليوم ان نبدأ الخطوات الى الأصالة ، والى
المجتمع الرئاسى ، وأهم ما يجب ان نبدأ به هو ((أسلمة
المناهج)) مناهج التعليم والتربية . . ومناهج التسلية
والترفيه ومناهج الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وأن
ندعم الخطوات التى نطعمها فى مجال المصارف الاسلامية
ونأصيل وجهة المرأة ، وبناء الثقافة الاسلامية فى نفوس
الشباب . ونلحم شبابنا ومجتمعاتنا من هذه البرامج
الواعدة . وخاصة ما يتعلق بالرقص والجريمة والجس .
هان بعض الشباب المنحرف يدوم بمغامرات يعتمد فيها على
ما رأى من هذه المسلسلات والأفلام . وفى عشرات من
المفضلات المثارة فى المجتمع الإسلامى قد فشلت كل
الوسائل والوسائط لانها قاصرة عن أن تصل بالنفس
الانسانية الى منهج الله تبارك وتعالى فى فطرته وأصالته
وسلامته وجهته ، فهى أقوى وأنضج وأعمق من المنهج
البشرى الذى لن يحقق شيئاً سوى الهلاك والضياح .

فلنتمس من الله تبارك وتعالى الوجهة ، ولنلجأ اليه
ليكشف الغمة عنا ، ولنكن من الذين اذا جاءهم بأس الله
تضرعوا اليه ، ولجئوا الى حمايته . . اللهم انا نستعينك
ونستهديك ونؤمن بك ونؤكل عليك ، ولا نقف من هذه
النذر التى تحيط بنا موقف الغفلة واللامبالاة ، والا فقد
حق علينا انتقام الجبار .

((ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا)) .

(٢)

الله عز وجل ، وانتمست منهجه . ولقد جربنا كل المناهج
وفشلت جميعها ، ونكسرت النصال على النصال ولم
يعد أماننا - نحن والانسانية كلها - الا هذا الطريق :
طريق الله المستقيم الخالص الذى تقف قوى خيرة الآن
تحوّل بيئنا وبيئته . لأنه تحول دون مضامعها ومضالحها .
ولكن هذه الأمة مؤهلة اليوم ، كما كانت مؤهلة فى
كل الزمنة ومعضلة ان يتحقق على يديها الخير
بغير جميعها . ان هذه الأمة التى تملك منهاج ربانيا
ثريماً لا يجوز أبداً ان نتخذها ظهرياً ثم نطالع منى مناهج
بشرية قاصرة ثبت اضطرابها وعجزها . . اننا مطالبون
ببهمل أمثلة الاسلام الى العالم كله . وليس
هناك من طريق يفتح أماننا ابواب لهذا الا ((أسلمة
التعليم)) الموجهة الى بناء الانسان . وامتلاك القدرة على
الردع لأن قوة تحاول أن تسيطر على أى موقع فى قارة
الاسلام ، وان نكون قادرين على مواجهة المؤامرات
القمريية التى تخفى فى الثقافة والصحافة والمسرح . .
ونحوات التسلية والترفيه ، والتى تحاول أن تدخل
مفاهيم غير اسلامية وغير عربية فى الاجتماع ، وعلاقات
الرجل والمرأة . والتعامل الاقتصادى . هذه أمة لها
منهج حياة ، ربانى المصدر ، انسانى الوجهة ، يمكنها
من أن تنهار ذاتيتها ، أو تصاب بالاضطراب ، ولا بد
فى الحضارات والأيدولوجيات التى تخلف تماماً عن
منهجنا وحضارتنا ، واننا سوف يهاكمنا التاريخ ،
ويحكم علينا حكماً شديداً اذا ما تغافلنا عن حماية أمتنا
من أن تنهار ذاتيتها ، أو تصاب بالاضطراب ، ولا بد
من حماية هذا الشباب من الانهيار تحت ثيارات الجريمة
والجنس التى تطرحها وسائل التسلية والترفيه . فضلاً
عن المخدرات ، ووسائل تدبير الشخصية ، واحتوائها .
ولا بد أن تقوم الجامعة الاسلامية التى تمكن الأمة الاسلامية
من مواجهة الأخطار ، ورد الحقوق للأقليات التى تعاني من
فقدانها ، ولواجهة المجاعة التى تتركز فى البلاد الاسلامية
حيث يذهب الغرب الى اغانة غير المسلمين . كما يحدث فى
أثيوبيا ، ولا بد من عقد الخناجر على إعادة القدس التى
انتزعتها اسرائيل ، ويجب أن لاتغفل بالتحلل والترف
والأمن الكاذب عن الأخطار التى تواجه أمتنا وتعمل على
اجتياحها واحتوائها والسيطرة عليها ، وبين ايدينا

ولقد لفت نظرى الى خطورة هذا الموضوع الذى
تناوله هذه الدراسة ما كتبه رجال المعهد العالى للفكر
الاسلامى حيث يقول الدكتور طه العلوينى : ان هناك
قضية كبرى ذات علاقة وثيقة جداً بتكوين الشخصية

الاسلامية وهى قضية (أسلمة المعرفة) حيث يحتاج الأمر
فى الغرب الى جهود كبيرة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن
أمتنا الاسلامية ، خاصة فى مجال مدرسى العلوم الاجتماعية
والانسانية هناك .

صالحة لقيادة الانسانية لذلك فان على المسلمين أن يطرحوا للعالم البديل الثقافي عن هذه الثقافة الخطرة الداللة .

ان الثقافة الاسلامية ثقافة متوازنة بين الفرد والجماعة وبين العقل التجريبي والعقل المعرفي ن العالم كله اليوم في حاجة الى :

المعرفة الإسلامية

وان حاجة غير المسلم الى المعرفة الاسلامية لا تقل ابدا الى حاجة المسلم نفسه الى المعرفة الاسلامية اني اعرف معنى الحياة وهدفها وتعريف معنى الموت وغايته فلا تكون الحياة في نظر الانسان شيئا لا معنى له كما اوحى بذلك الثقافة الغربية او شيئا ينبغي ان يتخلص الانسان منه ولو بالجنس والانحراف في المخدرات والمسكرات والسعى وراء العلم .

واعقد ان (اسلامية العلوم الانسانية والاجتماعية) هي التي تشكل المادة الثقافية للانسان ويمكن ان يتم باسلامية مناهج هذه العلوم وفق الخطوات التالية :

اولا : تصنيف آيات العلوم الكونية على العلوم الانسانية المعاصرة التي تعتبر خلاصة ما ،وصل اليه الانسان (وتوزيع احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وسائر ما صح من سنته الشريفة عليها) .

ثانيا : العمل على استقرار وتتبّع ما ورد في تراثنا الاسلامي بعد تيسير الاطلاع عليه .

ثالثا : الحصول على خلاصات الفكر المعاصر بطريقة موسوعية نافذة بعيدة عن نظرتي الرقوص والانهيـار . ا ه .

وبعد فقد كانت خطوة اسلمة العلوم والمعرفة والثقافة هي حلقة ضرورية في تطور الفكر الاسلامي من اليقظة الى الصحو وصولا الى النهضة ولابد من الإشارة التاريخية الى أن هذا الخط قد تحدث عنه وسار فيه كثيرون في مقدمتهم جارودي ورشدي فكار وكان رائده الاول الامام حسن البنا . .

هذا وبالله التوفيق . . .

أنور الجندي

ويحدد مفهوم اسلامية المعرفة بمعنى تقديم المعرفة الانسانية بكل جوانبها من منظور اسلامي لتحقيق غايات واهداف اسلام وبناء النفسية والعقلية الاسلاميتين .

ان الثقافات الغربية المعاصرة مستمدة من تراث مزيج بين اسديم والحديث وقد ادى ذلك التركيب والازواج الى كثير من استأقضات والمواقف الثقافية والفكرية المضطربة التي لم تكتشف بسهولة لأن الثقافة الغربية اليوم هي ثقافة الانسان الغالب القوى المسيطر على العالم الحديث . لقد جعلت هذه الثقافة الانسان القرد محرر الدائرة في كل شيء وجعلت منه ومن لذاته ورغبانه جوهر كل موضوع ومقياس كل شيء وهذه الثقافة مستمدة من فلسفة افلاطون وهي فكرة فصل المادة عن الروح واعتبار الجسد افكك للروح وعيها ان تعمل بمساعدة على افكك منه والتخلص من صواعطه كما جعلت من المنطق الارسطي وسيلتها للمعرفة فاصبح هذا المنطق مصدر العلم والمعرفة فصاغت هذه الثقافة حياتها صياغة خاصة جعلتهم لا يحملون بشيء الا بالسيطرة على الدنيا كلها من خلال السيطرة على كل الوسائل والغايات الانسانية التي تخدمها ولم يعد لحملة هذه الثقافة من هدف ظاهر او باطن في الحياة الا النمو الاقتصادي والنفوذ السياسي والعسكري الذي أصبح خطرا يهدد العالم بالغناء ، وقد يقول قائل :

واين موضع ثقافتنا الاسلامية من الثقافة المعاصرة ونحن نعلم انها استمدت منها الكثير .

فنقول : لاشك أن في الثقافة الاسلامية المعاصرة مزيجا ثالثا هو الجانب التجريبي في ثقافتنا وعلومنا العربية ، ذلك أن (يكون) الذي عرف في هذه الثقافة بأنه أبو المنهج التجريبي لم يكن الا تلميذا من تلاميذ العلماء المسلمين تتلمذ عليهم في الأندلس ، فهم انن أخذوا من ثقافتنا شيئا قائما وهو الجانب التجريبي وأضاعوا وأهملوا (الحكمة) التي كان علماءنا يفهمونها مع العلم التجريبي فأخذوا الوسائل وتخلوا عن الغايات فلا غربة اذا ما تحولت هذه الثقافة الى وسائل تستنفد طاقات الانسان وجهده في طلب العلو في الارض والاستعلاء على خلق الله لتلبية روح التطمع لديهم ، ومن وراء هذا التطمع أصبح لكل حي على ظهر المعمورة الآن أربعة أطنان من المتفجرات في وقت تموت في العالم شعوب من الجوع أو سوء التغذية .

هذه الخصائص للثقافة الغربية تجعل منها ثقافة غير

الباب الأول

التغريب : دعوة مسمومة

أفاء الله عليهم من هذه الأحقاد والأطماع التي صبها عليهم أعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما إلى أن يتآمروا على الاسلام كي يقتضوا عليه وقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى بقوله :

«ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم» .

ولاريب أن من أكبر أخطائهم محاولة تخيير المسلمين بين الاسلام والعلمانية أو القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بمجتمع المسلمين ، والاسلام قادر على أن يقدم منهجة الوصول المرن الواسع الأفق ، أما العلمانية التي يدعون إليها تجارة خاسرة وتجربة بائرة ، وأنها قد عجزت في مجتمعاتها أن تقدم الحلول ، ويتطلع الغربيون اليوم إلى تجربة جديدة ونظام جديد بعد فشل الرأسمالية والماركسية على السواء وليس أخطر مما يطرحه التغريب اليوم من التباينات الهدامة والمذاهب الفكرية المعادية للاسلام ، وهي التحدى الحقيقي الذي يواجه الشباب المسلم الذي ليس له خلفية اسلامية أصيلة ، حيث يعطيهم التغريب صورة مشوهة عن واقع الاسلام والحقيقة أن هذا الواقع الذي يعيشه المسلمون ليس هو الاسلام ولا هو حجة عليه . إنما هذا الواقع جاء ثمرة الخروج عن نظام الاسلام ولا ريب أن الكشف عن مخططات التغريب يقتضى منّا العمل على مواجهة التغريب : وأن على الأمة ومثقفها محاربتة بكل الأسلحة ولاريب أن الدعوة إلى الأصالة والتجديد في إطار الأصالة ، هو السبيل الأمثل لإنجاة بمستقبل الأمة وحمايتها من الذوبان في حضارة الغزاة ، ولا ريب أن المحافظة غير الجبود ، وأن هناك فارقا واسعا بين التجديد والتحديث في إطار الأصالة وبينها في إطار التغريب وليس صحيحا ما يقال من أن المحافظة هي الجبود أو أنها تجعل الأمة معرضة للوقوع في شرك المتغربين .

والتغريب في أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبهوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف في نفوسهم موازين القيم الاسلامية ويستهدف تحقيق ذلك ايجاد شعور بالنقص في

هو مصطلح صكه هاملتون جب في كتابه الذي نشره ١٩٣٠ تحت عنوان (وجهة الاسلام) وترجمه (الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة) ولخصه الدكتور محمد حسين هيكل في ملاحق السياسة الأسبوعية ١٩٣٢ وبدأت الكتابة عنه عام ١٩٤٧ في مجلة الاخوان المسلمين ، وكان ذلك لأول مرة تدرس هذه القضية .

ويعصور بعض الباحثين التغريب بأنه استلاب واغتراب عن التراث ، بين الانسان وجماعته أو بين الانسان وتاريخه ، ولذلك فإن من الضروري استرجاع الانسان العربي المسلم المعاصر لهويته الضائعة عن طريق العمل على قهر شتى أسباب الاغتراب .

ومن شأن الاغتراب أن يقضى على شعور الفرد بانتمائه لنفسه والمقابل للاغتراب هو امتلاك الذات ، ووعى الفرد لذاته من حيث امتلاكه استقلالا ذاتيا وقدرة على الفصل في مصيره الشخصي في الاطار التاريخي الخارجي .

واللفظ المقابل للاغتراب هو الهوية أو الذاتية ، ويعنى الاغتراب أيضا تعبيرا عن الحرمان والضياع عندها يجيء المستعمر فيسرق من الجماعة أرضها وحضارتها ولغتها وشخصيتها .

قال جاك بيرك : ان الاستعمار قد سلب تلك الجماعة عاداتها وتاريخها ووجودها الحضارى وانتزع منها صميم طبيعتها ففقدت بذلك الجماعات إلى عالم غريب من الأشياء والمعانى والدلالات فلم تستطع أن تتحرر بعد الاستقلال السياسى من تلك الغربة .

والسر في الاغتراب في المجتمع الاسلامى : أنه مجتمع متزعزع من صميم ماضيه غائب عن حاضره وان كان يعمل بجهد ومشقة في سبيل بناء مستقبله .

وان ما يدور حول الأصالة والمعاصرة ، هو تعبير عن أزمة الاغتراب ، ويحث عن الشخصية المستقلة ، والتحرر من كل آثار الاستعمار .

ويعمل التغريب على استغلال وجوه النقص النفسى من أجل تدمير الشخصية المسلمة ، ولذلك فإن على المسلمين أن يعملوا على تحرير موارثهم الحضارية التي

نفوس المسلمين والشرقيين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامى ومبادئ الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن اهله وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ومحاولة انكار القوميات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع توهين القيم الاسلامية والفض من قدرة اللغة العربية وتقطيع اوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية .

ويقول اصحاب هذه الدعوة ان للمسلمين والعرب قيميا ومثلا وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج فى الامم الاخرى تخلق منهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الاجنبى والغاصب ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الا بصبر هؤلاء فى بوتقة الفكر الغربى واخراجهم من قيمهم لينصهروا فى قيم الغرب وابرار اهداف التفریب : الحيلة دون قيام (وحدة الفكر) التى هى مصدر وحدة الأمة وببلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات وتعميق الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة الجامعة .

ماذا استهدف التفریب :

أولا : القضاء على وحدة الأمة الاسلامية باسقاط الخلافة الاسلامية .

ثانيا : التعليم هو الخنجر المسموم الذى طعنت به الأمة فنحن ما أوتينا الا من قبل التعليم والصحافة .

ثالثا : فرض الاقتصاد الغربى والنظام الربوى ومزق ثروات الامم .

رابعا : اسقاط القانون الربانى للبشر (الشريعة

الاسلامية) وفرض القانون الوضعى الذى يهدم الاخلاق ويحطم الأسرة ويزلزل المجتمع ويخله فى مرحلة التحلل .
خامسا : اثاره النعرات الاقليمية والقوميات والعصبية واحياء التاريخ القديم السابق للاسلام .
سادسا : هدم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم .

سابعاً : انكار دور المسلمين على الحضارة خلال ألف عام واثروهم على صناعة التجريب .

ثامناً : طرح نظرية وحدة الحضارة العالمية لصهر الحضارة الاسلامية فى اطار الحضارة الغربية .

تاسعاً : كتابة التاريخ الاسلامى من وجهة نظر تقول ان القرامطة والزنج دعاة الى العدل الاجتماعى .

عاشرًا : فرض التجريبتين : الليبرالية والماركسية اللتين سقطتا بعد أن مر بهما المجتمع الاسلامى ولم يعد امام المجتمع المسلم الا ان يعود الى منابعه .

حادى عشر : طرح نظرية دارون كمدخل الى الالحاد وتدمير الشخصية الانسانية والتشكيك فى قضية الخلق القرآنية ، وقد تكشف للعالم كله الآن انها نظرية باطلة وان الانسان الاول كان يمشى على قدمين منذ ملايين السنين .

ثانى عشر : طرح نظرية فرويد التى تقول ان الانسان حيوان وتحكمه غرائز الجنس .

ثالث عشر : فرض دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والأمريكية ودائرة المعارف الاسلامية المليئة بالسموم من أجل تقديم مفاهيم خاطئة بالنسبة للاسلام والنبي وعلاقة اليهود بفلسطين .



كذبت بنوءة (جب) بعد خمسين سنة

وارتفعت أعلام الصحوة الإسلامية

وتحطمت أحلام التغريب

الاسلام وعلت صيحة : التحرر من التبعية للنظريات الغربية الوافدة .

(اولا) كشفت اليقظة عن المراجع الزائفة : دائرة المعارف الاسلامية والمنجد والموسوعة الميسرة ، واعلنت ان الاغانى والاف ليلة وكتب المحاضرات ورسائل اخوان الصفا كلها مراجع زائفة .

(ثانيا) كشفت اليقظة أخطاء طه حسين ، سلامة موسى ، ساطع الحصري ، جرجى زيدان ، على عبد الرازق ، أمين الخولى ، لويس عوض وكشفت عن فساد النظريات التى طرحوها .

(ثالثا) سقطت مدرسة جبران خليل جبران ودعوات كتابة العربية بالحروف اللاتينية والفرعونية والعامية ، وفساد عبارة (التنوير) وعصر التنوير فهى كلمة يهودية !!

(رابعا) أعيد اعتبار السلطان عبدالحميد وموقفه المشرف من الصهيونية ، وتحضر موقف ابن خلدون . والمتنبى ، وعمر الخيام بعد ان سبقت الاتهامات لتدمير كيانهن الاصيل .

خامسا : تكشف فساد وجهة الحضارة الغربية وانها المركب الغارقة ، والغريبون اليوم هم الذين يقولون بانهايار الحضارة ، شبنجلر كشف ذلك منذ أربعين عاما وجاء بعده الكس كاريل وجارودى وتبين ان هزيمة الحضارة الغربية ترجع الى سبب واحد : هو غياب البعد الالهى الحضارة والعلم والبعد الأخلاقى للمجتمع والاقتصاد كما تبين فساد فكرة الحوار بين المسيحية والاسلام لانها لم تقم على أساسها الصحيح وهو ايقاف التنصير كما تكشف زيف الكتب المقدسة مصدر التبشير ، كما ظهر اعتراف الغرب بفضل حضارة الاسلام .

سادسا : تكشف هزيمة القانون الوضعى ، وفساد نظرية العلمانية وتؤكد ان مفهوم الاسلام الاصيل (دين ودولة) منهج حياة ونظام مجتمع هو المفهوم الصحيح وقد سقطت قلاع الاقليمية والقومية والماركسية (سابعاً) تبين فساد دعوى (جيل العمالة) نقد تكشف ان هؤلاء العمالة لم يكونوا الا قناطر بين الفكر

يقول الامام ابن تيمية : « من لم يجادل اهل الباطل حتى يتمع باطلهم لم يكن أوفى للاسلام » ونحن نؤمن بأن المدافعين عن الحق خالصا لوجه الله لا يخلو منهم عصر أو جيل حتى يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها وقد واجهت الأمة الاسلامية فى هذا العصر سبوم مثارة وشبهات مطروحة ونظريات ومذاهب ومحاولات للتآمر والخداع ترمى كلها الى صرف المسلمين عن المنهج الربانى الى منهج البشرية الوافد فاذا تعلقوا به وتركوا منهجهم أحاطت بهم دائرة الاحتواء وصهروا فى بوتقة الاممية وفقدوا ميزتهم الحقيقية وذاتيتهم الخاصة التى أقامها لهم القرآن بحيث يكونون حملة لواء التوحيد الى البشرية كلها الى ما شاء الله .

ومنذ أكثر من خمسين عاما كشفت مخططات النفوذ الأجنبى مؤامرة التغريب التى تعمل على تغيير طبيعة وروح المجتمع الاسلامى ليخضع للحضارة الغربية ويستسلم امام المفاهيم الوافدة المستمدة من مصادر ثلاثة : من الفكر الوثنى اليونانى ، ومن الفكر الرومانى المادى ، ومن الفكر المسيحى الغربى الذى يختلف عن المسيحية المنزلة . تكشف هذا بظهور كتاب وجهة الاسلام للمستشرق هاملتون جب وزملائه (١٩٣٤) يدرسون كيف وصل التغريب بالعالم الاسلامى وما هى العوامل التى تمكن من الاجهاز عليه وتغريبه كلية وفى ذلك عبارة واضحة يتساءل جب عن المستقبل : مستقبل التغريب فيقول :

الى اى مدى أصبح العالم الاسلامى غربيا ويجب على ذلك مستعرضا نفوذ الثقافة الغربية فى العالم الاسلامى بلدا بلدا . ثم يعقب على ذلك بقوله :

نستطيع ان نقول حسب سير الامور الآن : ان العالم الاسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا فى كل مظاهر حياته . ما لم يطرأ على الامور عوامل ليست فى الحسبان فيتغير اتجاه التيار » .

كتب هذا هاملتون جب فى الايام نفسها التى كانت فيها اليقظة الاسلامية تشق طريقها لتواجه مختلف شبهات الاستشراق والتغريب مواجهة حاسمة . ومن ثم كان لها دورها الواضح فى تصحيح ما دسسته الشعوبية والعلمانية والماسونية والماركسية من سبوم فى تاريخ

الغربي والفكر الاسلامي وانهم لم يزدوا على انهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يتبينوا صلاحيتها أو فسادها ودون أن يقدموا معها تقييما يؤصلها ، كذلك فقد كذبت الوقائع أن يكون أرسطو معلما للمسلمين كما يدعون .

ثامنا : تبين أن هناك انقطاعا حضاريا بين الاسلام والعصر الجاهلي وأنه ليس هناك ارتباط بين الفرعونية والبابلية والفينيقية وبين عصر التوحيد وتبين أن أول تاريخ العصر الحديث هو ظهور الاسلام وليس سقوط الدولة الرومانية .

ثالثا : تبين أن المنهج الفلسفي لديكارت أخذت عناصره من نظرية الامام الغزالي التي أوردتها كتابه : (المنقذ من الضلال) وقد وجد في النسخة المترجمة الى الفرنسية تعليق لديكارت يؤكد هذا المعنى .

وإن نظرية التجريب التي قدمها فرنسيس بيكون مأخوذة من الرسالة للامام الشافعي .

ومن العجيب أن طه حسين الذي يفترض أنه درس الغزالي لم يتبين ذلك وظن أن ديكارت هو صاحب النظرية .

ومن العجيب أن يقول أحد الكتاب المعاصرين الذين درسوا في الأزهر أنهم تعلموا مفهوم حركة التاريخ من ماركس بينما نجد أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا الذي سبق ماركس بأربعة عشر قرنا قد قدم مفهوم حركة التاريخ الذي سبق به كل المفكرين المعاصرين .

عائرا : ان النظريات العالمية التي قيل أنها بنت حضارة العصر قد سقطت : نظرية دارون ، نظرية ماركس ، نظرية فرويد ، نظرية دوركايم . أما نظرية دارون فقد تجاوزتها الكشوف والحضارات بعد أن ظهرت عظام الانسان قبل ١٧ مليون سنة شمسية كينيا وهو مستقيم الجذع تماما كما هو اليوم ، أما نظرية ماركس فقد سقطت لأنها اعتمدت على وقائع انتقائية من التاريخ ولم يدرس ماركس الاسلام ، أما نظرية فرويد فقد ثبت فسادها لأنها اعتمدت على عنصر واحد هو الجنس ، أما نظرية دوركايم فقد سقطت لأنها خالفت الفطرة والعلم .

حادي عشر : ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامي بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هي محاولة فاشلة ولن تجد في هذه المرحلة من حياة الأمة الاسلامية اى قبول لها فالقول بأن الحروب الصليبية هي صراع بين العرب وأوروبا كما يحاول (محمد عسار و عبد العظيم رمضان) هو قول باطل تماما ولا دليل عليه ، فمتى كانت هناك عروبة تصارعها أوروبا في هذه الفترة وكلمة العروبة لم تظهر إلا منذ سبعين عاما ؟!

ثاني عشر : سقط مفهوم كتاب الغرب القائل بأن أسلوب الحضارة الغربية هو وحده المنطلق الذي يستطيع به المسلمون أن يحققوا كيانهم ووجودهم ، هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منذ أثارها طه حسين ومحمود عزبي ، وغيرهم وقد تكشف بطلانها منذ أن انتزعت القدس من أيدي المسلمين ، وثبت فشل المنهج الليبرالي الغربي بعد الحرب العالمية الأولى كما ثبت فشل المنهج الماركسي الاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية ، فإن ما ظنوا أنه عامل موصل للنهضة ، تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعرب الى الاحتواء الكامل والانصياع في بوتقة الاممية العالمية .

ثالث عشر : ان الدعوة المثارة اليوم الى ترجمة آثار الغرب هي دعوة مضللة فإن حركة الترجمة يجب أن تتحرك في اطار الأصالة والحفاظ على الذاتية الاسلامية العربية لا أن تكون غزوا لنا بأباطيل وأساطير وتفاوهات الأدب الغربي المنحل المكشوف الزائف ، اننا لا نحتاج من الغرب لغير كتب العلوم الطبيعية والرياضية وكل ما يتعلق ببناء تكنولوجيا عربية اسلامية وما كان للمسلمين أن يكرروا التجربة التي تحتويهم داخل اطار الفكر الغربي وهو في مرحلة الهزيمة .

رابع عشر : تبين فساد نظرية (تعليم بلا تربية) الوافدة من الغرب ، ولن يتحقق للمسلمين بناء مجتمعهم الرباني الا اذا اقبلوا بنظام التربية الأصلي قائدا لهم الى مسيرة التعليم .

خامس عشر : مسألة التبادل الثقافي بين عالم الاسلام والعالم الخارجي مسألة تحتاج الى نقطة تامة فإن استيراد الافلام المشبعة بالجنس والجريمة التي تغزو مجتمعاتنا اليوم هي من الأمور الخطيرة التي يجب التنبيه لها . كذلك يجب الاحتراز من نقل معلومات البلاد الاسلامية الى الغرب عن طريق اللجان المشتركة .

سادس عشر : فساد فكرة الدورات التي يحاول أن يطرحها الفكر الباطني ، وهي فكرة التناسخ القديمة في أسلوب جديد والمسلمون لا يؤمنون بهذه الفكرة ويرون انها من الباطل الذي يجب كشفه .

سابع عشر : يتجدد الكلام عن القومية بعد أن سقطت سقوطا شديدا وفي هذه المناسبة يجب أن نذكر قول كبير البشرين الغربيين (زويمر) : ان انتصار الاستعمار الحقيقي هو هدم (الوحدة الاسلامية) واحلال القومية محلها وما عابنا الا أن ننفخ في نفق القومية ففقد لها الشعوب وهذا هو الانتصار العظيم » .

فليعتبر بهذا اولو الابصار .

جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأنجح الله قصده وارتبط المنهج الربانى بالحكم فقامت دولة عايشت الأحداث وكان ظهورا مجددا عام ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة العثمانية وقد قرأنا فكرة جب فى مطالع الصبا وعاشنا الأحداث فى مواجهة التغريب .

ولقد كانت صيحة الامام حسن البنا فى العصر الحديث هى الرد الحقيقى على مؤامرة (هاملتون جب) وقد قطعت القفظة الاسلامية مراحلها فى تصحيح المفاهيم حتى ظهرت صيحة العودة الى الله ١٩٦٧ بعد ضياع القدس وقدمت هذه المرحلة ثلاثة مظاهر كبرى :

- ١ — عودة المرأة المسلمة الى البيت والى الحجاب .
- ٢ — ظهور المصارف الاسلامية التى خرجت عن دائرة الربا .
- ٣ — تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان والسودان .

٤ — غلبة مفهوم الاسلام الجامع : دينا ودولة ونظام سجتمع ومنهج حياة ونحن فى العقد الاول من القرن الخامس عشر الهجرى نتطلع الى :

- ١ — نهج اسلامى للأدب وتاريخه والنقد والقصة .
- ٢ — منهج أصيل للفن الاسلامى والعمارة الاسلامية .
- ٣ — منهج اسلامى أصيل للنفس والاجتماع والأخلاق .

٤ — أن تكون اللغة العربية النصحى هى لغة المسلمين جميعا .

٥ — أن يقوم نظام التربية الاسلامية ، فان الخنجر الذى طعن به المسابون هو نظام التعليم الغربى العلمانى .

٦ — أن يقوم نظام العلوم التكنولوجية فى العالم الاسلامى على اللغة العربية وفى نطاق الاسلام . وهكذا كذبت نبوءة هاملتون جب وقد نشأ فعلا الجيل الذى قاوم المؤامرة وحطمها تماما .

هذا وبالله التوفيق ،

ثامن عشر : تجب القفظة التامة ازاء دعويين : البهائية والقاديانية « والقاديانية المعدلة بالاحدية » فكلاهما تدعو الى استئاط فريضة الجهاد فى سبيل الله وتدعو الى عالمية الأديان وهى فتنة يراد بها هدم الاسلام وقد تبين ولاء البهائية للمنظمات الصهيونية وهى اشبه بالماسونية والروتارى والليونز كما تبين ولاء القاديانية والاحدية الى النفوذ الغربى والى الصهيونية أخيرا .

تاسع عشر : فساد نظرية تطوير الشريعة ، وهى نظرية علمانية مرتبطة بالايديولوجيات البشرية ، حيث ان الشريعة الاسلامية ربانية المصدر ، قد وضعها الحق تبارك وتعالى فى أطرها الواسعة المرنة لتكون صالحة للمجتمعات البشرية فى مختلف البيئات والعصور ، فهى تختلف عن الفكر الانسانى الذى يعتوره النقص والفساد ويحتاج دائما الى الاضافة والحذف وانما تتطور فى الاسلام الوسائل ولا تتطور القيم الثوابت وهناك مجال للتغيرات .

عشرون : فساد فكرة التفرقة بين العلم والدين ويقولهم ان للعلم ميدانه وللدين ميدانه وهذه نظرية غريبة مرتبطة بالمسيحية التى لم يكن لها نظام مجتمع ، أما فى الاسلام فانه لم يحدث صراع بين العلم والدين على مدى هذه العصور المتوالية ذلك لأن العلم نشأ فى كنف الاسلام الذى هو ليس دينا بمفهوم اللاهوت الغربى ، والعلم فى الاسلام جزء منه وخاضع لنهجه وأخلاقياته وتقوم الحضارة الاسلامية على اسلامية العلم الذى يخدم البشرية ويقدم لها ما يصلحها ويرفع عنها أخطار العصر الذرية والهدروجينية التى تهدد العالم فى كل لحظة .

هذا وينكر الاسلام ما يسمى بالصدفة فكل حادث تم بقصد وغاية وحاشا لله أن يقع شئ بالصدفة فى ملك الله . وليس فى الاسلام ما يسمى بالطبيعة التى صنعت كذا وانما الصانع فى الاسلام هو الله تبارك وتعالى والطبيعة مخلوقة لله تعالى ، واذا كان فى الغرب اليوم تيار يسمى مراجعة الذات تعبيرا عن الشك فى الكتب المقدسة وفى نظام القيم الراهن وبحثا عن نظام جديد أكثر ملاءمة لها ، فاننا فى الاسلام نقيم نظام (العودة الى النابع) وهو صلب دعوة مدرسة الاصاله التى حمل لواءها الامام أحمد بن حنبل حتى صاغها الامام ابن تيمية وابن القيم فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى

فى ضوء الصحوة الإسلامية من التغريب إلى الأصالة

كان الهدف هذه المرة هو « الإسلام » نفسه فمذ اكتشفت هذه القوى أنه هو (العروة الوثقى) وأنه روح الارادة القادرة على المقاومة وصد العدوان ، ومن هنا كانت محاولة التغريب الرامية الى تفريغ الاسلام من مضمونه الأصيل وهو (الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وتفريغ العقول والقلوب المسامة منه .

وقد كشفت مخططات التغريب عن الوسائل كما كشفت عن الغايات ، الوسائل الرامية الى تهزيق وحدة المسلمين حتى لا يجتمعوا فى كيان موحد وقد اشار (هاملتون جب) الى بعض هذه الوسائل .

أولا : اشار الى الرابطة العامة الوثيقة بين عناصر المجتمع الاسلامى والتي نشأت من العقيدة والثقافة الدينية المشتركة وهى التى تؤلف بين الجماعات الاسلامية فى الشعور والراى والمصلحة وكان لابد لهدم هذه الرابطة من خلق الفرق والأحزاب والهيئات ذات الولاء الغربى والشرقى ، والسياسى ، والاجتماعى ، والاقليمى والقومى مع التركيز على الأقيات وعلى القبلات واحياء النزعات القديمة التى اندثرت بسواء الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية ، أم المعتزلة ، والباطنية ، أم ادخال الفرق الجديدة كالشيوعية والوجودية والفرويدية .

ولكى تقضى على التعاطف الاسلامى الذى يجمع الشعوب ظهرت الدعوات الى تاريخ قومى لكل قطر عربى يمتد الى تاريخ ما قبل الاسلام مع ان الاسلام حين جاء قضى على هذا التاريخ وأعلن المؤرخون قيام (الانقطاع التاريخى) بين ما قبل الاسلام وما بعده .

ثانيا : اشار الى الرابطة الدينية وعمقتها ، وتلك دعوة الى احلال روابط أخرى تتعلق بالوطن والقومية وغيرهامحل هذه الرابطة والعمل على اعلاء شأن (الاتجاه العلمائى) القائم على الروابط الاقتصادية والسياسية أى العمل على توهين هذه الرابطة المقدسة واحلال روابط أخرى بدلا منها واقامة نظم جديدة فى تأليف الحكومة وتكوين المجتمع وهى الليبرالية والديموقراطية الغربية) .

ولارب أن احياء الثقافات القومية والاقليمية الممتدة الى تاريخ كل بلد قبل الاسلام يحدد تلك الخلافات

كشفت حركة التغريب والغزو الثقافى هدفها منذ خمسين عاما بكتاب المستشرقين الخمسة وعلى رأسهم هاملتون جب (وجهة الاسلام) ولكن عملية التغريب نفسها كانت قد بدأت قبل ذلك منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ — ١٢١٦ هـ تقريبا أى فى مطلع القرن الثالث عشر بعد أن دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى التوحيد الخالص بوقت طويل يزيد عن خمسين عاما ومعنى هذا أن نهضة الاسلام بدأت من داخله وليس من خارجه كما يدعى المدعون ، وكانت هذه الريدة سببا فى التنبيه والوعى لخطر حركة التغريب ، يبدو ذلك واضحا فى كلمات عمر مكرم والشيخ الدردير ، ولقد كشفت مجلدات (وصف مصر) التى كتبها المستشرقون الفرنسيون عن أن المجتمع الاسلامى كان فى أعماقه سليما وكان النظام الاسلامى قائما ليس فى مصر وحدها بل فى العالم الاسلامى لم يحجب الا بعد الاحتلال البريطانى الذى قطع لأول مرة استمرارية هذا النظام منذ ظهر الاسلام .

ان حركة الغزو الثقافى والتغريب التى قادها الغرب لم تكن تستطيع أن تعزل المجتمع الاسلامى عن قيمه الا بالاحتلال والسيطرة العسكرية وفرض القادة والمفكرين الغربيين وعزل القوى الصادقة الايمان عن الحركة . والعمل ، كما حدث بالنسبة للمجاهدين الذين عارضوا النفوذ الاستعمارى فى مصر والجزائر وتونس والهند . ويكذب الذين يدعون بأن المجتمع الاسلامى قد تقبل النموذج الغربى قليلا اختياريا فقد كان المجتمع الاسلامى يمتلك منهجا تطبيقيا واسع الأفق من الاطر ، قادرا على استيعاب مختلف وجوه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وان كان المسلمون قد أصيبوا بالجبود والتخلف بعد جولة ألف سنة من اضاءة العالم وبث روح الحضارة والتقدم فيه ، ولكنهم كانوا قادرين عن طريق مصالحهم الذين انطلقوا فى دعوات تحمل طابع مقاومة الاستبداد وتطهير العقيدة ، والقضاء على الجبرية الصوفية أن يستعيدوا كيانهم وعطاءهم للانسانية ولكن النفوذ الأجنبى الذى هزم فى الحروب الصليبية ، والذى استيقظ على المنهج العلمى التجريبي الاسلامى سرعان ما امتلك ارادة القوة والسيطرة وبضى فى جولة جديدة للسيطرة على عالم الاسلام .

ويعمقها ويصبح على حد قوله (وبذلك يختلف معنى الوحدة الإسلامية في هذا العصر الحديث اختلافا تاما عن معناها في العصر الوسيط) .

ثالثا : غزو العقول العربية والإسلامية بالأمكار الغربية حتى تنقطع القنوات التي تستقى كلها من نبع واحد ، والتي تؤدي إلى هدف واحد .

ويقول هاملتون جب أن هذا العمل سيعمل على زلزلة بناء المجتمع الإسلامي وتقويض أركانه .
هكذا تصورت حركة التغريب أنها قادرة على احتواء المجتمع الإسلامي وصهره في بوتقة الحضارة الغربية بتقطيع أوصاله عن الإسلام جملة والحاقه بالتيارات الغربية جملة وقد غفل هؤلاء الخبراء عن شيء أساسي يكاد يكون من جوهر أسرار الإسلام التي يفاجئ بها دعاة التغريب دائما وفي كل موقع ، ذلك هو قدرة المجتمع الإسلامي وهو في مرحلة الضعف والتخلف على الصمود في وجه الغزو الذي يريد أن يقتلعه أو يذمره أو يحتويه ، تلك خاصية شديدة الخطورة تكن في صميم المجتمع الإسلامي ولا تظهر إلا في وقتها المحدد وهي بالقياس إلى وقائع التاريخ يمكن اعتبارها قانونا قائما أو سنة من سنن المجتمعات والحضارات .

تلك هي قدرة المجتمع الإسلامي إلى الانبعاث من داخله وقدرته أيضا على رفض الجسم الغريب والانطواء على نفسه في حالة الضعف حتى لا تنفذ إليها السهام .

ولقد كان المجتمع الإسلامي قادرا على أن يستجيب للتطورات العالمية وللتغيرات العديدة دون أن يفقد ذاتيته أو تنهار شخصيته ، وقد ظهرت خلال هذه السنوات هذه الحقيقة في وضوح وجلاء ، يقول جب :

(لا يستطيع مجتمع أن يبقى منعزلا عن وسائل المدنية الحديثة) نعم ولكن المجتمع الإسلامي له قدرة خارقة على أن يأخذ ما يتناسب مع حاجته دون أن ينصهر ، وهو يعرف ما هو في حاجة إليه وهو العلم التجريبي والتكنولوجيا ، أما أسلوب العيش (بما يتعلق بالثقافة والأخلاق والعادات والقيم) فهو لا يستبدل قيمه وأخلاقه وإذا انحرف تحت تأثير أي ضغط فانه سرعان ما يعاود الأصالة والنظرة الصحيحة ، وسرعان ما يصحح مساره ، والمجتمع الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري مر بكلتا التجريبتين الغربيتين : الليبرالية والماركسية ، وتأكد عقمهما وعجزهما عن العطاء ، وهو يقف من النفوذ الغربي موقفا واضحا ، وقد تكتشف له الآن أبعاد المخططات ، كما يؤمن بأن الأسلوب الإسلامي في معالجة مختلف التحديات التي تواجهه — ليس هو الأسلوب الأمثل فنسب ، ولكنه الأسلوب الوحيد الآن بعد أن فشلت

محاولات استعمال الأساليب الوافدة التي لم تحقق إلا إطالة أمد الاغتراب والعجز عن امتلاك الإرادة ولن يستطيع النموذج الغربي أو المثل الماركسي ، أن يسيطر أحدهما على هذه الأمة الناضجة التي تعرف أن منهجها أعظم المناهج وأقدرها على العطاء ، ليس للأمة الإسلامية وحدها ، بل للبشرية جميعا ، هذه الأمة لن تخدع وأن خدع أفراد منها احتوتهم المدرسة التغريبية وكان لهم بعض النفوذ في بعض المجتمعات ، ولكن إلى قدر قصير وأمد محدود ، ولن يستطيع شيء ماعدا الأصالة والفطرة أن يستقيم ويمتد ويدوم ، ولا بد للزيف أن ينهار وأن ظن البعض لبريقه ولعمانه فترة أنه ممتد ومستمر — لقد تكشف للأمة الإسلامية أن « التغريب » يهدف إلى تشويه الذاتية الإسلامية المتميزة ، ولذلك حاربه الأمة بكل الأسلحة ، وظهرت مؤسسة تصحيح المفاهيم والمراجعة الشاملة الدخائل التي دخلت على الفكر الإسلامي خلال فترة النفوذ الغربي والمركسي وعلت الدعوة إلى أسلمة الإعلام والعلوم والفن والعمارة واستجاشت المشاعر في مختلف البلاد الإسلامية بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وقاومت أقلام الدعاة والمفكرين الإسلاميين بالرد على الشبهات المثارة ومواجهة التحديات فكتشف زيف (ساطع المصري) في مفهوم القومية وزيف (علي عبدالرازق) في مفهوم الدين والمجتمع ومفاهيم طه حسين في الفصل بين الأدب العربي والفكر الإسلامي ونظرية الشك الفلسفي ومفاهيم آخرين في الاقتصاد الربوي ، والقانون الوضعي ومفاهيم الدعوة إلى العامية والفللكور وتحديد النسل ، ومفاهيم الماسونية والباطنية والشعبوية ومختلف دعوات لطفي السيد وأويس عوض وزكي نجيب محمود وحسين فوزي وتوفيق الحكيم كما كشفت عن أن جيل الرواد والقلم الشوامخ لم يكن هؤلاء التغريبون وإنما كان هذا الجيل ممثلا في محمد ابن عبد الوهاب والسنوسي والمهدى وجهال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وعدد العزيز جاويش وأمين الرافعي ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان والشعالبي وعلال الفاسي ومالك بن نبي والمودودي والندوي وعشرات . أما أن تكون القمم الشوامخ هي لطفي السيد وطه حسين وزكي نجيب محمود فهذا لا يقره أحد من المنصفين .

لقد مرت فترة الانبهار ومضت إلى غير رجعة ، وسقطت دعاوى الاقايمة والليبرالية والماركسية والقومية المتفربة ، وعادت مفاهيم العلاقات بين العروبة والإسلام وبين العدل الاجتماعي والإسلام وبين الشورى والإسلام إلى حقيقتها .
إن موقف المسلمين من الحضارة الغربية الآن ،

ليس أسوأ من رأى مفكرى الغرب أنفسهم فيها ، وليس موقف المسلمين من الاسلام الآن هو جمود على ماض زاهر او تاريخ باهر ، وانما على « منهج حياة ونظام مجتمع » ربانى المصدر واسع الاطر ، قادر على العطاء . لا تستطيع المتغيرات والأحداث أن تعتوره ، ولا يستطيع تغير البيئات أن ينال منه ، ليس شأنه شأن المناهج البشرية والايديولوجيات العصرية ، التى تحتاج الى الاضافة والحذف ، والتى لا تستطيع العطاء فى كل البيئات أو العصور .

ماذا تتطلع إليه حركة التغريب

(من تقرير جب عام ١٩٣٠)

ان المنهج الاسلامى اليوم يدرس فى مجال (حوار الحضارات) ويجرى الاستعانة به فى سد ثغرات الحضارة الغربية المتهزئة التى توشك أن تنهار فليس الأمر الآن هو أن نأخذ ولكن هو أن نعطي .

ان فكرة التغريب (التحرر من سيادة الدين) هى فكرة مسمومة وهى ليست فكرة الغرب وحده ولكنها فكرة القوى الأخرى (الشيوعية والصهيونية) ولكن المجتمع الاسلامى الآن يؤكد سيادة منهج الله ويتطلع الى فجر جديد يشرق فى ضوء القرآن .

ان تقرير هاملتون جب الذى اعده لرسم مخططا لحركة التغريب والذى ظهر عام ١٩٣٠ انما كان يرمى فى الأساس الى القضاء على الوحدة الاسلامية واحلال القوميات بدلا منها كأساس لعمل التغريب كله .

وقد نسى جب أن الاسلام وحدة سياسية ووحدة عقائدية فكرية وانه ان كانت قد انهزمت الوحدة السياسية فان الوحدة العقائدية الفكرية قد بقيت ، وقاومت محاولات التغريب وعادت الى مفهومها الاصيل وأنه عندما سقطت الوحدة السياسية عن طريق سقوط الخلافة ما انهار المجتمع الاسلامى بفضل وحدته العقائدية وقد أحل المجتمع الاسلامى وحدات جديدة لمقاومة النفوذ الاستعماري أما بالنسبة لاتجاه العالم الاسلامى الى المدنية الغربية وقد جعله (جب) عاملا قوميا فى التغريب فان المسلمين قد أصبحوا يفرقون تفرقة واضحة بين أسلوب العيش الغربى وبين المدنية القائمة على التجريب والتكنولوجيا وهم يرفضون أسلوب العيش الغربى ويطالبون بأن يحصلوا على التجريب لينبوا حضارتهم من جديد على أسس قرآنية اسلامية وانهم مهما سيطرت عليهم اساليب المدنية المادية فى الطعام والسكن والتنقل وغيرها فانهم يفرقون تماما بين قبول ذلك وقبول فكر الغرب القائم على المسيحية واليهودية والفكر اليونانى والرومانى ولا يقبلون بأسلوب الأرجانون الرومانى القائم على العبودية والرق ، ويؤمنون بمفهومهم الاسلامى القائم

على التوحيد الخالص والعدل الاجتماعى والاخاء البشرى وقد تراجع التغريب اليوم فى دعواه الى صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية وظهر دعاة التغريب يدعون الى الجمع بين تراث المسلمين وبين عصريّة الغرب ، وهى دعوى يرددنها كثيرون فى مقدمتهم زكى نجيب محمود ويرفضها المسلمون الذين يؤمنون بأن البناء يجب أن يكون على الأساس وأن المسلمين لا ينتقون ولكنهم يعرضون الواقد والتراث جميعا على مقياس القرآن فكل ما يصادمه يجب أن يبعد ، وأن كثيرا من التراث كتب فى ظروف ترجمة الفلسفة اليونانية وغلبة الفكر الباطنى والوثنى ولذلك فهو مردود ، أما بالنسبة للفكر الغربى الحديث فان المسلمين ينظرون اليه ويراجعونه ولكنهم لا يعتنقونه لأن لديهم (مناهج اسلامية كاملة) فى مختلف جوانب السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والاخلاق والنفس وغيرها وهى مختلفة تماما مع الايديولوجيتين الغربية والماركسية وتتميز عليهما بميزات أهمها :

١ - انها ربانية المصدر .

٢ - انها واسعة الأفق مرنة قابلة لمواجهة متغيرات العصور والبيئات .

٣ - انها جامعة لشطرى الانسان : الروح والمادة وليست قاصرة على الفكر المادى وحده .

الباب الثانى

الاستشراق فى خدمة التغريب

أولا : آثار الاستشراق :

وصل النفوذ الأجنبى بعد الحروب الصليبية فى معركته مع الاسلام وعالمه الى حقيقة مؤكدة ، وهى ان هذه الأمة لاتغلب عسكريا لانها تملك منهجا يحول دون الهزيمة وان الاسلام ربى ابنائه خلال أربعة عشر قرنا على الجهاد فى سبيل الله والدفاع عن البيضة والمرابطة فى الثغور وحماية الحدود فى آيات هى بمثابة الأمر الأعلى الذى يصدر له المسلمون (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

ومن هنا دفعهم تأمرهم على تدمير هذا السد الفولاذى القوى القائم فى النفس المسلمة بتوهين هذه القيم التى قام عليها الاسلام واثارة الشبهات حولها واذاعة السموم والاحقاد حولها فى محاولة مكررة خبيثة تحت اسم تقديم علوم المسلمين الى المسلمين عن طريق الأساليب الحديثة والجامعات والبعثات وخلق أجيال جديدة تنربى فى بيئاتهم وتصدر عن كتاباتهم ويمكن لها النفوذ الأجنبى فى بلادهم ومن هنا نشأ « الاستشراق » بهدف تسخير منابع الفكر الإسلامى ، والتراث واللغة والتاريخ واثارة الشبهات حول القرآن والسنة والسيرة والفقه وعلوم الدين بهدف خلق روح التخاذل وتهوين القيم وضرب النصوص والتشكيك فى المفاهيم الجادة والحدود القائمة .

لم يعمل الاستشراق بمفرده فى سبيل المخطط الذى كان يرمى اليه وإنما اعانته قوى مختلفة أهمها مؤسسة التبشير التى بدأت فى مدارس الارسلالات الأجنبية وتنوعت أساليبها حتى سيطرت على التعليم فى البلاد الاسلامية وحورت مناهجه وأوضاعه حتى جعلته علمانيا مقصوص الجناح مجردا من مفهوم الاسلام الأصل الجامع بين التعليم والتربية والقائم على بناء الفرد المسلم مقدمة للأسرة المسلمة ، فالأمة المسامة فالدولة المسلمة .

وقد كان الاستشراق نفسه منظمة ذات هدف واضح يعمل بالتنسيق مع الاستعمار والنفوذ الأجنبى من ناحية ومع التبشير من ناحية أخرى فى سبيل تحقيق غاية كبرى هى « تغريب » الاسلام والمسلمين باخراجه

من طبيعته الخاصة وجوهده الذاتى ورسالته الحقيقية وذلك لاحتواء المسلمين ودفعهم دفعا لأن يكونوا « تابعين » للحضارة الغربية العالمية يقبلون وجهتها وينصرون فيها ويسلمون مقاليد بلادهم وأمتهم لامبراطورية الربا العالمية - والاستشراق ليس علما بأى مقياس علمى ، وإنما هو عبارة عن (أيديولوجية) خاصة يراد من خلالها ترويح تصورات معينة عن الاسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراسات . فالدارس لأعمال المستشرقين لايحتاج الى جهد كبير ليرى تعمدهم فى تزييف الحقائق واللجوء الى منطق فاسد ، ومغالطات ، وتقطيع للنصوص ، مع وضع أهداف مسبقة يطلبونها ويحاولون بالبحث ايجاد ما يساعدهم على تأكيدها وهى تستهدف فى غايتها رسم صورة مشوهة سقيمة عن الاسلام فى نظر القارئ الغربى والى زلزلة عقيدة الاسلام وتمييعها فى عين ابغاثها من المسلمين فغاية الاستشراق اذن مشتركة : ذلك لأنه نشأ فى أحضان الكنيسة وفى رحاب وزارات الاستعمار فجمع بين الغايتين ، هما صد الغربى المتطلع الى الاسلام عنه وافساد نظرة المسلم نفسه لدينه .

وبذلك صد الاستشراق فى الغرب كثيرا من متفتحى الثقافة والعقول حتى لا يقعوا فى أسر الاسلام ، بعد ان استشرى الحديث فى الغرب بعد هزيمته فى الحروب الصليبية عن أمانة المسلمين وعدالتهم ورحمتهم ، وحسن أخلاقهم .

ولما كانوا يعرفون أن مواريتهم ضئيلة قليلا تافهة ، هى مجموعة من الأساطير والخرافات فقد أزعجهم ذلك القدر الضخم من العطاء العلمى والروحى والثقافى الذى قدمه الاسلام للبشرية وخشوا على وجودهم فبادروا الى النيل منه وتزييفه واثارة الشبهات حوله .

وقد حرص رجالهم على وضع مخططات ترمى الى احتواء العالم الإسلامى كله والسيطرة عليه ومن ذلك دعوتهم الى القومية والى الاشتراكية والى تشويه

الوحدة الإسلامية الجامعة والتأثير على دولة الخلافة الإسلامية لتعزق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الاقليمي على كل منطقة ومحاولة اقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منها مستمد من تاريخ ما قبل الاسلام وبذلك احيوا دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والاشورية والبابلية في العراق والبربرية في المغرب والزنجية في افريقيا بهدف تقطيع اواصر العالم الاسلامي وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات من أكبر أهداف عملهم ومنذ ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصري والأدب السوري ، والحضارة العربية والحضارة الإسلامية ، وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحاولة بفصل الأدب والثقافة والفكر في هذا العصر الحديث عن منطلق الفكر الاسلامي وتفصل الادب العربي عن الفكر الاسلامي وهذه مؤامرة خطيرة ، يجب الوقوف في وجهها بينما هي (وحدة) من وحداته لا تنفك عنه .

وجاءت القضايا السياسية لتدرس في كل قطر على حدة ، ويتكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الإسلامية في اقليسيات وقوميات ، كان من شأنها سقوط الوحدة الإسلامية الجامعة الى حين وتبنت الدعوات المرتبطة بالعرق والدم والعنصر ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربي والبلاغة العربية في كل قطر على حدة بينما هي لها لا يمكن فصله أو تجزئته وتنافس المسلمون الشخصية الواحدة فقاتل عنها هؤلاء انه تونسى وقال الآخرون بل جزائرى ، وقال آخرون انه ولد في جنوب ليبيا (كذلك فعلوا بأكثر من شخصية) وقالوا أن الفارابى تركى والغزالي فارسى ، ونسوا حقيقة أساسية هي أن العقل الاسلامي وحده هو الذى كون هذه الشخصيات وكون آثارها وأن اللغة العربية والقرآن والسنة هم مصادر هذه الأعمال حيث لم يكن يعرف المسلمون في عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربى والفارسى أو التركى بل هو مما رماهم به عدوهم . بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر الا من لا اله الا الله وقد جال ابن بطوطة اربعين قطرا دون أن يوقفه أحد منذ خرج من الأندلس حتى بلغ جاوة .

تلك هي مؤامرة الاستشراق الكبرى التي هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق امام غزو قومية أخرى خارجة على وجودهم ومزقت العالم الاسلامي كله الى قوميات واسقطت الخلافة الإسلامية ومكنت للاقليمية التي ما تزال تصر على انفصالها ، وكانت الأطروحة الكبرى وهي الماركسية من أخطر ما حال دون وحدة المسلمين وأسلمتهم الى ولايات مختلفة بين القوى الغربية والماركسية .

هذا عن الأثر السياسى للاستشراق في العالم الاسلامي أما الأثر الفكرى فقد درس المستشرقون العلوم الإسلامية بهدف تدميرها من الداخل وتخصيص كل منهم في علم معين : جولدسيهر (علوم القرآن) وشاخت (الشريعة الإسلامية) ومرجليوث (سيرة الرسول) لويس ماسينيون (التصوف والحلاج) كيف ترون رجلا مثل ماسينيون ينفق أربعين سنة على بحث تراث الحلاج ليحدد هذه السموم التي قتل من أجلها وهي دعواه الى وحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق وتأمره مع القرامطة . وقد أفسد مرجليوث مفهوم علاقة القرآن بالشعر الجاهلي ، وزيف علاقة الخلافة بالنظام الاسلامي وخلق جولدسيهر مفهوم التدوين والسنة . وأفسد شاخت العلاقة بين العرف البدوي والشريعة الإسلامية وقد كانوا دعاة الى احياء ادب الفسق والفجور (أبو نواس وبشار بن برد) وكتابات الباطنية . فهم الذين أعادوا طبع كتاب رسائل اخوان الصفا ، وأحيوا ابن عربى والحلاج وابن سبعين والسهورردى .

وكانت دعوتهم الباطلة الى ربط المسلمين بالفلسفة الفرتية بدعوى ارتباط أجدادهم بالفلسفة اليونانية وهي دعوى عريضة كذبتها وقائع التاريخ فلم يقبل المسلمون في صدر الاسلام عندما ترجمت الفلسفة اليونانية أو الفارسية أو الهندية مقولاتها ورفضها علماء الاسلام وكشفوا عن الفوارق العميقة بين منهج الحياة الاسلامي القائم على العدل والاخاء البشرى والتوحيد وتحرير الانسان من عبوديته للأصنام والأوثان وعبوديته لغير الله بينما يقوم الارجانون الذى تحمله الفلسفة اليونانية على سيادة السادة في أعلى منصة السيادة وعبودية العبياد ، والاقرار بالرق ، اقرب به أرسطو وأفلاطون واعتبروه أساس الجمهورية بل لقد بلغوا في ذلك مبلغا جريئا متطرفا اذ قالوا لو أن عبدا وصل مكان السيادة لظل عبدا ولو أن السيد وصل مكان العبودية لظل سيذا . لذلك رفض الاسلام فلسفة اليونان وأعلن رفضه لها لأنها تتعارض مع قيمه وعدالته وأساس التوحيد الخالص الذى سوى بين البشر ، (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

هذا وقد كشف علماء الاسلام فساد الفلسفة اليونانية وزيفوا وجهتها وكان للأئمة الشافعى وابن حنبل والغزالي وابن تيمية كتاباتهم المدحضة لفساد هذه المترجمات .

وقد جاء الاستشراق ليعنى على هذه المخططات التى هدمها المسلمون ، فأحيوها من جديد لاثارة الشبهات وتسميم الأبرار .

الحق المزعوم في العودة الى فلسطين وتشويه الفتح
العربي .

ثالثا : الاستشراق الماركسي : فيحاوه احتضان الدعوات
الهدامة كالكثافة والزنج ووصفها بأنها حركات عدل
اجتماعي وحرية ، وقد أفردت لذلك رسائل وأطروحات
كثيرة استهدفت ضرب مفهوم العروبة الأصلية والاسلام
واحياء مفهوم الشعبوية والباطنية القديمة . وعمد
الاستشراق الماركسي الى تفسير التاريخ والتراث
الاسلامي تفسيراً ماركسيا مع قصور المنهج الماركسي
في تفسير جوانب الاسلام المعنوية والروحية وقد حرص
الاستشراق على احياء الاسرائيليات القديمة واهياء كثير
من الروايات الموضوعية والحكايات المدسوسة التي
هدمها كبار الباحثين المسلمين وفي مقدمتهم الامام ابن
كثير وقد ارتفعت الصيحة في السنوات الأخيرة الى
تحرير التراث الاسلامي من هذه الأساطير التي جاءت
نتيجة اعتماد بعض المفسرين على روايات جعسات في
التوراة والكتب القديمة وهناك مادة تدرس لتنتيق هذا
الجانب تسمى (الدخيل في كتب التفاسير) .

وبالجملة فقد ركزوا أعمالهم في موسوعة
ضخمة هي دائرة المعارف الاسلامية ، ولسم يتوقف
فسادهم عند هذا الحد بل توسع في دوائر المعارف
الأجنبية (البريطانية والأمريكية) ودائرة لاروس
الفرنسية وكان آخر هذه الأعمال كتاب اليونسكو عن
الاسلام الملىء بالسموم والذي عجزت الدوائر الاسلامية
خلال سنوات ثلاث عن ردهم عليه وتصحيحه وهم
يراوغون في مكسر بالغ .

ولقد جاءت مرحلة خطيرة في الكشف عن سموم
الاستشراق ، حين بدأت الدراسات الغربية عنه
لتعريفه .

ثانيا : دراسات غربية عن الاستشراق ..

ويقول ادوار سعيد في كتابه الخطير عن
الاستشراق :

أن الفكر الاستشراقي يتميز بنظرة استعلاء على
الشرق يرى فيه الدونية .

ويدعو ضمنا أو صراحة الى ازدرائه وأن مجموع الكتب
التي عالجت الشرق العربي والتي صدرت بين (١٨٠٠ —
١٩٥٠) وتقدر بحوالي ٦٠ ألف كتاب تقريبا تتميز كلية
بالعدوانية وأن الطلاب الذين يدرسون في أوروبا ،
خصوصا في الولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق
الذي يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم
فينا يعلمهم أن العقل العربي يتميز بالدونية عند مقارنته

وقد وزعوا شبهاتهم في ميادين مختلفة من الفكر
الاسلامي : حقائق الاسلام ، تاريخ الرسول ، القرآن
الكريم ، اللغة العربية ، التراث الاسلامي . السنة .
الحضارة ، الشريعة الاسلامية ، التاريخ الاسلامي .

وبالرغم من أن الاستشراق كله جبهة واحدة في
مواجهة الاسلام ، الا أن هناك ثلاثة تيارات استشراقية
تعمل بتساندة ، ويتميز كل منها بأغراضه الخاصة .

(أولا) الاستشراق الغربي : الذي بدأ مع النفوذ
الاستعماري في العالم الاسلامي ويرمى الى خلق مفهوم
العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وتبرير الربا وهو
الذي تركز في التعليم والثقافة والصحافة وأقام قواعد
الرامية الى تقليص الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع ،
وحصره في العبادات والمساجد ، وفتح الطريق أمام
الأنظمة الليبرالية والرأبوية الاقتصادية والتوانين
الوضعية التي مهدت للجريمة والاباحية واستشراء
الفساد الخلقي والاجتماعي رغبة في هدم الاسرة
والمجتمع .

ثانيا : الاستشراق اليهودي : وقد بدأ منذ وقت
مبكر لتشويه حقائق العلاقة بين الحنيفية الابراهيمية ،
واسماعيل وبين اليهودية والمسيحية والاسلام .
وقد فرض اليهود انفسهم على حركة الاستشراق
منذ البدايات لتحقيق اهدافهم في النيل من الاسلام
واضعافه والتشكيك في قيمه لأسباب سياسية تتصل
بخدمة الصهيونية فكرا أولا ثم دولة .

وقد ركزوا على دوائر المعارف الأجنبية (البريطانية
والانجليزية) ولاروس وغيرها لتسميم عناصرها المتعلقة
بالنبي صلى الله عليه وسلم والاسلام وما يتصل
باسماعيل عليه السلام بوصفه جد العرب والتشكيك
في رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز وتشويه وعد
الله تبارك وتعالى لابراهيم وذريته ومحاولة حصره في
(اسحق) باعتبار أن اسماعيل ليس الا ابن احدى
الجواري (مع أن السيدة هاجر كانت أميرة وابنة ملك
وقد أهداها ملك مصر لابراهيم) .

ويجرى الاستشراق اليهودي في هدم كل عناصر
العروبة الحقيقية ذات الجذور الأصلية في تربة فلسطين
قبل وصول اليهود اليها واثائها وبعدها .

وبالجملة فقد هدت الاستشراق الصهيوني الى
اعطاء القارئ الغربي والفرد المثقف في العالم أن
فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام ، واعطاء الصهيونية

ثالثا : شبهات حول أساليب البحث ..

ان خطة العمل التى تقوم عليها الدراسات الاستشرافية التى تفرض على أبنائنا المبعوثين الى جامعات الغرب (أمريكا وأوربا) لا تقوم على أسس علمية حقيقية ، وانما تقوم على مصادر غير موثوق بها ، نهم يبدأون عملهم بخطة مسبقة وينتقون من النصوص ما يحقق أهدافهم .

يقول الدكتور غؤاد سيزسكين : انهم يفترون على التاريخ الاسلامى ويظلمون الاسلام حقه ويقولون من أهميته وفعاليته ، وينكرون المنجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ، وقد كشف هذا الباحث مؤامرتهم فى الصمت والتجاهل للمصادر الاسلامية وبين اثر العلوم العربية مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والطب على العلوم فى أوربا وانه لولا وجود العاوم العربية وحضارتها لتأخرت نشأة العلوم فى أوربا لبضعة قرون اذا كان هذا ممكنا فى الأصل . وعنده ان الغرب بدأ يأخذ ويمثل العلوم العربية منذ القرن العاشر الميلادى واستمر حتى القرن الخامس عشر واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العرب والمسلمون وبالتحديد عن أهم أربعة مراكز هى اسبانيا وصقلية والتسطنطينية وطرانزون على البحر الأسود ، ، .

ويعنى اصرار الاستشراق الغربى على انكار دور المسلمين فى بناء الحضارة الحديثة هذفا واضحا هو ان يظل العرب والمسلمون يعتبرون انفسهم « أتباعا » للحضارة الغربية وينشأ ناشئهم ليتعلم ان الغرب هو الذى صنع علوم الطب والفلك والتجريب والرياضة والنفس والأخلاق والاجتماع بينما الحقيقة التى يحاولون اخفاءها عنه هو ان آباءه هم الذين انشأوا المنهج العلمى التجريبى الذى صنعت به أوربا هذه الحضارة المعاصرة ، وقد شهدت عشرات الأبحاث اليوم بهذه الحقيقة ، ولكن الاستشراق مايزال يخفى عن المسلمين حصيلة ضخمة من التراث الاسلامى مودعة فى مكاتب الغرب تزيد عن ربع مليون مؤلف تكشف عن الدور العظيم الذى اداه المسلمون فى بناء المناهج العلمية والاجتماعية والاقتصادية جيعا .

وحين يحجب الاستشراق هذا التراث كله ويأبى الاعتراف بمقدمات الاسلام للعلوم الحديثة يهتم بالتراث الصوفى الفلسفى ، والفكر الباطنى للفلسفات اليونانية الأفلوطينية والنفوسية الشرقية وكل مايشير الى أن الفكر الاسلامى له صلة بالفكر اليونانى ويسرفون فى الاعجاب بالمعتزلة والتصوف الفلسفى لأنهم يرون دعائه من أتباعهم ويكرهون أهل السنة والجماعة الذين حرروا الفكر الاسلامى من التبعية أمثال الغزالى وابن تيمية

بتفوق العقل الأوربى وبسمات ثابتة جامدة متخلفة تتناقض مع الحضارة الحديثة (ولما كان هذا باطلا فى حقيقته) ولكنه يلغى ويفرض على أبنائنا الذين يدرسون فى الغرب فاته يؤدى الى خلق احساس فى النفس العربية بالافتناع بعظمة الغرب وازدراء قيم امته ودينها .

ويؤكد ادوار سعيد بأن الهدف من الاستشراق ودراسة المتخصصين الغربيين للشرق الأوسط هو خدمة (النفوذ الغربى الاستعمارى) أى ان الهدف هو فرض المصالح الغربية على العالم الاسلامى وان المعرفة لا تكون فى فراغ وانما تنشأ على العلاقات السياسية والاجتماعية السائدة .

ويترتب مع هذا أن هؤلاء النفر من الخبراء بشئون البلاد العربية والاسلامية لم يكونوا مراقبين محايدين فهم خدام للاستعمار وعملاء للسيطرة الغربية (فهم من ناحية ينظرون الى العرب والمسلمين نظرة عنصرية امبريالية شوقينية) ومن ناحية أخرى قد سحوا لخبرتهم بالعمل فى سبيل الاضرار بالشعوب ، وأنهم يقدمون صورة العالم الاسلامى اليوم - فى مرحلة صحوته - وكأنه وثبة معادية للغرب وان لهذه الصورة تأثير كبير على صانعى السياسة الأمريكية فضلا عن محاباتهم لاسرائيل فى صراع الشرق الأوسط .

والاستشراق دائما فى الجانب المعادى للأمة الاسلامية ، لخدمة اسرائيل والمستشرق (مروبرجر) يذهب فى التضييل الى حشد الادعاء بأن منطقة الشرق الأوسط والعالم الاسلامى لا تشكل مركز قوة سياسية ، أو ان هناك ما يشير الى انها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية وذلك بهدف تخدير الخلق الغربى فلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا بمظالم الصهيونية وتحركاتها المريبة وفى ثانويات أمريكا يدرس للطلاب ان الاسلام دين صحراوى أسسه تاجر عربى اسمه محمد وأن العرب مازالوا يركبون الفوق .

ولقد كان لليهود تأثير على بعض المستشرقين لتغيير الحقائق ، وقد تبعهم بعض كتاب العرب الذين أنكروا وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، وذهاب سيدنا ابراهيم الى مكة المكرمة وبناء البيت .

ومونتجرى وات ينكر دور اليهودية فى التحريض على غزوة الخندق ، ويمثل هو ومكسيم رندسون ، وبروكلمان ، وفيشر ، وفيليب حتى ، وبرنارد لويس عصابة تخدم أهداف الصهيونية فى تزييف حقائق التاريخ الاسلامى .

انهم يحيون الاعتزال والتصوف الفلسفي الاباحي ويكرمون ابا نواس وابن عربي والحلاج واخوان الصفا وبشار بن برد .

ولقد كان لإشراف اليهود على الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الاوربية والامريكية اثره في نوعية الانتاج والدراسة التي يقوم بها الطلاب العرب والمسلمون والموضوعات والمنهج وقد رفضوا رسائلهم التي حملت فكرهم الخالص والزموم بالاعتماد على مصادر الاستشراق ومن لم يقبل طرد شر طردة .

وهم في الجامعات العربية والاسلامية مازالوا يفرضون مراجعهم : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلة الآسيوية ، مجلة الدراسات الشرقية ، مجلة العالم الاسلامي ، المجدد ، الموسوعة العربية (كولومبيا) . وقد وضح تماما بأن كتابات الاستشراق تقوم على عناصر ثلاث :

اولا : تأثير الوجدان المسيحي على فهم مسائل الاسلام واثار الخصومات القديمة التاريخية .

ثانيا : طبيعة الاستعلاء الغربي على الأمم نتيجة ما يسمى صلف الجنس الأبيض صانع الحضارة .

ثالثا : (وهو أهمها) وهو العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربي والبلاغة القرآنية والنبوية .

وقد تكشفت في السنوات الأخيرة حقائق كثيرة منها فساد الدراسات الاستشراقية لافتقارها الى كل خصائص المنهج العلمي والأمانة العلمية وذلك بسبب تعصب الكتاب البارزين اليوم الذين جندتهم الصهيونية على الاسلام واقتراءاتهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وانكارهم الوحي المنزل عليه وعجزهم عن ادراك اعجاز القرآن وجهلهم باللغة العربية وأسرار بلاغتها فضلا عن موافقهم المعروفة في تأييد اليهود والصهيونية ضد العرب والاسلام .

بينما تنقسم الدراسات الاسلامية عن المسيحية بالموضوعية من حيث الأمانة العلمية التي تستمد من القرآن الكريم الذي كرم السيد المسيح عليه السلام وامه تكريما عظيما ومع ذلك كفر من قال بالوهيته وبالتثليث وكذب ادعاء اليهود قتله أو صلبه ، بل أن الدراسات العلمية الحديثة للتوراة والانجيل بصورتيهما المحرفة تثبت أن القرآن الكريم حق لا ريب فيه وقد ظهرت في الغرب اليوم دراسات تكشف عن زيف مصادر الكتب المقدسة الموجودة الآن بين أيدي اليهود والنصارى (بوكاي) وقد تبين للباحثين أن الاستشراق لا يفقد الموضوعية الا في دراسة الدين الاسلامي اما حين يتصل بالديانات الوضعية كالهندوسية وغيمها فانه يكون

موضوعيا الى ابعد حد ، ويرجع ذلك الى أن الاسلام يختلف مع المسيحية في مجالات النفوذ الغربي وحرص الاستشراق على أن يخدم الاستعمار والحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية القادرة على امتلاك ارادتها .

رابعا : سموم ماثورة في مجالات البحث :

واذا كان المستشرقون قد انطلقوا في مخطط خطير قائم على الافتراء في مختلف جوانب العلوم الاسلامية — فهم يركزون سمومهم واحقادهم على الاسلام واهله بتحريف النصوص لبقائها ولي أعناقها لتخدم أفكارهم ، فقد تصدى للرد عليهم عدد كبير من علماء المسلمين وكشف زيفهم ولم تترك مسألة واحدة مما اثاروه دون تعرية وهناك عشرات الكتب الدراسات في هذا الشأن :

١ - الاستشراق والاسلام :

وقد ركزوا على الاسلام نكروا الرسالة الخاتمة كما انكروا الوحي والنبوة ونظروا اليه على انه مأخوذ من كتبهم ، ولو فهموا حقيقة الامر لوجدوا أن أديان السماء تتابعا يسلم بعضها الى بعض وأن دين موسى ودين عيسى من بعده حلقات من الحنيفية السحرة دين ابراهيم مسلمة الى الرسالة الخاتمة : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي متكاملة كالمراحل يسلم بعضها الى بعض حتى يكون الاسلام ختامها فالأصول العامة لدين الله في العقيدة واحدة فلا عجب يثير المستشرقون الشبهات : شبهات مصدرها هذا الالتقاء في الأصول وأن تبين بعد أن وجهه المقارنة مفقود من حيث أن القرآن كتاب سماوي وغيره من الكتب قد أصابها التحريف وانقطعت عن السلسلة حين رأى رؤساؤها الاستقلال بها ونقلها من الدين الى القومية .

ويذهب المستشرقون الى فهم الاسلام فهما ماديا خالصا فهم ينكرون الوحي وينكرون النبوة وينكرون المصدر الرباني للقرآن وهم في ذلك يصدرون عن مفهومهم المحدود للأديان الأخرى حيث يوصف الانجيل بأنه من كلام الرسل وحيث تختلط المفاهيم في العلاقة بين الألوهية والنبوة .

وفي عشرات المواضع التي شكك فيها المستشرقون حول الاسلام رد علماءنا ودحضوا الأكاذيب على نحو واسع تستطيعون الاطماع به من عشرات المؤلفات .

٢ - الاستشراق والرسول :

فاذا انتقلت الى شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نجد محاور المخطط المسموم الذي حمل الاستشراق لواءه في مراحل المختلفة بهدف الوقوف عند نبوة سيدنا عيسى عليه السلام وانكار ما بعد ذلك .

وجبرت محاولتهم في نسبة ماقدمه الرسول عن طريق الوحي الى قومه على انه مأخوذ من هذا الأعجى أو ذاك ، في محاككات كاذبة من أمثال لقائه بالراهب بحيرا أو ورقة بن نوفل أو قس بن ساعدة وما تستطيع الأدلة الساطعة أن تقف امام هذه النقولات وهم في هذا المجال يتعرضون ، لتعدد زوجات الرسول وللوحي ويحاولون تصويره بصورة الأمراض النفسية والعقلية .

٣ - الاستشراق والقرآن :

أما موقفهم من القرآن فهو موقف زائف : يقوم على الخصومة والانتكار وذلك طبعى ازاء موقف القرآن من أضاليل اليهود والنصارى وتحريفات التوراة والانجيل ، وعندما نراجع ماكتبه المستشرقون عامة نجد أن هناك اجماعا على الوقوف في وجه القرآن وانكار مصدره الربانى والقول بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ويجيء هذا الرأى تعصبا ضد القرآن ونبيه أو عجزا عن فهم الوحي في تقدير الباحثين الذين يعتمدون النظرية المادية أو في التشابه مع موقف الفكر المسيحى الذى يرى أن الانجيل ليس كتابا من السماء وانما هو من عمل الرسل .

٤ - الاستشراق واللغة العربية :

ولما كانت اللغة العربية هى مدخل القرآن الكريم فقد تركزت الحملة عليها والدعوة الى نشر العامية واتخاذها لغة للكتابة والتعليم بدلا من الفصحى وجرى اتهامها بالقصور وعدم الكفاية العلمية وادعاء صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها في محاولات مأكرة للفصل بين بيان القرآن الكريم وبين أسلوب الكتابة العربية وقد جرت محاولات المأكرة حيث استطاعوا في كثير من البلاد التى دخلها الاسلام أن يحولوا دون انتشار العربية معها فتوقفت الفصحى ، عند مداخل كثير من الاقطار الاسلامية واستقلت علمياتها مع اللغات الأجنبية من أجل حصار لغة القرآن .

٥ - الاستشراق والتراث :

كذلك وجه الاستشراق مدفعيته الثقيلة الى التراث الاسلامى في موقفين متعارضين :

(الاول) التكرار لقيمة هذا التراث وتصويره بأنه متخلف وأنه لا يستطيع أن يعطى العصر الحديث شيئا نافعا وينكر انه كان لهذا التراث فضل على الحضارة المعاصرة .

(الثانى) بعث الجوانب الضعيفة والمختلف عليها ودعوات الباطنية والزنج والقرامطة وغيرها من الجوانب المضطربة والتي لا تتفق مع جوهر الاسلام .

وفي الوقت نفسه عمدت حركة الاستشراق الى استخدام التراث الاسلامى استخداما سيئا فقد بدأت المؤامرة على التراث منذ وقت بعيد وهى ترمى الى الاستيلاء عليه بأى ثمن ونقله الى دوائر الغرب ثم كانت محاولة إبراز الجوانب الضعيفة والمضطربة والمتصلة بالخلاف والصراع بين الفرق الاسلامية وكل مايتصل بما يشكك في العقيدة الاسلامية وخاصة دعوات الباطنية والقرامطة والحلاج وابن عربى والسهورردى .

٦ - الاستشراق والسنة :

أن موقف الاستشراق من السنة هو موقفها من القرآن ومن سيرة الرسول عامة فإن السنة هى جزء من حياة الرسول وهى تفسير للقرآن فلا بد أن تنالها هجمة الشبهات وتصل اليها سموم التحريف ، وعوامل التزييف .

ويقول العالم الفرنسى المسلم (اتيان دينيه) انه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته ، ومن هنا نجدهم يرمون السنة بكل اتهام ويدعون أن تأخير تدوين الحديث كان له اثره في زيادة السنة ونقصها ، ويرمون بذلك الى أضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور ، وهو عمل يرمى الى وسم السنة كلها بالاختلاق والوضع .

٧ - الاستشراق والحضارة الاسلامية :

كذلك وجهت حركة الاستشراق الى الحضارة الاسلامية كثيرا من الاتهامات والشكوك والشبهات فهم لا يطلقون اسم الحضارة الاسلامية عليها بل ينسبونها الى العرب حتى يثيروا الخلافات ويوقعوا بين المسلمين والعرب .

ويدعون أن الحضارة العربية حضارة سطحية ظاهرية ويزعمون أن أصولها راجعة الى المدنية الاغريقية، ويردها البعض الآخر الى الموالى المستعربين، وتجاهلوا أن الحضارة الاسلامية نبات جديد صنعه القرآن وأن مصدرها هو المنهج العلمى التجريبى الذى بدأ بقوله تعالى (قل أنظروا ماذا في السموات والأرض) وهم بهذا الادعاء يشوهون تاريخا امتد ألف سنة وينكرون اثر الاسلام والقرآن على تقدمهم .

٨ - الاستشراق والشريعة :

ولما كانت الشريعة الاسلامية هى الغاية الكبرى من الاسلام فقد كان لابد للاستشراق من توجيه اثشبهات اليها ومحاوله البحث عن تناقضات يستطيع من خلالها أن يصل الى بث أهوانه وأحقاده وقد حاولوا إيهام المسلمين بأن الشريعة الاسلامية سبب تأخرهم وعائق

في بحر التاريخ الاسلامي العريض الجياش المليء بصور البطولة والحيوية والقوة والذي كان قادرا على العطاء الدائم للأجيال المتجددة وهم يركزون على دراسة الجاهليات والحضارات القديمة ودراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام القليلة التي هي من طبيعة الأمم الكبرى ويقوم عملهم على أساس دراسة الروايات المختلفة والنصوص المتعارضة وضرب بعضها ببعض لاثارة الشبهات ولأريب أن بعث دعوات الفينيقية والآشورية والفرعونية إنما استهدفت تزييق وحدة المساهمين والغض من شأن الإسلام .

وبالجملة فإن عمل الاستشراق يستهدف (كما يقول الدكتور مصطفى السباعي) الى :

(١) اخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم .

(٢) تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

(٣) أساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف .

(٤) تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكون به في التاريخ الحديث : ومن كتب التاريخ ما يحكون به في تاريخ الفقه ، فهم يصححون ما يقوله الدميري في كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ .

وأبرز أخطائهم :

(١) انكار الوحي والنبوة . (٢) التقليل من عظمة الحدث التاريخي الاسلامي . (٣) وصف الفتوح بالمطامع والاستزاق . (٤) عدم القدرة على تقدير الجوانب المعنوية للعقيدة الاسلامية وأثرها في الأحداث والفتوح . (٥) عدم الاقتناع بأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتبع . (٦) الاتفاق المسبق على ترويج الأكاذيب عن الاسلام واضفاء الصفة العلمية على هذه الأكاذيب مما يشغل المسلمون بموقف الدفاع انشغالا يمنعهم من اتخاذ موقف البناء والتفنيد لنواقص الكتب القديمة . (٧) الادعاء بأن الاسلام دين سيف وفتح (وأن الاسلام يتعدد بتعدد شعوبه ، وأن لكل عصر اسلام ، وأن الاسلام دين فردى شخصي . (٨) محاولة تشويه مكانة المرأة في الاسلام . (٩) القومية العربية مصطلح استخدم بهدف ابعاد الشعوب المسلمة عن مبادئها الاسلامية بهدف غزو العالم الاسلامي وتمزيقه .

(١٠) تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الاسلامي

أمام تقدمهم ونهوضهم وقد أثاروا الشبهات حول نصوصها وعرضوا لها أسموه (تطوير الشريعة بتطور العصر) وغير ذلك من المحاولات الباطلة التي عرفت عن الشرائع الوضعية التي تحتاج في كل عصر الى تغييرها بينها نجد الشريعة الاسلامية شريعة ربانية منزلة قد وضعها الشارع الأكبر محققة لقيام مجتمع الامن والسكينة وجعلها ذات اطر واسعة وافية وقادرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات وهي من أجل ذلك لا تحتاج الى تطور لأن أسسها الثابتة راسخة البنيان ، ثم هي قادرة بعد ذلك على تقبل المتغيرات .

وقد وجهت عشرات الشبهات والتهجمات الى الشريعة الاسلامية بهدف الغض من قدرها وتشويهها في نظر أهلها وفي نظر الناظرين اليها من خارج المجتمع الاسلامي وقد باعت شبهاتهم بالفشل .

٩ - الاستشراق والأدب :

حاول الاستشراق وضع الأدب العربي في مجال الاحتواء الغربي بتطبيق نظريات الأدب الفرنسي وهي نظريات مادية تقوم على أن الانسان خاضع للبيئة والعصر ، وأنه مجبور وليست له ارادة ، وأنه حيوان مادي يخضع للجنس او لقمة العيش واهتموا من الأدب العربي بأعمال الاباحيين أمثال أبى نواس وبشار وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وبيضة الدهر في محاسن أهل العصر وكتاب الزهرة لأبى بكر الأصفهاني (وقد طبعت هذه الكتب بمطابع الآباء اليسوعيين في بيروت) بهدف اشاعة الفساد والاباحية في المجتمع الاسلامي ، وهي أعمال لا تشي بطابع الأدب العربي الحقيقي المستمد من القرآن والسنة ويحاولون وصف عصر الاسلام بأنه عصر التوسع بادعاء أن العصر الجاهلي هو العصر البطولي . وفي محاولة لاثارة الشبهات بأن الاسلام لم يقم بأى تغيير حقيقي في المجتمعات .

١٠ - الاستشراق والتاريخ ..

وقد جرت محاولات المستشرقين حول تزييف تفسير التاريخ الاسلامي واخضاعه لمناهج وافدة تفسره ماديًا واقتصاديًا أو تخرجه من منهجه الاصيل ومفهومه الاساسي ، وبذلك تبدو صورة التاريخ الاسلامي أمام المسلمين مزلزلة مضطربة ، وبذلك يفقد الهدف الاصيل من دراسته ولما كان التاريخ عاملا هاما في عوامل بناء الأمم وتربية الافراد فقد كان حرص المستشرقين على افساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية من هذا التراث وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية وصور التناقض والخصومة وكلها صور لا قيمة حقيقية لها

باطلاق كلمة (المذهب الحمدي) لاعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشرى من صنع محمد صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله . (١١) يخلطون بين الاسلام كدين وتبين التاريخ كواقع ، أى بين الوضع القائم فى العالم الاسلامى اليوم ، وبين منهج الاسلام الربانى . (١٢) محاولة تسميح الاسلام فى مجال الاجتماع والتربية والأخلاق . وكل هذه أضاليل وإكاذيب كشفنا زيفها فى دراستنا الجامعة (مقدمات العلوم والمناهج) .

وبعد ،

فإذا كان هدف الاستشراق هو محاولة صياغة العقل الاسلامى على أساس غير اسلامى فإن علينا فى مواجهة هذه المؤامرة الخطرة أن نعرف مصادرنا الحقيقية ، وأن نتمسك بها والا ننخدع بدعاوى المستشرقين .

وفى كلمة واحدة يجب أن نعمل ماوسعنا فى سبيل الحفاظ على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الخاص وأن

نعرف أبعاده ومعالمه حتى لا نسقط فى هوة الاحتواء والانصهار فى دائرة الأسمية العالمية ولنعلم أن الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى إنما يستمد قوته من ضعفنا . وبقاء وجوده مشروط بعجزنا عن معرفة ذاتنا وحماية كياننا .

ثم انه علينا أن نقف فى حذر أزاء المصطلحات التى يقدمها الاستشراق والتغريب ويرمى بها الى صهرنا فى بوتقة الغرب المعاصر المنهار الذى مر بمرحلة غروب حضارته وسقوطها . ويجب أن نفرق بين التغريب والمعاصرة ، وبين التحديث والتغريب ، فالمعاصرة أن تعيش الأمة العصر ، وتتجاوب معه بجوهر عقيدتها ومقوماتها وقد دفع الاستشراق فى أفق الفكر الاسلامى أطروحات القومية والاقليمية والعلمانية والديمقراطية والاشتراكية وقد فشلت جميعها واحدة بعد واحدة ، ورفض الجسم الاسلامى الحى ، هذا العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل أطروحة مضاللة والعودة الى مفهوم الاسلام الجامع .

الباب الثالث

التبشير الغربى والتنصير العالمى

التخطيط والعمل :

من خلال هذه الالتقاءات دبرت الخطط لمقاومة الاسلام، والعمل على كسر شوكته بهدف زعزعة عقيدة الشعوب الاسلامية بالتشكيك والتنصير . وتركزت اعمالهم على الاقليات الاسلامية ومجمعات اللاجئين ، واستغلال اوساط البؤس والحرمان ، واستغلال الحاجات الناتجة عن عدم الاستقرار .

وقد ابتكرت طرق مستحدثة لهذا الغرض منها طبع الملايين من الكتب وتوزيع المنشورات المشحونة بالعداء والبغضاء والافتراء على الاسلام والمسلمين ، وتزييف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو تفسيرها تفسيراً خاطئاً يتفق وخططها وتحريفها وإخراجها عن معانيها الصحيحة .

كما لجأت هذه المنظمات الى طبع أشرطة كاسيت تسجل عليها تلاوات شبيهة بتلاوة القرآن الكريم في المضمون معادية له ناسخة لتعاليمه ، كما انتشرت اذاعات خاصة تروج هذه الافكار في بونت كارلو وصوت الفجران ومركز النهضة .

وقد جرى عمل مسابقات عن طريق المراسلة معرصد الجوائز المادية والفنية ولوحات مكتوب عليها عبارات منقولة من الاناجيل ، ونتائج حائط ، وحافظات نقود .

ومن أخطر هذه الأعمال القيام بمراسلة المسلمين عن طريق صناديق البريد وذلك بالحصول على عناوين المسلمين من أدلة الهاتف أو أدلة الشركات التجارية ، وإزاجهم بإرسال نشرات مسمومة ، بل لقد تكشف أن هناك تسليلاً متصلاً الى المجتمعات الاسلامية خفية حيث وجدت خلايا سرية لبث السموم والافكار النصرانية في بعض العواصم العربية .

وقد تكشف في الفترة الأخيرة ان هناك مركزاً لمنظمة دولية في بازل بسويسرا وأن المنظمة فروعاً في ألمانيا والنمسا ولبنان ، هي منظمة الشبهة النصرانية التي ظهرت الى حيز الوجود قبل المبعينات أسسها (فالتر فاشرمان) الألماني الجنسية ، وتمكن فالتر من جمع الأموال من الأعضاء العاملين في الارسلالات ومن بعض المؤيدين في سويسرا والنمسا وألمانيا ، وقد قامت المنظمة

تمر قضية « الارسلالات التبشيرية » بمرحلة جديدة اشد خطورة بعد ان علا صوت « الصحوة الاسلامية » تلك هي مرحلة الحرب غير المعلنة التي تظهر هذه السنوات من خلال المنظمات الجديدة التي تشكلت في البلاد الغربية وتأسس لها فروع في لبنان وغيرها . وأخذت نشراتها ومطبعاتها تنشر الآن بشكل واسع ومكثف ، في مختلف اجزاء العالم الاسلامى . وخاصة في المغرب والسودان والعراق ومصر والأردن والكويت والسعودية .

ويمكن القول بأن مرحلة « التبشير الغربى » التي شاهدها العالم الاسلامى في فترة سابقة خلال اكثر من مائة عام تقريباً قد تحولت الى « مرحلة التنصير » العالمية ، بعد أن تكشفت خيوط عريضة متعددة تتصل بهذا التطور ، ومن أبرز هذه العوامل :

١ - ظاهرة الحوار .

٢ - ظاهرة تنظيم الأسرة .

وقد رأينا في السنوات الأخيرة كيف كانت رحلات البابا يوحنا بولس الثانى الى افريقيا والى جنوب شرق آسيا بهدف تكثيف تلك المحاولات التنصيرية ، أضف الى هذا : المحاولات التي جرت من أجل تبرئة اليهود من دم المسيح مخالفة بذلك عقيدة جميع النصارى ، ومن قبل رحلة البابا بولس السادس الى فلسطين ولقاؤه مع البطريك اثناغورس على جبل الزيتون في مدينة القدس ١٩٦٤ ، وفي ختام مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٧٤) في كنيسة القديس بطرس في روما رفع الحرمان المتبادل بين الكنيستين الكاثوليكية والارثوذكسية الصادر عام ١٠٥٤ م وفي عام ١٩٦٤ تنازل الفاتيكان عن عدد من الذخائر التي كانت في رعايته وعهدته في روما ، فنقلت ذخيرة القديس أندراوس الى كنيسة كريت ، وذخيرة مار سابا الى كنيسة القدس ، وذخيرة القديس مرقص الى كنيسة الاسكندرية ، وأنشئ معهد طنطور المسكونى في القدس ، وخصص للدراسات التي تدعو الى وحدة الكنائس النصرانية في كنيسة واحدة ، ثم كانت رحلة البابا يوحنا بولس الثانى ١٩٧٩ الى تركيا ، ولقاؤه بالبطريك المسكونى ديمثريوس الأول حيث صدر بيان مشترك لازالة جميع العتبات لتحقيق وحدة الكنيسة النصرانية .

(الثانية) بالنسبة للنساء والأطفال : وذلك بتوجيه

العسل من خلال النساء اللاتي يعملن كقيادات دينية أو قيادات في الجاليات وتقديم البدائل النصرانية لسكى تحل محل تلك التأثيرات التي تقتحم على المرأة حريتها في المجتمع المسلم .

كما اقترحت التوصيات : بنساء وزرع الكنائس التي تهتم بالمتنصرين واعداد الترتيبات الخاصة بهم والشعائر الدينية ، كما اشار المؤتمر الى ضرورة افتتاح جمعيات المسلمين في أمريكا الشمالية .

القيادة العامة :

ومن ناحية أخرى فان الفاتيكان (وهو القوة الأولى العاملة في مجال التنصير في الوقت الحاضر) بالاشتراك مع الهيئات البروتستانتية والانجيلية وغيرها يشرف على أكثر من مليون من رجال الدين الكاثوليك الموزعين على العالم كله بالإضافة الى مئات الألوف من دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليا والجامعات (سواء العلمانية منها أو الخاصة بأعداد المبشرين والرهبان) وتقدر ميزانية الفاتيكان السنوية بألف مليون دولار توضع تحت تصرف البابا مباشرة .

وليس الفاتيكان وحده هو الذي يقدم ملايين الجنيهاً في أنحاء إفريقيا وجنوب شرق آسيا تحت اسم « خطة إعادة هذه المجموعات الى الصليب » خلال عشرين عاماً ، ولكن مختلف النحل النصرانية تدرج بمبالغ ضخمة في ميزانياتها لتحقيق هذا الهدف باسم البحوث العلمية تارة والمساعدات الاجتماعية أخرى وبالرغم من اختلاف جنسيات بعثات التنصير ، إلا أنها تتفق على الهدف والتنافس فيما بينها لتحويل أكبر عدد ممكن من المسلمين الى النصرانية ، وهذه الجماعات كلها مدعومة من المجلس العالي للكنائس والبابوية في روما ، وتقوم أعمالها - ظاهراً - على التطبيب والتعليم ومساعدة الفقراء .

وهي تعتمد أساساً على المساعدات الطبية والصحية في بناء المستشفيات والمستوصفات لمساعدة المرضى من المسلمين وصرف الدواء وعلاج الأطفال والنساء ، ومن ثم تبدأ بالاندساس بين المسلمين في حالة الضعف والحاجة ، وفي مساعدات اجتماعية هدفها الظاهر انساني والحقيقى تنصيرى .

وهناك مشروعات نوادى الشباب ورعايتهم ، وذلك عن طريق تقديم السم على شكل قصص وكتب ونشرات تروج لأفكار التحلل من الولاء الإسلامى أولاً ثم التشكيك في مبادئ الإسلام وقيمه ، ثم الترويج لأفكار

بأنشاء مركز لطبع الكتب النصرانية المعادية للإسلام والمسلمين ولا يزال الفرع اللبناني يواصل نشاطه وعمله التخريبى بقيادة القسيس سليم يعقوب وزملائه في مدرسة تمبرلونا وقد جند الطبيب السويسرى الذى ضبطت خليته بالعاصمة السودانية عام ١٩٧٩ وقد ضبطت عند مداخلة هذا المركز ٢٠٠ ألف كتاب من الكتب المعادية للإسلام والداعية الى الردة ، كما ضبطت كميات من الاشرطة التي سجلت عليها احاديث مناوئة للإسلام ، الى جانب اجهزة متقدمة للتسجيل والطباعة وقد حملت هذه الكتب المضبوطة كهجوماً على النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وتلاوات قرآنية محرقة ، وكانت المنظمة قد أودعت أموالاً طائلة في البنوك السودانية بالعملة الصعبة لخدمة هذه الأعمال .

وقد جاء هذا التحرك في اطار المؤتمر الذى عقد في أمريكا (في ولاية كولورادو بأمريكا) تحت اسم « العمل على اكتشاف وتحديد المسؤوليات (النصرانية) في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين » وهو امتداد لمؤتمرات أخرى عقدت لهذا الغرض في لوزان عام ١٩٧٤ تحت اسم « تنصير شعوب العالم » وقد عمسد هذا المؤتمر الأمريكى الأخير الى تقديم استراتيجية جديدة للعمل في مواجهة المد الإسلامى ، وذلك بأن يكون الهجوم على الإسلام مستهداً من القرآن نفسه ، كما اتفق على انتهاء الجو المتشدد مع المسلمين وإيجاد جو ودى يمكن من النفوذ الى قلوب المسلمين . . وقد جاء في توصيات المؤتمر تحت عنوان « التنصير » .

« يجب بذل الاهتمام الكافى والتركيز بقوة على زرع جاليات نصرانية في قلب العالم الإسلامى ، وهم سيحاولون بدورهم تطوير وإيجاد وسائل منهجية جديدة أكثر ملائمة عند تقديم الانجيل للمسلمين ، ويجب الاهتمام الشديد باستخدام الآيات القرآنية ذات الصلة بهذه الموضوعات ، وخاصة في المراحل الأولى لعملية التنصير .

وقالت التوصية : تزداد يوماً بعد يوم فاعلية الدور الحيوى الذى تؤديه الاتصالات الفعالة الميسورة لنشر النصرانية وتدريسها ، وستكون مراكز الأبحاث مخولة لاعداد أبحاث موسعة من خلال التركيز على شرائح وعينات من العالم الإسلامى ، وكذلك يكون من واجبها اعداد المواد اللازمة الغرض نفسه ، على أن يكون ذلك من خلال قناتين :

(الأولى) بالنسبة للمعلمين : وذلك يربط المشاعر

بالانجيل والقصص التي وردت فيه تسهيلاً لتداول تلك القصص وتيسيراً لنشر الانجيل .

السوداء حيث رسم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسي حيث تبدأ بارتريا (الشعب المسلم الذي قدمته أمريكا هدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان وأوغندا وتشاد والنيجر وينتهي في نيجيريا التي خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين بنيجيريا وبيافرا وقد فشل مخطط الاستعمار وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء في القارة السوداء أخطر علينا من الف قنبلة ذرية » وقد أشار الدكتور عمر فروخ الى ما تفعله البعثات التبشيرية في افريقيا :

توقع البعثات التبشيرية في السنغال (مثلا) مع عدد من الاسر السنغالية الفقيرة عقودا تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية الى الاسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة ، من ارز مثلا في كل شهر على أن يكون لها حق اختيار طفل من اطفال الأسرة تربيته على حسابها ، ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه اذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا) .

وتختار البعثة التبشيرية من اطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ترسله الى مدرسة تبشيرية طبعاً وينقطع الصبي عن أهله وينشأ نشأة نصرانية ثم يرسل الى فرنسا لاتمام تعليمه العالي ، بعدئذ يعاد الى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا ، وحينما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلاً نصرانياً فرنسياً الى السنغال يعطى حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف .

مثال ذلك كلمة سانجور معناها سان جورج (القديس جورج) رئيس الجمهورية السابق نصراني ولكن أبوه وأخوته مسلمون) .

وقد كثر المرتدون في افريقيا وقد عملوا بارادة المستعمر فيهم وكانوا عيوناً لهم وايادي في وطنهم .

وفي القسم الجنوبي من السودان ، وقد كان معظم أهله من الوثنيين البدائيين ، فقد ترك للمبشرين الكاثوليك أو البروتستانت يقومون فيه بالتعليم أو بالتبشير تحت ستار التعليم ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت الحكومة الانجليزية المتدبة على السودان تعطي المبشرين اعانة من ميزانية السودان مساعدة لهم على التعليم .

كذلك حمل ملوك الحبشة النصارى في القرن التاسع عشر المسلمين الاحباش بالقسوة على اعتناق النصرانية أو مغادرة الحبشة ، وفي آخر الامر سحبت

النصرانية والتنصر ، بالاضافة الى المدارس ورياض الأطفال ، وتدرجا الى المعاهد والجامعات ومراكز البحوث وقد أصدرت هيئة التنصير العالمية عددا من المؤلفات على كل مسلم ان يعرفها ويحمي منها شباب الاسلام ، ومنها ميزان الحق وتنوير الافهام في مصادر الاسلام ، والباكورة الشهية في الروايات الدينية ، ودعوة الحق ، وأصول الايمان ، وكتاب الصليب في الانجيل والقرآن ، وكتاب دين المسيح لم ينسخ وكتاب شخصية المسيح في الانجيل والقرآن .

وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغات الأجنبية كالانجليزية ، ككتاب ميزان الحق الذي ألفه الدكتور فاندرواوسله بالفارسية وطبع عام ١٨٣٥ وقد تصدى الشيخ رحمة الله الهندي - رحمه الله - للرد على كتاب ميزان الحق في كتاب اظهار الحق . الذي طبع في الهند أولا ثم في مكة المكرمة ، بعد مناظرات علنية بينه وبين المؤلف فاندرو لم يصمد فيها المبشر وهرب من الهند .

ولا ريب أن كتاب المسلمين مدعوون الى حضن الشبهات والباطيل التي تقدمها هذه الكتب للناس .

وما تزال تصدر في البلاد العربية مؤلفات تبشيرية بين الحين والحين منها كتاب مبادئ الحرب الروحية تأليف يعقوب ويلسون وتعريب وليم غطاس ، وهو كتاب يطفح بالحق والقمص ، ليس ضد المسلمين العرب بل ضد كل ضمير حي في العالم فهي دعوة الى تبليغ الانجيل بالقوة وتكشف الكتابات على ارتباط وثيق بالصهيونية من جهة والشيوعية من جهة أخرى .

واذا القينا نظرة في خفية فاننا نجد أن مواقع كثيرة في العالم الاسلامي اليوم تواجه هذه الحملات المنظمة فقد أشارت مجلة « ذا تشارش هرلد » الى مقال بقلم الأب الروحي جون بيوطن (١٩٧٩/٩/٢١) يتحدث عن التبشير في منطقة الخليج العربي فيشير الى نشاط واسع في عمان (مسقط ، مطرح ، روى) وفي الكويت وفي البحرين ، ويرجع الى التاريخ القديم منذ تسعين عاما عندما قسّم المبشر « زويمر » الى هذه المنطقة فواجهته القوى الاسلامية بكل عنف فلم يجد مجالا لنشر دعوته .

وفي افريقيا نجد صورة أخرى فازاء انتشار الاسلام في القارة ، واعتناق الوثنيين له باعتباره الدين المرتبط بالحرية والكرامة ، تجد المحاولات المبذولة في سبيل التنصير ، وانفاق الملايين لبناء الكنائس الضخمة ، وهناك محاولة ايثاف انتشار الاسلام في ربوع القارة

الحكومة الحبشية للولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء محطة اذاعة تبشيرية في أديس أبابا اسمها صوت الانجيل ، وأضاف الاستعمار الأمريكى البريطانى ارتيريا الى الحبشة وأخضعها للأسرة النصرانية الحاكمة . واتخذت الجمعيات التبشيرية في (أوغندا والكونغو) قرارا بتنمية اللهجات المحلية واللغة الانجليزية وإقامة كافة العراقيل في وجه نشر اللغة العربية وهملت على عدم استخدام اللغة العربية في الجنوب السودانى اذ أنها ستفتح الباب أمام انتشار الاسلام وتعريب الجنوب كما صنعت صنع الملابس العربية وارتدائها .

كما تقرر الحد من هجرة التجار الشماليين ومنعهم من التواجد في جنوب السودان وبعد خمسة عشر عاما من الصراع بين الحكومة والاقلية النصرانية ومن ورائها الدول المستعمرة والكنيسة تحقق الانتصار الكامل للقوى الكنيسة المدعومة حاليا بتوقيع اتفاقية جنوب السودان (اتفاقية أديس أبابا ١٩٧٣) التى تحظر أى نشاط اسلامى الدعاء المسلمين في الاقليم الجنوبى وتعترف بالقوات المتمردة كقوات نظامية وأن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية الوحيدة في الاقليم الجنوبى .

وفي العام الماضى زار البابا يوحنا بولس الثانى أفريقيا « زار زائير والكونغو وكينيا وغانا وفولتسا العليا » على حدد تعبير المعلق على الزيارة ، « على قرع الطبول » وعاد على قرع الصليبان « وقالت التعليقات أن سعى الفاتيكان كان للحد من انقراض النصرانية في افريقيا ، وأن الخطر الحقيقى يأتى من الاسلام والدعاة المسلمون يستغلون كل المعطيات (حقيقة او مصنعة) لاوصول الى وجدان الشخص الافريقى ، وهم يحاولون تصوير النصرانية على أنها دين الجبابة الذن لا يأخذون المسحوقين بعين الاعتبار بل أنهم هم انفسهم السبب الحقيقى في وجود هذا الانسحاق .

وتلك الكنيسة الكاثوليكية حسب احصائية ١٩٧٦ مليوناً ونصف مليون كنيسة في جنوب افريقيا ، وهناك من الفرق كالادفنتست من تملك عشر طائرات ارسالية تنقل الأطباء والأدوية والمرضات لعلاج المرضى في الأحرار ، كما أنشئت ١٥ مستشفى بلغ عدد الأسرة فيها (١٧٧٦) و ١٠٩ عيادة ومخزن أدوية ، ونجد راديو اذاعات الانجيل في الحبشة يغطى كافة افريقيا والسواحل المجاورة بكل اللغات واللهجات التى تنطق بها هذه المناطق ، والظاهرة الخطيرة أن وراء المبشرين تكمن ظاهرة التجسس وأن أحد الآباء (الأب سميث) رفع تقريراً عن زيارته لافريقيا ذكر فيه أن ١٥٠٠ من

الجواسيس في افريقيا الآن وان الثلث من هؤلاء السود الذين هم في اطراد يتولون الأعمال المصرية الهامة .

ويشير تقرير سنوى أنه بعد أن تحررت افريقيا من قبضة المستعمرين الأوربيين قائتها تحكم الآن بواسطة المثقفين المنتمين الى قبائل الاقلية الصغيرة الذين تلقوا تعليمهم في الغرب والذين هم من نتاج المدارس التبشيرية النصرانية والمدارس اللاهوتية هؤلاء هم الحكام غير المسلمين للأراضي الاسلامية في افريقيا .

وفي اطار مخططات التنصير العالمية تأتى مؤامرة جنوب شرق آسيا ، حيث يوجد الآن عشرون ألف مبشر يملكون امكانيات ضخمة في الحركة والانتقال ، فضلا عن اهتمامهم البالغ بإنشاء المدارس والمستشفيات لجذب الأهالى واغرائهم وهكذا يواجه المسلمون في أرخبيل الملايو (١٢٠ مليون مسلم) أخطر عملية تنصير ويتسلل العمل التنصيرى الى صفوف المسلمين تحت شعار : (من الكنيسة الى المجتمعات) ، وقد وضع هذا المخطط ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات أوربية مختلفة من خلال عشرة آلاف كنيسة ، حيث يسيطر القساوسة والمبشرون على ادارات بعض الجمعيات والمعاهد الزراعية والمستشفيات الكبرى ودور الأيتام ، بالإضافة الى وسائل الاعلام وهم يملكون أهم الصحف الكبرى وبعضها يوزع أكثر من مائة وخمسين ألف نسخة يوميا .

وتتخذ حركة التنصير في أندونيسيا نفس الأساليب التى تتبع في افريقيا ، وهى الاتصال بالأسر التى تضم عددا كبيرا من الأطفال فيعرضون عليهم احتضان طفل أو طفلين ، بحجة مساعدتهم ، وهم بدورهم يتولون تربية هؤلاء الأطفال وتعليمهم والاتفاق عليهم مع إعطاء مساعدات مالية لهذه الأسر ويتركون للمدارس النصرانية احتضان هؤلاء الأطفال وحثهم على التنصير ليشبوا وقد تشبعوا بالنصرانية واعتنقوها دون أدنى مقاومة أو اختبار .

وفي أندونيسيا عدد كبير من المدارس والجامعات يشرف عليها ويديرها نصارى على مستوى كبير من الثقافة ، ومن وراء ذلك كله قوى التنصير العالمية التى تخطط لحصو الاسلام من أرخبيل الملايو .

والخطر الثانى الذى يهدد المسلمين في أندونيسيا انتشار المذهب الباطنى الذى لا يؤمن بالقرآن ولا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جرت محاولات لإدراج الباطنية كدين بين الأديان لتقليل نسبة المسلمين في أندونيسيا حيث يوجد أكثر من ٤٠ مليون مسلم ليسوا على مستوى جيد في فهم الاسلام ، ومن ثم

يكون من السهل جذبهم الى المذاهب الباطنية او الى النصرانية (من بحث للاستاذ على مختار الامين) .

الحوار

وفي كل موقع من ارض المسلمين تعمل حركة التنصير العالمية وفق مخطط مدروس ، وقد كانت قصة الحوار بين النصرانية والاسلام من المداخل الخطيرة التي اخذت تتحرك من خلالها في المنطقة العربية في السنوات الاخيرة ، وقد تقرر الدكتور عمر فروخ أن محاولة الحوار تقوم على جمع نفر من المثقفين ذوى الكلمة المسموعة في قومهم ، على مناقشات علنية لا تمت بظاهرها الى (التبشير) وان كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقائد بجر الناس الى القبول والرد ثم النفاذ من خلال الأخطاء والجمال المتشابهة الى التأثير على ذوى النفوس الضعيفة .

وقد بدأت دعوة « الحوار » ١٩٦٢ بناء على توجيه من الكنيسة الكاثوليكية بين النصرارى وغير النصرارى وغاية الحوار هي زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفين في قومهم ، والحوار كالمعاهدات يظفر بالعنائم فيها من كان أقوى يدا وارفع صوتا وقد أدرك المخلصون أن الحوار هو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الدينى والسياسى معا وكان المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٦) قد تقرر اعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار ، رجال دين يعرفون كيف يصغون الى الآخرين وكيف يفتحون قلوبهم لجميع حاجات النفس الانسانية كما يسمونهم : « رجال دين من طبعهم أن يوقظوا الاهتمام فى النفوس ويكونوا معلمين للايمان النصرانى » .

أما ظاهرة تنظيم الأسرة فترمى الى تقليل الانجاب بحجة أن ذلك سيزيد عدد الجائعين والعراة والمرضى والفقراء ، بينما تعطى الجوائز السخية للأسر النصرانية الغربية والشرقية لتشجيع زيادة النسل ومع ازدياد الهجرة اليهودية الى ارض فلسطين المحتلة ، كل هذا من باب التآمر على النسل الاسلامى ، وقد كتبت أبحاث عديدة فى كشف زيف هاتين الدعويتين وفساد وجهتهما .

ويمكن أن يضاف الى ذلك فى باب الدراسة التحليلية لمؤامرة التنصير العالمية مجموعة من الحقائق :

أولا : ان الصهيونية العالمية من وراء خطط التنصير كما انها من وراء خطط الماركسية بهدف تضيق وجهة العالم الاسلامى والنيل منه ، والتأثير على مفهوم الاسلام ووجهته الحقيقية ، والمعروف أن الصهيونية قد احتوت مخططات النصرانية منذ وقت بعيد .

ثانيا : ان القوى النصرانية تعلم حق العلم أن مخططاتها كلها منهارة ولكنها تواصل عملها دون يأس ، ليس املا فى ادخال المسلمين فى النصرانية ولكن بهدف اخراجهم من الاسلام .

ثالثا : ان الصحوة الاسلامية التى تواجه العالم الغربى اليوم بمحاذير مختلفة تجد من القوى الاستعمارية محاولات متعددة لاحتوائها ، ومن بينها ذلك المخطط الجديد الذى يرمى الى تنصير المسلمين فى مختلف أنحاء العالم .

ولما كانت خطط التنصير لا تهتدى الى الحق ولا تريد وجهه الله فانه لابد أن تواجه هزيمة تكشف زيفها ومن ذلك جماعة القساوسة الذين أسلموا فى السودان وكان اسلامهم مصدرا لدخول ٤٠ شخصا - من الذين سبق ادخالهم الى المسيحية - الى الاسلام بينما ينتظر سائتسا شخص آخر لاشهار اسلامهم .

يقول القس جيمس (الذى أصبح نجيب سليمان) اننى من ابناء قرية كدرو غرب مدينة كادو قلى باقليم كردفان اكملت تعليمى ثم توجهت الى الخرطوم حيث يعيش شقيقى الأكبر ، ولما عجزت عن دفع مصروفات المدارس الحكومية هدانى تفكيرى للذهاب الى مدارس النصرارى حيث اعتادت تلك المدارس تعليم ابناء المسلمين والنصارى على السواء ووفروا لى العلم والسكن والملبس ، وواصلت المسيرة رنلت شهادة اكسفورد فى الاقتصاد ، وفى نفس الوقت تعمقت فى دراسة اللاهوت واصبحت قسيسا ، وخلال الفترة التالية كنت أقوم بالتبشير حول الخرطوم لجذب الفقراء والمحتاجين الى النصرانية ، وكانت الحكومات والجماعات تغدق علينا المال للقيام بهذه الرسالة الى ان جاء يوم اختلفت فيه مع كبير القساوسة فى مسائل روحانية ومادية ، وكانت هناك بعثة من الكنيسة الرسولية من كندا وأمريكا الشمالية علمت بالخلاف فاتصلوا بى واعلمونى بمبادئهم وسافرت معهم الى الولايات المتحدة وكندا وعدت لآكون كبير القسس للكنيسة الرسولية بالسودان وصرت أجذب اليها معظم الذين ادخلتهم الى الكنيسة الكاثوليكية واستطعت أن ادخل الى النصرانية حوالى ١٤ ألف شخص من المسلمين والنصارى واللاذيين .

وفى السنوات الأخيرة راودتنى بعض الشكوك والتساؤلات عن كينونة هذه النصرانية التى لها أربعة اناجيل أو خمسة ، من أين جاءت هذه الأناجيل ، ولماذا تختلف كلها فى النقطة الواحدة ، وهل يعقل أن يكون المسيح عليه السلام قد قال كلاما متعارضا لجموعات مختلفة وهو الرسول من عند الله ؟

وهكذا أصبحت حياتي هواجس وذهبت الى اخواني ونوابى الأحد عشر رؤساء المراكز التبشيرية حول العاصمة الخرطوم أبشهم مافى نفسى من شكوك وكانت النتيجة أنهم دخلوا معى فى تلك الشكوك ، ولم نجد لها حلا وأخيرا قررنا قراءة القرآن الكريم لنرى ماهى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقرانا القرآن فوجدنا فيه خلاف ماهو عندنا فى الأنجيل فزادت شكوكنا ، وأخيرا قررنا التقدم بتسعة عشر سؤالاً الى المحقق التعليمى السعودى بالخرطوم ، تتضمن عددا من القضايا فى الاسلام والنصرانية لم تتضح صورتها فى أذهاننا وتعارضت وتضاربت الأقوال بشأنها ، مثل صلب وسوت وقيام السيد المسيح وما جاء فى شأنها فى الأنجيل الأربعة وفى القرآن الكريم وقضية العذراء والتثليث فى النصرانية وكذلك أسباب تحريم لحم الخنزير وشرب الخمر وحياة محمد عليه الصلاة والسلام ونسخ الآيات القرآنية وتعدد المذاهب والطوائف .

واستمر الحوار على مدى ستة أيام وفى ختام الحوار اتضحت لنا الصورة أنا وزملائي القسيس وتعرفنا على الحقيقة وهدانا الله الى نور الاسلام ، وغيرنا أسماعنا وعدنا الى السودان ربدأنا الدعوة اليه فى مناطقنا السابقة ونحمد الله أن عاد الى الاسلام أربعون شخصا وينتظر آخرون اشهار اسلامهم وأكثر من مائتين للحوار والمناقشة استعدادا للدخول فى الدين وعند الله المزيد .

وهكذا يتكشف التآمر على الاسلام وتنطلق موجات جديدة من الضوء من هذه الدائرة المظلمة ، وصدق الله العظيم « ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسيقفونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » الأنفال : ٣٦ .

وسوف تتحطم هذه المؤامرة على صخرة الاسلام العاتية وسيكشف الحق تبارك وتعالى نوره للعالمين .

(٢)

حقائق جديدة عن التبشير

وذكر أن هذه البعثات انفتحت حوالى مليار دولار لهذا الغرض وذكر أن ٣ ملايين اندونيسى قد تحولوا عن الاسلام وأن ٢٥٠ ألفا فى دول افريقيا قد تحولوا كذلك . كما ظهرت احصائيات تبين أن مليار دولار تنفقها بعثات التبشير لتحول فقراء المسلمين عن دينهم ، وأن ١٥ جماعة مسيحية فى الشرق غير الجباعات السرية تعمل على تنصير المسلمين فى الدول الأوروبية والدول

قدم الدكتور عبد الجليل شلبى حقائق جديدة عن التبشير فأشار الى أنه عقد فى الكويت مؤتمر ضم ١٥٠ من علماء المسلمين (فى ٢٨ دولة) لمناقشة اوضاع المسلمين الفقراء فى مختلف دول العالم ، وقد عرضت على المؤتمر تقارير تفيد أن أعدادا كبيرة من المسلمين فى الدول الفقيرة يتركون دينهم ويتجهون الى ديانات أخرى تحت تأثير الاغراء المالى الذى تقدمه البعثات التبشيرية المختلفة

(**سائسا**) اهداء البومات من ورق مزوق مقوى
في أحد واجهتها آيات من الانجيل واشادة بالمسيحية .
(**سليما**) اهداء لوحات غنية تجسد عقيدة
التثليث .

كذلك أصدرت المطابع في الغرب عددا من الكتب
في التبشير والتنصير منها كتاب عنوانه (**أشرك مسلما**
في عقيدتك) نشرته مطبعة مودى في شيكاغو بالولايات
المتحدة عام ١٩٧٥ ، مؤلف الكتاب مبشر عريق :
(تشارلز ر. سارس) قضى خمسة وأربعين عاما في
مجتمعات اسلامية واستخدم كافة الوسائل في تحقيق
اهدافه التبشيرية ، مسرح أعماله في دولتين : افريقيين :
الجزائر وتشاد ، ركز في الجزائر على البربر ، كما
ركز على الفئات العرفية الصغيرة لاثارة القلاقل داخل
الوطن الواحد ، مضمون الكتاب : كيفية الدخول في جدل
مع المسلمين عبر اجراء مقارنات بين القرآن والانجيل
وبين المسيحية والاسلام ، خاصة في النقط المتشابهة
بينهما وذلك من طريق دراسة مبادئ الاسلام واللغة
العربية ومعرفة الواقع الاجتماعى والظروف وهو يقدم
النصح للمبشرين بضرورة تعلم اللغة العربية بدرجة
تمكنهم من التعرف على الكلمات والمصطلحات التى
تتردد بين المسلمين ومنها : (الخبز والصلاة والايمان ،
الشرك ، الزنا ، القتل) في محاولة اظهار المفارقات
في المعنى بين الديانتين وتشكيك المسلم في المعنى
الاسلامى ، والهدف هو تشكيك المسلم في عقيدته وملء
قلبه بالحرج والشبهات .

ولقد اخبرنى الشيخ يوسف البدرى انه اكتشف
اثناء تواجده سنة (١٩٧٠ م ، ١٣٩١ هـ) بالجزائر ،
مركزا من مراكز التبشير بفرنسا .. ومركزه مرسيليا ،
بمقاطعة بروفانس ، ويقوم هذا المركز
بارسال كتيبات مسلسلة ، شعارها : صوت النبوة ،
نور لهذه الأيام (فوا دى نروفيت) ، (لوليت بورست
جور) .

وتتناول هذه الكتيبات قصص الانبياء ومن خلالها
يتم الهجوم على تعاليم الاسلام ، ومعطيات القرآن
الكريم ، مؤكدين على ان التوراة والانجيل لم يحرفا
لفظا ، وانما تم التحريف في شروح بعض الاءاء ..
وترسل هذه الكتيبات مقروءة .. مطبوعة ، أو مسموعة
مسجلة على اسطوانات ، على عناوين شباب لا يعلمون
سر اختيارهم ، وينتهى الكتيب بأسئلة ، ويطلب من
القارئ الاجابة عنها وارسالها على صندوق البريد
الخاص بمرسيليا ، ليحصل على جائزة مع ضمان وصول
الكتاب التالى من السلسلة اليه ، وفيها ينكرون
اسماعيل ، ويؤكدون أن الذبيح اسحاق .. الخ .

الاسلامية نفسها وقد قتل المبشرون في يوم واحد
(٤٥٠٠) شخص في اندونيسيا لأنهم رفضوا الدخول في
المسيحية .

وقد تطورت وسائل التبشير فنشأت جماعة الكرمل
(ناجى الكرمل عمدة التبشير والاستشراق) وجمعيات
الاخوة وبدا المبشرون يدرسون اللغة العربية وأوضاع
الدول وتقاليدها وعاداتها وجماعة النبى (دبكت) وهناك
خمس عشرة جماعة في الشرق الأوسط وقد اتخذ
المبشرون عام ١٩٧٨ عدة قرارات من أخطرها العمل
على تنصير المسلمين الموجودين في الدول الأوربية والدول
الاسلامية نفسها ويستخدم المبشرون وسائل عديدة
للضغط على الأفراد ومع ذلك فانه في مقابل واحد يدخل
المسيحية يدخل خمسة أنصار الاسلام .

وتوجد في اندونيسيا المسلمة ٩٨١٩ كنيسة
بروتستانتية و ٣٨٩٧ قسيس ، و ٨٥٠٤ مبشر ، وهناك
ايضا ٧٢٥٠ كنيسة كاثوليكية (٢٦٣ قسيس) ٥٣٩٣
مبشر وتقدم الهيئات التبشيرية خدمات ميدانية لثلاثمائة
الف اندونيسى : ٤٣ مدرسة بها ٤٣٠٠ طالب ، ٦٠
كتابا سنويا ، طبع مئات الآلاف من الاناجيل ،
صحفيات ، مطار ، أسطول سفن وطائرات .. الخ .
واشارت الصحف الى انه عقد في ١٥/١٠/١٩٧٨
بولاية كولورادو بأمريكا الشمالية مؤتمرا لتنصير المسلمين
حيث قدم المؤتمر أربعين بحثا تناولت جوانب نظرية
ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الاسلامى
دون استثناء بها في ذلك الأقليات المسلمة في أوروبا
وأمريكا وحضر المؤتمر ١٥٠ مشتركا يمثلون انشط
العناصر التبشيرية في الجامعات والكنائس والمؤسسات
البروتستانتية الأمريكية الأخرى ، وكان مؤتمرا مغلقا لم
يسمح لغير المشتركين فيه بحضور أى جلسة من جلساته
وقد قام كل المشتركين بقراءة البحوث جميعا وكتابة
تعليقاتهم عليها مسبقا .

وفي سبيل نشر مخطط التبشير الغربى تقوم هذه
المؤسسات على :

(**أولا**) : توجيه اذاعات باللغة العربية الى بلدان
المغرب من فرنسا وأسبانيا وسويسرا وألمانيا وغيرها .
(**ثانيا**) توجيه آلاف الرسائل البريدية باللغة
العربية والفرنسية .

(**ثالثا**) اصدار مجلات متعددة ترسل الى مختلف
البلاد الاسلامية يتضمن دروسا وآيات من الانجيل
وقصصا ومحاورات ودراسات حول الكتاب المقدس .
(**رابعا**) : توجيه دعوات للاشتراك في دراسة
الكتاب المقدس بالمراسلة لنيل شهادة في معرفة الانجيل .

(**خامسا**) اهداء نسخ فاخرة في حجم كتاب الجيب
وأصغر الاناجيل يوحنا بالعربية والفرنسية .

العمل بالفرائض وتقبيل أيدي النساء والاختلاط غير المشروع بهن ، واعتبار المشروبات الكحولية أمرا متقبلا والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والالتزام الديني والخلقى .

وتمجد احدى الصحف شاعرا لانه انتحر ويعتبر ذلك ثمة الرفض والصمود والثبات على المبدأ ، هذه المفاهيم تسربت الى حياة المسلمين عبر الآداب الغربية والغنون الواغدة فهدمت الكثير من قيم مجتمعاتنا وتقاليدها . وهذا ما يريده المنصرون المنشقون معهم من رجال السياسة .

ولا يتوقف التبشير عن الإشارة الى ما يسميه خطر الاسلام واثارة الرعب في الغرب ليتخذ موقفا متشددا مع صحوة المسلمين ونهضتهم . فيقول المبشر الكاثوليكي (جيرندر) أن الاسلام يقف على أبوابنا من ساحل الشمال الافريقى ، يواجه أوربا بل يلامسها حقيقة على طرفى المتوسط عند هرقل وفى القسطنطينية ، هذه الكتلة الصلبة من المحمديين الممتدة من افريقيا الشمالية الى غرب ووسط آسيا ، انهم كخابور ثابت لا يتخلل ، يفصل الغرب المسيحى عن الوثنية أو الشرق المخلف ، ولو أمكننا أن نحل مشاكلنا فى اليابان أو كوريا أو الصين أو متشوريا والهند فان هذا الخابور الضخم المعادى والغريب وغير المتعاطف قد يمزق الشرق والغرب المسيحيين الى نصفين غاصلا الشقين تماما وعازلا اياهما عن بعض .

ويعلق على هذا الأستاذ / عبد الفتاح الفاوى احد كتاب الاسلام فيقول :

ان ماتفعله منظمات التبشير ليس له الا معنى واحد هو انه خوف من الاسلام ، فهم يعرفون ما الاسلام وما دعوته وكيف يجذب الناس اليه بدون دعاة أو مبشرين ومن ثم فهم يقاومون الاسلام ، ويحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعينهم الدخول فى المسيحية بقدر ما يعينهم صد الناس عن الاسلام ، وان تجرانا وأردنا أن نصوغ لهم مبدا غليس الا : لا تدخل الاسلام وكن على أى دين شئت ، ولذلك فانهم أكبر ما يحاولون اخراجهم من دينهم الى المسيحية . أن الغرب يستخدم فى التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ورصد لهذا العمل الميزانيات ، فى الجانب الآخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال الدعاة من الحكومة الاسلامية ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقوانينه .

كما أخبرنى أيضا ان الأب غوركى بأفغانستان نشر كتابا بعنوان : (الخبز والملح) بالفرنسية والعربية معا ، قصى فيه قصة الشاب غفار المسلم وكيف ان المسيح تلبس تدينه لما شاركهم الخبز والملح ثم يقص قصة الشاب المسح ، وبعدها يدعو أسرته والأقارب الى النصرانية .. وكان الرهبان الذين يحملون الجنسية الجزائرية يوزعون فى حفلاتهم على ضيوفهم المسلمين من شباب الجزائر الذين يستضيفونهم فى الأديرة .

وأشار الدكتور نجيب الكيلانى الى تسخير علم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والمناهج الفلسفية والعلمية بصفة عامة فى التأثير على الراى العام الاسلامى وذلك من خلال مسرحيات ومقالات ونصوص سينمائية تحمل فى طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتفكير من الاسلام وغيره من الديانات ومن أهم ما يعمدون اليه التركيز على مناهج التربية والتعليم والتقليل من شأن اللغة العربية والاشادة باللغات الأجنبية ونشر المصطلحات والمناهج الغربية وتشجيع تعلم اللغات وتقديم المنح الدراسية والمساعدة للوصول الى المناصب العالية وفتح الآفاق أمام المخدوعين من الكتاب والنقاد والفنانين .

ولقد كانت (القصة) هى المجال الخصب للدعوات التنصيرية وفى مقدمتها قصة (دراكولا مصاص الدماء) بعد أن أهيل عليه التراب يرفع يده بالصليب ، وتصوير القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة ، فهم يخوضون الأخطار دون خوف ويقتحمون المشكلات ويحرص أبطال القصة على تلمس مشكلات المجتمع والاحتياجات الملحة للناس ، وفى نفس الوقت النيل من مختلف العقائد والديانات المنافسة واطهارها بمظهر الانحراف والجهود والدجل .

بينما يرسمون صورة عالم الدين الاسلامى فى أدبنا العربى بصورة غردية ، بخلاف رجل الدين فى الغرب الذى يرسم على أنه منطام الأمل والرجاء فى الدول المتخلفة والمتقدمة .

ويرمى (الأدب التنصيرى) الذى يشجعون على ترجمته الى اللغة العربية على :

١ - توهين عرى الالتقاء بين المسلم وتراث العقيدة والسلوك . ٢ - التشهيد لمفاهيم غربية أشد التصاقا بالاتجاه الدينى والنصرانى .

ومما يؤدى الى التماس السلوك الغربى المنافى لعقيدتنا فى السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل

الباب الرابع

احياء الفرق والدعوات الهدامة

وتعمل سرا وعلمانية على افساد تراث المسلمين العربى الثقافى ، وبما يختلفون فيه من آراء ويدسوا من معتقدات وما يحدثوا من شبهات وقد وصف الاسام ابن الجوزى (الباطنية) : بأنهم قوم تستقروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تبين الاسلام بالمرّة ، وحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكارهم البعث وان كانوا لا يظهرون ذلك فى أول أمرهم .

(ب) وكان أبرز هذه الدعوات الهدامة المنطلقة من ايران والهند : البهائية والقاديانية . فالبهائية ظهرت فى ايران ، بدأ البهاء دعوته بأنه المهدي ، ثم ادعى الألوهية . قال إن جميع الديانات جاءت مقدمات لظهوره وانها ناقصة لا يكملها الا دينه وأنه هو المتصف بصفات الله ، وهو مصدر أفعال الله وأن اسم الله الأعظم هو اسم له وأنه هو المعنى برب العالمين وكما نسخ الاسلام الأديان التى سبقتة تنسخ البهائية الاسلام .

وقد قام البهاء بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية فى الغرابة — والباطنية بتنزيلها على ماوافق دعوته الخبيثة وان له السلطة على تغيير أحكام الشرائع الالهية وأتى بعبادات مبتدعة يعبد بها أتباعه .

وقد تبين لعلماء المسلمين بشهادة النصوص الثابتة فساد عقيدة البهائين الهدامة ، ولاسيما قيامها على أساس الوثنية البشرية فى دعوى الوهية البهاء وسلطته على تغيير شريعة الاسلام وخروج البهائية والبابية عن شريعة الاسلام واعتبارها حربا عليه وكفر أتباعهما ككرا بواحسا سافرا لا تأويل فيه .

وقد تأكدت علاقة البهائية باليهود فى احتضانها لها فى حيفا منذ ظهور عباس البهاء وترويجها لها فى فلسطين المحتلة ، كما عقد مؤتمر البهائين العالمين فى فلسطين المحتلة منذ سنوات وقد تبين أن البهائية وهى الأحياء للأفكار الوثنية واليهودية القديمة والفارسية المجوسية توضع فى قالب جديد .

(ج) واصطنعت القوى الاستعمارية فى الهند (القاديانية) وفق مخطط مدروس يرمى — كما يقول الدكتور أحمد خليل — الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها

(١) كان من اكبر أهداف التغريب والغزو الثقافى عن طريق مؤسسته (التبشير والاستشراق) احياء الدعوات الهدامة القديمة والفرق القديمة وبين ثم ظهرت البهائية ، القاديانية (الاحمدية) الباطنية ، والماسونية وجدت فى الباطنية ممثلة فى الاسماعيلية والنصيرية نشاطها .

وكذلك كانت محاولة احياء الماضى الفرعونى والاغريقى والجاهلى وتمجيدهم وبعث الأساطير واعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية واحياء عشتروت وزیوس وباخوس ، بهدف : ١ — هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الاصلية .

٢ — التشكيك فى المقولات الاسلامية ومحاولة اخضاعها للمفهوم الوثنى الماسونى القديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى .

٣ — التزييف والتلفيق المتعمد لهذه البطولات والمواقف واخضاعها الى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية والفلسفية المادية .

وقد كان من الضرورى العمل على كشف المخططات الوافدة التى تعمل للقضاء على الشخصية الاسلامية بنشر الاحساد والانحلال الخلقي ومن ذلك دعوة تحديد النسل والاختلاط بين الجنسين والدعوة الى العامة واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

واغلب هذه الفرق تقول بالحلول وتؤول القرآن ، وقد كانوا خير عون للمستعمرين وقد استغلوا فى القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يكيدون لهم ويفتكون بهم وقد استغل الاستعمار هذه الفرق وأمدّها بالقوة حتى رفعت الباطنية رأسها ورأس أحد قادتهم (أغاخان) جميع مسلمى الهند وتكلم باسمهم وترى روح الاستعمار واضحة فى البهائية والبابية والقاديانية .

كما عمد التغريب والغزو الثقافى الى احياء الشعوبية القديمة بهدف هدم الاسلام من خلال انتقاص العرب واللغة العربية والبيان العربى ونشأت مدرسة شعوبية جديدة تهاجم كل ما هو عربى أو اسلامى ،

نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،
 مما تعتبر كفرا بنصوص القرآن الصريحة ، وقد كان من
 أعمالهم دعوتهم الى نحلتهم باسم الاسلام مع بقائهم في
 مجتمع المسلمين كأنهم جزء منه وفتح باب المجادلة
 والمناظرة لأحداث صراع عنيف في وسط المسلمين وجعل
 هذا الجدل موجهاً لأحداث خلاف بين المسلمين .

وقد أعلن القاديانيون ولاءهم للمستعمر البريطاني
 واعتبروا ذلك جزءاً من إيمانهم ، ومن هنا اعتبرهم
 المستشرقون من الحركات الإسلامية الإصلاحية مع
 النحو الذي ذهب اليه براون في كتابه (طوابع الاسلام)
 الذي تابعه فيه بعض كتاب الاسلام البارزين الذين لم
 تتبين لهم الأغراض المسمومة التي تخفي وراء الدعويين
 المبطلتين وأن الحركتين قد نشأتا في أحضان النفوذ
 الأجنبي واستهدفنا ضرب الاسلام في أعظم قيمه
 الأساسية وهي فريضة الجهاد وحاولت هاتان الفرقتان
 بث الفتنة وزعزعة العقائد وإثارة الشبهات والشكوك
 وإضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم في مقاومة
 النفوذ الأجنبي والحيولة بينهم وبين الكشف عن حقيقة
 عقيدتهم .

وقد حاول الاستعمار أعداد هذه الدعوات لتحل
 لواء الولاء له قبل خروجه من البلاد المحتلة ، ولكي
 تكون عاملاً من عوامل تمزيق وحدة المسلمين والحيولة
 دون قيامها ، ومن ثم مكنت بريطانيا للقاديانية في الهند
 وخصصت لهم إمارة تسمى الربوة داخل باكستان ،
 ومكنتهم من تسلّم المناصب السياسية العليا في الدولة
 والجيش فأصبحوا عاملاً خطيراً في مواجهة أهل السنة
 والجماعة وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد أشار غلام أحمد القادياني في ختام كتابه
 (شهادة القرآن) الى حقيقة موقفه فقال : لقد قضيت
 معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها
 ولفت في مفهوم الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر
 وقدمت في ذلك من الكتب والنشرات ، لو ضم بعضه
 الى بعض لملا خمسين خزانة وقد عثت حياتي أحاهد
 بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص
 للحكومة الانجليزية واتادى بالفناء فكرة الجهاد التي
 يدين بها معظم رجالهم .

ولما رأى القاديانيون ومن وراءهم فساد الدعوة
 وسقوطها . حاولوا استنقاذها بظهور الدعوة الأحمدية
 التي تتخفف كثيراً من دعاوى غلام القادياني تخففاً ظاهراً
 خادعاً ، وآية ذلك أن الترجمة التي قام بها الاحمدية
 (محمد على اللاهوري) مليئة بسبوم القاديانية وبلية
 بالتحريف والتشويه لمعاني كتاب الله مع استغلال

تفسير القرآن في خدمة أغراضها ونواياها وتنفيذ
 مؤامراتها الحاقدة على الاسلام ومحاولة تشكيك
 المسلمين في عقيدتهم السحرة وهي تستهدف أساساً :
 ١ - قطع صلة هذه الأمة بماضيها وخير أيامها
 وأفضل رجالها .

٢ - فتح الباب أمام الادعاء ومدعى النبوة .
 ٣ - الخروج على النبوة المحمدية على صاحبها
 أفضل الصلاة والسلام .

٤ - خلق روح اليأس في نفوس المسلمين من
 ناحية مستقبلهم بما يدفعهم الى الاستسلام أمام خطط
 الحصار والاحتواء التي يقوم بها القوى الثلاث :
 الغربية والماركسية والصهيونية .

والمعروف أن القاديانية بعد هلاك غلام أحمد
 انقسمت فرقتين . فرقة قالت بنبوته وفرقة قالت
 بولايته وللفرقتين مآرب سياسية خطيرة وليست من فرق
 المسلمين .

وقد أشار الدكتور محمد اقبال الى أن القاديانية
 مؤامرة مدروسة ترمي الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها
 نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
 وقد امتد خط القاديانية بطابعها اللاهوري ،
 الذي خدع كثيراً من الناس واتسع نطاقها واستفحل
 خطرهما وخاصة في باكستان نفسها فنزعت الأحزاب
 والهيئات تطالب الحكومة بجعلها أقلية غير اسلامية
 وأصدر القضاء أكثر من حكم بأن القاديانيين غير
 مسلمين مع بطلان التزوج بينهم وبين المسلمين ثم جاء
 قرار (٧ سبتمبر ١٩٧٤) من البرلمان الباكستاني
 حاسماً قاضياً باعتبار جميع الفئات القاديانية : أقليات
 غير اسلامية (واعتبار اتباع اليرزا غلام أحمد سواء
 كانوا من فئة القاديانية أو من فئة اللاهورية أقلية غير
 مسلمة بموجب الدستور ، وأن أي رجل لا يؤمن بالنبوة
 المطاقة لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى أنه آخر الرسل
 أو أي شخص يدعى النبوة في أي معنى أو شكل للنبوة
 وبأي تفسير لكلمة النبوة ليس بمسلم وأن من يؤمن
 بادعاء أي مدع للنبوة أو يعتبره مجدداً دينياً يكون غير
 مسلم بموجب الدستور (القانون) .

وتنتشر القاديانية في افريقيا في ٩ دول بمفهوم
 أعداء الاسلام ، وأكبر مراكز القاديانية في غانا (٢٢
 مركزاً - ١٦٥ مسجداً) ونيجيريا (٢١ مركزاً - ٢٢
 مسجداً) وسيراليون (٩ مراكز - ٤٤ مسجداً) وكينيا
 (١٩ مركزاً - ٤ مساجد) وتنزانيا (١١ مركزاً)
 أوغندا (٥ مراكز - ٩ مساجد) .

وقد تحدثت أخطار الدعويين على الوجه الآتي :

أولا : انكار ختام النبوة والرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انكار فريضة الجهاد .

ثالثا : تأويل آيات القرآن الكريم على نحو مخالف لطبيعة الاسلام ولخدمة دعواهم .

رابعا : التحالف بين اليهودية والبهاية والقاديانية في حرب الدعاة المخلصين على مستوى العالم الاسلامى وقد احتلوا كثيرا من كراسى الدراسات الاسلامية في الجامعات الغربية لبث آرائهم الفاسدة .

خامسا : الاعتقاد بالتناسخ .

(د) ولم يتوقف التغريب والغزو الثقافى عن بث الدعوات من داخل المجتمع الاسلامى بل اثار دعوات أخرى خارجية كان في مقدمتها « الماسونية » التى تبين أنها منظمة سرية تخفى تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها الخواص الذى يصلون بالتجارب العديدة الى مراتب عليا فيها ، وأنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهرى للتمويه وهو الاخاء الإنسانى المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والمذاهب ، وأنها تجتذب الأشخاص إليها ممن يهتمها ضمهم الى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسونى مجند في عون كل أخ ماسونى آخر في أى بقعة من بقاع الأرض يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوى الطموح السياسى على أساس معاونته في الحق والباطل ظالما أو مظلوما ، وهذا أعظم اغراء تصطاد به الفاس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال ويقوم الاحتفال بانتساب عضو جديد إليها تحت مراسم وأشكال رمزية ارهابية لارهاب العضو إذا خالف تعليماتها وأن الأعضاء يتركون أحرارا في ممارسة عباداتهم الدينية ويستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التى يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا ، أما الملاحدة أو المستعدون للالحداد فترتقى مراتبهم تدريجيا في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة .

وقد تبين أنها في أصلها وأساس **تنظيمها يهودية الجذور وبهوية الإدارة العليا العالمية السرية** وصهيونية النشاط وأنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع واصابع ظاهرة أو خفية في العالم .

وأنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعا لتهدمها بصورة عامة ، وتهدم الاسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة ، وأنها تحرص على اختيار المنسبين إليها من ذوى المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذا لأصحابها في مجتمعاتهم ولا يهتم انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها .

وأنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهيا وتحويلا للانظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتارى الى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التى تتنافى تماما مع قواعد الاسلام وتناقضه مناقضة كلية ، وقد تبين للعلماء بصورة واضحة - العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية والتى بها استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم ، ولذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة قرر الجبيع الفقهى (لرابطة العالم الاسلامى) في قرار له (نشرته جريدة الندوة في ٥ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ) اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الاسلام والمسلمين وأن من ينسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها (معقدا جواز ذلك) فهو كافر « وذلك في ضوء حكم الشرع في التمييز بين من يرتكب الكبيرة من المعاصى مستبicha لها وبين من يرتكبها غير مستبيح فالأول كافر والثانى عاص فاسق » .

وقد اشارت أبحاث كثيرة جادة الى أن الماسونية تعمل على التشكيك في العقائد والنيل من الأديان وإشاعة الكفر والالحاد والارهاب ومن ناحية أخرى تدعو الى الاباحية والفساد والرجس والانحلال والتفسخ الخلقي ولذلك فقد أقاموا نوادى العسرة في فرنسا وهى نواد لا يدخلها العضو المنتسب رجلا كان أو امرأة الا عاريا كيوم ولدته أمه ، وكذلك قامت نواد لتبادل الزوجات ليس في الرقص فحسب وإنما في ممارسة الجنس لكسر الرتبة والتنويع كما يدعون ، كما شجعوا اقامة البلاجات وأحواض السباحة المشتركة وصلالات الرقص المخطط المعلقة ، وترى الماسونية في هذا العمل خدمة للصهيونية العالمية التى ترى أن انهيار الاخلاق في العالم وسيطرة الشهوات والفرائز الجنسية والانهمك في لقمة العيش والحرص على جمع المال ، كل هذا

يمهد لها الطريق للسيطرة وبسط النفوذ على العالم .
 ووسائل الحركة الصهيونية لتحقيق ذلك واضحة
 في (بروتوكولات صهيون) عن طريق تقويض دعائم
 الأسرة بالإباحية وعرض الافلام الخليعة الماجنة ،
 والأزياء الفاحشة المتجددة ، والمجلات والكتب الجنسية
 المهيجة والقصص الغرامية المثيرة والصور العارية في
 أوضاع شتى والهدف من هذه الكتب هو افساد الاخلاق
 وترويج الاباحية واستغلال الجنس لتحقيق الأرباح
 الطائلة وفي نفس الوقت التمهيد لسيطرة امبراطورية
 الرأسمالية .

ويقول مستر جورج روبنسن الانجليزى الماسونى
 كاتم أسرار اكاديمية (ايدنبرغ) في كتابه عن الماسونية
 مايلي :

« لقد حصلت لى الوسائط التى مكنتنى منذ
 خمسين سنة أن أتتبع الدسائس التى دسها البعض على
 الدين بحجة مناهضة الخرافات وعلى السلطات بحجة
 تحرير الشعوب من العبودية فوجدت أن كل هذه
 الدسائس مرتبطة مع الماسونية التى ليس لها من
 غاية سوى دك اركان الديانات وتقويض أساس كل
 الدول ولو نجحت وسائل الماسونية لجعلت الدنيا
 مستنقعا من الدم وشعلة من النار ، ولهذا القول
 مصداقه في كثير من البلاد التى تمت فيها السيطرة على
 الحكم لماسونيين أو صهيونيين أو شيوعيين أو ذيول
 شيوعيين ، وليس ما يحدث في فلسطين ولبنان
 وأفغانستان وغيرها ببعيد ، اذا اذاتوا الناس الأميين
 فهم يبتلون عملة نقدية ، فالماسونية تمثل قبحها
 المادة التى صنعت منها العملة ، والصهيونية
 والشيوعية كلتاهما يمثلان وجهى العملة » .

ويمكننا أن نجمال ما خططته الماسونية للقضاء
 على الاسلام في الماضي والحاضر في الآتى :

أولا : الدعوة الى الشعوبية والاقليمية والتى
 هى أول فصول المؤامرة على الاسلام .

ثانيا : مهاجمة العرب حملة لواء الاسلام وأصحاب
 الدولة الاسلامية بمهاجمة تاريخهم وأسلوب حياتهم
 وطبمس ذاتهم وكياناتهم ومهاجمة فكرة الشرف العربى ،
 والعرض الاسلامى والطعن في نظرتهم الى المروءة
 ومهاجمة القيم العربية والفضائل الخاقية التى تتمثل
 في مفهوم الشرف والكرامة .

رابعا : مهاجمة التاريخ الاسلامى وتزييفه وطمس
 والدس فيه والافتراء عليه .

خامسا : الطعن في أصول القيم الاسلامية
 وجذورها (عبد المنعم مبارك حسن) .

وتستهدف الماسونية الى اكراه المسلمين على
 قبول (العثمانية) في التربية والتعليم والتشريع وأخيرا
 فى الأسرة والعلاقات بين الأفراد منها عن طريق مايسمى
 بتنظيم النسل واقتباس شرع الناس بدلا من شرع الله
 فى علاقة الرجل والمرأة .

وتروج الماسونية لنقل المسلمين من محيط ايمانهم
 بالاسلام الى ذوبانهم فى عالمية يقودها رأس المال فى
 الدول الصناعية والفكر الاشتراكى فى النظم المركسية .

ومن وراء الماسونية الزعماء أصحاب الصناعة
 والسيطرة ، وترمى النوادى المتنوعة - الى احتواء أكبر
 عدد من المثقفين الوطنيين وأصحاب النفوذ السياسى
 ورجال القانون والفكر والصحافة ليشرخوا بروح
 الاممية واليهومنزيم (المذهب الانسانى الماسونى) بين
 مواطنيهم لخدمة هذا الغرض البعيد المدى .

ولقد تردد القول بأن الروتارى هى واجهة
 الماسونية وحاولت بعض الجهات انكار ذلك والقول
 بأن الروتارى منظمة للخدمة الانسانية ولا صلة لها
 بالماسونية وذلك خطأ . فان اهداف المنظمة غامضة ،
 وانها ذات تنظيم دقيق ومتكتم ويقول مارون فى
 كتابه عن الروتارى ان المجموعة الأولى التى اشتركت
 فى تأسيس الروتارى كانوا أعضاء فى محافل ماسونية
 وقد كان من مقررات أول مؤتمر صهيونى فى بال ١٨٩٧
 غزو المنظمات السرية واتامة ديانات جديدة من أخطرها
 واشدها انتشارا الماسونية وسرها الامين الليون كلوب
 وساعدها الايسر الروتارى كلوب وجمعية شهود يهوه
 والدرمون وغيرها .

(هـ) **اليوجيا** : ومن الدعوات الوافدة (اليوجا)
 وهى من الطقوس الهندية التى جرت محاولة نشرها
 واذاعتها في البلاد الاسلامية والعربية وهى مستمدة من
 تعاليم البوذية والغرانا والافكار الغامضة ، ولها
 صلات بالماسونية والتناسخ وتراث الغنوصية القديم
 بدعوى الوصول الى الصفاء العمام من خلال حركات
 جسدية معينة .

وتأتى المهاريشى لتوسع نطاق الدعوة الى
 التناسخ ، وهى بمثابة دين جديد وقد وصفت بأنها
 بنت الصهيونية العالمية ، وأن نشاطها البارز الذى
 قامت وتقوم به فى اندساء مختلفة من العالم لترويج
 تعاليمها يتركز فى مخالفتها للشريعة الاسلامية وتحذير
 الاول والشعوب الاسلامية من خطورتها وأصول هذه
 الحركة وجذورها وعناصرها ومراميها ونظمها الرامية
 الى حكم العالم هى وليدة الصهيونية العالمية وهى
 نظم تهدف الى التدخل بين كل علاقة روحية وبتزعمها

والى اعتناق عقيدة تجدد الفكر الباطنى والغنوصى والاساطير وهى جماع شذرات من علم النفس ومبادئ اليوجا والنظم الاكاديمية وشطحات التصوف الهندى ، جمع هذا الخليط وأخذوا يشوشون به عقول الناس السذج وقلوبهم .

وهى نحلة من نحل الوصول الى الحق عن طريق الياطل بالتأمل الذاتى وهى نظريات قديمة حاول الدعوة اليها كثيرون وفشلوا وقد استطاعت هذه الدعوة عن طريق المارجون والحشيش وحقق الهويين ان تسطر على عقول عشرات الالوف من الشبان الامريكيين والاوربيين بدعوى التخلّى عن الآلام ويكذب هذا الفكر حقيقة أساسية ان هداية الانسان لا تأتى مطلقا عن طريق الفكر التجاوزى المهاريشى ، وانما تأتى عن طريق الوحى والنبوة ، الوحى الذى يريهم بريق الحق والنبوة التى تقدم القدوة .

(قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)
(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض الا الى الله تصير الأمور) .

ان البشر بدون هدى الله لا يستطيعون حل مشكلاتهم وتتماثل مبادئ المهاريشى مع مبادئ الماسونية وتخدم أهداف اليهود فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

الهندوس (ماهيش يوغى) المهاريشى ، الذى يدعو الى تحقيق حلم افلاسفة فى ايجاد المجتمع المثالى ، وأن زعيمها يمكنه التحكم بالظواهر الطبيعية حسبما يريد ، وقد أمضى وقتا طويلا فى الولايات المتحدة بعد الهند حيث ركز على مجموعات الهيبين بصورة خاصة اسماء (التركيز ذهنى) عبر حلقات الجنس والحشيش وسائر أنواع المخدرات ثم انتقل الى سالزبورج فى النمسا والحركة حكومية تسمى الحكومة العالمية وتضم ١١ وزيرا منهم ٤ نساء وتسمى حكومة عصر التنوير العالمية وتضم كل الدساتير والاديان والثقافات ويحمل شخص (ماهيش يوغى) طابع الدجل والاستغلال والانحراف ويصفونه براسبوتين العصر ، ويحلم بأن يمسك زمام العالم عن طريق حكمة الحشاشين وهدفه العمل على تقويض المبادئ السماوية فى صفوف الشبان والشابات ونشر الاباحية والانحلال .

وقد أصبح اليوم شخصية عالمية بارزة ، بل أصبح قديسا ورسول سلام له أموال موزعة فى مؤسسات دولية وقد أقام معاهد علمية فى بعض عواصم العالم منها اكاديمية لعلوم الهندوس الدينية ومعهد للقانون الطبيعى ويتبنى دعوته الفلسفة الهندوسية ويعتمد على قوة قانون الطبيعة .

وتعنى فلسفة المهاريشى الاعتماد على الذات والاستغناء عن الله (تبارك وتعالى) وعن الوحى والنبوة ، وهو يقدم مذهبه هذا كبديل للاسلام ، وتلك اضاليل الدعوات الهدامة ، وهى الاعتقاد بأن البشر يستطيعون ان يهدوا انفسهم بانفسهم .

ويمكن القول بأن المهاريشى يدعو الى دين جديد

الباب الخامس

التعليم والثقافة والتربية

واذا كان المسلمون قد طعنوا في لغتهم وبرزت دعوى العاميات في مختلف انحاء الوطن العربى وغيرت الأبجديات في بعض الاقطار الاسلامية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم التى خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ودخول اللغة اللاتينية الى المتحف فلماذا تبقى العربية العجوز .

واذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم الاسلامى للاقتصاد فانما يرجع ذلك الى أن المسلمين العرب درسوا في مدارس الارساليات وفي المدارس الوطنية الموجودة في العالم أن الربا هو القاسم المشترك الأعظم على كل الأنظمة والمشروعات .

واذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم السياسى الاسلامى فانما يرجع ذلك الى تلك الصور الزاهية التى قدمت لهم في مدارسهم وجامعاتهم عن الديمقراطية والليبرالية والجماعية وغيرها من أنظمة الغرب فخدعهم .

واذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم للعلم فانما يرجع ذلك الى تلك المقررات المدرسية والجامعة التى ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وتاريخ طبيعى وتكنولوجيا الى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور الخطير الذى قام به المسلمون والعرب في بناء الطابق الأساسى من منشأة العلم وأنهم هم الذين قدموا المنهج العلمى التجريبي الى البشرية كلها .

واذا كان المسلمون قد طعنوا في مفاهيمهم الاجتماعية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم الذى يدرس المجتمعات الغربية وفهم مدرسة العلوم الاجتماعية . الذى يقوم على انكار فطرية الأسرة وأصالة الدين وثبات الأخلاق ويدعو الى التطور المطلق والى الجبرية الاجتماعية ، كل ذلك يدرسه أبناء المسلمين في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم على أنه حقائق مقررة ، لا على أنه نظريات مؤقتة مرتبطة ببيئتها وعصورها ، قابلة للخطأ والصواب لأنها من نتاج عقليات بشرية تخطئ وتصيب .

هذا هو الخطر الواضح من وراء الخنجر الذى طعن به المسلمون . ومفهوم هذا الخطر فراغ النفس الاسلامية في العالم الاسلامى كله من حيث أنها قد

ماهو الخنجر المسعوم الذى طعن به المسلمون ؟ .

ذلك هو السؤال الذى تلح الأحداث المتوالية في العالم الاسلامى على القارئ وتطلب الإجابة عنه ، وهو تساؤل مقدم اليوم على كل سؤال ، لقد تحدث المصلحون عن مقاتل متعددة أصيب المسلمون بها في كيانهم وذكروها وأولوها اهتمامهم وبحثوا أمرها ، ولكنهم لم يركزوا كثيرا على « الخنجر » الذى طعنوا به في هذه المقاتل ، وأولى لهم أن ينتزعوه من جسمهم أولا قبل أن يعالجوا مكانه النازف بالدم ، ذلك لأنهم اذا لم ينتزعوه فسوف يظل ينزف ولن يكون جدوى لشيء ما من اصلاح أو تصحيح أو تحرير أو علاج ، اذ لابد أن يبدأ العمل من نقطة اولية :

هى نقطة الخنجر ، ذلك الخنجر في تقديرى وفيما وصل اليه اعتقادى واعتقاد الكثيرين من العاملين في دراسات التغريب والغزو الثقافى هو « التعليم » وما يتصل به من شأن التربية والثقافة ، هذا هو الخنجر المغروس في الجسد الاسلامى ، وما يزال ينزف دما ، ولقد كان المستعمرون غاية في الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الارساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التى كانت تدرس في مختلف انحاء العالم الاسلامى والبلاد العربية ، الأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث ورجالها والعاملين بها ، واحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة ، واذا كان يرمز الى هذا بدلولب في مصر فان البلاد الاسلامية قد عرفت عشرات من امثاله وائتداده .

واذا كانت مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة قد انحسرت في بيوتنا ومجتمعنا فانما مرد ذلك كله الى هذا الخنجر المدفون في أعماق الجسم الاسلامى .

واذا كان المسلمون قد طعنوا في شريعتهم فأقصيت عن مجال التطبيق في مجتمعاتهم وحل محلها القانون للوضعى فانما مرد ذلك الى التعليم الذى خرج أجيالا تحقتر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون .

انحصرت عن بيوتها بمفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على القرآن والسنة ، وضعفت القدرة التى تبني الشباب ، فانها تسلم الى المدرسة شبابا غضا ، يحس بالفراغ فى مجال وجدانه وعاطفته وفكره ، فلا يجد الى مفاهيم الاسلام سبيلا ، ثم اذا به يلتقى بتلك المفاهيم التى تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة ، وتمسلا نفسه بحب تاريخ الغير ، وترفع فى نظره شأن لغة الغرب وتقدم له العلم والاقتصاد والقانون والاجتماع من نتائج مجتمعات أخرى على انه هو الفكر الانسانى والثقافة البشرية .

وأيन الفكر الاسلامى فى ذلك كله والمسلمون لهم منهج حياة كامل ولهم مفهوم جامع للحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية .

هذا كله ما لا يزال ضائعا ولا يزال ناقصا ولا يزال مهملا .

ومن هنا غاب هذه النفس المسلمة التى عجزت عن أن تملأ فراغها الروحى والفكرى بمقدراتها وقيمها لا تلبث أن تملأه بأى شيء ، وبما يقدم اليها زاهيا براقا فى كتب ملونة مزخرفة ، بينما هى تعجز عن أن تجد من فكرها ما يرد عنها الخطر أو يصحح لها الخطأ أو يزيح عن نفسها الشبهات .

تلك هى القضية الاولى ايها السادة فى التحدى الخطير الذى يواجهه المسلمون اليوم فى كل مكان ، ومن هذه النقطة نصل الى كل قضية وكل أزمة ، وكل موقف ، ومن خلال الطريق الطويل استطاعت قوى الصهيونية والاستعمار والشيوعية أن تحقق ما وصلت اليه لأنها استطاعت أن تثبت فكرها فى النفس الاسلامية وأن تحتويها وأن تنقلها من دائرة الاسلام المرنة الجامعة المتكاملة الوسطية الى دائرة الغرب المغلقة القتلة .

ومن هذه النقطة نصل الى كل ما تطمعون فيه من وحدة وتقدم وقيام أمة الاسلام فى أرضها بدورها الربائى الانسانى العالمى الذى هو مقروض عليها والذى هو حق فى أعناقنا جميعا والذى يجب أن نلقى عليه (الله) تبارك وتعالى صادقين والا فنحن آثمون مأخوذون بجزيرة الذنب لا سمح الله .

لكى نفهم هذه القضية الكبرى اعلمهم لابد أن نبحث عن أبعادها الى أقصى مدى ولا نتع فى الأخطاء التى فرضها علينا نفوذ الدائرة المغلقة بأن نقصر البحث على ما هو آمنا من واقع لأن كل واقع آمنا لابد أن يكون متصلا بأبعاد أخرى غير منظورة فى المكان أو التاريخ ونحن فى الاسلام نؤمن بالتكامل والنظرة الجامعة

ونرى كل العناصر مؤدية الى بناء عمل واحد مثلا نفرق بين التربية أو الاخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الفن .

كذلك فنحن فى واقعنا القائم يجب أن تكون نظرتنا ممتدة الى يوم أن بعث الله تبارك وتعالى رسوله بهذه الرسالة من ناحية وإلى اليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء حتما وأن نعرف أن روابطنا بالأمم ليست حديثة وإنما هى قديمة جدا ، وليست اقتصادية أو سياسية أو دينية وإنما هى كل هذا .

ولنعرف الحقيقة الكبرى التى رسمها القرآن وهى أن عالم الاسلام تكون من قلب عالم أهل الكتاب وهو منذ وجد صراع معه وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا هو التحدى القائم الذى يجب أن يظاھر حياة المسلمين وحضارتهم ولا يغيب عنهم لحظة ، ذلك أن الامم لا تموت الا اذا فقدت عنصر التحدى أو الطموح ولقد كانت أزمة المسلمين فى مرحلة ضعفهم وتخلفهم هى فقدان عنصر الطموح والاستقامة الى ما وصلوا اليه ، هنالك اندفع العدو الذى يرقبهم وينتظر منهم لحظة غفلة فنال منهم .

« ود الذين كفروا لو تففلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة » فليأخذ المسلمون بالحذر ليجعلوا التحدى نصب أعينهم ، هذا التحدى الذى هو صورة سفيرة لهدف محدد يتكرر تحت أسماء مختلفة فى التاريخ من حروب صليبية فى المشرق الى حروب الفرنجة فى المغرب الى حروب التتار الى الاستعمار الحديث الى الصهيونية العالمية الى الدعوات الهدامة شيوعية واباحية والحادية وثنية وسادية .

ونحن نعرف أن معركة حاسمة دارت بين الاسلام والغرب هى معركة الحروب الصليبية ، وقد عاشها المسلمون بالمقاومة والجهاد مائتى عام وانتهوا منها بالنصر ، ولكن هل كان هذا هو نهاية الشوط بالنسبة للغرب ، وهل توقف طموحه للسيطرة على أرض الاسلام وبلاد الاسلام ، ان شيئا من ذلك كله لم يحدث ، لقد استمرت المؤامرة واطردت وتبلورت فى مفهوم جديد . كان ذلك المفهوم يتصور أن المسلمين قد غلبوا الغرب وهزبوه لانهم متقدمون حضاريا وعسكريا فلابد من هزيمتهم حضاريا وعسكريا ، فانقض الغرب على ميراث المسلمين ونقل منهج العلم التجريبي وانطلق وسبق به المسلمين حتى كانت معارك الدولة العثمانية مع الغرب فى آخرها تمنى دائما بهزيمة المسلمين لأمر

واحيد هو ان الغرب استحدث اساليب في الصناعة والحرب عجز عنها المسلمون .

غير ان الغرب لم يقف عند هذا في صراعه ومؤامراته ولكنه وصل الى متطع الامر كله وذلك عندما قرر ان المسلمين مهما تخلفوا في ميادين الصناعة والعلم فسوف تبقى لهم عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والتي تدفع بالوفهم الى ساحات الاستشهاد في سبيل الدفاع عن الحق ، وعن الأرض ، وعن العرض ، اذن فالمعركة يجب ان تبدأ أولا من هذه النقطة الخطرة ولا بد من تزييف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وايمان يفقد المسلمون هذا السر الخطير الكامن في نفوسهم . وقد تصور الغرب ان المسلمين عندئذ يصبحون قطيعا من السائمة التي تنطوى وتقهر ومن هنا بدأت معركة اطلق عليها اسماء كثيرة .

(التبشير ، الاستشراق ، التغريب ، الغزو الثقافي ، الاحتواء) .

الوثيقة الأولى :

لقد وضعت الخطة منذ وقت مبكر وان لم تكشف الا بعد سنوات طويلة وكانت أولى علاماتها المستكشفة في وصية لويس التاسع بعد هزيمته في المنصورة بما يمكننا من القول بأن نهاية الحروب الصليبية كانت بداية المخطط الجديد للغزو الثقافي والفكري ومحاولة دحر الاسلام كفكر بعد العجز عن دحر أمته . وتعد وصية لويس التاسع اخطر وثيقة في هذا الاتجاه فهي التي فتحت الباب واسعا امام عملية التبشير والاستشراق .

وعلى اثرها مباشرة بدأت حركة أوروبا المعروفة الى ترجمة القرآن والتعرف على الاسلام وبدأت نواة التبشير والاستشراق في المعاهد الأوروبية : دراسة اللغة العربية والاسلام والقرآن بمفهوم الرد عليه وانتقاصه واثارة الشبهات حوله .

وقد ظاهر هذه الحركة عملية « سرقة » التراث العربي الاسلامي من البلاد العربية والاسلامية بواسطة القناصل والتجار . واستسمحكم العذر في أو أقول « سرقة » لأن عملية الاستيلاء على الفكر الاسلامي في الأندلس أيضا كانت « سرقة » بالرغم من أن المسلمين كانوا يؤمنون بأن العلم للجميع حتى العلم التجريبي الذي هو الآن من أسرار الأمم الحديثة والتي عجز المسلمون والعرب خلال قرن ونصف قرن في الحصول على أصوله ومعادلاته .

أما المسلمون فكانوا يطلبونه في جامعات الأندلس وجزيرة صقلية في حرية تامة ، غير أن الغرب في تناهي حقه لم يقف عند هذا الحد ، بل أنه عزل الموقع الاسلامي كله وصادره بما فيه وأخرج منه المسلمين أخرجاً ، وكذلك فعل في الأندلس حيث أحرزت أوروبا كل ثمرات النتاج الاسلامي العلمي والفكري بأرضه وسعائله ومعاهده وحوائطه ولم تبق للمسلمين حتى مجرد القدرة على استئناف تجاريهم وهم في أرض أخرى هاجروا اليها .

لقد عكف لويس التاسع بعد هزيمته في المنصورة خلال محبسه في دار ابن لقمان يفكر ويستعرض هذه

الحملات الصليبية المتوالية على بيت المقدس ودمشق ومصر وكيف هزمت هزيمة منكرة وكيف هزمت حملته في دلتا النيل ، وسبق الى الاعتقال ، وكيف كان المصريون والعرب والمسلمون يقاتلون ببسالة عجيبة في الدفاع عن بلادهم خلال سبع حملات متوالية ووصل الى نتيجة حاسمة : هي ان المسلمين لا يهزمون مادام فكرهم باقيا ومادامت عقيدتهم قائمة ، ذلك لأنها تدفعهم في قوة الى الاستشهاد في سبيل حماية الذمار ومقاومة الغاصب وتطهير الأرض من دنس الغزاة ، والاسلام يجعل القتال في سبيل تحرير الأرض دينا وعقيدة ولذلك فإن سبيل الغرب الى الانتصار على المسلمين والسيطرة على أرضهم يجب ان تبدأ أولا من « حرب الكلمة » ولا بد من أن تقوم في الغرب قوى من الباحثين والدارسين يترجمون القرآن ويدرسون العربية ويعملون على القضاء على تلك المفاهيم القوية التي تتصل بالجهاد في سبيل الله ، فإذا استطاع الغرب أن يفعل ذلك فقد استطاع أن يقضي على القوة الروحية والنفسية القائمة وراء تلك المقاومة الجبارة وعندئذ يمكن للغرب السيطرة على العالم الاسلامي ، ومن هذه النقطة بدأت حرب الكلمة بالتبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافي والسيطرة على التعليم والتربية والثقافة والفكر والصحافة وقد استطاعت هذه الخطة أن تحقق للغرب انتصاراته التي يمكن أن يطلق عليها اسم (الاستعمار الغربي الحديث) ولا ريب أن وثيقة لويس التاسع تنصح بهذا الاتجاه الخطير وتدعو اليه .

ولقد بلغ لويس درجة القداسة في نظر الغرب لأنه حمل الصليب وحارب به في مصر ثم كانت حملته التاسعة المشهورة على تونس .

وإذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ استعاد المسلمون عكا بقيادة الأشرف خليل عام ٦٩٠ هجرية ١٢٩١ ميلادية وعلى اثر ذلك قامت الدولة الاسلامية العثمانية الكبرى بعد تسع سنوات لا غير من

تونس والجزائر ومراكش ، وأعمال أخرى في المناطق الإسلامية في الهند وفي جاوة واندونيسيا والفيليبين .

الوثيقة الثانية :

أما الوثيقة الثانية فهي تقرير من أحد معاهد الرساليات بقلم الأستاذ نبيه أمين قارس يكشف فيه أبعاد الخطة كلها وهي في نظرنا وثيقة تطبيقية لخطط لويس التاسع يقول : « بينما كان الشرق الأدنى مطحاً لأفكار نبذة الإمبراطوريات كان أيضاً مطحاً عن طريق جماعة أخرى من الناس تنشأ أن ينجز عن طريق (الكلمة) ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف . وبعبارة أخرى تنشأ احتلال مهد المسيحية واخضاع العالم كله للمسيح . ان هذا الحلم المسيحي قديم - قديم المسيحية ذاتها - وهو يستمد وحيه الدائم من الوصية العظمى كما سجلها أبو المبشرين ، القديس بولس » .

ولعل سبب سيطرة هذه الوصية كسرة أخرى على عقول المسيحيين يعود إلى اليقظة الدينية التي عمت انكلترا في أواخر القرن الثامن عشر ، واليقظة الدينية المتأصلة لها في الولايات المتحدة التي تمثلت فيها سمي بروح انكلترا الجديدة وعلى ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهور كثير من الجمعيات التبشيرية التي كرست نفسها لحمل الإنجيل إلى جميع البشر ، ويمكن أن يضاف إلى هذين العاملين عامل آخر هو ازدياد المطامع السياسية والاقتصادية في ممتلكات رجل أوروبا المريض (يقصد الدولة العثمانية الإسلامية) ومن المحتمل أن يكون لهذا العامل الأخير علاقة باختيار الشرق الأدنى ميداناً مفضلاً للنشاط التبشيري .

ومن أهم هذه الجمعيات التبشيرية التي ظهرت في هذه الفترة : الجمعية التبشيرية الكنيسة التي أسست في لندن عام ١٧٩٩ والمجلس الأمريكي لندوبى البعثات التبشيرية . وقد أرسل المجلس الأمريكي بعد تسع سنين من تأسيسه أول مبشيرة إلى الشرق الأدنى وكانت المشكلة الأولى التي واجهت أولئك المبشرين هي اختيار مركز ملائم لهم . وقدم سوريا ١٨٢٣ مبشرون آخرون وانتقلوا إلى بيروت وكان غرض البروتستانت أن يتمكنوا بالاشتراك مع كنائس الشرق الناهض من كسب الكفار (أى المسلمين) إلى دين المسيح غير أنهم سرعان ما وجدوا أن الإسلام لم يكن قد فقد سيطرته على قلوب المؤمنين وصمم المبشرون منذ البداية على

سقوط الحروب الصليبية وهزيمة أوروبا ، هذه الدولة التي استمرت حتى عام ١٣٣٧ هجرية الموازية لعام ١٩١٨ الميلادي أي أنها استمرت تحمل لواء الإسلام خمسة قرون ونصف القرن .

نقول إذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ عام ٦٩٠ هجرية فإن أوروبا لم تتوقف فقد استأنفت حركتها مرة أخرى بعد وقت قصير حين تدافعت بعد سقوط الأندلس على الطريق الأفريقي من ناحية الغرب دون توقف : الأسبان والبرتغال ومن ورائهم الانجليز والفرنسيون والهولنديون .

أما في أفق البلاد العربية فإن عام ١٨٣٠ م كان هو علامة الخطر حين بدأت فرنسا في غزو الجزائر وامتدت المعركة إلى تونس ومصر والسودان . منذ ذلك اليوم بدأت طلائع التبشير تعمل وأخذت حركة الاستشراق تزدهر وكانت بؤرة العمل هي ساحل البحر الأبيض الشرقي : في مواجهة الشام من الشرق واستانبول من الشمال ومصر من الجنوب .

وانتقلت المطابع وبدأت المدارس وتصارعت قوى البروتستانتية الأمريكية والكاثوليكية الفرنسية على تقديم مناهجها .

ثم جاءت حكومات الاستعمار في كل البلاد العربية فأخذت مناهج مدارس الرساليات ونفذتها تنوياً .

وفي عديد من مصادر تاريخ اللقضاء بين الشرق والغرب نجد إشارة إلى وصية لويس التاسع الذي كان أول من أشار إلى تجنيد المبشرين الغربيين في معركة سلمية لحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعركة جنوداً للغرب .

وإذا كانت الحروب الصليبية منذ بدأت ١٢٩٩ م وانتهت ١٤٩٩ م فإن انسحاب المسلمين من الأندلس انتهى ١٤٩٣ م وكان ذلك بعد أن استولى محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٣٥٤ م (٨٥٧ هجرية) في ظل ذلك كله بدأ العمل تنوياً على إنشاء قاعدة الغرب في قلب الشرق العربي يتخذها نقطة ارتكاز له وبمقتضى لمعركته العقائدية الفكرية التي تستهدف حصار الإسلام والوثوب عليه .

ولقد اختيرت هذه الأراضي على شاطئ البحر الأبيض الشرقي مسرحاً لهذا العمل منذ ذلك الوقت وتحرك العمل بين بيروت والقاهرة والقسطنطينية . في نفس الوقت الذي كان فيه عمل مهائل يتحرك في

الوثيقة الرابعة :

وهذه الوثيقة يقدمها عميد المبشرين في البلاد العربية في الثلاثينات (وهى أخطر مراحل تاريخ العالم الاسلامى الحديث فهى مرحلة تكوين الأسس والقواعد والخطط التى خرجت من بعد نتائجها الخطيرة) .

يقول صمويل زويمر فى تقريره فى مؤتمر المبشرين (سنة ١٩٢٤) : فى كل حق من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجها نحو **النشء الصغير من المسلمين** وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمل سواء فى الاقطار الاسلامية فان تنور روح الاسلام فى النشء الحديث يبتدىء باكرا من عمره فيجب والحالة هذه ان يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقيهم وحينئذ يستعصى على البشر ولم يزل التعليم التبشيري هو افضل طريقة للوصول الى قلوب المسلمين) .

ويعود فى المؤتمر التالى بعد عشر سنوات عام ١٩٣٣ فيصور ما تحقق من نتائج وما يجب التأكيد عليه فى المرحلة القادمة فى مؤتمر المبشرين فى القدس :
ان مهمة التبشير الذى نذبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى ادخال المسلمين فى المسيحية فسان فى ذلك هداية لهم وتكريسا . وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري فى الممالك الاسلامية .

هذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السابقة خير قيام .

لقد قضينا فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية ، ونشرنا فى تلك الربوع بكامل التبشير والكنايس والجمعيات والمدارس المسيحية تلك التى تهين عليها الدول الأوروبية والأمريكية . ولذلك جاء النشء الاسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف أهمية فى دنياه الا الشهوات فاذا تعلم فللشهووات واذا جمع فللشهووات واذا تبوا أسمى المراكز ففى سبيل المال وجود بكل شئ .

وفى الوقت نفسه تقول البشرية (انامليجان) :

« ليس ثمة طريق الى حصن الاسلام اقصر مسافة من هذه المدرسة ، ان المدرسة اقوى قوة لجعل

استعمال سلاح الكلمة حيث فشل استعمال السيف وفى سبيل هذه الغاية أسسوا المطبعة الأمريكية أولا فى مالطة ١٨٢٢ ثم فى بيروت ١٨٣٤ واخذوا يفتحون مدارس للبنين والبنات بصورة منظمة حتى بلغ عدد هذه المدارس ثلاثا وثلاثين فى أقل من هذا العدد من السنين وعكفوا على انجاز تلك المهمة العظيمة : مهمة اعداد ترجمة عربية صالحة مقروءة للتوراة .

وعدوا فوق ذلك حمل لواء الحرية الدينية بصورة خاصة والمطلقة بصورة عامة .

الوثيقة الثالثة :

ومن الجزائر تقدم هذه الوثيقة : من قلم الدكتور محمد تقى الدين الهلالى نشرها فى الفتح عام ١٩٣١ .

« ان هؤلاء الأوروبيين الفاتحين البعدين للأحرار المخربين للديار مازالوا يحرمون عبيدهم من كلمة الجهاد ويعدون ذكراه فضلا عن فعله من أعظم الذنوب وهو آية الهمجية والتعصب الدينى المبقوت ، وبلغ ببعضهم الأمر ان حرموا على المسلمين تفسير آيات الجهاد فى كتب الفقه ويعينى شاهدت صحيفة الاذن التى حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله الشنقيطى رحمه الله فى مدينة المشرية قسم وهران من الجزائر وفيها ان الاذن بتدريس علوم الدين مفيد بأن المدرس لا يفسر أى آية أو حديث يدل على الجهاد والا يدرس شيئا من ابواب الجهاد فى كتب الفقه ولما راجت دعاية هؤلاء فى الشرق صار المسلمون ينفرون من لفظ الجهاد » .

ويعمد المبشرون ان أولى فرصهم جاءت بعد سقوط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ حيث أمكن منذ ذلك الوقت تفسير الدولة العثمانية وتوسع بعثات التبشير على النحو الذى حقق تنفيذ مناهج التعليم على النحو الذى رسمته مخططات الفزوة حتى ليقول الدكتور زويمر زعيم المبشرين وكبيرهم فى الشرق فى مثل هذا التاريخ الذى نقلنا فيه وثيقة الجزائر تقريبا ماينأتى :

— ان السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن — أى منذ عام ١٨٨٢ تقريبا — على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك أخرجت ناشئة لا هى مسلمة ولا هى مسيحية ولا هى يهودية . ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة .

الناشئين تحت تأثير الدين المسيحي ، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قيادة أوطانهم » .

الوثيقة الخامسة :

وهناك وثائق أخرى حية : تتمثل في أفراد واحداث أما في عام ١٩٠٩ فقد ثار الطلاب المسلمون في إحدى المدارس الإرساليات الكبرى لاجبارهم على الصلاة المسيحية يوميا فأصدرت هذه الكلية بياناً قالت فيه :

« ان هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي هم اشترى الأرض وهم أقاموا الأبنية ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليماً يكون الانجيل من مواده فيعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب دخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقاً ماذا يطلب منه .

ثم جاء النص الآتي : « ان الكلية لا تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة ولكن من أولى غاياتها ان تعلم الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزاً للنور المسيحي » .

الوثيقة السادسة :

قد كشف ذلك طالب عربي معروف هو عبد القادر الحسيني (اتن كاظم باشا الحسيني وبطل معركة القسطل فيما بعد) الذي وقف في حفل توزيع الدبلومات بالجامعة الأمريكية في إحدى العواصم العربية (القاهرة) على المنصة وفي يده الشهادة التي أخذها ثم اتجه الى الحاضرين وكانوا على القوم وقال :

« ان هذه الجامعة تظهر أمام الناس في مظهر المدرسة العلمية ولكنها في الحقيقة بؤرة افساد للعقائد الدينية وهي تطعن في الدين الاسلامي ولذلك لا يصح للمسلمين ان يبقوا أولادهم بها » .

كان ذلك يوم ٢٧ مايو عام ١٩٣٢ .

فاهتزت الدنيا للحدث وأسرع المبشرون الاساتذة يمزقون الدبلوم من يد الطالب وينهرونه ولم يلبث عبد القادر ان نشر قصته في الصحف وأعلن عن الكتب المقررة التي تهاجم الرسول والاسلام وحاولت الجامعة ان تتنصل وتقول ان هذه الكتب ليست مقررة .

وكان الدكتور وطسون مدير الجامعة قد أعلن قبل ذلك بقليل قائلاً :

ان المعتنقات الاسلامية آخذة في الانحلال وانها غير ملائمة للحالة الحاضرة وان الجيل الناشئ الذي نتصل به نراه مهتماً كل الاهتمام لا بالاسلام ولكن بالمسائل المادية والاحصاد ، ونحن نسر حين نستطيع ان نجعل فتى مسلماً يقبل مبادئ المسيحية ووحى المسيح .

وقال الدكتور وطسون :

وأننا نراقب سير القرآن في المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، ذلك ان القرآن وتاريخ الاسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير .

الوثيقة السابعة :

وهناك وثائق تشهد على أصحاب المخطط نفسه ، ذلك أنه عندما بدأت حركة التغريب التي تضم التبشير والاستشراق في تقدم خمسة من المستشرقين لدراسة العالم الاسلامي كله وقدموا تقارير شاملة عن مختلف الاقطار نشرت تحت عنوان هوزر اسلام (المترجمة وجهة الاسلام) .

وفيها يتحدث كبيرهم هابلتون جب عن التعليم فيقول وهي وثيقة أخرى نقدمها للباحثين :

« ان ادخال طرائق جديدة في البلاد الاسلامية كان سيطلب نظاماً جديداً في التربية من عهد الطفولة في المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية ، وان اصلاح التعليم على هذا النحو لم يكن في ذلك الوقت يخطر على بال السلطات المعنية الاسلامية ، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى فقد انتشرت في منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس في معظم البلاد الاسلامية ولا سيما في تركيا وسوريا ومصر وذلك يرجع غالباً الى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة . وربما كان اكثرها عدداً المدارس الفرنسية وقد كانت المدارس الانجليزية في الامبراطورية العثمانية اقل منها في الهند وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية .

هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت اذواقهم والاهم انها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي فصاروا في سبيل حياتهم مستعدين للتأثر

بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة (أى التعليم على الطريقة المسيحية) .

وفي أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة الى أبعد حد من ذلك بانماء التعليم العلماني تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهند ولعل هناك نصيبا من الحق فى التهم التى ترمى بها هذه المدارس الأجنبية من انها مفسدة لقومية التلاميذ وان كنا لا نستطيع القول بأن التطورات السياسية التى اعتيت ذلك فى البلاد الاسلامية ايدت هذه التهمة .

ولكن الذى فعلته بلا ريب انها ربت فى التلاميذ خروجاً على الأنظمة الاجتماعية وأضعفت من هذه الوجوه سلطان النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ وأخلت فى بناء المجتمع الاسلامى أداة هامة وقطعت بعض الاواصر التى كانت تربطه وتحفظه » .

وقول (جب) راسما خطة المستقبل : « لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس العصرية والصحافة ان يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم اثرا يجعلهم فى مظهرهم العام لا دينيين الى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامى على حضارته من آثار » .

هذه صورة سريعة الخنجر الذى غرس فى جسم الأمة الاسلامية جاءت بعد خمسين عاما محققة للهدف مكونة للأجيال التى أرادها الاستعمار .

تحقق هذا منذ أن دعا اليه لويس التاسع وحده غلادستون عندهما وقف فى مجلس العموم البريطانى ومعه المصحف الشريف وقال : اننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب باقيا فى الأرض .

ثم جاء كرومر وقال : جئت لاسحو ثلاثا : القرآن والكعبة والأزهر . وجاء تقرير لورد دوغرين الى اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا بعد الاحتلال البريطانى لمصر محددا الخطة التى توقف نمو الأزهر وتركز على التعليم المدنى وترفع من شأن العلية وتخفيض من شأن القرآن . قال دوغرين فى تقريره الذى نشرته المقتطف فى المجلد السابع ص ٦٦٨ : « اخلال ان امل التقدم فى مصر ضعيف طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصحى العربية ، لغة القرآن ، كما فى الوقت الحاضر حالة كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لأن نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطالىانى الى اللاتينى والاغريقى القديم ، وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذا لم توجد الاحتياطات الفردية

للحصول على النتائج المقبلة فى المدارس العديدة التهذيبية التى أشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقة وغير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة العسكرية أو فى الصنائع أو فى الخدمات وتبقى عبارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا معنى » .

ولقد كانت مهمة كرومر واضحة ومستمرة فهو دائب فى كل عام أن يرددها :

« فى مصر جيل جديد يختلف عن اجداده فى اشيء كثيرة فيمكن أن تحدثه نفسه يوما بأن يسد الى تلك الاركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فيكون أشد عليها من يد حكومة تمدّها اليوم طبقا لارشاد قوم لا شأن لهم فى الأمر (يعنى الانجليز) لانهم لا يدينون بالدين الاسلامى ، فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجدر بأبناء اليوم أن يشرعوا فى الإصلاح ويلتفوا الأمر قبل حلوله » .

هذا فى مصر ، والتاريخ يحفظ مثله فى تونس والمغرب والجزائر لكرومرها ودنلوبها : وفى كل بلد اسلامى كرومر ودنلوب يجرى على نفس الخطة وينفذ نفس المخطط .

ويعلق اللورد لويد (المندوب السامى فى مصر) بعد كرومر بعشرين عاما فى كتاب له تحت عنوان (مصر منذ أيام كرومر) على خطة التعليم فيقول :

« ان التعليم الوطنى (فى مصر) عندها قدم الانجليز كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين والتى كانت أساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جلية الخطر فليس من اليسر أن يتصور لنا أى تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فعندئذ يصبح الامل محصورا فى ايجاد التعليم اللادينى الذى يناهض الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح » ١٠هـ .

وقد حقق الاستعمار هذا تماما حين فرق التعليم فى العالم الاسلامى الى دينى ومدنى فجهد الأول وحجب خريجه عن مناصب القيادة ودفع الثانى دفعة قوية الى الصراع والتعارض والخصومة وأعلاه فى خبث ومكر شديدين .

وجملة القول فى هذا أن الخنجر الذى طعن به المسلمون قد وضع بذكاء فى موضع القلب وقصد به أن تكون المناهج كلها وخاصة فى العقيدة والتاريخ واللغة

بأزمة المسلمين والعرب اليوم انما مرده الى هذا الخنجر المغروس قريبا من القلب وهو ما يزال ينزف بغزارة .
اناشدكم الله ان تبحثوا عن السبيل الذى يمكنكم من اقتلعه وتضميد جراحه !! .



(اولا)

أسلمة التعليم

٤ - شاملا لكل جوانب الحياة ٥ - موحدا للطاقت البشرية . ٦ - عالميا ايجابيا متفائلا فعلا .
ان كل ما يربنا فى المجتمع الاسلامى من ازمت انما يعود الى اننا مازلنا محاصرون بمنهج الغرب التعليمى المفرغ من قيم الاسلام الحقيقية : القائمة على الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولذلك فاننا مطالبون ان نستكمل هذه الفجوة بالدراسة الاسلامية التكميلية التى يفرضها علينا ديننا وهى اثراء وجداننا الاسلامى وعقلنا بتفاج القرآن والسنة وما كتبه علماء المسلمين مما يحقق لنا الغنى والسعة فى مجال معرفة ربنا وديننا والاطار المحيطة بنا والمؤامرات التى تدبر لنا حتى نتجنبها وان نقف من الفكر الوافد المترجم والمقرر فى المدارس والجامعات بوقف الحذر واليقظة فنعرضه دائما على مقررات الاسلام وفى ضوءها نرفض منه ونقبل وفى مجال الكتاب الاسلامى اليوم ثروة ضخمة معروضة للمسلم تنمى ثقافته الاسلامية وتقدم له المؤشرات الحقيقية والاصيلة للمفهوم الاسلامى الجامع .

وههدف التعليم الاسلامى هو بناء الشخصية الاسلامية المؤبنة بالله العارفة لدورها وهدفها فى الحياة : تعمير الارض وفق شريعة الله واقامة المجتمع الربانى فى وفق منهج الله . ودفع الحياة كلها على طريق عبادة الله ، احلالا لحلاله وتحريما لحرامه ، وفى مقدمة ذلك التعرف على سنن الله فى الكون والعلم بخواص المادة وطرق الاستفادة منها فى خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام وتحقيق الخير والفلاح للناس ، وتوجه عمليات البحث والاكتشاف كلها لخير الناس ومنفعتهم .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع علوم التجريب (الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس) فى مفهوم الاسلام لانها تتحرك داخل اطار الاسلام وبمفاهيمه مقترنة بأحكامه وتعاليمه سواء على المستوى العام أم على مستوى التخصص لفقهاء الأمة .

قائمة على أساس فلسفة الغرب ومفاهيمه واعلاء شخصيته وتاريخه ، وحتى يكون تاريخ المسلمين وعقيدتهم ولغتهم هى موضع احتقار شبابها ومثقفها .
أحدثكم عن النتائج غائتم تعلمونها وان كل ما يتصل

ان نقطة البدء فى تحرير المسلمين من التبعية الأجنبية ومن الفكر الوافد هو اسلمه مناهج التعليم حتى تنطلق من مفاهيم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكل عمل فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى ينطلق من غير هذا المنطلق لا يمكن ان يؤدى الى النتيجة الحاسمة ، ذلك ان المسلمين فى الأساس قد أحيط بهم من منطلق مناهج التعليم الذى قدمته لهم الارسلات التبشيرية تحت أسماء زاهية وخادعة : وهى مناهج علمانية مفرغة من الدين والأخلاق والمسئولية الفردية والجزاء الأخرى فانتجت تلك الاجيال الحائرة التى تضطرب بها الحياة اليوم فى العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه وما جرت من ازواجية فى الثقافة واللغة والنظرة العامة للحياة واختلاف النظم التعليمية المتصارعين (النظام الاسلامى الأساسى والنظام الغربى الوافد) لاختلافهما فى الغاية والمنهج والتقاليد والظروف ودخول العقل الاسلامى تحت طائلة التبعية التى أخرجته فعلا عن اصلته فقد انطلقت مناهج التعليم التى تدرس بمقتضاها العلوم والآداب والفنون فى البلاد الاسلامية من منطلق العلمانية والمادية وانكار الغيبيات ونسبة الأمور الى الطبيعة بدلا من الله تبارك وتعالى واقرار نظرية دارون الباطلة ومفهوم التحليل النفسى لفرويد والتفسير المادى للتاريخ الذى هو قسمة الآن بين المنهجين الليبرالى والماركسى وكذلك انحراف الفكرة الاصلية فى العلاقات بين الرجل والمرأة ، أسا وزوجة ومحاولات اخضاع الفنون والآداب لمناهج التجريب والنظرية المادية مع اختلاف النظرة الى العلوم الانسانية التى لا تخضع لهذه المناهج . ومن هنا فقد تزايدت الاخطار وارتفعت الاصوات الى اعادة بناء نظام التعليم الاسلامى ، لاعادة تكوين الشباب المسلم ، ولما كان المسلمون الآن قد عقدوا العزم على الخروج من دائرة الاحتواء والتبعية والحصار فلا بد من العمل على بناء نظام تربوى أصيل يقوم على مفهوم الاسلام لنفسه : ١ - ربانيا . ٢ - ثابت الأساس . ٣ - موافقا للفطرة .

أسس المنهج الإسلامى للتربية والتعليم

ويقرر الباحثون : أن كل نظام تعليمى يحمل فى طياته فلسفة مبنية من تصور معين ولا يمكن فصل أى نظام تعليمى عن فلسفته المعاصرة له ومن ثم فإنه لا يجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية . أو تربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الإسلامى وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الإسلامية لأنها فى النهاية تصادم التصور الإسلامى وتناقضه وفى الوقت ذاته فإن للإسلام تصورا عاما شاملا ينبثق من أسس تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها ولذا فإن نظام التعليم الإسلامى يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز ، أما الوسائل فلا ضرر من الاستفادة منها فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه . ومصادر المعرفة فى التصور الإسلامى نوعان :

(أولهما) : الوحي فى الجوانب التى يعلم الله سبحانه أن الإنسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفسه والتى لا تستقيم فيها الحياة على وجهها الا بمقررات ثابتة عند الله المحيط بكل شئ علما .

(ثانيهما) : العقل البشرى وأدواته فى تفاعله مع الكون المادى ، نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الأمور التى تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاريه بشرط واحد هو (الالتزام) القائم فيها على الأصول العامة الواردة فى شريعة الله المنزل بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ولا تؤدى الى الشر والضرر والفساد فى الأرض من أجل أن تحقق التربية غايتها وأهدافها بتوجيه ضرورة التوسع فى قراءة القرآن وحفظه ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجى فى التفسير والفهم والاكثار من مدارس تحفيظ القرآن والاهتمام بالعلوم الإسلامية وزيادة دروسها ، وأن يكون دراسة الفقه الإسلامى موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياها ، مع التأكيد على حقيقة هامة هى أن الحلول الإسلامية واجبة التطبيق بشكل متكامل فى المجتمع الإسلامى كما تكون دراسة الشريعة بكل غروعها على الدراسة الأساسية فى كليات الحقوق مع عقد مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية عند الحاجة وعلى أيدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الإيمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على إبراز

مافى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الأمة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع فى الانحراف والنتائج الضارة التى نشأت من تطبيق القوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعاصرة : الرأسمالية والشيوعية على السواء والعناية بدراسة الثقافة الإسلامية فى جميع مراحل الدراسة والدراسة الجامعية بصفة خاصة ، والكليات العسكرية بما يبين عظمة الإسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمه وأصلحه لأحوال البشر فى كل زمان ومكان ، وعرض أمجاد التاريخ الإسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الأمة الإسلامية من انجازات انسانية مادية وسياسية وعسكرية وحضارية ، استحققت بها أن تكون (خير أمة أخرجت للناس) وبيان فضل النظم الإسلامية على النظم البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مع العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الرأسمالى والشيوعى مع ما يقابلها من نظم قوية فى الإسلام ، مع ضرورة تصنيف العلوم الى نوعين :

١ - العلوم القائمة على الوحي المتمثلة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها مع ملاحظة اللغة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة .

٢ - العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب وعلوم الآداب والاجتماع والتربية ، وما الى ذلك من العلوم المكتسبة مع اتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم فى كل المراحل وخاصة فى البلاد العربية وتكوين مدرسة اسلامية لها سعاير خاصة بها حتى تستطيع القيام بنقد الآداب الدخيلة على الفكر الإسلامى ، وتحقيق نواذر المخطوطات واستنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية يتفق منهاجها والإسلام لاحتلالها محل العلوم الاجتماعية الغربية ورقص فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصيغة والأفكار الإسلامية ، وتدرس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم فى تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها وتؤكد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبي فى البحث العلمى الذى قامت عليه النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة .

(المؤتمر العالمى للتعليم الإسلامى - ١٣٩٧)

جديد من خلال تصور إسلامي صحيح .

ثانياً : عدم الفصل بين المعارف الدينية والدنيوية والاهتمام بالتربية قبل المدرسة وجعل الإنسان هو المحور الحقيقي للتربية .

ثالثاً : الفصل بين الجنسين في مراحل التعليم وإحياء رسالة المسجد والدعوة إلى تخصيص جزء من زكاة الأموال للانفاق على مراكز التربية الإسلامية وإعادة نظام الموقف الإسلامي والموقف على التربية الإسلامية .

رابعاً : العمل على وقف جميع المدارس التبشيرية والنشاط التبشيري في العالم الإسلامي وكل ما يتصل بذلك من أثر التبشير والاستشراق .

خامساً : أن يكون التعليم بمختلف مراحله في الدول العربية بلغة القرآن الكريم .

سادساً : الاهتمام بالتدريب العسكري في تربية البنين والتمريض المنزلي في تربية الإناث .

د. زغلول النجار

(ثانياً)

أسلمة التربية

ولقد حرص النفوذ الأجنبي على فصل التعليم عن التربية ومن ثم سقطت هذه الأجيال المتوالية في أزمتها التمزق النفسي والانفصال الشبكي .

ويتيمز الفكر التربوي الإسلامي بخصائص أساسية دفعت المسلمين إلى طرق أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصر على علم دون آخر .

ويقوم الفكر التربوي الإسلامي على خصائص خمس :

- ١ - الأصالة . ٢ - الفاعلية والإيمان .
- ٣ - الشمولية والتعامل . ٤ - التوازن .
- ٥ - الأخلاقيّة .

وتستمد أصالة المنهج الإسلامي قوتها من نظريته الخاصة إلى الإنسان وساهيته وعلاقاته مع العالم المادي والمجتمع ، من خلال النظرية الجامعة للكائن البشري على أنه كريم على الله استخلف في هذه الأرض ، ومن

تتركز أزمة التعليم المعاصر في العالم الإسلامي في أنها وافدة وليست أصيلة الجذور وقائمة على مفهوم تقبل فساد المجتمع واضطرابه وزيفه ويرجع ذلك إلى خلو التعليم المعاصر من الأخلاق والقيم ، فقد أصبحت النظم التربوية المعاصرة على قدر من الجمود والتجربما يدعو إلى الغائها من أساسها وإحلالها بنظم تربوية حديثة ، واختصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات ومقدار دورها التربوي ، واختصار هدف الطلاب من التعليم على الحصول على جواز مرور إلى العمل ، وفشل نظام المناهج المحددة في تربية النشء وفشل نظام الامتحانات كأسلوب للتقييم ، وخطر الفصل بين المواد الإنسانية والعلمية ، وانقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة والمجتمع ، وافتقارها إلى النظرة الإنسانية الشاملة . وفقدان القدوة الحسنة والعجز عن فهم طبيعة النفس البشرية وضعف النية الأخلاقية والتربية الدينية : ويتطلب هذا :

دخلت أساليب التربية القرن الوافدة (دوى) وغيره إلى أفق التعلم المعاصر في البلاد الإسلامية بفاهيم علمانية ومادية ، ترمى إلى خلق أجيال مفرغة تفريعا تاما من الصلة بالله والتماس أخلاقية الإسلام في التعامل الاجتماعي ، ومن ثم خرجت الأجيال المعاصرة كلها غير ذات هوية واضحة في علاقاتها بالله تبارك وتعالى والناس والمجتمعات وبالرغم من أن العالم الغربي يعلم إبنائه الديانة المسيحية ويقيم منهجه الاجتماعي من داخلها فاننا لا ندرس الإسلام الا على أنه دين عبادي يقصر العلاقة على الإنسان مع الله تبارك وتعالى وتحجب مفهوم العلاقة بين الإنسان والمجتمع . ومن هنا فقدت التربية القومية في بلادنا عنصرا هاما من عناصر التربية الإسلامية .

والإسلام في مجال التربية يتعامل مع الإنسان في كيانه الجامع : عقلا وروحا وجسدا وهو بهذا يمتاز عن النظريات الحديثة من ناحية المضمون ومن ناحية التكامل الجامع .

هنا كان التلازم الوثيق بين النظرة الخاصة الى الانسان وبين طبيعة النظام الاجتماعى الذى ينبثق فيه ، وعدم التوقف عن الايمان بالجانب المحسوس من الانسان والحياة ، وهذا هو الفارق العويق بين النظم التى بنيت على أساس الاهتمام ، بالمحسوس ، واغفال الجانب الروحي ، ومن ثم أهملت التوحيد والعقيدة والأخلاق وهذه هى سمة الشمولية أما (الأخلاقية) فانها تجعل أعمال المسلم ليست غاية فى ذاتها وانما هى طريق للوصول الى الله وكل عمل لا يراد به الوصول الى الله جل شأنه عمل باطل .

أما (التوازن) فهو الذى يجلب السعادة والطمأنينة والطريق الصحيح والشريف والحماية من الفساد والانحلال والاباحية .

أما النظم الوافدة القائمة على الانشطارية وانكار الاخلاقية فقد جرت على المسلمين الولايات والمحن ومن ثم فقد المجمع الاسلامى معالمه ولم يعد اسلاميا ولا غربيا لان الغرب لا يسمح له الا بالقشور وسىء الاخلاق

ومن ثم تعرضت الهوية الاسلامية للخطر ، ومن ثم كان لابد من اعادة صياغة المسلم وبناء عقيدته على أساس منهج الله من جديد .

ومما امتاز به نظام التربية الاسلامية مفهوم الشواوب والعقاب التى تتجاهلها النظريات المطروحة فتدفع الناس الى السقوط فى الموبقات دون خشية المسئولية والجزاء الاخرى .

ولقد كشف الباحثون وجوه التقصير فى منهج التربية الوافدة القائم على أساس (تعليم بلا تربية) واثبتوا كيف كان من منهجها استئثار الجرائم التى تنتشر اليوم بين الشباب الجامعى وخريجى الكليات . لقد أصبح طلبة الجامعات رؤساء عصابات تقتحم البيوت وتفتح الخزائن ، لقد أدى الخضوع لانظمة الغرب فى جميع مجالات الحياة عامة وفى المجال التربوى بشكل خاص الى فقدان « هوية الامة » اذ لم تعد لها هوية خاصة تميزها عن غيرها من الامة ، بل لم تبق امة واحدة كما كانت فى ظل الاسلام بل أصبحت امما وشعوبا مختلفة متناحرة ومتحاربة .

واذا كانت المدرسة لا تؤدى واجبها فى التوجيه الاخلاقى كما اعترف به عدد من المسئولين عن التعليم فذلك لان فائد الشيء لا يعطيه واننا فى حاجة الى (تربية المربين) الذين هم القدوة والمثل الاعلى للطلاب والذين يجب أن يختاروا على نحو دقيق بحيث يكونون نماذج فى الخلق والسماحة وتوجيه أبنائهم الى الصلاة ومعرفة الله وحسن التعامل مع الناس ، بعد أن طغى سباق

الدرجات وبعد أن تضاعفت المواد المعقدة التى لا يستفد منها الطالب شيئا بعد مغادرة المدرسة ، وما تزال مدارسنا قاصرة على تربية الشباب تربية تمكنهم من حسن التعامل مع المجتمعات وبالنسبة للفتاة فلا بد من تعليم خاص بها تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن تعليم الفتيان لان المهمة تختلف .

ولابد أن تحقق المدرسة هذه المهمة التربوية التى هى العلاقة بين الكل والجزء ، فالتربية هى الاطار الذى تتحرك فيه وسائل التعليم وترسم لها وجهتها ، ولما كانت التربية الاسلامية قائمة على بناء الشخصية القادرة على فهم مسئوليتها ازاء المجتمع والامة والحياة وهى أداة لبناء الارادة التى هى عماد الكيان الانسانى القادر على حمل المسئولية بالصدق والاستقامة والعدل ، فان التربية تعنى خلق الوعاء القادر على تلقى التعليم فى الانسان والمسلم يتعلم ليكون علمه نافعا لبناء مجتمعه وحياته ولتربية كيانه النفسى والاجتماعى فاعلم النافع هو وحده الذى يقيم كيان الفرد والاسرة والامة كلها .

وفى ضوء هذا الايمان يتلقى المسلم العلوم الرياضية والطبيعية ويأخذ من آخر معطيات البشر فيها دون تحرز لانه مطالب بأن يكون قويا وقادرا ومتقدما . ومن العجز أن يكون متخلفا ومتأخرا وهو فى مجال العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتعلق بالقانون والتربية وما يتصل بالاخلاق والنفس فانه يستبد أصول هذه المفاهيم الاساسية من ثقافته الاسلامية الاصلية التى تشكلت منذ اربعة عشر قرنا ذلك لان هذه العلوم الانسانية مما لا ينقل من وطن الى وطن ولا من امة الى امة فلكل امة ثقافتها الخاصة والذاتية ولها طابعها النفسى والاجتماعية التى شكلت عليها اصول آدابها وثقافتها .

ومن هنا فلا بد أن نعتمد مفهوم الاسلام فى الفارق بين التربية والتعليم ، فمصطلح التعليم مصطلح ضيق واقل شمولاً واضيق مدلولاً ، أما التربية فهى تشمل جميع جوانب الشخصية الانسانية حيث يتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الاخلاقية وايضا المشاعر السامية والخلق الجميل .

واذا كان هدف نظريات التربية الغربية هو كسب الرزق وتحقيق الذات وايجاد المواطن الصالح فان هدف التربية الاسلامية أكبر من ذلك وأبعد من أنه « تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى » فان قضية الايمان هى القضية الاولى للمسلم والعبودية لله تحررنا من العبودية كلها .

ويؤكد الدكتور خورشيد احمد فى منهجه الذى

المعارف والعلوم وأن يكبحوا جماح التكنولوجيا ويخضعونها لخدمة المثل العليا .

ومن هنا فإن العالم الاسلامى فى حاجة الى نظام تربوى جديد وليس امامنا طريق آخر لبقائنا كمجتمع متميز عن باقى المجتمعات سوى تحقيق هذا الهدف ، لابد ان تلتزم جميع الدول الاسلامية بتنفيذ استراتيجية التربية والتعليم الاسلامى بأن يبدأ التعليم فى المنزل ويستمر فى المسجد والمدرسة والكلية وينبغى تدريب الوالدين وخاصة الامهات على تربية الابناء تربية اخلاقية اولية فى المنزل حتى تتشرب عقول الاطفال حب القيم الخلقية .

ولابد من اعطاء اهمية كبرى لتلاوة القرآن وسيرة الرسول واتهام دراسة جميع تعاليم الاسلام الاساسية فى المرحلة الثانوية وتنمية روح محبة الرسول والصحابة وان يكون المجتمع المدرسى مشبعاً بروح الفضائل الاسلامية وأن تدرس جميع المواد بطريقة يمكن معها شرح وجهة النظر الاسلامية ، وأن نمى روح البحث عن المشكلات الاكاديمية وغيرها من وجهة نظر اسلامية وبالجملة فان هدف التربية الاسلامية :

- ١ - المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها .
- ٢ - تنمية مواهبه واستعداداته كلها .
- ٣ - توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها .

٤ - التدرج فى هذه العملية على خطط متدرجة .
ان التربية الاسلامية لابد ان تستضىء بنور الشريعة الاسلامية وتسير وفق احكامها .
ابرز : خصائص التربية الاسلامية هى التكامل والاخلاقية والايان بالله تبارك وتعالى .
اولا : فهى تربية عقلية روحية جسدية بحيث تشمل الانسان بكل جوانبه وهى توجه العقل والوجدان الى التعرف على وجود الخالق المبدع ، وغايتها اخلاقية فيها يكون الانسان حرا يستخدم علمه وحياته فى سبيل العطاء للغير والمجتمع وأن يكون العلم للحياة والتركيز على اخلاق التربية : التى ترمى الى تطهر النفس من الرذائل وتنمية روح العطاء والبر (مقدار يالجن)

ثانيا : تكوين عقيلة علمية مؤمنة يعترفون لعقله اسلامية وتنظرون بمنظار الاسلام الى الكون والحياة ، تقوم على البصر والبصيرة معا والبصيرة هى اسم الادراك التام الحاصل فى القلب وتكوين روح الالتزام بالعلم والمسئولية العلمية امام الله تبارك وتعالى .

اعلنه لبناء نظام تربوى جديد للعالم الاسلامى على عدة نقاط هامة :

اولها : الا تقتصر التربية الاسلامية على نقل المعارف والعلوم التى حصلها السلف وانما واجبها ان تمد الاجيال الجديدة بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقائق عن طريق السمع والبصر والنؤاد .

ثانيا : ان المفهوم الاسلامى للذين يركز على الايمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى للمعرفة لانه العالم بكل فرد وهو الذى منح الانسان معرفة الاشياء ، وان اصطناع الحاجات فى الحياة لاهداف الحياة هو المفهوم الذى يشكل الايدولوجية لنظامنا التربوى والتعليمى ، فواجب النظام التربوى التعليمى أن يخرج رجالا ونساء وفق الاهداف التى حددها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وهى معرفة الله وصفاته واركان الاسلام والايان .

ثالثا : ارتباط التعليم والاخلاق : ودورها فى تكوين الشخصية الاسلامية ان كلا من التعليم وتنشئة الاخلاق عملية مرتبطة بالآخرى فالتعليم من الكتب وتحصيل الحكمة العملية والقيم الاخلاقية عملية واحدة متصلة الحلقات فى تكوين الشخصية الاسلامية .

فالتعليم والاخلاق وجهان لحقيقة واحدة

وقد ركز القرآن على أن من وظائف النبى تعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس وتكامل هاتين الوظيفتين فى التربية معناه ترابط التعليم وعملية التزكية فى عملية واحدة تتم فى آن واحد .

رابعا : الأسلوب الاسلامى فى التربية هو الأسلوب الذى يسد حاجة المجتمع الاسلامى الايدولوجية والمادية والتكنولوجية بطريقة تجعل المسلمين يصعدون قادة العالم الاسلامى ليس لان المسلمين حقا طبيعيا فى أن يكونوا قادة للبشر وانما لان الاسلام ينشر النور ويهدف لاعادة تركيب نسيج الحياة البشرية على أساس تقوى الله ومساواة البشر وأخوتهم بالعدل وهذا يخالف بنية النظام العالى اليوم التى تركز على الالحاد ومصالح الصفوة المختارة واستغلال الانسان للانسان .

خامسا : أن تكون التكنولوجيا فى خدمة المثل العليا .

ولابد من استحداث نظام جديد يختلف عن المفهوم الالحادى ومصالح الصفوة واستغلال الانسان للانسان ، فهذه هى المهمة التى وكل الله تعالى بها المسلمين لتحقيقها ويترتب على ذلك اعادة بناء الفكر الانسانى بناء جديدا وان يسبقوا الآخرين الى اكتشاف

أسلمة الثقافة

القائم على عقيدتها وأخلاقيها ونظرتها للحياة وانتسابها ،
وحالاتها الروحية والمعنوية والوجدانية .

ومن هنا فنحن مطالبون بأسلمة الثقافة
وتحريرها من التبعية الغربية والوافدة التي تحاول أن
تقضى على تميزنا الخاص الذى يشكله الاسلام فى الدرجة
الاولى وبأكبر قدر من التميز .

ولا يحول هذا دون التوسع فى مجال العلوم
والتكنولوجيا على أن تحول هذه المادة لتنصر فى
مفهوم الاسلام نفسه وتتحرك فى دائرته دون أن تطغى
فتغيب طابعه أو تقصر عن العطاء بما يصل به المسلم
الى أرقى درجات التقدم العلمى .

ولا ريب أن هذا التوازن بين الحفاظ على القيم
الذاتية وعلى التقدم العلمى يحقق التوازن الحقيقى
الذى تتسم به الثقافة الاسلامية اذ لابد من تدعيم المعنى
الروحى وتكامل القيم حماية للامة من الغزو الثقافى .

أما دعاوى التغريبيين من أن هناك تناقض بين
حماية الشخصية الاسلامية من الغزو الفكرى وبين
قبول التلفزيون والاذاعة والطائرة والكمبيوتر . فإن
هذا لا يجاب عليه بغير ابتسامة السخرية ، اذ أن
المسلمين يعلمون أن الأدوات لا تحارب وأن المسلم
يقبل كل تقدم علمى وكل انجاز حضارى شريطة أن
يستعمل فى مضمون اسلامى فليست الآلة هى الغزو
الفكرى ولكن ما يدخل اليها من مفاهيم مغربة .

ليست الأدوات الحضارية المستحدثة من الغزو
الثقافى وانما هى معطيات مشاعة بين الأمم تملؤها
بثقافتها وقيمها .

وليس فى هذا الفهم من عيب وليس فى حماية
شخصية أمتنا من الاحتواء فى دائرة التغريب والغزو
الثقافى من بأس ولكن بأس كل البأس هو الاستسلام
له وليس الذين يحافظون على شخصية الامة وثقافتها
أناس مغالون يخشون على حياتهم من العلم ونوره
ولكنهم هم الغيرون الواسعى النظرة والأفق .

ومن هنا فنحن فى دعوتنا الى اسلحة الثقافة
نطالب أجهزة الاتصال بالتحرك من دورها السلبي
والتغريبى فقد أصبحت برامج التلفزيون والموضوعات

ثقافة أى أمة هى خلاصة عقيدتها وجوهر فكرها
وقيمها ومن ثم فإن الثقافة العربية لابد أن تكون
اسلامية الانتماء والتوجه ، وأن يكون هناك اتصال
موصول بين العصور حتى لا ينفصل العصر الحديث فى
قضاياها ولا تحدياته . وهو الخطر الذى تواجهه الثقافة
العربية الاسلامية اليوم فى ضوء التحديات الوافدة فنحن
مطالبون بأن نضع مناهج تعبر عن ارادتنا ومن ثم يجب
أن تسترد الجامعة والصحافة أمانة الالتزام الاسلامى
فقد بداها المستعمر على انها مؤسسات بلا هوية
ودراسة فكر الاغريق والرومان وغيرهم دون أن ندرس
فكر الاسلام وحضارته أو درسها درساً مشوهاً فى معالمه
مليناً بالدس المقصود لى يكون المواطن المسلم خصماً
عنيداً لثقافة دينه .

ولابد من اعادة النظر فى مناهج الثقافة وأن يكون
منطلقها العقيدة الاسلامية والالتزام بالدفاع عن قيم
الاسلام فتصبح الثقافة العربية (نسبة الى اللغة)
تستمد وجودها المراه من التعاليم الاسلامية وترتبط
بالاسلام ارتباطاً لازماً وشاملاً ، فالبلاد العربية تمثل
وحدة ثقافية تقوم على وحدة الدين ووحدة التراث
ووحدة اللغة هذه الوحدة هى الدرع المتين الذى حفظ
للعرب سماتهم العامة التى استمدوها من القرآن وحفظ
لهم كرامتهم ، كما كانت المرتكز الاساسى للتحضر
والانطلاق وهى التى مهدت وتمهد لوحدة شاملة وتعنى
الوحدة الثقافية — كما يقول دكتور ابراهيم حسان —
اذابة الفوارق (التصورية والحسية والسلوكية) بين
المجتمعات والاستفادة من ضرورة الترابط الوجدانى
الذى تبنيه العقيدة الاسلامية فى خلق ترابط وتعاطف .

واذا كان العلم لا وطن له فإن الثقافة لها وطن .
ومعنى هذا أن ثقافتنا مستمدة من عقيدتنا وقيمنا
وكيفية تناولنا للأمور .

وتكون الثقافة فى جوهرها هى ما تؤدى الى
تكوين رؤية خاصة يرى بها الكون والانسان وتدخل
فى خصائصها اللغة العربية وآدابها ضمن العناصر التى
تكون ثقافة الانسان المسلم .

ويكون دور العلوم والمعرفة تغذية هذا الوجدان
بما يقدمه ويدعمه دون أن يقضى على تميزها الخاص

المنشورة في الصحف والمجلات التي تسهّلك أجهزة الاتصال مواد وافدة يصدرها إلنا من العالم الخارجى ولا تشارك فى استنباطها فى بيئتنا العربية وأصبح الاتجاه الجماهيرى يخضع لصناعة ضخمة تملكها شركات غير وطنية وهى صناعة تسيطر عليها التكنولوجيا المتقدمة التى لا نملك منها الا القليل .

(٢)

لابد من مراعاة هذه القواعد :

أولا : الطابع المميز الثابت لهذه الثقافة والخصائص الجوهرية .

ثانيا : القرآن هو المصدر الأول لمقومات الأصالة فى الثقافة الإسلامية مشروحا بقول وفعل وحال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : ان تحديد المناسع الأصيلة للثقافة يوفر

الضمانات الموضوعية لتحقيق الأصالة وثبتتها عن طريق استيعاب وسائل التربية الثقافية ..

رابعا : يربط القرآن دائما بين المعرفة أو الثقافة والنتائج العملية المترتبة عليها من حيث النفع أو الضرر .

خامسا : يربى القرآن العقل والبصيرة على الكفاءة وفى رؤية الوحدة من خلال الكثرة وتلمس الرباط الموحد الذى ينظم ما يبدو متنافرا متباينا .

سادسا : يربى القرآن فى المسلمين مملكة النقد النزيه مع الدقة والامانة فى نقل أو رواية اقوال الغير وضرورة التفرقة الحاسمة بين العلم والظن .

سابعا : الربط بين جانبى الفكر والوجدان مع تأكيد أهمية الربط بين النظرية والتطبيق .

ثامنا : ان العقيدة الإسلامية التقية لم تكن يوما حجر عثرة فى سبيل تطور الحياة الإسلامية وان عقيدة القضاء والقدر لا تؤدى الى الجمود أو الموقف السلبي .

(محمد كمال جعفر)

الباب السادس

فى مواجهة المؤامرة

علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات

وهذا ما دعوت المفكرين الى اقراره والعمل به حتى يكون هذا القرن الخامس عشر هو الذى يحمل راية الحسم فى هذه القضية باخراج المسلمين من ظلمات شبهات التغريب والغزو الثقافى وادخالهم فى عصر « الرشد الفكرى » والمواجهة الحاسمة لهذا الركam الضخم الذى طرحته المحاولات الخطيرة التى نسقتها الاستشراق والتبشير تحت ظلال النفوذ الغربى والماركسية والصهيونية لافساد جوهر الاسلام وتمييعه ومحاصرة مفاهيمه القاسية على التوحيد والعدل والاخاء الانسانى والجهاد واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الاممى العالمى بهدف القضاء على « روح الاصاله الاسلاميه » وعلى ازاحة تلك « الذاتية الاسلاميه » ذات الطابع الخاص الذى يتميز به المسلمون وفكرهم « صبغة الله ومن اصدق من الله صبغه ونحن له عابدون » .

ذلك لان دعاة النفوذ الاجنبى الغربى بقواه المختلفة : ماركسية وصهيونية دائما موقنون بأن المسلم لا يمكن أن يهزم الا بعد اخراجه من قيمه وذاتيته وكيانه الخاص الذى صنعه به الاسلام . ولذلك فان محاولة « التغريب » نفسها واضحة من اسمها وهى : العمل على تغريب المسلمين فى عقائدهم واخلاقهم وقيمهم . وهم يؤمنون بأنهم اذا استطاعوا ذلك ، فقد المسلمين خاصيتهم التى حققت لهم الثبات مع الزمن والاستمرار فى الوجود والقدرة على مقاومة كل عدو باغ فاذا خرج المسلمون من ذاتيتهم ذابوا فى الاممية وانتهى امرهم وأصبحوا صورة مكررة رديئة للبشرية الضالة .

وصدق الله تبارك وتعالى حين قال :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » ..

هذا الخطر الخطير الذى يتجمع كل قوى اعداء الاسلام على العمل له هو اقتلاع هذه الذاتية ومحو هذا الخاصية التى اقتصوا بها والتى صنعها لهم الاسلام

على طريق مسيرة الفكر الاسلامى الجادة عبر القرون الطويلة بالاحتكاك مع الثقافات المختلفة التى حاولت أن تحتويه أو تنحرف به عن مفاهيمه وقيمه عمل رجال الاسلام على الوقوف فى وجه هذا الخطر مدى العصور بتحرير مفهوم الاسلام الاصيل الجامع من كل المفاهيم الباطلة وتصحيح مساره ، وقد امتدت هذه المعركة زمنا طويلا وجاهد فى سبيلها اعلام كثيرون فى مقدمتهم الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية وابن القيم وكثيرون . وفى العصر الحديث وبعد أن سقط العالم الاسلامى فى براثن النفوذ الاجنبى الا اجزاء قليلة منه ، عبد النفوذ الاجنبى الى احتواء الفكر الاسلامى باثارة هذا « الفكر البشرى الوثنى والباطنى » مرة أخرى واعادة طرحه فى أفق الفكر الاسلامى فأعاد مجددا كل السموم والتحديات والافتراءات التى بثتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانحراف والزندقة والاباحية التى عرفت فى عصور ما قبل الاسلام .

وقد اجتمع هذا الركam فى العصر الحديث تحت اسم « التغريب والغزو الثقافى » وعملت قوى الاستشراق والتبشير على اذاعة هذا الفكر السموم من طريق : المدرسة والجامعة والصحافة ودوائر الثقافة .

وجندت له الكثير من اصحاب الاسماء اللامعة والضمائر الخرية .

ولقد عملت حركة اليقظة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى المنطوى على مواجهة هذه الشبهات .

وقامت فى ذلك بدور كبير واستطاعت أن تدحض زيفها وأن تقدم المفهوم الاصيل ولذلك فقد حق على أهل الدعوة الاسلامية فى مشرق القرن الخامس عشر أن يقيموا « منهج المواجهة مع الفكر الوافد » على أن يصبح علما كاملا له أصوله ومنهجه وأن يدرس فى الجامعات والمعاهد كاشفا هذه الحقائق التى وصل اليها المخلصون الابرار فى مختلف المجالات .

والتي هي مصدر قوتهم في حياتهم وفي قدرتهم على مقاومة كل عدوان وأداتهم في أداء رسالتهم المرتجلة للبشرية بتبليغ كلمة الله تعالى الى العالمين .

هذا الخطر اهم كثيرا في نظر القوى المختلفة عن امتلاك ثروات المسلمين لان هذا العمل « التغريب » سيمكنهم من امتلاك نفوس المسلمين وأرواحهم فيقودونهم كيفما شاعوا واذا تمكنوا منها فلن تصبح ثروات المسلمين وحدها ملكا لهم بل سيصبح المسلمون انفسهم عبيدا للقوى الأممية المسيطرة الآن .

ولذلك فان هذا المنهج الذي دعوت الى اقراره ليكون علما قائما بذاته انها يستهدف هذه الأمور :

أولا : كشف زيف هذه النظريات والايولوجيات المثارة والمطروحة في أفق الفكر الاسلامي على أنها « علم » والتي تدرس في بعض الجامعات والمعاهد على أنها « حقائق مقررة » ، بينما هي لم تصل بعد الى درجة العلم من حيث أنها « فروض » افترضها عقل بشرى يخطئ ويصيب ، وقد جاءت ردا على تحديات مجتمعاتها وعصورها ، ولذلك فهي ليست صالحة لتكون منهج حياة لغير عصرها او بيئتها وهي لن تصلح لتصدر الى اسم أخرى تختلف من حيث العقيدة والشريعة والاخلاق .

وعلينا ان نكشف تلك الحقائق التي واجهت كل هذه الايولوجيات من حيث عجزها عن تحقيق المجتمع الأمثل من ناحية ومن حيث أنها لم تلبث الا قليلا من الزمن حتى احتاجت الى كثير من الأضافة والحذف وعلينا ان نبين مدى الفرق بينها وبين المنهج الرباني الخالد الذي لا يعتوره النقص مهما مرت الدهور او اختلفت البيئات لانه من صنع العالَم القدير العظيم بالبشر في أعماق نفوسهم ومطامحهم وأهوائهم وقد جاءت رسالة السماء وحدها القادرة على العطاء الدائم الذي لا يتوقف .

ثانيا : كشف محاذير هذه الحضارة الغربية في مرحلة التدهور والأفول : والابانة عن انحرافها الخطير عن منهج الله تبارك وتعالى والتعريف بالآثار الخطيرة التي أحدثتها من حيث أوقعت البشرية في « الازمة » والنفس الانسانية في التمزق والانحراف والتحلل باندفاعها وراء شهوى البطن والفرج التي يمثلها منهج الرأسمالية والفرويدية والماركسية جميعا .

وكيف جاءت الحضارة الاسلامية للبشرية محررة اياها من عبودية العقيدة الوثنية وعبودية الانسان للانسان وكيف سقطت حضارات السادية والاباحية والالحاد التي عرفت بالفرعونية والرومانية والفارسية .

وادخل الاسلام البشرية في عصر التحرر من الظلم والعبودية والرق . وفتح لهم القرآن باب البحث العلمى وصولا الى « المنهج التجريبي » الذى قام به المسلمون والذى هو عباد الحضارة المادية المعاصرة .

وعلينا ان نعلن بدون موارد أفول الحضارة الغربية لانها خرجت عن منهج الله وان البشر تتطلع الى شروق الحضارة الاسلامية مجددة بعد ان توقفت عن العطاء .

ثالثا : تعميق المفاهيم الجديدة التى بدأت تشق طريقها في عالم الغرب كاشفة عن فساد التفسيرات الدينية التى قام بها الاحبار والرهبان خارجين برسالات الله عن طريقها الحقيقى وعن تسلسلها الطبيعى ، واعطائها حجما أكبر من حجمها الحقيقى وخاصة ماكتبه في العصر الحديث علماء اللاهوت والدكتور موريس بوكاي عن التحليل العلمى للكتب المقدسة التى في أيدى الناس ومدى اضطرابها وبشريتها ومعارضتها للحقائق التى كشف عنها العلم بينما يلقى القرآن بهذه الحقائق فيثبت أنه من عند الله .

رابعا : تأصيل المفاهيم التى أصبحت الآن بمثابة الحقائق والتى تقرر أن العلم لا يستطيع أن يقول الكلمة الأخيرة لا في مسئولية الانسان ولا في حقيقة الكون وانه ليس الا أداة من أدوات التعرف على مجموعة متواضعة من الحقائق تنسر « ظاهرا الاشياء » وأن نظرية دارون التى كانت منطلقا للفكر المادى قد تكشف زيفها وأثبت العلم وكشفت الأرض عن الجاهل والعظماء التى دحضت فرضية الصلة بين الانسان والقرود فقد عبرت هذه الجاهل عن استقلالية كل عنصر منذ خلقه الله جل وعلا وأن الانسان منذ خلقه الله ومثى على الأرض كانت تامته مثلها هي اليوم قائمة مسنونة وبذلك تساقطت كل ما رقبته هذه النظرية الضالة وتبين فساد نظرية التطور الدائم كما تبين فساد نظرية الثبات الدائم ، وأقر العلم بأن هناك ثوابت وأن هناك متغيرات كان الاسلام قد سبق فأعلن عنها منذ خمسة عشر قرنا .

وكيف أن القرآن حمل مفاهيم واضحة عن أول الخلق والحياة على وجه الأرض وقد جاءت الأبحاث العلمية لتصدقها وتؤكددها .

خامسا : تعميق الوثائق التى قدمها علماء الغرب في الكشف عن عظمة الشريعة الاسلامية وخصوبة الفقه الاسلامى وعمق عطائه في مختلف مجالات الحياة فقد أنهت المؤتمرات القانونية والفقهية أبحاثها منذ قرابة خمسين عاما بقرارات واضحة الدلالة في سلامة الشريعة الاسلامية وكمالها وقد تبين لعلماء الغرب من كئوزها ما أذهلهم وجعلهم يعترفون راغبين بأصالة هذه

الشريعة ، بل أنهم لم يتوقفوا عن أن ينقلوا منها الكثير ويطبقوها تحت أسماء مختلفة وقد اعترفوا بفضل الاسلام أساسا على القانون المعاصر الذى نقل أغلبه من فقه مالك حين نقله علماء نابليون الى الغرب لأول مرة .

وكيف أن الغرب الذى يعترف بفضل هذه الشريعة الغراء مازال يحول بين المسلمين وبين تطبيقها في مجتمعاتهم ويفرض عليهم القانون الوضعي وهم مازالوا عاجزين عن التحرر من ريقة هذا القيد الأسيف .

ولقد تبين للغربيين اليوم عن طريق اعلام من مفكرهم بما لا يدع مجالا للشك انه لا يصح للانسان أن يشرع لنفسه ولمجتمعه وأنه لابد من « جهة أعلى » هي التي تشرع له ، وأنه حين يخضع الانسان لقانون بشرى فانما يكون قد خضع للاهواء وللظن وهو ما يؤدي الى تدمير المجتمعات وهم يرون دمار حضارتهم اليوم نتيجة ذلك ومع أنهم يكتشفون هذه الحقيقة فانهم مازالوا سادرين وراء مناهج وايدلوجيات لم تستطع أن تحقق لهم مطامح الروح ولا سعادة المجتمع ، هذه الايدلوجيات التي يتراوحون فيها يميننا وشمالا بين الديمقراطية والراسمالية والاشتراكية وبين الفردية والجماعية ، وقد تبين لهم فساد هذه الايدلوجيات وعجزه من الاستجابة الحقيقية .

سادسا : علينا أن نستأنف البحث الذي بدأ في العالم اليوم بحثا عن منهج اقتصاد جديد بعد أن أعلن فشل وهزيمة المناهج الاقتصادية المعاصرة وعجزها عن العطاء للعالم اليوم حين يطالب بمنهج يجد فيه الرحمة والمساواة ويتخلص به من أرستقراطية الراسمالية ودكتاتورية الماركسية لن يجد الا الاسلام فهو الذى يستطيع أن يعطيه ما هو في حاجة اليه .

وكما تبين لهم فساد منهج الاقتصاد العالمى فقد تبين لهم فساد نظريات فرويد ودوركايم وغريزر التي اوصلتهم الى اضطراب الأسرة وانتشار الجريمة وحوادث الاجهاض واستشراء الاباحية وامتهان كل القيم بما ظهر من حركات الوجودية والهيئية والعري الجماعى ، ومع ذلك فهم سادرون في غيهم ، يحاولون الانتقال من المادية الاباحية الى نظريات الروحية الاباحية في مقاهيم البوذية والثيوصوفية واليوجا والغنوصية الشرقية .

ولو كانوا يبحثون عن الحق لما عدوا الاسلام الذى يجدونه واضحا امامهم وفي طريقهم قبل أن ينتقلوا من اقصى الغرب الى اقصى الشرق .

ولقد تبين لهم فساد نظرية فرويد في الجنس وكشفت الابحاث العلمية عن انه ليس الجنس وحده

مصدر التصرفات البشرية ، وتبين لهم فساد التفسير المادى للتاريخ وكشفت الابحاث العلمية عن ان للتاريخ مصادر متعددة وان الاقتصاد هو في الدرجة الثالثة أو الرابعة ومع ذلك فالبشرية الضالة مازالت متشبثة بضلالها وتجر وراءها عالم الاسلام .

سابعا : علينا أن نصصح مفهوم قدرة الله عز وجل واحيائه في مختلف العلوم والثقافات بعد أن عمد الفكر الغربى الى انكار الله تبارك وتعالى صانع كل شيء وانكار النبوة والبعث والجزاء ومسؤولية الفرد في الحياة والتزامه الخلقى وعمد الى تصوير الحياة بصورة مادية خالصة وتجاهل جانب الروح والمعنويات والغيبيات وعالم ما وراء المادة وقد تبين له فساد ذلك كله وجاء تفجير الذرة محطما لكل هذه النظريات للمادية التي تخالف الآن مايقرره العلم التجريبي الذى أخذ يؤمن بعالم الغيب ويؤمن بوجود الله تبارك وتعالى الخالق القادر القائم وراء هذا الكون كله يديره ويديره لحظة بعد لحظة ويعرف علماء الفلسفة المادية هذه الحقائق العلمية التجريبية ولكنهم سادرون في غيهم يضللون الناس ويسخرون من الاصاله والفطرة ولقد أدخلت الفلسفة المادية البشرية في حيرة شديدة بانكارها لعالم ما وراء المادة ولا يخرج لها الا بالايان بالله الواحد الاحد ، ذلك هو منطلق الفطرة الذى يهدى الى مسؤولية الفرد في بناء المجتمع الربانى على هدى من الالتزام الخلقى .

ثانيا : علينا أن نكشف فساد مفهوم القوميات الوافد الذى طرح في أفق الفكر الاسلامى للقضاء على مفهوم الوحدة الاسلامية والوحدة الفكرية الجامعة القائمة على أساس لا اله الا الله والمستمدة من مفهوم القرآن الاصيل ، هذا المفهوم الضال المظلم الذى فتح الباب واسعا لاسام الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية والبربرية والذى يستهدف في العصر الحديث انبعاث افكار بائدة قضى عليها الاسلام الذى أعلن **الانقطاع الحضارى** في مختلف أجزاء عالم الاسلام عن كل ما سبقه من دعوات سواء كورش في فارس أم طوران في تركيا أم وثنية العرب أم قيصرية الروم . لقد كانت نظرية القومية العربية بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الاسلامية السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت مقاربة تحت كلمة التوحيد ولقد تجاوز المسلمون اليوم مرحلة الوطنية والقومية وكشفوا زيف هذه الاطروحة الفاسدة ، التي قصد بها دعائها الى القضاء على رابطة التجمع الاسلامى في مواجهة النفوذ الغربى الزاحف .

تاسعا : يجب أن يكشف علم تصحيح المفاهيم عن نتيجة التجربة التي خاضها العالم الاسلامى في مواجهة

التبعية للنظام الديمقراطي الليبرالى الرأسمالى الغربى
وفى مواجهة التبعية للنظام الماركسى الاشتراكى البلشفى
وكيف أن المجتمع الاسلامى قد لفظ كلتا التجربتين بعد أن
جرى شوطا فى اصطناعهما واحدة واثرا واحدة كمحاولة
للعصرية والتقدمية وكيف أن هذه التجربة حملت معها
الهزيمة والنكبة للبلاد التى أجرت هذه التجربة وكانت
نهايتها تلك النكسة المروعة التى أودت بثروات الاسم
ومقدراتها وكادت أن تحصدها حصدا لولا أن علت صيحة
الاصالة والتماس المنابع التى دعت المسلمين الى
استخلاص التجربة الغربية بشقيها والايان بأنه لاسبيل
أمام الأمة الاسلامية الا طريق واحد هو طريق الله بالحق
الذى دعا اليه الاسلام .

(٢)

وبعد :

فاذا تقرر هذا المعنى فيحق لنا أن نضع خطوطا
عامة لمنهج هذا العلم :

« علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات عن طريق
الاصالة الاسلامية » وقد سبقنا الى ذلك علماء اجلاء فى
مثل هذه الازمة التى نمر بها واجهوها بكل قوة ويقظة
ووضعوا اصول المقاومة والمواجهة لكل حملات التشكيك
وشبهات التغريب وعلينا أن نقضى طريقهم تحريرا للفكر
الاسلامى من دخائل التبشير والشعوبية وكشفا عن
الايحاء الشائعة التى بلغت من كثرة تردها أن أصبحت
كالمسلمات وتصحيح المفاهيم وتطبيق علم الجرح
والتعديل على الكتاب الذين خدعوا الكثيرين من حيث
بريق الشهرة وضجيج الدعاوى والاعلان ، هؤلاء الذين
يكونون خصوصية عميقة لفكر المسلمين وان كانوا يخدعون
بالدعوة الى التقدم والعصرية وهم لا يتركون فرصة تمر
دون النيل من قيم فكرنا وذاتية امتنا ويهدمون كياننا ومن
قبل رد ابن تيمية على المناطقة ورد الغزالى على الباطنية
والفلاسفة ورد ابن حزم على الفرق وقدم ابن الجوزى
كتاب تائيس ابليس كمنهج فى هذا المجال كما كتب القاضى
ابن العربى كتاب العواصم من القواصم ، وفى العصر
الحديث ظهرت كتابات كثيرة فى هذا المجال فقد رد جمال
الدين الأفغانى على الدهريين وكشف محمد عبده فساد
تفسيرات النصرانية وجلي رشيد رضا شبهات النصارى
ودحض ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة كثيرا
من شبهات اليهود والنصارى .

ومن الحق أن يقال أنه قد أصبحت هناك ضرورة
قائمة لهذه المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم
يقوم على أساس تحرير قضايا الفكر ودراسة
المصطلحات السارية المتداولة وكشف وجهة نظر الفكر
الاسلامى فيها وابرار مفهوم الاسلام القيم المختلفة وهو
مفهوم يختلف قطعا عن مفاهيم الفكر الغربى والفكر
الشرقى جميعا لهذه القيم .

ولا شك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم هو
عمل كبير الاهمية فى مطالع القرن الخامس عشر
الهجرى : هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة فى حياة امتنا
بوصفها انتقالا من اليقظة الى النهضة ومن التبعية الى
الرشد الفكرى ، وذلك يتطلب القاء نظرة واسعة على

التبعية للنظام الديمقراطي الليبرالى الرأسمالى الغربى
وفى مواجهة التبعية للنظام الماركسى الاشتراكى البلشفى
وكيف أن المجتمع الاسلامى قد لفظ كلتا التجربتين بعد أن
جرى شوطا فى اصطناعهما واحدة واثرا واحدة كمحاولة
للعصرية والتقدمية وكيف أن هذه التجربة حملت معها
الهزيمة والنكبة للبلاد التى أجرت هذه التجربة وكانت
نهايتها تلك النكسة المروعة التى أودت بثروات الاسم
ومقدراتها وكادت أن تحصدها حصدا لولا أن علت صيحة
الاصالة والتماس المنابع التى دعت المسلمين الى
استخلاص التجربة الغربية بشقيها والايان بأنه لاسبيل
أمام الأمة الاسلامية الا طريق واحد هو طريق الله بالحق
الذى دعا اليه الاسلام .

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به » .

هذا كله هو منطلق ذلك العلم الذى يطلق عليه
علم تصحيح المفاهيم وتحرير القيم فى مواجهة شبهات
التغريب والغزو الثقافى . فان علينا نحن المسلمين أن
نكشف زيف هذا الاتجاه المضلل الذى تتردى فيه البشرية
وان نحرر أنفسنا أولا من اصر هذه الفلسفات التى
تحاول احتواء الفكر الاسلامى . هذا واجبا أولا ، ان
نقدم هذه الحقائق الى قوما المسلمين وقد طرحت هذه
النظريات كلها فى أفق فكرهم ، وتسألهم : هل يسيرون
وراء ضلال الغرب وهواه ؟ وهل يؤمنون بالحضارة
الغربية وهى فى مرحلة الانهيار ؟ وهل يخضعون لهذه
الايديولوجيات المتصارعة المتهالكة ؟ ان هناك قوى ضالة
مضلة ماتزال توقد النار لتغرى الناس بهذه الاهواء
المضلة وتدفعهم دفعا الى اتون الشهوات الصاخبة ،
وهناك اقلام مسمومة تحاول أن تحطم كل القيم ، وان
تزيف حضارة الاسلام وتثير الشبهات حول القرآن
والسنة وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام وهى تروج
لمفاهيم زائفة وأفكار باطنية ، وتحى من التاريخ تلك
الشخصيات الشاذة الغربية الضالة والمنحرفة أمثال
الحلاج والسهورردى وابن عربى وأبى نواس وبشار
وهناك من تخصص فى تشويه الشريعة الاسلامية
والادعاء بأنها موقوتة أو من يحاول مهاجمة اللغة العربية
ويدعو الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وماتزال
هذه المخططات تجرى مجرى الدم فى فكرنا الاسلامى
عن طريق الجامعة والصحيفة والثقافة ويحاول
الاستشراق والتبشير من خلال هذه المراكز وعن طريق
مخططات متجددة متغيرة اخضاع ثقافة الاسلام وفكره
وتاريخه ولغته الى ما يسمى باسم « التقارب » أو
« الحوار » ولا ريب أنه ليس هناك تقارب حر ولا حوار
أصيل ، وانما هناك هدف بعيد من وراء ذلك هو تجريد

لقد كان هدف حركة التغريب (الاستشراق والتبشير) هو العمل على الحط من شأن العرب والمسلمين في أنفسهم وتشجيع العاميات جرياً وراء تفكيك عروة وحدة الفكر الجامع ، ولقد جرت محاولات كثيرة لفصل الادب العربى المعاصر والفكر العربى المعاصر عن اصولهما الاسلاميه ومصادرهما الاصيله ثم تبين أن هذا العمل كان عسيرا بل ومستحيلا .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات البالغة في تاريخنا وفكرنا وخاصة أولئك الذين حرروا الاسلام من التبعية كما جرت لاعلاء شأن أبى نواس وبشار والحلاج وعمدت الى اتهام الفكر الاسلامى بانتقاص الحرية وعرضت حياة ابن رشد والسهورردى أمثلة على ذلك ، واتصلت الشبهات بمختلف ميادين الفكر سياسية واجتماعية كما ظهرت عشرات الكتب تحاول أن تفرض مفهوما زائفا وخطائا في سبيل خدمة هدف تدمير الذاتية الاسلامية المتميزة ، وتهيبها واحتوائها وصهرها في أتون الفكر العالمى والاممى .

وجسرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والنوادر والأساطير التى يرددوها الرواة الكذابون المزيفون ، وجرت المحاولات لان تكون هذه الكتب مصادر علمية يعتمد عليها في استخراج صورة للمجتمع الاسلامى وقد شدد الدكتور طه حسين وصحبه على الأغاني وألف ليلة وغيرها من الكتب الفاسدة لتكون مصدرا لتصوير الحياة الاجتماعية الاسلامية .

كما نسقت الشبهات المضادة للاسلام وأقوال خصومه في موسوعات أهمها دائرة المعارف الاسلامية والموسوعة المبيرة والمنجد وقد وضعت في أيدي الباحثين فهم يلجأون اليها في كل وقت دون معاناه ، غير ابهين بمدى الخطر الذى يحيط بها والهدف البعيد الذى يراد من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها في قالب علمى خطير .

وقد وجهت هذه الموسوعات من أجل خدمة السموم التى قدمتها اليهودية العالمية والصهيونية والتامودية من أجل دعواها الزائفة ولذلك فانها في سواد القدس وفلسطين وابراهيم واسماعيل واسحق تقدم تحريفات خطيرة تختلف عن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من القرآن الكريم .

ولقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشبهات والاختفاء انها يراد بها القضاء على ذاتية الاسلام والمسلمين واخراجهم من قيسهم ومزاجهم النفسى واثارة

الاطغاء الكثيرة التى ترددت في العصر الحديث وتضمنتها الابحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التى حاول النفوذ الاجنبى والاستعمار الفكرى فرضها ودعمها وتعميمها وصقلها وتجديدها كلها بليت واعطائها صورة الحقائق الاساسية التى لا تقبل الشك بينما هى زائفة ليس لها أصل علمى تعتد عليه أو سند تاريخى يضمن الثقة بها وقد شجع على ذبوعها سقوط فكرنا في مرحلة التقليد والترديد البيغائى دون وعى حصيف أو تقلب واع أو محاذرة يقظة للكلمات وخصوم هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعو الى حرب أو خصومة ازاء ما يقال ولكن نطالب بالنظرة الحذرة اليقظة حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول أن ينقص حقنا وحقائقنا .

علينا أن نواجهه في وضوح :

— شبهات التبشير والاستشراق ..

— شبهات بروتوكولات صهيون والاسرائيليات الجديدة .

— شبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية التى صيغت في قوالب علمية براقة خادعة وان كانت لا تستطيع أن تصمد أمام ضوء الحقائق الاسلامية الكاشف الذى يعربها ويفضح خبيثتها ..

ولقد كان الفكر الاسلامى ولا يزال — استمدادا من مصادر الاسلاميه القرآنية — على المحجة البيضاء ولكنه اصيب بالانحراف والاضطراب حين انصرف أهله عن اصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترابط المعنوى والمادى معا .

ولقد واجه الفكر الاسلامى عملية الغزو الفكرى والثقافى منذ قديم واستطاع بعد معركة الاولى التى امتدت قرنين كاملين في مواجهة الباطنية والمجوسية واخوان الصفا والفلاسفة أن يتحرر من كل هذه الزيوف وأن يستعيد طابعه الاصيل وذاتيته الحقبة بعد حرب عنيفة مع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمة واستطاع أن يحطم مفاهيم الاعتزال والفلسفة الالهية والجبرية الفلسفية وأن يقيم مفهوم التوحيد الخالص مفهوم أهل السنة والجماعة .

وهو اليوم يواجه نفس الموقف ويحتاج الى تجمع واع أصيل لاداء هذه الرسالة ، وهو قادر على ذلك ويقتض لى المؤامرات التى تراد به ، متفتح الآفاق لكل الثقافات والمفاهيم يأخذ منها ويرفض على قاعدته الاساسية العميقة الجذور ، وهو بقوة الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيغ ورقض الخطأ ودحض الشبهة .

اليأس فى قلوبهم وتشكيكهم فى مقدراتهم وتشويه معالم فكرهم وأديبهم ، وما تزال هذه الحملات مستمرة لم تتوقف بصورها المتعددة وبصايرها الكثيرة .

والهدف هو محاولة التأثير على النفس الإسلامية وإفساد ثقتها لتعميمها ودفعها الى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص الى مقوماتها التى هى مصدر قوتها والتى هى الطريق الوحيد الذى يجب أن تسلكه فى سبيل دحر عدوها ورد عدوانه فى مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب وهى المنطلق الحقيقى للقوة والنصر والحرية وافتقاد المسلمين مكانهم الحقيقى فوق هذا الكوكب من أجل هذا كله أَدْعُو الى الاعلان عن علم جديد نجند له كفاياتنا ومقدراتنا وليكون معلوما لنا

جميعا بأن هناك أكثر من سائة مؤلف أجنبى ملئ بالخطأ والسموم وهى متداولة فى جامعاتنا ومكتباتنا وهى معارضة تماما لمفهومنا الإسلامى الاصيل وان هناك علومنا تدرس فى جامعاتنا ومعاهدنا عن علوم النفس والاجتماع والأخلاق والسياسة والاقتصاد ، نكل ما تدرسه جامعاتنا معارض تماما لمفهوم النظرة الإسلامية الحقة وهو ليس علما ولكنه فروض فلسفية بشرية تخطئ وتصيب فعلىنا أن تقوم هذه القوة القادرة على كشف هذا الزيف كله وتحطيم هذا البناء الزاحف ، وهدم هذه الدائرة المظلمة التى حاوت أن تحتوى شبابنا وأمتنا وتردها عن الاصلة الإسلامية ..

هذا والله ولى التوفيق ،



الباب السابع

أسلمة القوانين

(١)

ويكشف عن مدى الفوارق العميقة بين متطلعات القانون
الواحد وبين متطلعات الاسلام .

وقد تبين لرجال القانون الغربيين من خلال عدد
من المؤتمرات التي عقدت خلال نصف القرن الاخير تميز
الشريعة الاسلامية بطابع مختلف عن القانون الغربى
والتي تقوم أساسا على الايمان بالله وعلى المسؤولية
الفردية وعلى الايمان بالجزاء الاخرى والبعث . وأبرز
ما تمثل فى الاحكام الاسلامية التي تنفرد بها عن باقى
الشرائع هى الايمان بحق الله ورقابته . فعقد البيع
مثلا اذا استكمل أركانه وشرائطه فقد يكون عقدا قانونيا
صحيا يترتب عليه آثاره بين المتعاقدين بشرط أن
يكون التنفيذ مراعى فيه رقابة الله تبارك وتعالى فاذا
لم تراعى فيه تعاليم الله فهو نافذ دنيويا ومستحق لأخذة
الله أخرويا وهكذا كل حكم من احكام الشريعة الاسلامية
يوجد فيه المعنيان معا : الدنيوى والدينى ويكون الوازع
الدينى أعظم وازع يكفل اطاعة القوانين وتنفيذها سرا
وعلانية وهذا هو أبرز الاصول التي تنفرد بها الشريعة
الاسلامية .

ثانيا : تميز القانون الاسلامى : ١ — بالعدل
بين القريب والبعيد (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو
فقيرا فالله أولى بهما) .

٢ — العدل بين العدو والصديق (ولا يجرمنكم
شئان قوم على ألا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

ثالثا : كذلك يقوم القانون الاسلامى على أساس
فكرة متقدمة وقوية تهدف الى تقويم الاخلاق ، واذا كان
كل نظام قانونى ينطوى على عنصر خلقى فان فكرة
تهذيب الاخلاق التي ينطوى عليها النظام الاسلامى لم
تكن نتيجة تطور بطيء بل أنها شرعت مع المبادئ
الجوهرية للنظام القانونى فهي تشكل جزءا مكملا
لكيانه .

رابعا : فقد جاءت احكام الحدود والقصاص رادعة
تحول دون وقوع الجريمة أساسا وليست عقوبة لها

تختلف منطلقات القانون الوضعى الغربى الوافد
عن الشريعة الاسلامية فى مصادر كثيرة أساسية أبرزها
١ — ان الشريعة الاسلامية من عند الله تبارك وتعالى
٢ — وأنها تؤسس مجتمعا من نقطة البدا .

٣ — وأنها تقرر أن بنى الانسان جميعا من أصل واحد
لا فضل لجنس على جنس وان التفاضل يكون بالتقوى
والعمل الصالح وأن القانون يسوى بين الناس جميعا .

وهذه العناصر فى مفهوم القانون الاسلامى
(الشريعة) تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم القانون
الغربى الوافد المستمد من مفاهيم الحضارة الرومانية
القديمة والتي تعلى شأن طبقة السادة والامراء على
طبقات الشعب الاخرى والتي تقر الرق أساسا للمجتمع
والتي تجعل القانون حكرا على طبقة السادة وحدهم
وليس على سائر المواطنين .

فضلا عن أن الشريعة الاسلامية هى مقررات ثابتة
لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن (مع وجود المسائل النوعية
والتغيرات) باختلاف القانون الوضعى الخاضع دائما
للتطور حسب متغيرات البيئات والعصور .

وقد أرسى القرآن العظيم قواعد الاسلام على وحدة
الخالق ووحدة الخلق ووحدة النفس البشرية ووحدة
الدين الحنيف ووحدة الانسانية ووحدة الكون ووحدة
التشريع وأن المسال كله لله والناس مستخلفون فيه .

ولما كان المسلمون قد خضعوا خلال فترة
الاستعمار والنفوذ الاجنبى للقانون الغربى الوافد بعد
أن حجبت احكام الشريعة الاسلامية فان التجربة التي
تمت فى المجتمع الاسلامى قد أثبتت عجز القانون
الوضعى عن اقامة المجتمع السليم ، وكانت عاملا هاما
فى تدمير الاسرة وتحطيم عوامل وحدة المجتمع ولذلك فان
المسلمين مطالبون اليوم بتحرير انفسهم من قيود القانون
الوضعى والعودة الى أسلمة القانون ليس بتنقيحة
القانون السائد من مخالفاته الصريحة للشريعة ولكن
بالعودة الى أصل الشريعة نفسه الذى يتقدم القانون

بعد وقوعها وهذا ما تتميز به الشريعة الإسلامية على شرائع الأرض وقوانينها قاطبة .

خامسا : ان القصاص لا يقف عند حد من وقع منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه الى من كان لنفسه وسلطانه دخل في هذا الاعتداء .

سادسا : العدل يجب ان يصل الى الناس بلا تمييز وقبل ان يطلبوه واعفاء صاحب الشكوى حتى من اثمان الورق الذي يكتب عليه شكواه .

سابعا : ان اقلية الحدود هي عبادة الحاكم فاقامة الحدود عبادة وكل من لم يتم الحدود فقد تخلى عن هذه العبادة (ولكم في القصاص حياة) والاسلام يجعل العقوبة في جرائم الدماء لشفاء غيظ المجنى عليه . فقد أعطاه الله حق القصاص وحق العفو بخلاف القوانين الوضعية فانها لا تعطى المجنى عليه حق العفو عن الجاني .

ثامنا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، والجمع بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة والتوفيق بين المصالح المتضاربة والجمع بين الثبات والتطور .

تاسعا : تغطية الشريعة الإسلامية لكل جوانب حياتنا : تربويا وقانونيا وثقافيا واقتصاديا وسلوكيا وقد جاء الاسلام حاكما على الناس والمدنيات ولم يجرى محكوما بهم فليس الاسلام مطية ذلولا لانحرافات الحضارة والمجتمعات الحديثة .

عاشرا : وحدة جميع المجالات التي يشملها التشريع (الدولة - الاسرة - الاقتصاد - العلاقات الاجتماعية) في مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين ومقاصد لمبادئ وأسس اخلاقية ثابتة موحدة في الاخوة والرحمة والسخاء والكرم وغيرها من امهات الفضائل والقيم الإسلامية وذلك ليجد المسلمون انفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة لان تحكيم شريعة الله في كل الشؤون هو مصدر الوحدة الإسلامية الحقيقية لان الوحدة الإسلامية وحدة فكر وعقيدة ودين .

(ثانيا)

الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي

الشريعة الإسلامية هي الاصول الثابتة التي لا تتغير من الاسلام وهي ملزمة لانها من صنع الله تبارك وتعالى ، اما الفقه الإسلامي فهو التفسير الذي قدمه المسلمون بما يحقق مطابقة الشريعة الإسلامية لمجتمعاتهم

وعصورهم وقد احتوى القرآن على متن أحكام الاسلام كلها في الجملة ثم جاءت السنة النبوية والسيرة النبوية فأوضحت كل ذلك وشرحته وبينته للناس :

(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) .

وقد بذل الفقهاء الجهد والطاقة في سبيل الوصول الى الحق والصواب والعدل والمصلحة ، واتفقت كلمة المشرعين على أن أصول الاحكام : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولما كانت الاحكام الواردة في القرآن والسنة أكثرها احكام كلية فقد واجه الأئمة بعد الفتح حالات كثيرة جديدة لم تكن معروفة في جزيرة العرب فوضعوا لها الاحكام ، ومن ذلك في العراق مسائل الرى الناشئة عن نهري دجلة والفرات واجهها أبو حنيفة وتلميذه أبو يوسف ومحمد .

وفي مصر واجه الشافعي مشاكل الرى الناشئة عن النيل فضلا عن مشاكل المعاملات والحيازات ، وبالنسبة للأهم التي دخلت تحت حكم الاسلام كالقرس والروم فقد كانت لهم عادات خاصة فاذا دخلها الاسلام كان لابد أن يعرضوها على الأئمة ليقوموا هؤلاء بدورهم على أساس الاصول الكلية للاسلام وبقروها أو يحكموا بطلانها وقد عرفت الشريعة الإسلامية بخصائص أساسيا : أهمها ..

١ - السعة والدقة في بناء الاحكام .

٢ - الحرص على التوازن في الحكومة بين الفرد والجماعة .

٣ - تجريد الاحكام من كل عصبية وعاطفة فكرة العدل والحق المطلق .

٤ - مرونة المصادر والاصول .

وكل هذا قد اكسب الشريعة صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الامة في مختلف مراحل نموها ، وعلى أساس المحافظة على اصالتها وروحها في تطورها وتطور الانسان الشامل .

(٢)

أصول الشريعة الإسلامية جاء بها القرآن وفصلتها السنة النبوية ثم جاء دور الفقه ، وهو العمل الذي قام به الفقهاء الذين فصلوا هذه الشريعة وقتنوها واستنبطوا الاحكام الإسلامية العملية من القرآن والسنة وقد مضى هذا العمل في نماء حتى جاء الأمام الشافعي

فوضع قانونا للأحكام اطلق عليه بعد ذلك (علم اصول الفقه) أصبح من بعد بمثابة المنهج الذى تسير عليه أعمال الفقه الاسلامى ، وهو العلم الذى يبحث فى الأدلة الشرعية وفى طرق استنباط الأحكام منها .

وقد نشأ الفقه الاسلامى بعيدا عن المؤثرات الأجنبية التى تخالف روح الاسلام اذ نشأ فى كنف الجور الاسلامى العام ، وهو يعبر عن أبرع محاولات العقول تعاليم الاسلام وحياة المسلمين فى الأقطار المختلفة ، لذا

نرى الخلافات بين الفقهاء كانت تدور حول تفسير الآيات القرآنية أو صحة الأحاديث النبوية أو مواضع المجتمعات المختلفة بين مجتمع كالمدينة ومجتمع كالعراق والشام وبصر وتدل كثرة مذاهب الفقه الاسلامى على سعة المحاولة لتكيف الأحداث من وجهة نظر الاسلام وقد جاء الخلاف بينهم نتيجة رغبة الفقهاء فى ضرورة الحرص على بقاء الجماعة الاسلامية أخذة بالاسلام فى منهاج حياتها اليومية .

قضايا الشريعة

(١)

نظرية النسبية الأخلاقية وقضية تطوير الشريعة

ويقول ابن القيم : ان الاصل فى العنود كلها انها هو العدل الذى بعثت به الرسل والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم ، وعن الميسر لما فيه من الظلم ، وكلاهما اكل أموال الناس بالباطل ، وكل معاملة نهى عنها الاسلام فهى ظلم ، واغتصاب لثمرة جهود الآخرين وكل معاملة أجازها فهى عدل . هذا هو المبدأ الذى يراد تطويره لكى يوافق الفلسفة النسبية ، ثم (الايثار) كيف يمكن تطويره فالاسلام يقدم مناهج اجتماعية متكاملة تضمن لجماعته حياة انسانية كريمة ، وخاصة حقوق الشيوخ والمقعدين وجميع الفئات التى لا تستطيع أن تعمل ، يوجب على الحاكم المسلم أن يأخذ لهم حقوقهم من أصحابها اذا لم يبادروا الى تقديمها طوعية واختياريا ولا يتقف الاسلام عند حدود ذلك بل يدعو الى مزيد من البذل والعطاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة أو العطاء مع الحاجة ، هذا هو المبدأ المطلوب تطويره بغية افساح المجال للأخلاق النفعية الفردية الانانية التى تسود اليوم المجتمعات الاوربية ، هذه هى دعوة الذعورين من تطبيق الشريعة والداعين الى استيراد منهج الحياة الاوربية .

« ان صيحة تطوير الشريعة ، تغيير الأخلاق ، تطوير العقائد ، الغناء الثوابت ، صيحات ترددت أصداؤها فى العالم الاسلامى ، وهى ليست بالفلسفة الحديثة أو المعاصرة فقد كانت تمثل لباب الفلسفة السوفسطائية التى ظهرت قبل سقراط والتى انكرت وجود الحقيقة العلمية كما انكرت القيم الخلقية الثابتة الدائمة المطلقة .

ارتفعت الصيحة عن طريق كتابات العلمانيين والتغريبيين حول دعوى تطوير الشريعة فى جملة دعواهم الى تطوير الدين وتطوير اللغة وغيرها وهى قضايا غربية متصلة بالفكر الغربى الذى اثار كثيرا من القضايا المرتبطة بمفهوم المسيحية الغربية وعلاقتها بالمجتمعات الاوربية وصلة الكنيسة بدوائر العلم والحكم فيها وهى قضية يقف منها الاسلام موقفًا حاسمًا فالاسلام دين ربانى عالى خالده قائم على أسس واسعة قادرة على متابعة ، تغيرات المجتمعات والعصور ومن ثم فانها تستطيع استيعاب مختلف الظروف والاموضاع دون أن تخرج عن أصولها الاصلية وثوابتها القائمة فعلا ، وانما تجرى الحركة دائما فى اطار الثبات .

وعلاقة الشريعة الاسلامية بفلسفة التطوير بمفهومها الشامل — كما يقول الدكتور أحمد عبد الرحيم ابراهيم — هى علاقة تضاد ، ذاك أن الشريعة جاءت لتبقى والى الابد فى حين تصر فلسفة التطور الشامل على نبذ كل ما يمت الى الماضى والغناء كل الحقائق الثابتة كما جاء فى المنافستو الشيوعى ١٨٤٨ .

لقد كشف لنا المنهج الاسلامى عن طابعين : (الأول) هو التشريع وجوهره العدل (خذ ثمرة جهديك وتحمل تبعه أخطائك) .

(الثانى) الأخلاق وجوهره الايثار وشعاره أعط غيرك من ثمرة جهديك . (من عمل صالحا فلنفسه) ، (الا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى) .

ومعنى ذلك أن كل شيء ينبغي أن يتغير بل يجب أن يتغير تبعاً لتفسير القوى الحاكمة والمؤثرة في المجتمع ، والنظم والتشريعات ليست استثناء من هذه القاعدة فالتغيير والتبديل والالغاء والتطوير بعض منها ، ثم مانت الفلسفة السوقسطانية النسبية وأقيمت على انقاضها مذاهب أخرى شيدها سقراط وافلاطون وارسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الاخلاقية ، وفي العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية في ثوب جديد على يد (تشارلس دارون — ١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفي مجال جديد هو علم الحياة (البيولوجى) قال دارون : ان الانسان شكل متطور عن القردة والفردة شكل متطور عن حيوانات ارقى وهى بدورها شكل متطور عن كائنات ارقى وبسلسل التطورحتى ينتهى الى أدنى أشكال الحياة ومع الحملة على الأخلاق ، ويعتبر المناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم أعداء الدين في الغرب والشرق أن نظرية التطور هى السلاح الذرى الذى يمكن أن يسبق أعداءهم ويفتح الباب على مصراعيه لفلسفتهم النسبية التى تنادى بتطور كل شيء ، وتدين بالعداء والمقت لكل ثابت وللدين على وجه الخصوص ، واذا كان العلم يقول ان كل شيء يجب أن يتغير ويتطور فان على الدين أن يستجيب لنداء العلم ، هذه الاستجابة تبدأ بتقطيع الاجزاء النالية من الدين وهى : التشريع الدينى والأخلاق الدينية واحلال الشريعة الوضعية والأخلاق الوضعية محلها واذا اقتنع المتدينون بهذه الخطوة الاولى تيسر اقتناعهم بالخطوة النهائية وهى نبذ الايمان بالله وبالكعب السماوية ، ونبتشة أبرز ممثل للفلسفة النسبية في مجال الاخلاق واعدى أعداء الدين . وأخلاقيات الدين ، وقد اتسمت فلسفة التطور بالطابع الحماسى الانفعالى حتى وجدنا (ارنست هيك) العالم البيولوجى يزور الأجنحة ليثبت وجود تشابه بينها وتبعاً لذلك يثبت وجود تشابه بين أنواع الحيوانات في الماضى السحيق ، وبذلك تنتصر فلسفة التطور وقد كشف زيف هيك ، ولم تجد الفلسفة النسبية في الاخلاق (وفلسفة نيتشة أحد مذاهبها) رواجاً كبيراً لدى فلاسفة الاخلاق ، وقد ارسى عمانوئيل كانت (١٨٠٢) قواعد الأخلاق الثابتة المطلقة قبل ظهور دارون ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضاً مطلقاً للأخلاق عند كانت لا يمكن ان تلزم احداً الا اذا كانت مبادئها ثابتة لا تتغير . « ومن هنا فان تطوير الشريعة فكرة غريبة ثبت افلاسها » .

« فقد انتهت الفلسفة الأخلاقية الاوربية المعاصرة الى الرفض القاطع للسببية وأكدت على ثبات القيم وقال (ساكس سيلر ويلكورى هاريمان) ان القيم

الأخلاقية مثل القيم الرياضية في ثباتها ورسوخها اما في الشرق الاسلامى فقد شكلت فلسفة التطور تياراً قوياً استمد الطاقة من فلسفة دارون وفلسفة أوجست كونت (الوضعية المنطقية) والفلسفة الماركسية وحركة الاستشراق المعادية للاسلام ، وفي الوقت نفسه ادار أنصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الاوربية التى تقول بثبات الاخلاق واطلاقها وثبات القيم الانسانية الأساسية وثبات التشريع تبعاً لذلك وتجاهلوها تجاهلاً تاماً ، ولقد كان واضحاً منذ البداية وحتى اليوم ان أنصار التطور في الشرق الاسلامى لا هدف لهم سوى احلال الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاوربية محل الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاسلامية وقد أدركوا أن هذا الهدف لا يمكن أن يتحقق الا اذا نجحوا في اقناع الناس بأن التطور الذى جاء به (دارون) مبدأ كونى شامل وليس خاصاً بعلم الحياة وبأنه ليس سوى مجرد نظرية ظنية بل حقيقة تجريبية ، معملية ، وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والأخلاق ، وأن يطبق على كل علم وأدب وفن بما في ذلك تفسير القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطور الكونى الشامل ولم يذكر أنصار التطور حيواناً واحداً تحول من نوع الى نوع ، بفضل الانتخاب الطبيعى ، ولم ير الناس أى تطور من أى نوع كان في الاحياء الموجودة على ظهر البسيطة من آلاف السنين ، والسؤال : (كيف ظهر الانسان عقب ظهور القردة) لا يزال يتردد حائراً على السنة العلماء وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من أدبائنا وكتابنا اندفاعاً حماسياً الى تبني (فلسفة التطور) الشامل وجرى في أثرهم عدد من علماء الدين استهوتهم العبارة السهلة التى تقول ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وجرت أقلام عديدة بعبارات مثلها أو قريبة منها ، فقال قائل : ان الاسلام دين لين يستطيع أن يوفق بين روحه وبين كل مظاهر الحياة وأن نجد في نصوصه ما يسائر الأطوار المختلفة التى تخطاها البشرية في عصورها المختلفة ، وقال الثائلون أيضاً : ان من الممكن أن نوفق بين الاسلام وبين حضارة الغرب وثقافته على اختلاف الأصول والوصول على أساس ان التطور هو روح الشريعة الاسلامية ومن هؤلاء ضياء كوك الب (تركيا) اسماعيل مظهر (مصر) والغالبية الساحقة من أساتذة الفلسفة وعلماء الاجتماع ، وجميع من اعتنقوا الفلسفة الشيوعية التى أعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثابتة مع الغاء الملكية الفردية في المانفستو الشيوعى ١٩٤٨ ولكن الحقيقة لم تعد من يعرفها ويتبناها ويدافع عنها .

وقف في المواجهة : جمال الدين الافغانى ، محمد رضا آل العلامة الاصفهانى ، الدكتور بشارة زلزل ،

والدولية ونحوها ، وهى التى يفصل أحكامها الفقه الإسلامى بمختلف مدارسه ومذاهبه .
وهذه ذات مستويين :

١ - مستوى يمثل الثبات والدوام وهو ما يتعلق بالأسس والمبادئ ، والأحكام التى لها صفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبوت ، القطعية الدلالة التى لا تختلف فيها الأفهام ولا تتعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال .

٢ - ومستوى يمثل المرونة والتغير وهو ما يتعلق بتفصيل الأحكام فى شئون الحياة المختلفة وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والإجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى منها نصوص قطعية بل إما أن تكون فيها نصوص محتملة أو تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تعالى من غير نسيان .

ومن الناس من يتوجس خيفة من المناذرة بالرجوع الى الفقه الإسلامى واتخاذة أساسا تشريعا وقضائيا ، ومصدر الارتياح والتوجس هو الأساس الربانى والصفة الدينية للفقه الإسلامى فمن المتفق عليه أن المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى أن يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمود ، وأن تقف العقول البشرية أمامه موقف التسليم والاتباع لا وقفة الابتكار والابداع إذ لا مكان للعقل أمام الوحي ولا مجال للاجتهاد فى تقرير النص ، وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

والعارفون يعلمون تمام العلم أن من يقول هذا الكلام لا علم له بالفقه الإسلامى وخصائصه ومميزاته ، التى هى ثمرة خصائص الإسلام نفسه ، فإن من أبرز هذه الخصائص أنه يجمع بين الثبات والمرونة معا فى تناسق محكم وتوازن فريد ، فلم يمل مع القائلين بالثبات المطلق الذين جمدوا الحياة والانسان ولم يمنحوا الى العاملين بالتغير المطلق .. كذلك الذين لم يجعلوا لقيمة ولا لمبدأ ولا لشيء ما ثباتا أو خلودا بل كان وسطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء ، فالاصول الكلية ثابتة خالدة شأنها شأن القوانين الكونية التى تمسك السموات والأرض أن تزولا والفروع الجزئية مرنة معبرة فيها قابلية التطور شأن ما فى الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الانسان والحياة وما ينطلق الفكر الى الحركة والتطور والتجديد ومعنى هذا أن فى الفقه منطقة مغلقة لا يدخلها التغير أو التطور هى منطقة الأحكام القطعية وهذه هى التى تحفظ على الأمة وحدتها الفكرية والسلوكية . ومنطقة مفتوحة هى منطقة الأحكام الظنية ثبوتها ودلالة وهى معظم أحكام الفقه ، وهى مجال الاجتهاد .

ابراهيم الحورائى وغيرهم من النصارى والمسلمين وكانت معارك شرسة لا يزال نغمها عاليا فى حياتنا الثقافية ، ويحاول أيضا التطور اشغالها من جديد كلما ألحت الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية وتفتح لها مجلاتنا وصحفنا صدرها وقد كشف أكاذيبها حجب الراى المعارض فأثمة الراى الهوى ، وعلى الصحف ألا تحمى الراى الواحد » ا . ه .

عن بحث الدكتور أحمد عبد الرحمن

(٢)

ان تجربة أتاتورك فى إلغاء الأحكام الشرعية (حتى فى الزواج والطلاق والميراث) انطلقت من محور أساسى مغلوط هو أن القوانين الشرعية أساسها الدين وأن الدين ثابت لا يتغير ، وكان عدم التغير فيه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ولهذا فى رأيهم أن يبقى الدين (وجدانيا) أى علاقة بين ضمير المرء وربّه ولاصلة له بالحياة والمجتمع والدولة ، وأن تكون نظم الحياة مسئلة من مقتضياتها فى التحول والتطور ، وليست قائمة على أسس دينية جامدة تحول دون ترقى الأمة وتطورها وتمثيها مع مقتضيات المدنية المعاصرة ، فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحض ؟ ويجب على هذا التساؤل الخطير الدكتور يوسف القرضاوى فيقول :

هذا التبرير من جهة نظر العقل والعلم المحض يقول لا ، ومنطق العقل والعلم والواقع يؤيدنا ، لقد افترض التقرير أن أحكام الدين كلها ثابتة لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال ، كما افترض أن الحياة كلها متغيرة متحركة لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجوه وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) فليس صحيحا ان كل أحكام الدين ثابتة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها وطروء التغير عليها فمن أحكام الدين ما يتعلق بالتعاقد التى تحدد نظرة الدين الى الله (جل شأنه) والكون والحياة والانسان ، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير ، ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التى تحدد صلة الانسان العملية بربه ، وهى التى تعتبر أركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه فى أسسها العامة ثابتة وان كان الاجتهاد يدخل عليها فى كثير من التفاصيل . ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية ترغيبا فى الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تتميز بالثبات أيضا فى مجموعها وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها لتستقر معها الحياة وتطمئن العقول والقلوب ..

بقى أمر نظم الحياة الاجتماعية مثل نظام الأسرة والمواثيق ونحوها ، ونظام المعاملات والمبادلات المالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والإدارية

فساد نظرية علم الجريمة

العقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية . ولقد اوضحت البحوث والتجارب العملية خطأ هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملا اضطراريا فقد اتضح أن الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية أكثر ميلا الى اقتراف الجرائم منهم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية واختفت التدابير العلاجية في الحيلولة دون الجرائم بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف العقوبات وقد اجمع الباحثون على أن (الحدود) لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ولكن لحماية المجتمع المسلم ووقايته ، ذلك لان المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية تعنى أول ما تعنى بالتربية الاسلامية للفرد والشورى في الحكم والطاعة من غير معصية للحاكم ورفض الاستبداد السياسى .

(٤)

قضية الاسلام والسياسة

أمور الحكم سواء في الولاية العامة أم في القضاء ، وقدم نظاما للحاكم لادارة شئون الرعية دون أن يسمى ذلك اقام للسياسة في الدين وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاكما ورئيس دولة ، وقد عقد المعاهدات وأرسل الجيوش وكتب علماء المسلمين عشرات الكتب في السياسة الشرعية .

وقد جاء أحياء هذه السنة بعد أن حجها النفوذ الغربى على أن أيدى الاخوان المسلمين دليلا على صدق الدعوة وعلى أن الاسلام دين ودولة ومصحف وسيف وعبادة وجهاد وحكم وقضاء وتجارة وأخلاق ولم يكونوا بذلك مبتدعين كما ادعى بعض كبار المحامين ولقد حجب النفوذ الغربى سلطة الحكم وشئون السياسة ونظام الشريعة الاسلامية في القضاء والحكم والاقتصاد جميعا حتى يفرض نظام وافد على هذه الأمة وكان لابد أن يحيى الله تبارك وتعالى على يد دعائه هذه السنة من جديد فيتنامى أمرها حتى تصبح بعد أكثر من خمسين عاما مطلبا شعبيا اسلاميا عاما لا يستطيع أحد تجاهله أو الابتعاد عنه .

ولقد حاول البعض بعد فتنه كتاب (الاسلام وأصول الحكم) الذى نقله الشيخ على عبد الرازق عن المستشرق مرجليوث اليهودى كما ثبت من النصوص أن يدعى أن هناك مذهبين في الاسلام : أحدهما يقول بأن الاسلام دين ودولة والاخر يقول بأن الاسلام دين عقيدة فحسب .

نظرية العقوبة في الشريعة الاسلامية تقوم على الاعتقاد بأن الانسان مخلوق يستمتع بالخيار الكامل في أفعاله وهو يقتترف الجرائم بارادته وسنبق قصده ولذلك لابد من انزال العقوبة التي تكون عبرة ونكالا للآخرين فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به وطبقا لهذا التصور قررت الشريعة الاسلامية قتل قاتل العمد وهذا ما يكذب النظرية التي ظهرت في أوربا في نهاية العقد الثامن عشر باسم (علم الجريمة) وادعت أن الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطرارى وأن سبب الجريمة يكمن في أحوال الحياة والأمراض العقلية والعسر المادى والأحوال الاجتماعية وطالبت باعتبار المجرم مريضا ومعالجته بدلا من معاقبته ، ولقد حظيت هذه النظرية بقبول عام في الغرب والغيت

تواجه الشريعة الاسلامية حملة ضارية في الوقت الذى تفتتح فيه العقول والقلوب لفهم الحقيقة التي أصبحت حتمية في وجه الأعصار الشديد الذى يواجه المجتمعات الاسلامية اليوم والذى يجعل القوانين الوضعية عاجزة عن تأمين هذه المجتمعات وحياتها بعد أن انتشرت تيارات العلمانية والمادية والاباحية عن طريق وسائل التسلية والترفيه التي حملت سُموم الجنس والجريمة على نحو خطير .

هذه الحملة يقودها بعض رجال القانون الذين كانت بينهم وبين الدعوة الاسلامية في وقت من الاوقات مواقف ناتجة عن الغرض الشخصى أو الحسد أو الخلاف الذى يقع دائما بين الهيئات والأحزاب وقد تأتى هذه الخصومة وهذا الخلاف نتيجة عدم الاحاطة بأبعاد القضية ولكن الدعوة الاسلامية مازالت قادرة على مواجهة هذه الحملة المسعورة برجالها الذين يؤمنون بأن الشريعة الاسلامية ليست هى أمل المسلمين وحدهم ولكنها أمل البشرية كلها اليوم .

ولعل أخطر القضايا التي تثار اليوم هى مسألة ترابط الاسلام والسياسة وهى قضية يستمد الخلاف فيها مفاهيمه من العلاقة بين المسيحية والسياسة على النحو الذى جرى في الغرب وانتهى الى الفصل بينهما . والمعروف أن المسيحية انسلخت من الشريعة اليهودية التي هى جزء منها ومن ثم لم يعد لها منهج حياة خاص ، أما الاسلام فقد جاء دينا شاملا منظما لكل جوانب الحياة والحكم جزء منه ، وقد نظم الاسلام

الايرائية أو رغبة في التخفيف على القضاة العلمانيين الذين يخشون من أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيعيدهم مرة أخرى إلى دراستها ومن هنا تنطلق دعوات مسمومة تقول باعادة النظر في القوانين القائمة وحذف ما يخالف الاسلام منها وهي محاولة ظالمة لان منطلقات القانون الرباني تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن منطلق القانون الوضعي الذي صنعتة عقول البشر وفيه أهواؤهم ومطامعهم وشهواتهم .

كذلك فان الاسلام لا يقرر الحكومة الدينية ولم يعرفها في تاريخه كله .

(٥)

مقارنة الشريعة والقانون الوضعي

فاننا بذلك نكون قد أعطينا الفرصة لظهور جريسة الثأر لماذا ننسى المعتدى عليه وننادى بالرحمة للقاتل ، ان الشريعة قد أعطت للقاضي حرية تقدير العقوبة وذلك في الجرائم التي لم تقرر لها عقوبة محددة ، انه ليس لأي انسان كائنا من كان أن يشفع في جرائم الحدود والقصاص أو يشرع عقابا لهذه الجرائم أو يقول باستبدال عقاب بعقاب لان الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذه الاحكام أن يسد الطريق أمام الاهواء الشخصية والمنازعات العاطفية والاسلام لم يفرق بين شخص وآخر في توقيع العقوبة فلا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين مالك وأجير ، وبالنسبة للمسئولية الشخصية تجاه الفعل الإجرامي فالانسان مسئول عن فعله فقط (الا تزر وازرة وزر أخرى) باستثناء الدية التي تتحملها أسرة القاتل في حال العفو عن القصاص (عن بحث للدكتور بخيت حسنى وعبد الفتاح الشيخ) ويقرر الدكتور أحمد فتحي سرور بأن هناك اختلافا جذريا بين الشريعة والقانون الوضعي ، فالشريعة تنتمي لنظام قانوني يختلف كل الاختلاف عن القانون الوضعي ويبدو هذا واضحا في مصدر كل منهما فمصدر الشريعة ديني هو الله والرسول صلى الله عليه وسلم مفوض عنه . أما القانون الوضعي فمصدره وضعي : هو الانسان .

واختلاف الشريعة عن القانون الوضعي ناتج عن انه اختلاف بين نظامين ، فنظام الشريعة نظام الهى أما نظام القانون الوضعي فنظام بشري . ان الذين يتكلمون عن السياسة الجنائية يلاحظون ان أهم مظاهر التغيرات الاجتماعية هو اعتناق القيم المادية وهبوط القيم الروحية والشريعة تريد مواجهة هذا الامر حينما تجعل القيم الروحية والانسانية ذات الاولوية في الحماية ويرى الدكتور يوسف قاسم ان الله سبحانه وتعالى قد أنزل الشريعة لتحكم كل ما يطرا على وجه الكرة

وقد أخذ بهذا الرأي بعض رجال القانون أمثال عبد الحميد لطفي وعمر سرعي عن نظرية عجلى غير مستوعبة أو عن هدف نفسى خفى ، وقول من يدعى ان الديمقراطية هي الشورى وأن الاشتراكية هي العدل الاجتماعى قسول لا يرقى الى درجة المناقشة فيه لانه يسوى بين شريعة الله الخالدة وبين مناهج البشر ، وهو خداع ساذج ضال ، فان الاسلام منهج جامع متكامل يختلف تماما عن الديمقراطية والاشتراكية وان جاء فيهما ما يشبه مافى الاسلام بحكم انهما ظهرا بعد الاسلام بعدد من القرون ولكن ما أبعد الشبه وما أعجب المقارنة . وربما انطلقت هذه المحاورات نتيجة للتجربة

يحاول اعداء الشريعة الاسلامية اثاره التشبهات حول الحدود وفي مقدمتها قطع يد السارق وبدعو البعض الى أن العقوبة الجسدية (الحدود والقصاص) يمكن أن تستبدل بأنواع أخرى من العقوبات يتفق مع المبادئ المعاصرة على النحو الذى قال به (هانز نسيك رئيس الجمعية الدولية لقانون العقوبات) وهي دعوة الى احكام الشريعة الاسلامية وتطويعها لمجاراة القانون الوضعي وقد كشفت هذه التصريحات عن المطامع الخفية في الغرب نحو احتواء الشريعة الاسلامية بل أن القرار الذى اتخذته الجمعية العمومية لمحكمة النقض باستبقاء مالا يتعارض من القوانين الوضعية مع الشريعة الاسلامية ايضا هو محاولة لتفريب الشريعة الاسلامية وهو تيار بدأه الدكتور السنهورى منذ وقت بعيد وما يزال الغرب بقوة السيطرة على المجتمعات الاسلامية يرمى الى انقاذه واستمراره .

والمعروف أن هذه البدائل أو غيرها ليست ممكنة لان احكام الحدود والقصاص مقررة اما بالقرآن أو السنة ومن الواجب أن يذكر أن هذه الاحكام محددة بجواز العفو حيث حيب الاسلام للمجنى عليه أن يعفو عن الجاني وعندما يتسع نطاق العفو يضيق مجال القصاص .

ولقد جاء التشريع الاسلامى بخصائصه وأهدافه المنفردة عن التشريعات الأخرى لانه من صنع الله خالق البشر والعالم بما يصلح أحوالهم ويحفظ استقرارهم من احكام وقواعد وأنه لا جريمة ولا عقوبة في الشريعة الاسلامية الا بنص ولقد أحصى التشريع الاسلامى ذلك ولم يترك للقاضي حرية اختيار العقوبة . فلا يجوز للحاكم على سبيل المثال أن يعفو عن جرائم الحدود أو القصاص أما اذا تصرف القاضي في عدم القصاص

الارضية حتى تقوم الساعة وهو سبحانه وتعالى يعلم أن هناك أمعالا لا تتغير ولا تتبدل فالنفس الانسانية واحدة فى كل زمان وفى أى مكان وهناك جرائم كثيرة تقع للاعتداء على النفس كجريمة القتل والاعتداء على الاعراض ولذلك فقد وضع الحدود لامهات الجرائم التى لا يطرأ عليها تغيير ولا تبدل وهذه العقوبات من حدود وقصاص قد فرضت لمواجهة ما يستجد من اعمال اجرامية فى المستقبل فقانون الله مفتوح يستوعب كل ما يجد من أمور ، هذا هو المنهج الالهى فى التجريم والعقاب أما المنهج النبوى فى تطبيق المنهج الالهى فقد أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (أيها الناس من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . أما من يبين لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله) وبذلك يحذر المستهتر وكل من يخترق الحياء العام للمجتمع . أما من يستتر بستر الله فأمره الى الله . ومن هنا فتطبيق الحدود جفاء لردع المجرمين الذين يعكرون صفو المجتمع والشريعة لا تهدف الى العقوبة فى حد ذاتها وانما وضعت الحدود لتحذير من تسول له نفسه بانتهاك حرمة الناس أو الاعتداء على المجتمع بجريمته ، لذلك فتطبيق الحدود رحمة بأهل الارض جميعا . والفقه الاسلامى نظام كونه متكامل لا ينقص شيئا من النظم الفقهية الى يعاصرها . »

وقد أثار مؤتمر جامعة عين شمس للقانونيين : أن القانون المدنى الحالى لا يمثل الشريعة الاسلامية وهو مأخوذ من القوانين الفرنسية واللاتينية وقد جعل الشريعة فى المرتبة الثالثة ، والدور الذى تركه القانون لمبادئ الشريعة الاسلامية دور ضئيل كما انه لا يجوز الاخذ بحكم فى الفقه الاسلامى يتعارض مع مبدأ من المبادئ العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى فى حملته حتى لا يفقد التقنين المدنى تجانسه وانسجامه ، وليس القانون المدنى نقط هو الذى لا يمثل الشريعة الاسلامية بل كل قوانينها لا تمثل الشريعة الاسلامية .

أما قواعد الشريعة الاسلامية فهى مرنة وهناك نوعان من اصولها :

النوع الاول : يحكم المسائل الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهذا قواعد تفصيلية كالالتزام احكام الأسرة والحدود والموارث .

النوع الثانى : تتغير بتغير الزمان والمكان منها ما فصله الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالعبادات وبنها ما ترك لكل زمان ومكان ومصادر الشريعة الاسلامية مصادر قطعية لا يمكن مخالفتها وهى الكتاب والسنة وما اجمع عليه المسلمون .

ومصادر غير قطعية يجوز الاجتهاد فيها ، ويجوز الحكم فى المسائل غير المنصوص عليها فى الكتاب والسنة بنص قطعى أو اجماع عليها وقد جرى حصر أوجه التعارض والاختلاف بين النصوص القائمة فى القانون الوضعى وبين نصوص قطعية فى الشريعة الاسلامية وحصرت أوجه المعارضة فى موضوعات معدودات هيا :
١ - بيع التركة . ٢ - بيع الحقوق المتنازع عليها .
٣ - التقادم . ٤ - نظام الفائدة .

وأوجه التعارض بين القانون المدنى والشريعة الاسلامية ، تركزت فى مسائل الحدود وخاصة حد السرقة والزنا والقذف .

(لكثور محمد عمران)

(٦)

فى مواجهة تيارات العلمانية والقومية يتطلب الامر منا أن نكشف الحقائق الصحيحة فى هذا المجال لتكون مخرجاً للامة الاسلامية من الاحتواء والحصار الذى وقعت فيه نتيجة سيطرة مفاهيم الليبرالية والقومية عليها :

اولا : كان فصل الدين عن الدولة فى الغرب ختام الجولة الساخنة بين الكنيسة والدولة بالنسبة للانسان الاوروبى ، أما فى النظرة الاسلامية فان الدين والدولة لم ينفصلا فى حقيقة التعبير الاسلامى فهما حقيقة واحدة وليستا حقيقتين وهنا يكشف بوضوح أن فكرة الدولة فى الاسلام تختلف بصفة أساسية عن فكرة الدولة القومية الحديثة وأن كلا من هذين النوعين مختلف عن الآخر ، ففى حين أن الاسلام ينشئ الدولة كأداة لتحقيق الهدف الربانى فان الدولة القومية تصدر فى الوجود لسبب مغاير تماما ، أى لاستبعاد الله والاستعانة عنه (بالمصلحة - القومية) بل أن الحقيقة الرصينة تقول أن جميع الدول القومية تعد نقاجا للمدنية الغربية وفطرة السيطرة الاستعمارية .

(كلام صديقى)

ثانيا : ان الاسلام كنظام شامل للحياة لا يمكن ان يسود لو لم يكن هناك وجود سياسى يكون فيه معظم المسلمين مصممين على تطبيق الشريعة أو القوانين الاسلامية .

ان هدف الحكم الاسلامى هو تطبيق العقيدة (أى أوامر الله) وأن الشورى هى أساس النظام السياسى فى الاسلام وأن حقوق والتزامات المواطنين فى الدولة الاسلامية يتم تقريرها بواسطة الشريعة .

الباب الثامن

أسلمة الاجتماع

(١-ج) الاجتماع الإسلامى

قدم القرآن الكريم الاسس الرئيسية لعلم الاجتماع الإسلامى ..

- ١ - تقرير كرامة الانسان وفرديته . ٢ - قيام الأسرة وأصالتها . ٣ - الناس جميعا لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى . ٤ - المسؤولية الفردية والالتزام الاخلاقى . ٥ - الايمان بالبعث والحساب والجزاء . ٦ - السعى فى الارض وبناء الحياة . ٧ - تحرى الحلال والبعد عن الحرام . ٨ - تكامل القيم الروحية والمادية التى تشكل السلوك والاحاسيس والتصرفات . ٩ - الايمان بالله الواحد الاحد خالق كل شئ .

هذه هى القاعدة الاساسية لعلم الاجتماع الإسلامى الذى حجبته مفاهيم العلوم الاجتماعية الغربية الوافدة ، والذي بدأ كتاب الاجتماع المسلمون يعيدون صياغته من جديد استمدادا من القرآن الكريم ومتابعة لما قدمه ابن خلدون على ايمان راسخ :

اولا : بأن المجتمع الإسلامى يقوم على مفاهيم وعقائد وقيم يختلف عن المجتمع الغربى حيث يقوم المجتمع الإسلامى اساسا على وحدة الفكر وفق مفهوم عقلى وروحى مشترك وقد حقق الاسلام صهر جميع افراد المجتمع فى بوتقة واحدة بالرغم من تباين أصولهم واختلاف جنسياتهم وتمكن من صهر مفاهيمهم وثقافتهم فى اطار التوحيد الخالص . ثم تكونت وفق هذا حضارة لها طابعها الذى يتسم بالتكامل والوسطية والتوازن .

كما قدم القرآن منهجا جامعا لمفهوم التقدم وجعله هدف الحركة فى المجتمع الإسلامى نماء وعمرانا وسعيا الى الكسب الحلال وبناء الحضارة .

ثانيا : يقوم بناء المجتمع على اساس الحب ، التكافل ، الاخاء ويتبثل تكوين الفرد ليكون بنية صالحة فى بناء المجتمع .

فالانسان هو اعظم الاحياء وهو سيد الكون تحت

حكم الله ، ولذلك فهو موضع الاعداد السليم الكريم ليكون نموذجا حيا : رجلا او امرأة كتكوين أول وحدة من وحدات المجتمع ، هما وحدة الاسرة .

فبناء الانسان هو هدف كبير : اساس هذا البناء يقوم على أن يصبح الانسان شخصية سوية ويكون فى نفس الوقت لبنة فى بناء المجتمع ويتحقق هذا البناء فى مجالات ثلاث : هى الجسم والعقل والروح ويقوم ذلك اساسا على مبدأ التوافق بين الفردية والجماعية ، فالمجتمع فى خدمة الفرد والفرد فى خدمة المجتمع وهما يتكاملان .

ثالثا : يقوم منهج الحياة فى المجتمع على التقاء عاملى (الروح والمادة) فلا بد من جهد حيوى قوامه الحركة والعمل مرتبط فى نفس الوقت بايمان راسخ بالله ، ومن هنا يجرى العمل على اساس القيم الاخلاقية .

رابعا : اقر الاسلام قوانين دورة المجتمع البشرى : فابن خلدون يقرر أن المجتمع البشرى تطور من البداوة الى الملك الى الحضارة ثم الى الاضمحلال والفناء ويشبه حياة المجتمع بالجسم الحى ، الذى ينمو على مراحل ثم يضمحل ، وينحل حين تبلغ الغاية مداها ثم يعود المجتمع الى التكون مرة أخرى مارا بنفس المراحل .

خامسا : جاء الاسلام باعظم عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة اذا قام التكافل الاجتماعى على اساس الاخوة الاسلامية وهو طراز فريد من التعاطف الانسانى كان له اثره فى القضاء على العنصرية الطبقية . كما حرر العقيدة من التعصب المقيت ، وكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى يد فرد أو افراد ثلاث ، وهو نظام لا يقضى على نشاط الفرد وميله الغريزى للمبادرة والابداع كما يقيم التنافس على اساس القدرة والعدالة معا .

وقد حققت تجربة الحكم الإسلامى فى صدر الاسلام نجاحا باهرا فى خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة حيث تكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الاولى

على نقاء الضمير وقانون الاخلاق اللذين تحتتهما عقيدة
الوحدانية وشريعة الاسلام هذا التوازن بين الفرد
والجماعة هو الذى شققت الانسانية دون الوصول اليه .
فأما فردية مغرقة فى ذاتها أو جماعية جامدة تصب
الافراد فى قالب واحد من الميول والاهواء .

سادسا : ويقوم مفهوم المجتمع فى الاسلام على
والجماعة ويقيم التكافل الاجتماعى على أساس الاخوة
وهى طراز من التعاطف الانسانى من شأنه أن يقضى على
العنصرية والتفرقة الطبقة ويحرر العقيدة من التعصب .
ويعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها
فى يد فرد ، وهو فى نفس الوقت لا يقضى على نشاط
الفرد وبيله للابداع بل يقيم التنافس على أساس القدرة
والعدالة معا .

وقد حقق هذا المنهج خلق مجتمع متوازن تتكيف
فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة فبينما تكفل الجماعة
لل فرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة
الاولى على سلطان الضمير وقانون الاخلاق اللذين
يحتملها هذا التوازن بين الفرد والجماعة .

سابعا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد نقد
أمرين ١ - التعادل بين ثنائية الفرد نفسه وبين الفرد
والفرد من ناحية أخرى . ٢ - التوازن بين الفرد
والمجتمع كما يقر الاسلام طبيعة الانسان على حقيقتها :
مادية وروحية ، واقعية ومثالية ، وبذا لا يحول بينه
وبين متاع الحياة المادى ، ولكنه يحوط هذا الاعتدال
ودون أن ينتج عنه عدوان على حق الآخرين ودون أن
يتخذ الانسان ما يحصل عليه من جاه ومكانة وسيلة
لللظلم أو العدوان أو الافساد فى المجتمع .

ثامنا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد نقد
أقر الاسلام نظام الأسرة وهى اصغر وحدات المجتمع
حيث تقوم على أساس الزواج باشتراك فردين ذكر وانثى
فى حياة واحدة ، وهو نظام لا يقضى على فردية الرجل
أو المرأة ولا يطلب صهر أحدهما فى الآخر بل يستبقى
الخصائص الفردية لكل منهما دون أن تذوب أو تبنى .

الواقع القائم

ولا ريب أن المجتمع الاسلامى القائم اليوم مختلف
تمام الاختلاف عن هذا النموذج الذى أقامه الاسلام نتيجة
التغيرات التى أحدثها النفوذ الغربى عن طريق فرض
مفاهيمه وقيمه عن طريق التعليم المغرب وعن طريق
حجب الشريعة الاسلامية عن التطبيق وعن طريق دخول
أدوات التغير الاجتماعى الخطيرة فى مجال المعاملات
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وقد جاءت هذه الغزوة عن طريق تقليد مناهج
الغرب سواء الرأسمالية أو الماركسية ، وارتباط أساليب
السلوك والعيش فى المجتمع الاسلامى بهذه التقاليد
الوافدة .

ان المجتمع المسلم اليوم يضطرب اضطرابا شديدا
بتيارات عديدة من الانحلال والانحراف الذى يجرى
جريا مضطربا نحو الجريمة والاباحة فقد ضعفت زواجر
الدين وحدوده ، وخفتت عوامل الخوف من الحساب
والعقاب وانطلقت فى النفوس رغبات وأهواء ، وجاء
ذلك نتيجة تقبل أسلوب العيش الغربى ومفاهيمه دون
تقدير لما يصلح لمجتمعنا وما يجب أن نتجنبه . ولقد
تذفت المعاملات أموالا كثيرة من الحرام وتخاطف الناس
هذا المال دون تقدير لمصادره ، واحتالوا على امتلاكه ،
وكان لوسائل التسلية والنشر من صحافة وإذاعة وتلفاز
ومسرح اثرها البعيد فى تحويلات المجتمع نحو الخروج
من آداب الاسلام والتخفف من التقوى والخوف من الله
تبارك وتعالى ، وكان لهذا ارتباطات بمؤامرات
الصهيونية الزاحفة الى مجتمعنا ، وفق تخطيط مرتب
للفوذ الاجنبى منذ توقف النفوذ العسكرى والسياسى
الغربى وخفيت الوسائل والأدوات من وراء الصحافة
والمسرح والثقافة ، ومن خلال مؤسسات جديدة ،
وخاصة المخطط الذى رسمه الغرب جملة للسيطرة على
بلاد الاسلام وما قام به الأمريكيون من سيطرة على
البلاد العربية والاسلامية بعد انسحاب فرنسا وانجلترا
من المنطقة وقد رتبوا ذلك من خلال مؤسسات تبشيرية
خفية وراء مشاريع الأمم المتحدة وعن طريق المعونات
الخارجية وقد تنامى ذلك وارتبط مع الصهيونية العالمية
وسع نفوذ الشيوعية الذى سيطر على بعض البلاد
العربية سنوات الستينات وما بعدها وما يتصل بفرض
المفاهيم المادية ، ثم كان التحول من الماركسية الى
الانفتاح الاقتصادى الذى أعطى طريقا للدفاع نحو
الحرام والانفاق على المحرمات .. اننا ننظر الى
مجتمعنا الاسلامى فنجد عدة تيارات خطيرة ..

- تيار المخدرات وله قصة طويلة .
- تيار القمار وله قصص مذهلة .
- غلب الليل التى دخلت القضاء وكشفت عن
فنانات وقوادات .
- تسجيلات الفيديو التى حملت البوم أفلام
الجنس الخطير الى البيوت والى مخادع النوم .
- رحلات السياحة .
- أفلام الجنس والجريمة التى بلغت غايتها فى
الهبوط .

وتتم المجتمعات الإسلامية اليوم بحالة من القلق الاجتماعى والفكرى تغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب طلاب العلم ومساوىء العصر تنكشف الآن أمام الجيل الجديد حين يرى أن هذا الجيل ليس موضع تقدير الأجيال من حيث المثل الأعلى ، وهناك البيت الإسلامى وفساده واضطراب علاقات الرجل والمرأة واضطراب القدوة فى الأب والقدوة فى الأم ، وأثر التعليم (العلمانى) وخطر وسائط الإعلام والسينما والمسرح والاذاعة والتلفزيون والصحافة .

ولا شك أن المجتمع الإسلامى يعانى من أزمة أخلاقية كانت نتيجة لعهد من التسلط والاستبداد أهدرت فيه القيم وامتتهنت الحريات وديست الكرامات وكانت كلمة الحق تهوى بصاحبها الى جحيم الضياع والحرمان والعذاب والهلاك فكان من الطبيعى أن تقوم حياة المجتمع على النفاق والخداع والاحتيال والتدليس .

واننا لنجد عشرات الاتجاهات والمذاهب والمدارس التى ظهرت فى المسرح والسينما والفنون التشكيلية والعلوم الإنسانية كذلك فان صراعات الدول الكبرى تتمثل فى مذاهب فلسفية وتيارات فنية فى الرواية والقصة والقصيدة والشعر والنقد ومدارس جديدة فى المسرح والسينما والتصوير والنحت تندفق على المجتمعات الإسلامية الأفلام الأجنبية (فى الجريمة والجنس) وحيث تستورد البلاد ٨٤٪ من الأفلام ، وأغلب الأفلام من أمريكا ، ويتجه مضمون الأفلام المستوردة الى الترفيه وتقديم الجريمة والمغامرات البوليسية ويجسد التلفزيون العنف على شاشاته تجسيدا يغرى النشء بصفة خاصة لممارسته ، ويوسع دائرة الجريمة لما يكشف من أساليبها وخفاياها كثيرا له أبعد الأثر وخاصة عند ضعاف النفوس وهو مما يشيع الخمول بين الصغار والكبار ويولد حالة من السلبية وينشئ جيلا من الأميين لادمانهم على المشاهدة ويقضى على عادة الاطلاع والقراءة وقد استطاعت القوى الأجنبية أن تستخدم هذه الوسائل فى افساد المجتمعات وترمى بعض الجهات أن تجعل من هذه الوسائل ملهاة تلهى النفس عن واقع الأمور الجارية .

المؤامرة على المرأة المسلمة

لقد تبينت للمرأة المسلمة فى السنوات الأخيرة مجموعة من الحقائق كشفت لها وجه الحق فى تلك المؤامرة الضخمة التى أطلق عليها (حركة تحرير المرأة) وأثبتت الوقائع والاحداث والوثائق الخطبة التى دبرها

النفوذ الغربى لهدم الأسرة المسلمة ودفع المرأة المسلمة الى ميدان الفواية تحت اسم الحرية وهو بذلك يرمى الى تدميرها وجعلها أداة من أدوات المتعة بينها يرمى بها الاسلام الى أعلى الذرى .

أولا : حرر الاسلام المرأة من الرق البشرى الذى اتسمت به مفاهيم العلاقة بها فى الأديان الأخرى وفى الغرب حتى العصر الحديث .

فقد قامت الحضارة الغربية على قاعدة أن (المرأة بتعة) وهو مفهوم رومانى قديم يستمد جذوره من الحضارة الاغريقية القائمة على الفحش والشهوات ومن هنا فقد كان الاتجاه الغربى كله ولا يزال قائما على تحسين هذه المتعة وبهرجتها فى ملابسها وحركاتها وكتبائها وقد زينوها وأناموا لها كل ما يتصل بما يريده الرجل فى متعته منها وفى نفس الوقت حرموها من الحقوق الحقيقية ، فالقانون لا يخصها حق ابتلاك ارادتها وحتى الآن لا تأخذ القدر الذى يأخذه الرجل وان كانا يعملان عملا واحدا ولا تستطيع أن تأخذ شيئا الا باذن زوجها أو والدها .

ثانيا : تبين أن المقصود من (تحرير المرأة) فى نفوس دعاة التغريب من المسلمين هو تحريرها من دينها وخلقتها وعادتها وعندما تكشف زيف هذه الدعوى استطاعت المرأة المسلمة أن تعرف وجهتها الحقيقية ، وأن تتمسك بالحدود والضوابط التى أقرها الاسلام راضية مطمئنة ايمانا بقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم خيرة من أمرهم) .

ثالثا : ان المرأة الغربية لما عرفت الاسلام خالفت نساء قومها اللاتى لا يحترمن أجسادهن ويظهرون مفاتنها للناس جميعا ، حيث تقول احداهن وهى تسال عن ضيق ملابس المرأة المسلمة : تقول :

لابد أن أكون تملها كالاسلام مادمت قد اعتنقته عن ارادة واختيار والا أكون كاذبة ولماذا اكذب ، ان احدا لم يجبرنى على الاسلام ان جهادى فى الاسلام هو التصدى لتصحيح سوء الفهم عن حسن نية أو عن سوء نية الذى وقع فيه بنو موطنى من علماء الاستشراق .

رابعا : آمنت المرأة المسلمة بأن التضحية بتحديد الأبناء فى سبيل العمل لزيادة الموارد جريمة كبرى ، وقد كشفت الأبحاث صحة ذلك وفى مقدمة ذلك بحث الدكتور ابدا لين (جربه ايفننج استاند) الذى بنيت فيه أن سبب الإزمات القاتلة فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق ، مما يستدعى

عودة الابهات فوراً الى البيت حتى يعود للاخلاق
حرمها وللبناء الرعاية التي حرمهم منها رغبة الأم في
أن ترفع مستواهم الاقتصادي .

خامساً : أثبتت الأبحاث التي أجراها المركز
القومي للبحوث الجنائية ، أن التقصير في رعاية الأبناء
هي المشكلة رقم واحد في حياة ٨٣ في المائة من النساء
العاملات فضلاً عن المشاكل الأخرى وهي :

١ - عدم رعاية الزوج . ٢ - التعرض للاختلاط .
٣ - الجمع بين العمل وأعباء المنزل . كما أظهر البحث
أن ٥٢ في المائة يؤيدون عودة المرأة العاملة الى المنزل
خلال فترة تربية الأطفال ، ذلك أن أكبر قدر من أجزائها
يضيع على استخدام وسائل النقل والاستعانة
بالشغالات .

وتقول الدكتورة ناهد رمزي أن المجتمع مازال
يلعب دوراً خطيراً وسلبياً في علاقة المرأة بالعمل في
مفاهيمنا وقيمنا الثقافية التي مازالت ترى أن العمل
قيمة (ذكرية) .

سادساً : تبين أن المناهج الدراسية تعامل المرأة
ساملة الرجل ولا تقدم لها مناهج خاصة تربي فيها
وجدانها وكيانها الانثوي ولا تعنى بمهمتها الحقيقية وما
يتعلق بالزوج والطفل والأسرة .

سابعاً : أن قضية المساواة بين الجنسين قضية
باطلة أساساً من ناحية محاولة تصور الرجل والمرأة
وكأنهما جنس واحد ، دون مراعاة التركيب البيولوجي
والمهمة الأساسية لكل منهما على النحو الذي نظمته
القرآن الكريم (الذي قرر القوامة للرجل وجعل له
درجة تمكنه من قيادة السفينة ، فالالتزام الإسلامي
يؤكد على تبادلية الاعتماد داخل الكيان الاجتماعي ،
والتمايز في الأدوار ، هذا التمايز القائم على نوع الجنس
باعتباره تكاملاً داخل النسق الأسري وليس باعتباره
للتفضيل بين جنس وآخر على أساس أن التفرقة بناء
على لأفضلية أمر مرتبط بتقاليد الغربى في العصور
الوسطى ولا يتوافق مع مبادئ العدل والمساواة في
الرؤية الإسلامية ، (على حد تعبير السيدة لويز لمياء
الفاروقى) .

ثامناً : أن تعدد الزوجات في الإسلام ليس تجنباً
ولا انتهاكاً للاحترام الواجب لوضع المرأة ، بل هو
تشريع يمتاز بالتيسير على خلق الله واستخدامه ، من
حيث أساسه تقوى الله ، وهو بعيد كل البعد عن
التصور الغربى له .

الأسرة المسلمة

قدر الإسلام أهمية الدور الذي تقوم به الأسرة
ونظامها في البناء الاجتماعي . فالإسلام يرى في الأسرة

منطقة انطلاق أساسية لاي إصلاح اجتماعي وعلى أي
مستوى وتعامل هذا بما انتهى اليه الغرب من أضواء
الشرعية على النزعات الجنسية والمتمردين مما قضى
تدرجياً على الدور البنائي القيمي للأسرة (جيب ١، مفتى)

فوضع المرأة المسلمة في المجتمع الإسلامي مدخول
نتيجة سيطرة المفاهيم والقيم والثقافات عند الإسلام
الوافدة على المجتمع ، وما تزال البلاد الإسلامية تعاني
وتناضل من أجل التحرر من تأثيرات القوى العلمانية
وان كانت قد استسلمت لأنماط السلوك والعادات .

ولابد للباحث المسلم من تحذير واسع للخطر الذي
يهدد الأسرة المسلمة التي أصابها كثير من الاضطراب
نتيجة الانحراف عن قيمها ومفاهيمها الأصيلة ، ولابد من
العودة الى الالتزام بتشريعات الإسلام للأسرة .

١ - تيسير الزواج بين الشباب والشابات .
٢ - غرس قيمة الإيمان بالله في نفوس أفراد
الأسرة .

٣ - قيام الوالدين بمسؤوليتهما في حماية أبنائهم
من الانحراف وتنقيتهم وتقديم الأسوة الحسنة والقوة
الطيبة .

بناء الطفل المسلم

في طريق أسلمه المناهج تجدنا في حاجة شديدة
الى بناء الفرد المسلم منطلقاً الى بناء الأسرة المسلمة
فالمجتمع المسلم ، وتجرى عملية الغزو في مجال الطفل
المسلم على نحو أشد قوة وأبعد مدى ذلك لان
بروتوكولات صهيون (أساس عملية التغريب والغزو
الثقافي) قد أشارت الى ضرورة الاهتمام بالأطفال ونقلهم
من محاضن الإسلام الى مجالات الأغراء والتدمير ومن
هنا ظهرت هذه القصص المنحرفة التي تلقن للأطفال
سواء عن طريق المسرح أو السينما أو أدوات الإذاعة
أو القصص المكتوبة حيث نجد سيلاً عارماً من هذه
الأدوات الغازية تحاصر أطفالنا وتقدم اليهم السموم في
أوعية خلابة براقة تخطف أبصارهم فيقبلون عليها في
نهم شديد في غياب البديل عن الساحة التي تحميمهم من
خطر الثقافات الوافدة على حسمهم ونظرتهم وذوقهم ،
ومن شأن الاستسلام لهذه التيارات - كما يقول
الاستاذ عبد الرحيم محمد إبراهيم في رسالته (الغزو
الفكري للطفل المسلم وكيف نواجهه) أن تحيلهم الى
نسخ محشوة من الأفكار والعادات والتقاليد الأوروبية
التي تناسبهم فينشئون وقد أهدرت شخصياتهم وأصبحوا
غرباء عن ثقافتهم ومجتمعهم فتقطع صلتهم بجنودهم
ويصبحون قابلين للصباغة في قوالب جديدة وفق المخطط
الاستعماري المعد بذكاء ودهاء ومكر .

ويتحتم على رجال الدعوة الإسلامية العمل على بناء أدب الطفل الإسلامى فى مواجهة أخطار الفكر الوافد المنشور الآن فى طول البلاد الإسلامية وعرضها وأن تقوم صحافة إسلامية لحماية الطفل المسلم وتوجيهه واختبار المادة الملائمة للسن ، وتبسيطها بالطريقة التى يستوعبها عقله وأن يقدم بأسلوب مشوق للمتابعة ، وخاصة فى مجال الأحداث التأثيرية والبطولات الفردية والشخصيات الإسلامية فى مجال الشجاعة والبناء ، ويقوم الألب الإسلامى للطفل على أساس حماية هذا الطفل من الأخطار التى تواجهه فى مطالع حياته وفى بدء اتصاله بالمجتمع على تدرج وببساطة وبعيدا عن الحشو والتعقيد وتخويف الأطفال بالنار وأن تقدم لهم صورة بأسلوب بسيط يرمى الى كسب الثواب واجتناب الأخطار والحث على السلوكيات الجيدة ، وأن تكون الواجهة مستمدة من الأسلوب القرآنى الذى يجمع بين الترغيب والتحبیب فى الثواب كما يجب حمايتهم من الآراء المثيرة للجدل والاستغراب ، ومن أسلوب الانفعال .

وأخطر ما نحى منه الطفل تلك القصص الأسطورية الغربية التى تشوه مزاج الطفل المسلم وترسم فى عقله الباطن صورة بطولية زائفة لبطل غربى خيالى أمثال طرزان وغيره مما تمتلئ به مجلات ميكى وميكى جيب وسوبر ميكى وسوبرمان وهى كلها تصدر وفق خطة مشبوهة .

وفى كتب التراث الإسلامى صور ومواقف رائعة تفتح الذهن وتنمى الخيال وتعطى الطفل المسلم مناعة ضد الثقافة الوافدة المرتبطة بالفكر الأدبى . . ولنعلم أن شبابنا المسلم اليوم يعيش فى فراغ ثقافى واسع ، وهناك اغراءات كثيرة يجب حمايته منها بتقديم البديل ، الذى يبرز القيم الإسلامية الرشيدة ويعكس معالم النفوس النقية المتعطشة الى حب الخير والاسوة الحسنة .

وحتى يمكن انفاذ هذه الغاية الخطيرة فقد رصدت الاموال الطائلة وامتلأت اسواقنا بالعديد من مجلات وكتب وصحف الاطفال المترجمة عن اللغات الاوربية ، ولا يكفى خطر تيار الترجمة العميق فان كتاب التغريب فى بلادنا يقدمون (أدبا عربيا) زائف يستلهم النموذج الغربى ويركز على غايتى الامتاع والتسلية ويسرف فى أمرين : ١ - فى قصص المغامرة والخيال والخوارق والاساطير . ٢ - وفى أحياء العادات البالية التى يفرق فيها مجتمعنا والتى لا تمثل قيم الإسلام بقدر ما تمثل عادات موروثة من عصور قديمة كشم النسيم وحفلات الزار وتقاليد الموتى والافراح وغيرها . فبان التركيز على هذه التقاليد التى يحاربها الإسلام والتى تعيش فى البيئة وهى خارجة عليه ومستمدة من مفاهيم وثنية قديمة ، من شأن أحيائها وتلقينها للأطفال أن تشب نفوسهم وهى تعتقد أنها من أصول القيم والعادات الطبيعية . ولعل هذا العمل الذى يقوم به كتاب عرب أشد خطرا من القصة المترجمة ، ونحن نهدف الى تربية جيل جديد من الاطفال يكون أشد تمسكا بدينه عارفا بوجوه الخير والشر وما أمر الله به وما حرمه حتى تطمان على أنه يكون قادرا على مواجهة التحديات والسموم التى بينها الاستشراق والتبشير ودعاة الشعوبية والتغريب .

وهنا يجب أن نركز على مسئولية الآباء والأسرة (١) فى حماية الأطفال من هذا السيل الوافد وحسن اختيار ، ما يصلح (٢) وفى تثقيف الطفل اسلاميا واشاعة روح الايمان فيه ولو قصر فى ذلك الكتاب المدرسى ويأتى بعد دور الآباء فى القدوة والتوجيه المدرسى وأمام المسجد ولا يكفى فى رعاية الطفل تزويده بالثقافة الإسلامية فحسب بل يجب حثه الى أداء الشعائر وأن تعمل الأسرة على ربط أفرادها بالفروض وقت الأذان ،

الباب التاسع

القرآن الكريم : مدخل إلى صياغة

إسلامية للعلوم

(١)

نفسه وأن دراسة القضايا الاجتماعية لابد أن تتم كما حددها الإسلام وأن يكون المنظور الاسلامي واضحا ونحن نجرى البحوث الميدانية في المجتمع الاسلامي .

(٢)

ويرى الباحثون في علم الاجتماع الاسلامي أن يجرى التحرك في مجالين مختلفين معا : الاول أن تكون نقطة البدء - بعد القرآن الكريم هي القواعد التي أرساها ابن خلدون وهي منطلقة فعلا من فهمه العميق للقرآن الكريم ، ثانيا : مراجعة وتقييم النظريات الغربية في علم الاجتماع على ضوء التفسير الاسلامي لها وليس العكس عن طريق مجموعة من علماء الاسلام واساتذة علم الاجتماع لوضع اسس هذا العلم بعيدا عن هؤلاء الذين تشبعوا بعلم الاجتماع الغربي ونسوا انتماءهم الاسلامي .

وقد كتبت في السنوات الأخيرة أبحاثا كثيرة حول بناء قواعد المدرسة الاسلامية لعلم الاجتماع .

(٣)

صياغة المسلم صياغة متمزجة بينها الدينى بالدنيوى على انهما وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح الاحساس الداخلى الفردى اجتماعيا ينتقل حثيثا من الانانية الى الغيرية ، ويجعل طاقاته الكاملة وقدراته الظاهرة منطلقة لخدمة المجتمع والعطاء الخير وفق مفهوم الدنيا مزرعة للآخرة .

وعندما بزغ الاسلام انشأ رابطة اجتماعية جديدة قامت مقام رابطة الدم والعرق والنسب هي رابطة الأخوة المتميزة بالتضحية والبذل وحماية الضعفاء بالزكاة التي هي حق الله وحق المجتمع ، واخراج الجماعة من الفساد والظلم الاجتماعى .

(٤)

ان الاسلام في قرآنه وسنته سنة محمد عليه الصلاة والسلام يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يريد بها أن يشكل الارضية الصلبة التي تتحرك عليها

دعا قادة اليقظة الاسلامية الى صياغة اسلامية للعلوم : الاجتماع والاخلاق والنفوس والى صياغة لمنهج اسلامي في الادب ، بعد أن تبين عجز معطيات المناهج الغربية عن العطاء في مجال الاسلام وتعارض مفاهيمها في مجال التطبيق في المجتمعات الاسلامية ومن هنا قدم العلماء المسلمون تصورا اسلاميا تنطلق منه الصياغة الاسلامية للعلوم ، على النحو الذى قدمه الدكتور محمد المبارك الذى يرى أن التصور الغربى للوجود منحصر كله في الانسان والطبيعة ، والعقل عندهم طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر ، وأن الانسان سيد نفسه وهو في نفس الوقت حيوان اجتماعي مفكر فحسب وليست النفس الانسانية الا مجموعة من الفرائز ، وفي مقابل هذا التصور القاصر يقدم الاسلام تصورا مختلفا ، فالتصور الاسلامي يعتبر الانسان والكون ليسا وحدهما في الوجود بل كلاهما يبتدىء من الله وينتهى الى الله سبحانه وتعالى وأن الطبيعة أوجدها الله وهي تسير على سنن مطردة ، وأن العقل ليس وحده أداة الوصول الى الحقيقة ، بل هناك طريق آخر هو الوحي وأن الانسان ليس حيوانا مفكرا فحسب وان الله هو المشرع للانسان والنبوات منذ بداية الخلق هي الصلة بين الانسان والله (تبارك وتعالى) .

ولكى يقوم تصور اسلامي لعلم اجتماع اسلامي لابد من خطوات خمس تعتمد بصفة اساسية على ماورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة :

اولا : اشارة القرآن الكريم الى الطبيعة الاجتماعية الانسانية .

ثانيا : اشارته الى الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية .

ثالثا : ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض .

رابعا : اشارة القرآن الكريم الى قوانين الظواهر الاجتماعية او سنن الله تعالى في المجتمع الانساني .

خامسا : التغير والتغيير وكثرة تحدث القرآن عن تبدل الاجيال وهلاك الامم .. ومن هنا ينبغى أن تكون بيننا ميتافيزيك علم الاجتماع منطلقا من مصدر الاسلام

والاسلام هو الذى بين ان ظواهر الكون تخضع لقوانين
النسبية واكد على عالمية العلم سواء فى الاخذ أو العطاء
(دكتور يوسف محمود) .

والواقع ان عطاء الاسلام للبشرية ، للحضارة ،
للعلم هو صفحة من أروع الصفحات التى سجلها تاريخ
الإنسانية ، ومع ذلك فانه مازالت سحب كثيفة تسيطر
على آفاق البحث ، مرجعها الى أحقاد الاستشراق
والتبشير التى تعتمد الى تزيف الحقائق والتقليل من
حجم الاحداث والتى تهدف بهذا الى الغض من الدور
الضخم العميق ، الذى قامت به الحضارة الاسلامية
خلال ألف سنة كاملة قبل أن تدخل مرحلة التوقف عن
العطاء .

ولقد سبق مفكرو الاسلام علماء الغرب على تقنين
مختلف للعلوم الطبيعية الطبية والكيمائية ، التى نمت
بعد ذلك نموها حجب مع الاسف مصادرها الاولى ، ولقد
عاد بعض النصفين فى السنوات الأخيرة ليؤكدوا ان
أعمال : ابن سينا — الزهراوى — ابن النفيس — ابن
الهيثم ، الخوارزمى ، جابر بن حيان ، البوزجاني ،
البيرونى ، الصولى ، ابن يونس (فى الرياضيات والفلك
والطبيعة) كانت بمثابة المصابيح التى أضاعت منها
أوربا قناديلها والمصادر التى استقت منها نظرياتها
وقد قدم العلماء المسلمون نظريات الجاذبية وسرعة
الضوء والراصداات الفلكية وتحضير المركبات ووصف
النباتات والحيوانات والادوية الفردية والمركبة مما كان
بمثابة الزاد الذى اعتمدت عليه النهضة الاوربية وانتشرت
فى جامعات باريس واكسفورد وكمبردج وغيرها .

وقد أشار المؤرخ الغربى (هوتشر) الى أن العرب
والمسلمين هم الذين أنشأوا علم (نقد الاخبار)
اذ كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين
والشهور والايام ، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم
عند اليونان والرومان وأوربا فى العصور الوسطى ،
وقال المؤرخ (بكل) : أن التوقيت على هذا النحو لم يعرف
فى أوربا قبل عام ١٥٩٧ وأن طريقة النقد التى انصبت
على الرواة ضمنت الى حد كبير صحة الاخبار المتصلة
بالقسم التاريخى من السيرة وحوادث الدولة الاسلامية
ومن ناحية أخرى نرى أن (بيكون) رفض الأساس الذى
قامت عليه الفلسفة طوال عصورها الوسطى ، إيماناً
منه بأن هذا الأساس لا يمكن أن يؤدى الى علم جديد ،
وهذا الأساس هو المنطق أن القياس المنطقى ، وأعلن
بيكون : أن القياس المنطقى وسيلة عقيمة لان عليك أن
تسلم بمقدماته تسليماً لا يجوز فيه الشك ، أما الأساس
الذى وضعه بيكون للبحث هو (الملاحظة والتجربة) وكان
فى ذلك متابعاً للنموذج الاسلامى ، فقد سبقه الى هذا
الحسن بن الهيثم الذى ماتزال أراؤه تحتل مكان الصدارة

العلاقات الاجتماعية فالقرآن يحدد موقف الانسان من
العلم وطبيعة دوره فيه والغاية التى خلق لها والمصير
الذى يسعى اليه من خلال ممارساته الواقعية .

ويدعو القرآن الكريم الى مجتمع متوازن يحصل
فيه الاغنياء والفقراء على قدر كابل من العدل والترحام ،
ويعارض ظاهرتى الترف والغنى الفاحش لأنها يناقضان
فكرة العدل الاجتماعى ، وفى مقابل هاتين الظاهرتين
يقدم القرآن دعوة البذل والاحسان والغيرة والعفو
ويدعو الى توزيع الفرد على جميع الفئات المحتاجة فى
المجتمع .

أسلمة العلوم

نشأ العلم التجريبي فى رحاب الاسلام ، وكان
مصدره القرآن ، ثم تلقفته أيدي الاوربيين فصاغته
صياغة مادية وثنية أخرجته من مفهومه الاسلامى الاصيل
أولاً : نسبوه الى الانسان والطبيعة وتجاهلوا
الخالق الاعظم ..

ثانياً : فرقوا بين المادى والنفسى .

ثالثاً : فرقوا بين النظرية والتطبيق .

رابعاً : اعلوا شأن الجنس والعنصر والدم
وهضموا حق الاسم الملونة .

خامساً : أسرفوا فى جهة الصناعة الاستهلاكية .

سادساً : وضعوا البشرية على حافة الدمار
بصناعة الأسلحة الذرية والصواريخ العابرة للقارات .

سابعاً : هضموا حق الاسم مالكى الخامات وأعلوا
شأن الاسم القائمة على الصناعة العالمية .

ثامناً : غرضوا النظام الربوى وسيطروا به على
العالم الثالث .

ونتيجة للاخطار التى حاقت بالامة الاسلامية نتيجة
هذا التحول الخطير غاب المسلمون مطالبون بأسلمة
العلوم واعادتها الى أحضان الاسلام مرة أخرى .

وذلك يكشف عن حقائق :

١ - الاعتراف بفضل المسلمين على الحضارة
المعاصرة .

وأن المسلمين هم أول من وضع الاسس الصحيحة
للبحث العلمى ، يظهر ذلك جلياً فى أبحاث الحسن بن
الهيثم والبيرونى وأن الفضل الرئيسى هو الاسلام الذى
أثار الإبصار وحث على النظر والتفكير فى المحسوسات
وعلى البحث عن الدليل والبرهان فى الآراء والأفكار .

في الرياضة والبصريات ، وهكذا حدث ذلك التحول الخطير ، في الفكر الغربي من القياس المنطقي وفق المنطق الارسططاليسي الى المنهج الاستقرائي ، الذي وضعه علماء المسلمين ، وقد لجأ هذا الفكر الى التجربة التي اطلق عليها اسم (الاختبار) بل أن الفضل الأكبر في نجاح الرحلات البحرية الاستكشافية يرجع الى ما كتبه أحمد بن ماجد وما قدمه المسلمون من المراجع الجغرافية التي ترجمت ، ومدرسة الخرائط التي قامت في جزيرة مبورقة ، معتمدة على جهود العرب السابقة وقد كان الفضل الأكبر في نجاح فاسكودي جاما هو مصاحبة ابن ماجد له ، وهو الذي قادته من شرق أفريقيا وأوصله الى الهند .

٢ - ان المسلمين حين أخذوا علوم السابقين قوموا أخطاءها ، فنقدوا كتب أرسطو وبطليموس وغيرها وعلقوا وأضافوا عليها ولم يقبلوا من التراث القديم الا ما كان متفقاً مع مفهومهم الاصيل القائم على التوحيد والاخاء البشري وكان أبرز عمل قام به المسلمون هو أنهم أنشأوا (علم سنن الكائنات) عن طريق التجريب الذي كانوا يسمونه الاختبار .

● في مجال الفلك والطبيعة جاءت جداول الخوارزمي والتباني وابن يونس عملاً رائداً وصفه الباحثون الاوربيون المحدثون : بأنهم توصلوا في نهاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الانسان في رصد الكواكب والنجوم بالعين المجردة .

● في مجال علم النجوم والحركات الفضائية (أبو العباس أحمد الفرغاني) صاحب كتاب الكامل في الاسطر وجوامع علم النجوم وقد قام بقياسات طول خط الأرض المستقيم وكان أول من أدرك أن مدار الشمس والكواكب يجري على مر الزمن في اتجاه خلفي وتتلذذ عليه أبناء شاكرا وثابت بن قرة .

● في مجال الضوء جاء العملاق (ابن الهيثم) بكتابه علم المناظر الذي يعتمد عليه روجر بيكون (١٢٩٤) وليونارد دى فنشي ١٥١٩ وجاليليو ١٦٤٢ وهم مؤسسو البحث العلمي الحديث .

وقد أجرى ابن الهيثم التجريب بواسطة الخزانة ذات الثقب التي هي في الواقع صورة لآلة التصوير ، وتمكن من وضع نظريته حول مسيرة الضوء وسيطرت نظرياته في الفيزياء والبصريات على علوم الغرب حتى يومنا هذا .

ومن ناحية أخرى دحض الفلكيون المسلمون النظريات القديمة التي قالت بأن الظواهر الطبيعية

ثابتة وغير متغيرة فبفضل تدقيق الفلكيين العرب وتجريبهم وحساباتهم الدقيقة أثبتوا أن انحراف سميت الشمس يأخذ تدريجياً في النقصان وكان الفرغاني هو أول من اكتشفه ، كما كان المسلمون أول من راقبوا تغير أوج الشمس الذي وصفه اليونان بأنه طول واحد ، وانتصر تجريب المسلمين وانهزمت نظريات أرسطو وبطليموس . (عبد المقصود حبيب)

وعلياً أن نضيف الى ذلك أن الغرب حين أخذ ما أخذ من التجريب الاسلامي قد باعد بين نفسه وبين المفهوم الاصيل لهذه القيم والاساس العميق الذي قامت عليه الحضارة الاسلامية فلم يقبل في مجال العلوم تحركها في اطار الرحمة ولم يقبل في مجال الاقتصاد دفعها في اطار الاخاء البشري ولم يقبل في مجال القانون جعلها واحدة للبشرية كلها كما غيب عنها أن تكون الوجهة خالصة لبناء المجتمع الرباني وانما اقامها على اساس الاستعلاء بالعنصر وسيطرة القوى على الضعفاء وسحق الصغار واعتبار الغربيين وغيرهم سادة وكل ساجدين عبيد ولما احتل بلادهم استولى على مقررات الشعوب من الطاقة ومذخور الأرض ووجهه في سبيل بناء حضارة استهلاكية قائمة على الخمر والربا والاباحية والترف وبذلك ادخل البشرية كلها في عالم الازمة الخائفة .

٣ - وقد أشار كثير من الباحثين المسلمين الى الدور الخطير الذي قام به (القرآن الكريم) في بناء العلوم الاسلامية ، حيث أنه من منطلق المصطلحات القرآنية تحددت علاقة الانسان بالكون :

فالتفكير الذي ألح عليه القرآن في عدد من الآيات هو الذي يؤدي الى الاكتشاف .

ومن التسخير الذي أورده القرآن في مواضع عديدة هو الذي علم الانسان سيادته على الكون .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : أنه بعد مائة عام من نزول الايات القرآنية التي تمت على (التفكير والتسخير) استوعب المسلمون علوم ذلك الزمن وأضافوا اليها وظلوا سادة العالم مدة ستمائة عام سطعت منها أسماء الرازي وابن حيان والخوارزمي والبيروني وابن النفيس وغيرهم ولم يظهر اسم أوربي واحد في مجال العلوم الا بعد عام ١١٠٠ م ولكن علماء المسلمين استمروا في عطائهم مدة ٥٠ سنة بعد ذاك الى أن توقف العطاء .

والسؤال هو : لماذا بحث علماء المسلمين وطوروا تلك العلوم في القرون ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ للميلاد . هناك ثلاثة أجوبة محتملة :

١ - ان السبب وراء ذلك هو اوامر القرآن الكريم بالبحث والتفكير .

٢ - مكانة العلماء ورجال المعرفة في الاسلام :
(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

٣ - اعتراف الاسلام بالطابع العلمى للعلم فهو لم يحجر على اتباعه تلقى العلم من أى مكان كان فالحكمة ضالة المؤمن .

والمجتمع الاسلامى نفسه مجتمع انسانى لا يعطى اعتبارا للون او العنصر او الاقليم الجغرافى واول مجتمع اسلامى فى عهد الرسول جسد هذا المفهوم وقد بدا العطاء العلمى فى المجتمع الاسلامى بالتراجع بعد عام ١١٠٠ م وتوقف نهائيا عام ١٣٥٠ م ، لماذا لا أحد يعرف بالتحديد! هناك عوامل خارجية تمثلت فى غزو المغول وتدمير بغداد .. ولكن العوامل الداخلية هى الالهة وتمثل فى لجوء المسامين الى (التعليق) بدلا من (التفكير) وكذلك فى انزالهم عما كان يجرى فى العالم وخاصة فى اوربا ، وعندما بدا المسلمون يحسون خطر التفوق التقنى الاوربى فى القرن ١٨ حاولوا للحصول على المنتجات التكنولوجية وخاصة العسكرية منها ، وهذا الاتجاه لا يزال سائدا حتى الآن ، اتجاه الحصول على المنتجات قبل استيعاب المفاهيم العلمية التى قامت عليها وهذا يدل على جهل العلاقة الرئيسية بين العلم والتكنولوجيا .

علينا ان نعترف أولا بأنه ليس هناك طرق قصيرة للتكنولوجيا غاؤلا : يجب ان تصبح العلوم الاساسية جزءا من ثقافتنا ، وهذا هو الطريق للسيطرة على العلوم الطبيعية ، وعلى التكنولوجيا وعلى الذين يدعون الى (نقل التكنولوجيا) ان يدعو أولا الى (نقل العلوم البحتة) وعلينا فى الطريق الى استعادة امجاد باضينا العلمى وان نركز على « التريب » العلمى القاسى لننمى طاقتنا البشرية العاملة ونسعى لاكتساب العلوم الاساسية والطبيعية ونخصص مالا يقل عن ١ - ٢٪ من الدخل القومى للبحث والتطوير العلمى وتخصيص ربع هذه النسبة للعلوم البحتة ، فما هو بحث الآن فهو تطبيقى غدا (النسبة المذكورة تعادل ٨/٤ مليون دولار) وحبذا لو اسس اتحاد للعلماء المسلمين على هيئة مؤتمر علمى اسلامى بحيث يتمتع العالم المسلم بحرية التنقل والاقامة والبحث فى أى بلد او مفهوم علمى كما كان مطبقا امام ابن الهيثم وابن سينا وغيرهما دون ان يكون للانتماءات السياسية اثر على ذلك .

ان الاسلوب الحالى فى نقل التكنولوجيا للبلاد الاسلامية غير مثير ، لقد اتفق العالم العربى وحده (٤٠٠ مليون دولار) فى عام ١٩٧٨ على عقود تكنولوجية

بطريقة تسليم المفتاح وهذا الاسلوب لا يفيد علماءنا ولا مهندسينا بشىء وهذا يجعلنا مستهلكين لا مبدعين للتكنولوجيا .

(١)

أعادة كتابة العلوم الاسلامية

ومن هنا نشأت فكرة اعادة كتابة العلوم الاسلامية على النحو الذى حدده دكتور زغلول النجار على هذا النحو :

اولا : ان المسلمين حين تربوا على الاسلام أدركوا ان قضية الاهتمام بالناحية العلمية هى قضية تعبدية بالدرجة الاولى وليست مجرد الحصول على شىء من القوة او الغلبة او التسلط فى هذه الدنيا ، فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى فى هذا الكون فهو يتعرف على خالقه ، ولقد أحصيت عدد الآيات القرآنية التى تحض الانسان على النظر فى الكون فوجدتها تفوق (٧٥٠ آية) الى جانب ان القضية لابد منها للقيام بأعباء الاستخلاف الانسانى وتسخير الكون لما أراد الله (تبارك وتعالى) .

ثانيا : لم يفرق الجيل الاول من المسلمين (وهو الجيل القدوة) بين العلم التجريبي وبين العلوم الشرعية من الفقه والتفسير ، فكان المسلم فليكا ومفسرا وطبيعا وفقها . ان اهم ما يشكو منه العلماء الآن قضية التفاتت فى المعارف ، فالتخصيص الدقيق جعل الناس ينحسرون فى دوائر ضيقة فجاءت نظرتهم للحياة نظرة جزئية جدا ، نظرة غير انسانية لانها غير متكاملة ، ان النظرة الكاملة هى التى يستطيع الانسان من خلالها التعرف على قوانين الله (تبارك وتعالى) فى الكون والقيام بواجبات الخلافة فى الارض على أحسن وجه ، فكما تعرف على قوانين أكثر كانت قضية عمران الحياة على الارض أبسر ولا يمكن ان تتحقق وظيفة الانسان الشرعية على الارض سالم يحصل على العلم التقنى والمجتمع الاسلامى يحتوى على كل التخصصات ، وتبقى العلوم الشرعية (وهى ما يفهم من الدين بالضرورة) فرض عين على كل مسلم ، اما فيما وراء ذلك من التخصصات فيبقى قروض كفاية .

ثالثا : التصور الاسلامى لقضية العلم ، تختلف عن التصور الغربى الاوربى حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفة ، حمل العالم الاسلامى تراث البشرية من المعارف فى الحضارات السابقة والمعاصرة لبعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) حضارة الفرس والروم والهند والصين وبصر القديمة ، جمع كل ذلك وصفاه بمنطق النظرة الاسلامية الصحيحة وأضاف اليه اضافات أصيلة ،

الرؤية العلمية طاقات هائلة لاستكشاف الطبيعة واستغلالها ولكن يجب التفرقة بينها وبين العلوم الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم الاجتماعي والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم المادى ، وخطأ العلماء الاجتماعيين فى ان استنتاجاتهم غير مكتملة ، ومن هنا فان العلوم الاجتماعية تعد ناقصة ومن ثم فهى غير ذات جدوى بالنسبة لطالب العلم المسلم .

ان الاسلام يؤكد ان وصايا الله او الامر الاخلاقى يعد بالضرورة خاصا بالمجتمع ، انه بالضرورة يتصل بالنظام الاجتماعى فى الامة ولا يمكن ان يسود الا بها فقد تجاوز الاسلام حدود الفضيلة المسيحية ، فى حين ان المسيحية عرفت (الخلاص) فى اطار النية اى الشعور الشخصى فى لحظة معينة فان الاسلام قد عرفه عن طريق العمل (الحياة العامة فى اطار الزمان والمكان) فقد صاغ الاسلام الايمان بالاخويات من اجل تدعيم ذلك الصرح التاريخى من الافكار والقيم والقوانين والمؤسسات وجعل القيم الدينية والاخلاقية ليست قيمة فردية ولكن فى اطار الامة .

اما المجتمع الغربى فقد فصل بين العلوم والقيم الجوهرية تحت اسم مبدا (الواقعية) مما أدى الى التدهور الاخلاقى الحتمى للمجتمع ، لقد كان من نتيجة البحث الجنسى المحرر الذى أجراه (كبرى) هو تحول الانتباه عن الزنا وتركيزه على منع الحمل .

والغرب يقيم فكره على الفصل بين القيم ، الفصل بين النظرية والتطبيق ، الفصل بين العلوم والاخلاقية ، الفصل بين العلم وبين الالتزام الفردى .

ومن هنا فلا بد من اصفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد او الجماعة ، بالانسان او الطبيعة ، بالدين او العلم ، حتى تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدا التوحيد :

(الله تبارك وتعالى الخالق سبب الاسباب)

وهدف وغاية لكل شىء فى الوجود)

وان توجه المعرفة للالتزام بأمره بالنمط الالهى الذى أوحى به حتى تجلب السعادة والهناء للبشر .

اما العلوم التاريخية الانسانية ، فيجب ان تعنى بخلافة الله على الارض اى خلافة الانسان والدراسة الاسلامية ترفض الاعتراف بتثريب العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بل انها تتطلب اعادة تصنيف فروع الدراسة وتقسيمها الى العلوم الطبيعية (التى تتناول الطبيعة) والعلوم الخاصة بالامة التى تتناول الانسان

وحين اخذته عنه أوربا بعد ذلك عن طريق المدارس الاسلامية فى الاندلس وجنوبى أوربا بصفة عامة (صقلية وجنوبى ايطاليا) ظهر الفارق واضحا ، فالمسلمون لم يجدوا فى تعاليم الاسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلا دون نشاطهم العلمى بل وجدوا فى القرآن أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يدفعهم الى ذلك دفعا ، بينما كان الموقف مختلفا تماما فى عصر النهضة ، منذ ما بدأت أوربا تأخذ بالاسباب انطلاقا من القاعدة التى علمتها لهم الامة الاسلامية ومدارسها فى شمالى أفريقيا وجنوبى أوربا .

رابعاً : قدم المسلمون الدليل الذى حطم الاسطورة الوافدة عن ضرورة الفصل بين العلم والدين ليحصل التقدم ، فقدموا نماذج على أعلى درجات من التخصص العلمى والتفوق ، وفى نفس الوقت تمثل أعلى مراتب التصور والفهم الاسلامى والثقافة الاسلامية .

خامساً : النظام العلمى الغربى بالرغم من تفوقه الملحوظ فى بناء قواعد تعليمه وتقنيته الجديدة ، فهو ينهار من ناحية بناء الانسان ، والمشكلة ليست فى العلم فحسب ولكن فى خلق العلم وهدفه المفقود فى الفلسفة الغربية وليست فى المعرفة بقدر ما هما فى اخلاق المعرفة .

سادساً : : لقد كتب الغرب العلوم من منطلق الحادى صرف ، ثم نقل ذلك الى العالم الاسلامى فلما انتهت الى المسلمين نفروا منها ورفضوها .

سابعاً : رؤية الاسلام الوسطية جعلت الاسلام قادرا على ان يقدم للبشرية الحل الامثل لانه منهج وسط لا يميل الى اى جانب من الجوانب المتطرفة ، وانه النظام الروحى الوحيد الذى يستطيع ايقاظ ضمير الانسان ويجعل من نفسه على نفسه رقيا ذلك ان فهم المسلم لطبيعة مهمته فى الحياة (عبادة الله والاستخلاف على الارض) مهمة اساسية لان كلا الجانبين فى مهمته مكمل للآخر ، ان فهم رسالة الانسان فى هذا النطاق يحقق مفهوم الاسلام فى التعبد لله سبحانه وتعالى والسعى وراء الرزق فى نطاق الايمان بالله والسعى فى كسب العلم فى اطار من الايمان .

(٢)

صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية

وفى نطاق أسلمة العلوم تعالت الصيحة الى صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية وقد كتب الاستاذ اسماعيل الفاروقى عن ضرورة التفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حيث ان العلوم الطبيعية هى المفتاح لتحقيق السيطرة على الكون وقد اطلقت

والمجتمع فالعلوم الطبيعية تعمل على استكشاف النمط الالهى فى نطاق الاشياء المادية والمعرفة الانسانية فى نطاق الشئون البشرية .

ولاريب أن اضافة الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يجب أن تعمل على اظهار علاقة الحقيقة مع النمط الالهى المتصلة به ، النمط الالهى بعد المعيار الذى يجب أن تعمل الحقيقة على احلاله فان تحليل الأمر الواقع يجب الا يغفل ما يجب أن تكون عليه الاشياء اضافة الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يحقق :

- رسم النمط الالهى فى الشئون الانسانية .
- تحقيق ارادة الله فى المجتمع .
- تقام اخلاقية العمل الانسانى .

(٣)

هناك حقيقة يجب أن نعرفها فى دائرة البحث عن اسلمة العلوم ..

هل العلوم فى الغرب محايدة أم منحازة

لقد ترددت كثيرا دعوى باطلية بأن العلوم فى الغرب محايدة واننا يجب أن نأخذها على طبيعتها الغربية ، والحقيقة وكل الدلائل تكشف عن أن العلوم فى الغرب منحازة .

فالعلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليهود) هى علوم منحازة ذلك أن كلا العلميين يخدم (الايدلوجية) وترى الماركسيين يهاجمون العلوم الاجتماعية وعلم النفس الراسمالى والعكس يحدث أيضا .

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم على عمل مستقل بل هو فى خدمة هدف ، وكذلك منهج العلوم التجريبية نفسه فهو فى الدول الراسمالية يخدم هدفها وفى الدول

(٤)

نظرية النفس الغربية ليست علما وإنما

هى فروض ثبت أن أغلبها فاسد

وبالتالى فهو ينكر وجود الله تبارك وتعالى وينكر الوجدان الدينى كما ينكر العقل الذى يسيطر على الفرائز ويعتبر الانسان حيوانا .

ثانيا : يرى أن كل المعتقدات الدينية يمكن دحضها باستخدام تفسيرات منبثقة من علم النفس .

يختلف علم النفس الغربى عن مفهوم الاسلام فى عدة عناصر :

أولا : ينكر وجود الروح فى جوهرها وصفاتها وأعمالها منفصلة عن الجسد وتبقى حية بعد فنائها لان هذه الروح لا يمكن ملاحظتها أو اخضاعها للتجريب ،

ثالثا : الهجوم على مصداقية العقيدة الدينية .
وكانت أول ضربة جاءت من خلال فلسفة ماركس
ولبنين بأن الايمان بالله والخلود والنظام الاخلاقي هو
ضرب من ضروب الزيف والخرافة .

رابعا : من أخطائه أنه يعتبر الغريزة الجنسية هي
المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر في مرتبة
اقل من مرتبة الحيوان ومن هذا التفسير الخاطئ يجعل
الحياة كلها خلافا حول الجنس الى درجة انه يجعل
غاية الانسان في الحياة هي اشباع الغريزة الجنسية
وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .
ومن المسلم أن الصحة الجنسية هي في العفة
والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد أن الصحة في
الاباحة وأن الامراض النفسية في العفة حيث تسبب ما
يسميه الكتب .

وأن يكبت الانسان شهواته ويلجئها أحكم وأشد
حزما من الاباحية والامتناع عن العملية الجنسية يزيد
قوة المخ والادراك ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على
مقاومة الامراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة
الجنسية .

خامسا : من أخطائه أنه يجعل الانسان عبدا للدنيا
والمال وتسهره غريزة التملك فيكون سعيدا وصحيا
نفسيا اذا كان غنيا ومريضا نفسيا اذا كان فقيرا وهذا
مخالف للواقع والعقل فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر
وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ، وصحتهم النفسية
والبدنية احسن من صحة الاغنياء باجماع الآراء والمؤمنين
سيد للدنيا والكافر عبد لها .

سادسا : من أخطائه أنه يعتبر الانسان خاضعا
للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاء
الناس ، وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق
فان القوة والطاعة في المجتمع هي في ارضاء الله ولو
باغضاب الناس لان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع
الرحمن .

سابعا : من أخطائه أنه يعتبر الايمان مسألة خاصة
ونسبية فهو ينكر وجود الله (تبارك وتعالى) ويقول أن
الانسان لو اعتقد في أى شيء فانه يتأثر به وعلى هذا
فيكون الدين وهما لا حقيقة وهذا عكس كلام الله تبارك
وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة
لا تسمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .
الفقرات (من ٤ - ٧) سعد حسن لطفي

ثانيا : ان علم النفس ليس علما بالمعنى المتعارف
عليه للعلم ، بل لا ينطبق عليه شروط العلم الواجبة
وأهمها اليقين والموضوعية وهي شروط العلوم الطبيعية
تاسعا : لغلبة الاتجاه المادى في علم النفس جعله
يتصور النفس الانسانية تصورا ماديا فهي عنده مجموعة
غرائز تتطلب الاشباع المادى والمباشر ، والانسان في اطار

هذه النظرة المادية مدفوع دائما بقوى لا معقولة ومغلوب
على أمره تصدر عنه أعمال قهرية وكل ما يملكه العقل من
« حيل » هي تبرير هذه الافعال أو البحث عن وسائل
مقبولة لاشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل .

عاشرا : معظم النتائج التى توصل اليها أصحاب
الاهتمامات النظرية في علم النفس وعلى رأسهم (فرويد)
استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات
الاسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة في هذا الاطار الزائف .

حادى عشر : قوبلت آراء فرويد وأصحاب مدرسة
التحليل النفسى عامة بالنقد العنيف داخل الاطار
السيكولوجى ذاته وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من
فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسى بمدرسة ،
ومنهجها وفلسفة حياة .

(سعد حسن لطفي)

ويرى العلماء أنه يجب رفض هذه المذاهب النفسية
جملة وتفصيلا بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها
وايجاد مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطا بين
خطأين ومن وجهة نظر الطب النفسى يرى أن الاستقامة
هي أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو
أساس الامراض النفسية وأن الايمان بالله هو العزة
والقوة والصحة وعدم الايمان أساس كل الامراض .

ولا يوجد في علم النفس التربوى أو خلافه هذا
الباعث الذى يجعل الناس يتسابقون وينساقون في أعمال
الخير ولا ذلك الديدبان اليقظ الذى يسمونه (الضمير)
حقائق عن العلوم وأثر النظرية المادية عليها :

١ - غلبة المادية على علم النفس ، وغلبة المادية
على جميع العلوم الانسانية .

٢ - لا يوجد فرع من فروع العلم التجريبى - ومنه
العلوم الفيزيائية - يؤدى الى المعرفة اليقينية .

٣ - المادية فلسفة حياة وجرائيمها مضمرة في
العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

٤ - أحد مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض
له المسلمون اليوم وما يحمله تيار العلم - الوافذ البنا
من الغرب ومن الشرق من خلفية المادية واضحة في طياته
جعلت من الكفر بكل ما هو غير عادى مادى سمة هذا
العصر .

٥ - سيطرة المادية على العلوم الطبيعية
ومضمونها الإلحادى مثل مبدأ (أزلية المادة) والطاوية
ونسبة كل شيء في الكون الى الطبيعة وقوانينها ومحاولة
تفسير التدرج في عمران الأرض على أنها عملية مادية
تلقائية بحتة .

٦ - ضرورة استخدام منهج دراسة الكون في دراسة النفس ، لان دراسة الكون والانسان واكتشاف سنن الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الأدلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته في خلقه .

ان (الملاحظة) باعتبارها جوهر العلم التجريبي الذي يحض عليه الاسلام هي (عملية تحليلية) فالاشخاص كالأشياء لا تعرف الا بخصائصها وسمائها كما انها لا تميز الا بأضدادها فنحن نصف الشيء بأنه مستدير أو حاد

أو ثقيل ، أو بهذه الصفات جميعا ، وبالمثل فائنا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق والخصائص : هي تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كلية معنية لا يؤثر فيها لانها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلى الذى هو عليه قبل التحليل .

(للؤاد أبو حطب)

* * *

الباب العاشر

أسلمة المعرفة

(قدم الاسلام منهج المعرفة ذا الجناحين للبشرية لأول مرة : مادة وروحا معا) بعد أن تردى في المنهج المادى تارة والروحي تارة أخرى .

أسلمة المعرفة هي تقديم التصور الاسلامي للمعرفة الانسانية : والمعرفة مصطلح اوسع من مصطلح العلم (الذى يقصر على العلم التجريبي) أو التربية أو الثقافة فهي ترمى الى أسلمة نحو عشرين علما من العلوم الحديثة التى تضطرب بها ساحة الفكر الاسلامي وهي مترجمة عن المعرفة الغربية وقائمة على عقيدة الغرب وخصائص مجتمعه وهي في مجموعها تختلف عن التصور الاسلامي اختلافا عميقا واسعا ، نتيجة اختلاف المفاهيم الروحية والاجتماعية والعقلية وصدور التصور الغربى من مصادر وثنية افرقية ورومانية ومسيحية غربية تختلف عن الدين المنزل ، ومن هنا فان استمرار تدريس هذه المواد في مدارسنا وجامعاتنا دون تحريرها من عنصر التبعية هو خطر بالغ على تكوين الشخصية الاسلامية لانه يدفعها مرحلة بعد أخرى الى الذوبان في آتون الفكرة الغربية وتبخر التصور الاسلامي الحقيقي وفي عشرات من العلوم التى بين ايدي المسلمين الآن تصور غربى وثنى مسيحى يختلف اختلافا عميقا عن التصور الاسلامي سواء في مجال الدين أو النفس أو الاخلاق أو الحضارة أو التاريخ .

ولذلك فان أسلمة المعرفة تعنى اعادة صياغة الامة الاسلامية وصيغها بصيغة الاسلام روحا وفكرا ومنهجيا ، هذه الصياغة الاسلامية من شأنها أن تقضى على الثنائية أو الازدواجية القائمة الآن في مناهج التعليم ومعاهده ، ويأتى هذا ايمانا بأنه لا خبرة الغرب ولا خبرة المستغربين من المسلمين بقادرة على حل مشاكل المسلمين وان الحاجة ماسة الى تحريك عقول المتزمنين بالاسلام من أهل التخصصات الحديثة في الامة وتكليفها بحل هذه المشكلات وان أسلمة المعرفة هي الطريق الوحيد لانقاذ الامة .

وعلى المسلمين أن يتأملوا في فعل الشيوعيين عندما تسلوا السلطة في روسيا لقد رفضوا كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوم بورجوازية وشعروا

بالحاجة الى اعادة بناء كافة العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللاتينية ، وأن على العالم الاسلامي ألا يتردد في أن ينحون نحو المثل الشيوعي ، وانه لابد من اتباع طريقة (اسلامية المعرفة) التى يجب أن تمر بثلاث مراحل :

١ - الاعادة والبحث والدراسة لكافة العلوم الاجتماعية والانسانية وتوضيح أوجه نقصها والعناصر التى تتلأم مع مفاهيمنا . ٢ - اعادة تعيين ما تبقى منها بحيث تتماشى مع تراثنا الأدبي والفنى والفكرى . ٣ - الانفتاح الكامل بالتجارب الفكرية والمكتشفات التى حققها العالم المتحضر وفي نفس الوقت بعث الحياة في علومها التقليدية .

وقد قرر الاسلام مفهوما واضحا للعلم والمعرفة ومناهجها المتنوعة للعلوم على الاسس الآتية :

أولا : أن الايمان بالله هو البداية الصحيحة لمعرفة حقيقة الكون والحياة ، والصلة بين الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته ضرورة منطقية تفرضها حقائق الكون والحياة وقد أرسل الله تبارك وتعالى الرسل رحمة منه وفضلا لتبلغهم رسالة السماء ولتهديهم الصراط المستقيم .

وأنه لابد من الايمان بوجود الله تبارك وتعالى لأن الايمان يجده الانسان عميقا في نظريته وفي حسه ويعرفه العقل حقا ، ولأن من الايمان بالغيب ، حتى العلم وان كان قائما على التجربة والحقائق المحسوسة الا أنه في نهاية المطاف يقف عاجزا امام بعض الظواهر ولا بد من الايمان باليوم الآخر لان الوجود الحقيقي اكبر من ظاهرة الوجود ، انه الدنيا والآخرة لا الدنيا فحسب ، والوقوف عند الحس في التعرف على الكون موقف بدائى سطحي لا يليق ان يصطدم مع الواقع حين يتسع أفق المعرفة وتعمق الخطط العلمية لابعاد الوجود .

ثانيا : ان العلم الكامل هو الله تبارك وتعالى وقد اذن الله سبحانه للناس بالتعلم والتماس العلم منه سبحانه وهذا فضل كبير منه على عباده ولقد حدد الله تبارك وتعالى مصادر العلم وفروعه (العلم التلقائى - العلم التلقينى - العلم الدنى) . ومن العلوم ساهو فرض

عين ومنها ماهو فرض كفاية .. ويقرر الاسلام ترابط العلوم شرعية وتجريبية وتكاملها ولا يعسر انفصالها .

ثالثا : قرر الاسلام حتمية ارتباط العلم بالدين وجريمة الفصل بينهما ، فالعلم يدعو الى الايمان كما أن الايمان يدعو الى العلم ، وقد ترددت الجذور الثلاثية في القرآن جذر (آمن) ومشتقاته ٧٧٩ مرة ، وجذر (علم) ٨٥٤ مرة وهذا يدل على أن الايمان يسبق العلم وأن هناك ترابطا وثيقا بين العلم والايمان .

وإن أسلمة المعارف الحديثة يقتضى النظرة العميقة للمشكلة في العالم الاسلامى من حيث أن العلوم الحديثة شيدت بطريق الخطأ على قاعدة الفصل بين الدين والدنيا ففقدت بذلك أساسها الاخلاقى .

ومن هنا يجب وضع مبادئ لاسلمة المعرفة تتلخص في الآتى :

١ - اعتبار طلب العلم فريضة على المساميين من المهد الى اللحد .

٢ - اعتبار العلم المفروض هو الذى يدخل في اطار وحدانية الله عز وجل وصالح الانسانية جمعاء وتحريم البحث الذى يفقد الهدف أولا يستحق العناء .

٣ - التوحيد بين الانسان وبين معارفه .

٤ - استحالة استيعاب الفلسفات الغربية (الرأسمالية والشيوعية) داخل الهيكل الاسلامى للمعرفة والعمل لغرابتها عليه .

٥ - على الانسان أن يكون مؤمنا برسالته قبل أن يقدم على المساهمة في برامج الاسلمة .

٦ - علوم الوحي لها مكانة متفوقة ويجب أن تنبثق منها كل الارشادات والتعاليم .

٧ - ضرورة التقارب بين العلماء الشرعيين والعلماء الطبيعيين .

٨ - اعادة صياغة الكتب المدرسية في العلوم بحيث تعكس وجهة نظر العالم الاسلامى في العلوم .

٩ - إبراز المساهمة الفذة التى قسام بها علماء المسلمين في هذه العلوم .

ويقرر المفهوم الاسلامى للمعرفة : أن للمعرفة مصدرين أساسيين :

هما العقل والوحي ويختص كل واحد منهما بنوع من الحقائق . أما العقل فهو الطريق لاثبات نبوة النبى الصادق ورد نبوءة المنتبىء الكاذب ، وليس من شأن

العقل وضع ماجاء به الوحي موضع الشك والتحقيق في صحته لخروج ذلك عن اختصاصه ، ولأن الوحي هو مصدر مباشر للحقائق في مصدرها ، وهو الله سبحانه وتعالى فدرجة اليقين فيه أعلى من اليقين الحاصل عن طريق العقل ، أما الوحي فهو التعليم أو الاخبار الالهى المباشر للاستيلاء من الله سبحانه والاصل في اختصاص الوحي : الاخبار عن حقائق عالم الغيب مما يريد الله تبارك وتعالى تبليغه الى البشر . ومن اختصاصه معرفة القيم المطلقة في الخير والشر سواء أكان ذلك مما يستطيع العقل ادراكه أم لا ، ويدخل في اختصاص الوحي تحديد العبادات التى أمر الله عباده بها .

مما يكشف تباين النظرة بين المعرفة الاسلامية والمعرفة الغربية موقف كل منهما من الدين والكون والانسان ذلك أن مختلف المعتقدات تحتوى على اقوال خاطئة فيما يتعلق بالكون وأصله ومصير الانسان .

ونقطة الخطأ في هذا النقد من وجهة النظر الاسلامية هي التعميم لأنه يسوى بين التراث الدينى للانسان بكل أساطيره وشطحاته وبين الاسلام باعتباره الدين الالهى الخاتم ، ولن يدهشنا نحن المساميين دحض ماهو نتاج الحدس الانسانى بواسطة الاكتشافات العلمية .

ان المسلم يدرك أنه يؤمن بالاسلام لان الاسلام هو الحقيقة التى تنبع من الخالق ذاته ، الذى هو مصدر جميع الحقائق ، وليس كنتيجة لرد فعله العاطفى أو الواقعى لوضعه في الكون أو كنتيجة لكون التقوى قيمة مستحبة ، أن النظريات الاجتماعية التى تتحدث عن أصل الاديان مثل الخوف البدائى والرهبة من قوى الطبيعة الغامضة وتجسيد تلك القوى أو نظريات علم النفس المتعلقة بالدين ، مثل صورة الاب التى يتم تجسيدها في الله لا تنطبق على المسلمين ، أن المسلم لا يبحث عن شىء مهدىء ليقلل من مخاوفه أو يشرح الأشياء ولكنه يؤمن ايمانا قويا بالحقيقة العظمى : حقيقة الله والتوحيد به . لقد انهار الدين في الغرب عندما اصطدم بالعلم لأسباب تتعلق بالدين الغربى ، وبالظروف التاريخية لنهضته العلمية ، وإذا حدث ذلك في البلدان المسلمة فلن يكون بسبب وجود صراع أساسى بين الاسلام والعالم فلا يوجد أساسا ذلك الصراع ولكن بسبب وقوع القيادة الفكرية الاسلامية في المائة عام الماضية بأيدي الغربيين .

ان الاسلام فقط هو الذى يستطيع أن يغير الافتراضات السابقة للعلم وأن يقدم أساسا صلبا للنشاط العلمى ، أن الاسلام فقط هو الذى يقدر على تنسيق

(أبحاث سعيد محمود عرفة ، محمود غازي ، كارم السيد غنيم ، اسماعيل راجي الفاروقى) ..

ولقد رسم الدكتور اسماعيل راجي الفاروقى خطة العمل المؤدية الى أسلمة المعرفة على هذا النحو :

أولا : أهداف خطة العمل هي :

١ - اتقان العلوم الحديثة . ٢ - التمكن من التراث الإسلامى . ٣ - اقامة العلاقات المناسبة بين الإسلام وكل مجالات المعرفة الحديثة . ٤ - البحث عن وسائل الربط الخلاقة بين التراث والمعرفة الحديثة . ٥ - الانطلاق بالفكر الإسلامى فى المسار الذى يقوده الى تحقيق سنن الله تبارك وتعالى .

ويجب أن تتم عملية مسح شامل لكل علم من العلوم ، نشأته وتطوره التاريخي ونمو مناهجه واتساع ميدان رؤيته ، حتى يمكن أن يقف المسلمون على أساسه وأن يتفتقروا على الجهود التى سيبدونها فى أسلمته من حيث طبيعته وتاريخه وخصائصه وحدوده ويجب أن يظل تراث الإسلام هو نقطة الانطلاق فيما يتعلق بأسلمة أى علم من العلوم ، ان أسلمتنا للعلم ستكون ضحلة جدا اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننفع بنظرات اسلافنا الناقبة . وأن العالم المسلم الذى تدرب فى الغرب كثيرا ما ينهزم أمام استغراق التراث الامر الذى يدفعه بقوة الى الاعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شئ حول موضوع البحث مع أن الحقيقة انه هو الذى لا خبرة له بتصنيفات التراث التى تدرج تحتها مثل تلك المادة الملائمة لموضوعه وعلينا فى سبيل أسلمة المعرفة الاجابة عن ثلاثة أسئلة ..

الاول : ماهى مساهم التراث الإسلامى ابتداء من القرآن وانتهاء بالمجدين المحدثين فى حملة القضايا التى يشرها هذا العلم ؟

الثانى : كيف تتطابق أو تتعارض مساهمات التراث الإسلامى مع ما أنجزه العلم وأين وصل التراث الى مستوى رؤية هذا العلم وأناقته وأين قصر عنها أو تخطاها ؟

الثالث : ما مدى معرفة المجالات والقضايا التى يجب أن تبذل جهود المسلمين مستغلا لسد النقص فيها ؟

تتم خطة أسلمة المعرفة بمنهج متكامل كما يلى :

الاول : أسلمة التعليم والغاء ثنائياته التى قسمته الى نظامين إسلامى وعلمانى ويجب أن يندمج النظامان ويتكاملان فى نظام واحد وأن يشبع بروح الإسلام ليصبح

جميع الأنشطة الانسانية بما فى ذلك الأنشطة العلمية والفلسفية والفنية والاقتصادية والسياسية ، وفى الحقيقة فان كل نشاط فى الاسلام يعتبر عبادة لله لو انه كان يتم أدائه لتحقيق الهدف الذى خلق الانسان من أجله ، وهو أن يكون خليفة الله فى الارض وهذا المفهوم للعمل لا يوجد فى الواقع أى مبرر لاصدام بين العلم والاسلام ، ان العلم هو تنظيم للمعرفة الانسانية وليس تنظيما للعالم ، وبذلك فهو لا يفرض علينا اية رؤية معينة للكون ، ان المادية والحتمية المثالية وغير ذلك من المذاهب تعد فلسفات فيما وراء العلم ولا تتبع من العلم بطريقة منطقية . واذا كان العلم يستطيع تنظيم المعرفة الانسانية عن طريق تجزئتها الى موضوعات محل بحث والى افتراضات محل اثبات فان (قضية اللوهمية) بعيدة عن متناوله ، ان الحقيقة البسيطة هى أن الانسان اذا توصل الى اثبات وجود الله ، فانه يكون قد عبر عن الله من خلال تصوره هو ، وأن الدرس الذى يجب أن نتعلمه جيدا هو اننا يجب ألا نحاول السعى وراء اثباتات لوجود الله فى نطاق المعرفة الانسانية ، ليست آيات الله كافية للبشر ؟! ان الرؤية الإسلامية للعلم تعطيه القدرة على تصنيف المعرفة الانسانية تفاريق وأجزاء ، اما الرؤية الكاملة للعام فانها خارج نطاقه ، والعقل المسلم ينبغى أن يلتزم بأساسيات فاذا كان العقل بصفة عامة يستطيع أن يناقش صفة محمد كرسول أو يرفض دعواه فى الرسالة قبل أن يدخل الى الاسلام فانه عندما يسلم لا يملك مطلقا الحق فى هذه المناقشة وعندما لا يكون الشئ قابلا للملاحظة فانه يكون موضوعا لا شأن للعلم به ، وكل ماهو فى عالم الغيب يمثل حقيقة اسلامية مؤكدة ، ولكن ليس عن طريق العقل والعلم دائما عن طريق الوحي والايسان .

اما الرؤية الإسلامية لعالم الغيب والشهادة فإن القرآن يعلمنا اياها على النحو التالى :

١ - ان الله الخالق مريد فاعمل ليس كمثله شئ .

٢ - ان الخلق ليس اثرنا ضروريا لتجلى قدرة الله ولكن الله يخلق ما يشاء .

٣ - ان الكون بكل ما فيه حقيقة وليس وهما .

٤ - ان كل شئ خاقه الله منحه تركيبا وشكلا وحجما معينا ثم زيد بالهداية .

٥ - ان خلق الله يتسم بالكمال ويوجد توازن وانسجام من العمليات المختلفة وسوف يستمر ذلك الى ما شاء الله . (محمد معين صديق)

هذا هو الفارق العميق بين المعرفة الإسلامية والمعرفة الغربية .

جزءاً وظيفياً لا يتجزأ من برنامجه الفكرى ، ويجب الا يسمح لهذا النظام الجديد أن يظل تقليدا للغرب ولا أن يترك حراً يخط لنفسه أى طريق بل يجب أن ينساق بالنظام التعليمى رسالة ، محددة ، هذه الرسالة هى نقل الرؤية الاسلامية وتربية الارادة لتحقيقها فى الزمان والمكان .

وبتم تقييد ذلك عن طريق ما يلى :

أولاً : فرض دراسة الحضارة الاسلامية ..

ان دراسة الحضارة هى الطريق الوحيد لتنمية معنى الشخصية فى الفرد وكيف يكون على وعى بذاته من لا يعرف أسلافه ؟ اعنى من لا يعرف الروح الذى بعث فيهم الحياة .

ثانياً : أسلمة المعارف الحديثة ..

على المتخصصين من علماء المسلمين أن يقتنوا كافة العلوم الحديثة وأن يفهموها حق الفهم وأن يصبح فى حوزتهم وطوع أمرهم كل ما يمكن أن تقدمه من فوائد وعائهم أن يدمجوا هذه المعارف الجديدة فى بناء التراث الاسلامى عن طريق الحذف والتعديل واعادة التفسير والتكييف لكل مكوناته طبقاً لما تمليه قيم الاسلام ونظيرته الى العالم ومن الواجب أن تحدد بوضوح جهة التلاقى والملازمة بين الاسلام وفلسفته كل علم .

ثالثاً : القضاء على الانشطارية والثنائية ..

١ - القضاء على الفصل بين الوعى والعقل .

ذلك ان هذا الفصل امر مناف لروح الاسلام كله ومعارض لما فى القرآن من دعوة اساسية للعقل أن يزن كل الامور بميزان العقل وأن يفضل الامور الأكثر معقولية والمنهج التسم بالوسيطه . ان دعوة الاسلام عقلية وانتقادية ، خلافا لتلك الاديان التى تحاول أن تجرف عقل الانسان وتسيطر على ضميره بغية أن يسلم راغماً بما ليس بهقول ، بل بما هو سخي .

ان الاسلام يهيب بالناس دائماً أن يستخدموا ذكاءهم والا يقول أحدهم الا الحق الذى هو على يقين منه والا ينزعولوا بحال عن الواقع ، ولا تخلو صفحة من صفحات القرآن من مثل هذا الحث والالزام وبدون العقل لا يمكن أن تدرك حقائق الوعى ادراكاً كاملاً أو تتكشف طبيعتها السماوية أو يعترف بها وبدونه تستوى دعاوى الوعى مع غيرها من الدعاوى الباطلة ، واذا قبل الوعى على غير اساس من العقل فانه يكون قبولا شخصياً اعتباطياً قابلاً للتبدل وليس لاي أطروحة دينية قائمة على اساس المزاج الشخصى أن تزعم أنها مستحقة للقبول لدى البشر جميعاً أو لدى نسبة معتبرة منهم لفترة

طويلة وحين بالغ المسلمون فى التأكيد على الحدس على حساب العقل أدى ذلك الى فتح الابواب لفساد العقيدة ، ان عدم فصلها عقلياً عن اللغو يعطى الفرصة لخرافات وحكايات العجائز أن تتربى بزي الحقيقة وتتسرب الى العقيدة ، ومثل ذلك تماماً ، ان المبالغة فى التأكيد على (العقل) على حساب العقيدة الحدسية قد أفسدت حياة العقل اذ حجته فى المادية والنفعية والآلية والخواء .

٢ - الفصل بين الفكر والفعل ..

عندما أنقسمت الرابطة بين الفكر والعقل فى المجتمع الاسلامى حتى بدا كل منهما يتدهور فأصحاب القيادة السياسية ومن بيدهم القوة ينتقلون من أزمة الى أزمة محرومين من الانتفاع بفكر العلماء ومشورتهم وحكمتهم ، كانت النتيجة تخبطاً فى العمل ينفر من الموضوعات الجيدة ويضع القادة فى مزيد من العزلة ، أما المفكرون فقد أصبحوا غرباء ومبعدين عن المشاركة الفعالة فى شئون الأمة .

منهج اسلامية المعرفة :

ان أسلمة المعرفة أساس ضرورى لازالة الثنائية الموجودة فى النظام التعليمى وهى بدورها أساس لازالة الثنائية من الحياة وعلاج انحراف الأمة وتقوم المبادئ الأساسية لذلك على عدة قواعد :

وهى وجدانية الله (تبارك وتعالى) ووحدة الخلق ووحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الحياة ووحدة الإنسانية .

والمعرفة الاسلامية تعتبر أن كل شئ فى نطاق المعرفة انما يحقق غاية أرادها الله تبارك وتعالى أو يختم غاية أخرى مرادة الله تعالى أيضاً .

وأن الامانة الالهية حملها الانسان . وأن الانسان وجد لحمل الامانة وأن الارادة الالهية على ضربين : الاول : السنن الالهية التى يجرى الكون على أساسها وهى قوانين الطبيعة وهذه السنن ثابتة ومتحققة على مستوى الكون كله . وتفهم عن طريق الوعى أو العقل . الثانى : ما يحققه عن طريق الحرية والاختيار وهى القوانين الخلقية أن حمل الانسان للامانة الالهية يجعله فى مقام الخلافة أو النيابة وتتمثل خلافته فى انقاذ القوانين الاخلاقية .

والاسلام لا يفصل الدين عن الدنيا ، ومنهجه لبناء الثقافة والحضارة منهج شامل .

الباب الحادى عشر

أسلمة الفن

(١)

يثير فى عقل المشاهد او وجدانه هذه المعانى العميقة التى تحركها هذه الجملة التى تبدو بسيطة فى ظاهرها وهى جملة (لا اله الا الله) .

فالتجريد يستمد من فكرة التوحيد التى تقول بأن لا اله الا الله الواحد العالم المسيطر الرحمن الرحيم وخالق هذا الكون كله . ذلك أن صفات الله فى الاسلام تجعله لا نظير له وهو عز وجل مفزه عن كل شيء وليس كمثله شيء فى الارض ولا فى السماء . . وعلى ذلك فليس هناك ما يمكن أن يستخدم كرمز للذات الالهية أو ما يقوم مقامها ويعنى هذا أنها ترفض تمثيل الأشخاص أو اتخاذ هذا التمثيل مجالا لها ومن أجل هذا ابتكر الفنان المسلم وطور واتقن مجموعة من المواضيع المجردة التى تثبت صلاحيتها للتعبير عن النواحي الجمالية فى رسالته الدينية وفى مقدمة ذلك الخط العربى والشكل الهندسى والاشكال النباتية .

وقد حرص الفنان المسلم على البعد عن محاكاة الطبيعة وعالم الطبيعة الواقعى بشكل مباشر وتوجه الى العالم العلوى المجرد وكان مبدأ محاكاة الطبيعة من خلال التجريد الذى يتطلبه فكر التوحيد ، ويرمى البعد عن الواقعية الى تحرير الانسان المسلم من انشغاله بذاته ومن انشغاله بالطبيعة ايضا حتى يفتتح عقله تماما لتأمل العالم العلوى .

(٢)

يحدد الدكتور محمد كمال جعفر تمييز المفهوم الاسلامى للفن فى خمس نقاط :

اولا : ينفرد الاسلام بتماسك نظراته الجمالية والفنية وتكاملها وتناسقها وتلاقيها فى نظراته الى الحق والخير وبهذا يكون النمط الفريد وذلك فى مقابل التباين والانقسام بين اجراء النظرة الغربية الحديثة للجمال .

ثانيا : تسمح النظرة الاسلامية بالحقيقة الموضوعية للجمال الموجود فى الطبيعة والمصنوع بين الانسان وذلك يعنى أن اعجابنا بالجمال وتقديرنا له ليس تغيرا ذاتيا محضا لا أساس له من الواقع كما يدعى

لقد قدم الاسلام مفهوما للفن يقوم على أساس التوحيد الخالص . فالجمال فى الاسلام هو منطلق للتعرف على عظمة الخالق ، فى منظر السماء الزرقاء ، أو البحر الغوار ، أو الوردة الجميلة ، أو الجبال المجللة بالثلوج ، وما من منظر من مناظر الجمال الا وهو مصدر للتعريف على عظمة الله تبارك وتعالى والاقرار بجلاله ، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى فى قوله تبارك وتعالى :

(الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

ومن هنا كان الفن مصدرا للايمان فان النفس المؤمنة المخيبة لله تبارك وتعالى تنقل بسجرد النظر الى الجمال والفن من الكون الى المكون وتذكر جلال الله وقدرته على هذا الصنيع الباهر الذى يرتد الطرف امامه حسيرا .

وهو الخالق العظيم الذى صنع دوائر الفن جميعا فى الورود والازهار بالوانها العديدة وأحجامها العجيبة المتعددة وربط بين زرقة السماء وبياض الغيوم وخضرة الزرع وجعل الفاكهة اصنافا ومذاقات ، ومن هذا العطاء الالهى كله نشأت الفنون والاشكال اما الآداب والفنون التى تتفنن الطبيعة فى جمالها الذاتى دون أن توصل الى الله تبارك وتعالى فهى فنون ضالة لا قيمة لها .

فالفن فى الاسلام يقوم على الارتباط بالله أساسا ولا تعارض التوحيد باحياء الوثنية ، ولا تخلد الفانى ، ويقدم الاخلاقى على الجمالى وكان أبرز معالم القيد الاسلامى هو (التجريد)

ولقد احسنت دكتورة لوى لمياء الفاروقى حين قالت : أن عنصر الجمال الهام فى الفن عند المسلم ليس التمثيل الجمالى للجسم البشرى ، ولا فى الرمز لحقائق الطبيعة بل أن الفنون الاسلامية أينما وجدت سواء اكان ذلك فى افريقيا أو جنوب شرق آسيا أو فى أى جزء من اجزاء العالم : هى فنون تجريدية كلها ، ومن أجل ذلك فليس هناك مما يصور الطبيعة أو الانسان ما يمكن أن

يرى كثير من الباحثين أن القرآن الكريم تمثيل النموذج المثالي لكل الأعمال الفنية سواء أكانت من فنون القول أو من غيرها .

أولا : أنه الكتاب الذي لم يهتم برواية القصص كسلسلة من الأحداث ولم يحاول وصف الناس أو الأفراد أو الأشياء كنزوات طبيعة محددة ، أن القرآن الكريم هدفا آخر خلاف وصف الأفراد عند البشر أو الأشياء في عالم الطبيعة وعندما قصى القرآن القصص لم يرو القصص مرة واحدة وبشكل نهائي لما هو في الأعمال الدرامية أو الملحمة المعروفة بل أن القصة الواحدة تروى أكثر من مرة وبغرض الدرس أو المغربي المقصود منها بشكل يختلف في كل مرة عن المرات الأخرى بشكل طفيف وهو بهذا يقدم نموذجا رائعا للمبادئ الأساسية للفن : (التجريد - التحوير) ومحاولة البعد عن الطبيعة في المعالجة الفنية ، وكما أن القرآن رفض أن تكون القصة التقليدية والوصف التفصيلي للحوادث والبشر هو محور موضوعاته فإن الفن الإسلامي قد فعل نفس الشيء وعندما تعرض القرآن لبعض الأمور فقد عالجه بطريقة التحوير ولم يحاول أن يؤكد هويتها المادية الطبيعية .

ومن هنا وضع القرآن الأساس الأول للفن الإسلامي وهو الابتعاد عن التشبه بالطبيعة وتجسيماها .

ثانيا : أن التركيب اللغوي للقرآن جاء مصدر إحياء للفنان المسلم وكل آية فيه يمكن أن تعتبر وحدة فنية كما أن كل آية يمكن أن تعتبر عنصرا قائما بذاته وليس لاي آية أهمية أو أسبقية على آية غيرها ، كما أنه لا توجد آية بعينها تحصى معنى النهاية أو الخاتمة لسلسلة ما قبلها من الآيات .

أن طبيعة هذا الكلام القرآني المحكم توحى وتؤكد فكرة تكرارية النموذج بشكل لانهاى ومستمر .

ثالثا : أن الإسلام (عقيدة التوحيد) قد أثر تأثيرا قويا وعميقا في الفن الإسلامي ، وهو فن فرضته طبيعة الرسالة الدينية التي سادت هذه المنطقة وشكلت ظاهره وباطنه .

فالفن الإسلامي لا ينتج إلا من التزام عميق بالمبادئ الأساسية التي يقوم عليها .

رابعا : الفن التجريدي الغربي لا علاقة له بالتجريد في الفن الإسلامي .. فنن الفن الإسلامي ينشأ التجريد عن مبدأ ديني فنن بغرض الابتعاد عن وصف الطبيعة وذلك لجذب انتباه المشاهد الى فكرة السمو الإسلامي أما التجريد في الفن الغربي في القرن العشرين فهو رد

ذلك بعض المحدثين الذين يرون أن الطبيعة خرساء مالم ينطقها الانسان .

ثالثا : تنفى النظرة الإسلامية بالنوعين المشهورين للمتعة الجمالية ..

أولهما : هذه المتعة العابرة التي يصاحبها استرواح النفس والاسترخاء بعد العمل المضني وهدوء الأعصاب وثانيهما : المتعة التي تنعش الذهن وتوقظ الحواس وهذه المتعة الحقيقية الكاملة التي يحققها مصدر جمالي قيم وهي : المتعة التي يحرص الإسلام على تغذيتها وانمائها

رابعا : تشدد النظرة الإسلامية انتباهنا دائما الى ما وراء حواسنا حفزا للهمم وإذاحة التمتع بأرقى مجالى المطبوع والصنوع ومعنى ذلك أن الإسلام لا يرضى لمعنته أن يكون سطوحيا أو شكليا .

خامسا : تحرص النظرة الإسلامية على رعاية كافة الملكات والطاقات الانسانية ولا ترضى مطلقا أن تعطل ملكة أو تهمل طاقة أو تترك جارحة أو عضوا لأن في ذلك تعويقا لسير الحياة .

وتعتبر النظرة الإسلامية في مجال الجمال والفن الطاقات النفسية ثروة تفوق قيمتها اية ثروة أخرى عند نوى البصيرة والعقل المستنير .

في ضوء هذا المفهوم الإسلامى للفن ، يتبين أن هناك خلافا واسعا وعميقا بينه وبين مفهوم الفن الغربى ومن هنا فإن على المسلمين ألا يقبلوا مفهوما وانفدا ولا يحكموا هذا الفن الوافد في تفسير الفن الإسلامى ، وقد تبين أن الدارسين الغربيين فشلوا في تفهم روح الفن الإسلامى وإدراك اسلاميته حينما طبقوا عليه معايير الفن الغربى وأصدروا احكاما جائرة مصدرها العجز عن تقدير ذاتية هذا الفن وارتباطه بروح الإسلام البعيدة عن الوثنية والاستعلاء على الطبيعة وتخليد الجوانب الفانية منها ..

ويمكن أن يوضع مفهوم الفن الإسلامى في عدة نقاط أساسية :

أولا : ليس العمل الفنى الإسلامى تقليدا للطبيعة .

ثانيا : رفض كل ماليس بحقيقة ممثلة في « لا اله الا الله » .

ثالثا : تنزيه الخالق وحده وفناء العالم المخلوق .

رابعا : أن تؤخذ الكلمات والتصورات والأفكار التي تعبر عن الذات الإلهية بلا كيف حيث لا يمكن التعبير عنها بشيء .

تفوق الحضارة المسيحية عليها ووصف العمارة بأنها
عمارة المسلمين وليس العمارة الإسلامية وغيض من
عمل عبد الملك والوليد في بناء قبة الصخرة .

أما هرتزفيلد فقد انتقد استخدام الكتابة الدينية في
الفن الإسلامي وقال أنه لا شك تعبير عن التعصب لدى
المسلمين أن يكتبوا على أي عمل من الأعمال الفنية أنه
من القرآن أو الشهادتين أو عدد كبير من عبارات التهاني
وطلب البركة يشكل لها معنى . .

(دكتورة لوى لمياء الفاروقى)

فعل للمغالاة الواقعية المبالغ فيها في فنون القرن ١٩
فقد وجد الفنانون بعد أن اتخموا بوصف الطبيعة أنهم
في حاجة إلى من يجاوز هذه المرحلة إلى إحساس أعمق
من مجرد السطح القريب وقد أدى ذلك إلى تشويه الواقع
والثورة عليه ، إلا أنهم لم يفقدوا ارتباطهم الكامل
بالشخصية الإنسانية أو واقع الطبيعة .

خامسا : وجه كثير من الباحثين الغربيين المتعصبين
اتهامات كثيرة للفن الإسلامي من باب الحقد والكراهية
على النحو الذى عرف في كتابات كريزول وهرتزفيلد ، أما
كريزول فقد حاول انتقاص الحضارة الإسلامية وإبراز



الباب الثانى عشر

أسلمة مفهوم الحضارة

(١)

وحين يقرر الاسلام مفهومها متميزا للحضارة فاننا مطالبون بأن ننظر من خلاله الى الحضارة المعاصرة التى قامت بمفاهيم المنهج العلمى التجريبي الاسلامى ولكنها انحرفت عنه وتجاهلت البعد الربانى وأوغلت فى الاعتداد بالانسان وغلت فى رعاية الذات الانسانية على نحو تكديدها وجعلها وحدها الحقيقة ، فأصبح اشباع رغباتها هو معيار الخير والشر .

وعلى حصد تعبير الدكتور اسماعيل الفاروقى : لقد غلا الغرب فى استغلاله للطبيعة واستثمرها وطوعها لاشباع رغباته دون وازع اخلاقى مما أدى الى قلب توازن الطبيعة فى كثير من الحقول ، ومضى فى تالية الرغبات واحترام الذات وكانت فريستهم هى الطبيعة فتمكثوا منها وتفجرت لديهم ينباع المعرفة الطبيعية فنشأت العلوم وترعرعت . ولقد أسرفت حضارة الغرب فى استنزاف ثروات الطبيعة وتوجيهها نحو الترف والفساد والانحلال وهى بذلك « تقف على طريق معارض للهدف الربانى معارضة للتسليم بكلمة الله والتساقق والانسجام مع خلائقه ونظمه وسننه فى العالم فالانسان الغربى منشق على نوااميس الكون متنافر معها بدءا ومصيرا » .

ويمكن القول فى تبسيط شديد أن الحضارة الغربية خالفت منهج الله وخرجت عليه ومن أجل ذلك فهى تتلقى الضربات المتوالية فى مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأنها عجزت عن أن تتواءم مع الفطرة أو توازن بين قيم الروح وقيم المادة .

فغلت فى القيم المادية وتنكرت تماما لقيم الروح .

ولذلك فاننا يجب أن نكون لنا نظرتنا المستقلة الى الحضارة الغربية وأن نزنها بميزان الاسلام وأن نقضى قضاء تاما على ظاهرة الانبهار والمبالاة الخادعة التى تعنى فى الحقيقة تنكرنا لمفهومنا الحقيقى للحضارة ودورها فى المجتمعات الانسانية .

ويجب أن نفهم أن أزمة الحضارة الغربية اليوم هى نتيجة انحرافها عن طريق الله واستغلالها على قوانين

يجب أن ننطلق فى فهم الحضارة « اسلاميا » من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية وأن نحدد أولا الاطار الاسلامى لهذا الفهم ايمانا بأن للاسلام مفهومها للحضارة يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن مفهوم الغرب وانه وإن طرح فى افق الفكر الاسلامى عشرات الابحاث التى حاولت أن تصور للمسلمين الحضارة بمفهوم غربى أو بدعوى أن الحضارة غربية أساسا وأن الاسلام ليس الا مرحلة فيها بين حضارة اليونان وحضارة الغرب القائمة ، فإن هذا التصور غير مقبول اطلاقا لانه لا تعتمد على حقيقة علمية صحيحة وانما هو من أهواء الاستعلاء الغربى الذى يتصور أن الجنس الابيض هو الجنس الاعلى والممتاز الذى صنع الحضارة وهو استعلاء ان يطول أمره .

والواقع أن الحضارة الغربية المعاصرة هى عصارة حضارات عديدة أغلبها نشأ فى المشرق ، وكان الاسلام هو أبرز هذه الحضارات عطاء من أجل قيام المنهج العلمى التجريبي ركيزة هذه الحضارات والذى هو من صنع المسلمين وأن كان الغربيون قد تجاهلوا هذه الحقيقة أو أخفوها فالى أمد .

وقد أكدت أبحاث العلماء المنصفين بأن الاسلام تقدم مفهومها للحضارة كان ولا يزال جديدا على البشرية قوامه التوحيد الخالص على أساس الرحمة والعدل والاخاء البشرى مستطأ أهواء الحضارات القديمة وخاصة عبادة الاوثان ، وعبودية الانسان للانسان من خلال فلسفات قامت على الاجناس العليا من السادة والدنيا من العبيد فقد حطه الاسلام هذا المفهوم وكما حرر الانسان فقد حرر المرأة وكرمها وأزال واد البنات والرق وبذلك حرر العبيد والاماء وفتح لهم باب المكتبة والعق ، وهكذا تقدم الاسلام مفهومها للحضارة تختلف اختلافا جذريا عن حضارات ما قبل الاسلام : الرومانية والفرعونية والفارسية وكذلك بالنسبة للحضارة الغربية المعاصرة .

ويقول الفيلسوف بريج سوركن :

ان كل جانب من حياة المجتمع الغربى ونظامه وثقافته ، انما هو فى أزمة طاحنة ..

ان جسد المجتمع الاوربى مريض وعقله مريض ، لاتوجد نقطة ضعف واحدة على جسده الا ويعتورها الالم ، وقد اضطرب جهازه العصبى بجميع اليافه العصبية فلم يعد قادرا على اداء عمله على النحو السديد .

فالمجتمع الغربى فى أزمة شاملة والمرض تفشى فى جسده وعقله وفى حضارته وثقافته وفى سلوكه وفكره ، ان ثقافته الحسية تحتضر وتموت والامل يراود سوركن بزوغ فجر ثقافة مثالية جديدة وتعيش أوربا اليوم فى عتمة وتضطرب خطواتها ويحل عليها الليل فترة انتقال بظلامه وكوابيسه المزعجة .

ثمّة خطر جسيم فى بناء الثقافة الاوربية الا وهو نظرتها الى الانسان وحياته ومكانته فى العالم ، والاحداث الواقعية فى الحياة الاوربية والامريكية تبرهن على وجود هذا الخطأ المميت ، فقوة العلم تستخدم لآبادة البشر (٦٠ مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية) وتدمير المدن والتقدم العلمى الصناعى لم يقرب الاوربيين من مثلهم الاعلى وهو السعادة .

صفوة القول : انن ، ان قوة العلم قد سخرت لآبادة الانسان نفسه ومعرفته المتنامية أبعدته عن السعادة وعن فهم نفسه وحياته وهذا هو التناقض بعينه .

(٢)

فاذا كانت هذه شهادة أهل الغرب فى حضارته فما هو موقفنا نحن ؟ لقد حاول الغرب ان يحتوينا بحضارته ، حين فرض نموذجه على المجتمعات الاسلامية وحجب عنها شريعته وسيطر على اقتصادها وقوانينها .

وكانت دعوة التغريب والغزو الثقافى ترمى الى فرض المنهج الغربى وتبنى طريقة معيشة الغرب الحديثة بدعوى انها الوسيلة الوحيدة التى ترفع المسلمين الى مستوى البلاد المتقدمة وبالرغم من أن هذا الاسلوب قد فرض على المسلمين وساروا فيه شوطا طويلا الا أنهم لم يستطيعوا عن طريته أن يحققوا أى تقدم حقيقى على النحو الذى حققته اليابان حين استطاعت أن تستوعب أسلوب الغرب التكنولوجى وتحافظ فى نفس الوقت على شخصيتها الخاصة بقيمها وعقائدها ، أما بالنسبة لعالم الاسلام فقد حرص الغرب على أن يدمر قواعد الذاتية الاسلامية وفى نفس الوقت لا يمكن المسلمين من امتلاك الاسلوب العلمى ، وكان أسلوبه فى التعليم

الامم ونواميس المجتمعات فليس وصول الحضارة الى كشف اسرار العلم هو بذاته مصدرا من مصادر النجاح الحقيقى ، الا اذا وجهت العلم وجهته الربانية الصحيحة واذا كانت الحضارة الغربية قد وصلت عن طريق العلم الى انكار الخالق والى الخروج عن منهجه والى الاستعلاء على دين الله الحق ، فانها بذلك تمهد لنهايتها المحتومة وهى نفس النهاية التى وصلت اليها الحضارات السابقة .

لقد عجزت الحضارة بعد أن يسر (الله تبارك وتعالى) لها الكشف عن بعض قوانين العلم والتكنولوجيا أن تتجه الى الهدم والتدمير وأن تضع كلمة (الطبيعة) مكان كلمة الله ، وأن تندفع فى الطريق المادى الخالص متفكرة للروح والتوازن بين مقدرات الانسان نفسه حتى تحطم ذاك الانسان على صخرة الشهوات والادمان والخمر والأمراض الزهرية والدعارة والغلبة وتبادل الزوجات وتقنين الشذوذ الجنى .

يقول مارتن بولى فى كتابه (انسان المستقبل) . لقد بدأ الانهيار فعلا فى المجتمع الصناعى بانتهيار بنيان الأسرة وسلطة الاب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الاصول والفروع والحدود والاعمام والعمات .. بل أن الاطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فور انتهائهم من الدراسة ، بل أن الزوجة نفسها التى تعتبر أخسر حجر فى بنيان سلطة رب الأسرة بدأ وضعها يتغير ، أولا بالتمرد على الالتزامات التى توثقها الأسرة وثانيا باخراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل ثم تزايد معدل الطلاق ، حتى العلاقة بين الآباء والابناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الاسرية فى الغرب وساهم التلفزيون كعامل اساسى فى القضاء على الحياة العامة وسياسات الجماعة فقد خلط تصورات العالم الحقيقى بتصويراته الخاصة وخلق حقائق جديدة ، لقد دمرت العرف الافكار العظيمة وقضت على الأسرة وأطاحت بنظام الزواج وسفهت الحب الرومانى وقلصت الديمقراطية التقليدية الى أسطوانات دعائية مسجلة .

ويشير والتر شوبارت : الى جانب آخر فيقول : ان الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديدة الاثرة نزاعة الى الفردية مدبة للتنافس ، ان الغرب قد جعل الانسانية ذات تراث واسع يتفوقه فى الصناعة ولكنه جرد الانسان من الروح .

ان الفرد من خلال هذا النموذج الثقافى ، لا يعنى بخلص روحه وانما يهيمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه .

موجها أساسا الى تخريج مغربين يؤمنون بالتفسير الغربى لتاريخهم وتقاليدهم ويرغبون فى الانصهار كلية فى حضارة الغرب ومن ثم فإن الريادة الفكرية الآن فى العالم الاسلامى هى ريادة مغربية مدخولة لا تفهم ولا تؤمن بالفوارق العميقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية .

بل انها تعادى الفكرة الاسلامية عداء شديدا لانها منحازة الى المنهج الغربى او المنهج الماركسى ، تركّز على الدفاع عن وجودها وترى فى البناء الاسلامى خطرا عليها .

ان جميع النظريات الوافدة التى حملها الغرب الى البلاد الاسلامية هى مجموعة من النقائص حاولت أن تشكل بالمزج أو التركيب نظرية ملفقة واضح فيها التحل والصناعة ولذلك فهى لم تستطع أن تقدم شيئا نافعا لانها ضد طبائع الاشياء وضد الفطرة ، فهى جماع مختلط غامض من القومية والماركسية والاشتراكية والثورة والاسلام على بعض الوجوه ، ولقد فشلت كل هذه المحاولات فى أن تقدم شيئا ايجابيا نافعا .

(٣)

ومن هنا فان هناك مجموعة من الحقائق يجب أن تكون واضحة أمامنا . ونحن بسبيل عرض المفهوم الاسلامى للحضارة :

أولا : ليس النمط الراسمالى الذى عرفته أوروبا هو النمط الأرقى .

ثانيا : المشروعات المستقبلية التى تقوم على أساس هذا تخطاها الواقع .

ثالثا : المجتمعات التى تكونت بعد سيطرة الرأسمالية الأوروبية على أغلب بلاد العالم ليست مجتمعات أصيلة بل تابعة هجينة انقطعت عن مسارها التاريخى ولم تأخذ مسار أوروبا .

رابعا : ان الحضارة الأوروبية وضعت لنفسها هدف السيطرة على العالم واخضاعه لسلطانها ، كما وضعت لنفسها هدف خدمة الأقلية المتسلطة دائما لا لخدمة المجموع الإنسانى العام بل الى ركض مسعور لتطوير البضائع الاستهلاكية باتجاهات حكمتها عمليات المنافسة والربح ، لتحقيق أعلى درجات السيطرة على الآخرين واستنزاف جهودهم وثرواتهم .

خامسا : ان التطور العلمى والفنى فى الحضارة المعاصرة اتجه نحو التضاد مع الطبيعة والبيئة والحاجات الفطرية للإنسان .

سادسا : ان الدوافع التى امتلأت بها صدور الأوروبيين مع أوائل القرن السادس عشر تكشف عن شره شديد للسيطرة على العالم ونهبه حتى الحدود القصوى يقصد التمتع بأكبر قدر ممكن من الترف .

سابعا : استخدام كل الاساليب البراقة للسلع الاستهلاكية والعمل على ما يثير الفرائز من اشاعة الجنس والمخدرات .

ثامنا : فرضت الحضارة الأوروبية المسيطرة بالاستعمار على المدرسة والجامعة وأجهزة الاعلام مناهج الغرب بكل ما تستند اليه من فلسفات وما تحمله من مبادئ ومعايير ومتولات ، الامر الذى أبعد أعدادا متزايدة من المثقفين فى بلادنا عن سياقتهم التدريجى وزرع فى عقولهم التغريب وعددا لا يحصى من المقولات المشوهة حول الاسلام والتراث والتاريخ والنمط المجتمعى الاسلامى . (منير شفيق)

(٤)

ومن هنا فان علينا أن نحدد موقفنا تماما من هذه التبعية وأن نعمل على الخروج منها بأسلمة مفهوم الحضارة أساسا وأن من حق الاسلام علينا أن نحدد موقفنا تماما تجاه الحضارة الغربية .

يقول محمد أسد (ليوبو ادافيس) ان تقليد المسلمين فرادى وجماعات بطريقة الحياة الغربية يعد من أعظم الأخطار التى تستهدف لها الحضارة الاسلامية هذا التقليد نشأ بسبب قنوط المسلمين الذين راوا القوة المادية فى الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة فى بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خاطئ مؤداه أن النظام الاسلامى فى الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من أجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربية .

خطأ الاعتقاد بأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكير الاسلامى ، ان ممكن الخطر فى تقليد الغرب لا يكمن فى الاشياء التى تقلد فحسب ، بل انه يكمن كذلك فى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية التى تقطع بالتدريج تلك الصلات التى تربط العالم الاسلامى بماضيه ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب انه ينتهى الى أن يفقد أساسه الروحى اذا ظل سائرا فى طريق التقليد .

ان المشكلة اليوم هى مشكلة مسافر وصل الى مغترب طرق ، انه لا يستطيع أن يظل واقفا فى مكانه ، فلا بد أن يتجه نحو المدنية الغربية أو حقيقة الاسلام .

وتختلف في الثقافات والنظريات السلوكية والأخلاقية ، وهذا التمايز كما يقول دكتور محدد محدد حسين مقصود لذاته لانه هو الاصل في تمايز الامم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) ، (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ويتميز المسلمون بالمقدار الذي يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، التي تجعل منهم جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، ومن طريق المخالفة لغيرهم فهو الذي يصونهم من الذوبان والفناء في غيرهم وهذا واضح من قوله تعالى :

(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ..

فالآية تدعو المسلمين الى الاجتماع على طريق الاسلام من ناحية وتنهاهم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لانها تؤدي الى تفرق جماعتهم .

« ولقد لفت نظري المخطط الاستعماري الصهيوني الذي يدبر لتجميع الطابع المميز لشخصية الأمة الاسلامية تهيدا لامتصاصها » .

وهنا يأتي مفهوم الاسلام للتجديد والاصلاح ..

فالتجديد صفة لحركة اسلامية يمكن ان ترد للاسلام جدته ليعود الى صورته الصحيحة كما بدأ او لينفى عنه ما شابه وما خالطه مما انحرف به عن الجادة والاصلاح هو تخليص المجتمع الاسلامي مما اغراه من تحلل ادى الى تخلف المسلمين ، والخطر هو تطويع الاسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطويع المجتمع لتكون في نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية ، ان النظم الجمهورية والديمقراطية التي تبدو في ظاهرها تأييدا لسلطة الشعوب في اختبار قادتها وزعامتها كانت تستهدف في حقيقتها سيطرة اليهود بالتحكم في اختيار اوليائهم لهذه القيادات والزعامات واستبعاد أعدائهم وخصومهم منها بسيطرتها على الرأي العام والانتخابات عن طريق السيطرة على رموس الاموال ووسائل الاعلام ..

(٧)

ويحل بعض الباحثين ارتباط الحضارات بالاديان ، فيقول : تختلف الأديان الثلاثة في الروح ومنهج الوصول الى المعرفة والى الامن أيضا عن طريق الاعتماد على العقل والعلم ، ولكل من الأديان اليهودية او النصرانية مميزات رغم اشتراك الديانات الثلاث في أمور جوهرية

نعم : نحن مطالبون اليوم بتحديد موقفنا ، وهو التحرر من نقائص الحضارة الاوربية الحديثة (الفلسفة الفكرية والسلوك العملي) مع استيفاء ماكان صالحا من خبرتها فكريا وعملا ، يقول العلامة محمد المبارك : ان التحرر من غزو الحضارة الغربية لا ينبغي ان يفهم منه اعراضنا عن الاخذ بمكاسبها العلمية في ميدان الطبيعة والصناعة فذلك واجب فوري ، كما أنه لا يتنافى مع التعاون في اطار المصلحة المتبادلة ، مع اصحاب هذه الحضارة بل التعاون الانساني العالمى في نطاق عقيدتنا وقيمنا الاخلاقية الانسانية ، وانما التحرر من فلسفتها العقائدية البتراء الناقصة التي هي سبب بلائها والتحرر أيضا من القواعد السلوكية المنبثقة عنها ومن الذوبان الخطر في فلسفتها هذه وثقافتها ومن التبعية لها في مجال السياسة .

« واهم العمليات وأخطرها وأشدّها صعوبة هي احلال الاسلام باعتباره نظاما عقائديا كاملا ، اى بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محل الثقافتين : ثقافة العصور الوسطى المتجدة والمشتعلة على انحرافات ، وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية سواء في قطاعها الشيوعى أو الرأسمالى .

« ان احلال الاسلام أو عودته — لا تعنى مجرد اقامة شعائر الاسلام التقليدية ، بل هي عملية جفزية تستطيع المواجهة في معركة العقائد السائدة والتي ينبغي أن يكون البديل الاسلامى لها نظاما عقائديا اسلاميا ينطلق من المضمون الاساسى للنظرة القرآنية ومن المشكلات المعاصرة ومن الازمات الماثلة بعد حلها على ضوء هذه النظرة » ..

وفي هذا الصدد ينبغي أن نفصل بين المضمون القرآنى المشتغل على نظرة الانسان الى الانسان والكون والحياة والله المهيمن عليهم جميعا وبين الاساليب والاجتهادات التي تمثل الجهد البشرى المشكور الذى قام به اعلام المسلمين في العصور الماضية ، فمن المضمون القرآنى المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة تكون الانطلاقة وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة بأسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهاداتنا التي لا تتجاوز الاصل الثابت في ضوء المشكلات المطروحة ..

(٦)

ويسلمنا هذا الى التعرف على مفهوم الاسلام للحضارة ، هذا المفهوم المتميز حيث تتلاقى الأمم في النظريات الرياضية والتجريبية وحقائق المعرفة والعلم

على حد تعبير الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة الذي يقول ان الحضارة الاسلامية تتميز بأنها تكون الانسان المؤمن المجاهد ، تكوينا شاملا لحياة الدين ولحياة الدنيا .

وهذه الحضارة قادرة على النقد والاختيار وتتغلب كما يتغلب الجسم القوى على كثير من العوارض والازمات التي واجهتها ومرجع قدرتها على البقاء انها حضارة روحية ، عقلية ، أخروية ، دنيوية ، مادية ، علمية فلسفية ، بحيث تتمثل كل شيء وتحوله الى ذاتها العميقة ، ولا يمكن استئصالها الا بازالة من يحملها وينفذها ويتمثلها وقد يجمع المسلم في ذاته كل هذه العناصر .

وهي حضارة تنتشر انتشارا تلقائيا وتجد طريقها بوسائل بسيطة لان روحها وأسسها الفكرية والأخلاقية تنجلي في المسلم البسيط ، تنكشف روحه الاسلامية في عبادته وسلوكه ومعاملته في أى مكان كان وهي حضارة عالمية انسانية شأنها شأن الاسلام نفسه ، وأبرز مظاهرها الوحدة رغم تنوع مظاهرها لانها مبنية على التوحيد وقد تعرضت لازمات ومعوقات ، وهجمات مدمرة وعداوات قاسية ولكنها استطاعت البقاء ، كما انها تعرضت للركود والانكماش ولكنها كالكائن الحي الذي تكمن قوته في داخله تسكن تحت مجارى الاقدار وتضرب حتى اذا تهيأت لها الظروف المؤاتية تفتحت وازدهرت من جديد .

(٩)

ويقرر عدد من الباحثين ان جوهر الحضارة الاسلامية هو التوحيد ، فالتوحيد هو الذى يعطى للحضارة الاسلامية هويتها وهو الذى يصبغ كل ما يدخل اليها من عناصر فيؤصلها ويظهرها فتخرج من عبورها الى التوحيد متجانسة مع كل ما حولها ، ومن أبرز ما تتسم به امتزاج الايمان بالأخلاق بالقانون فقد جاءت حضارة الاسلام خاتمة لرسالات السماء لمعالجة هذا الانفصام القديم في كيان الانسان أصلا بين روح وجسد وبين عقله وعاطفته وبين تطوره المادى وسلوكه الاجتماعى وبين دينه ودنياه ، جاء الاسلام تخلصا لكل جهاد الانسان الروحي ليقيم ميزان التعادل في ضمير الانسان وفي حياته . والجمع بين العنصرين ، والترابط بين الفرد والجماعة فقد ركز الاسلام منذ البداية على ان الفرد فرد في جماعة (ومن شذ شذ في النار) وسمى النبي صلى الله عليه وسلم أول مجتمع أقامه في أول أيام الهجرة بالامة .

مثل الايمان بالخالق الواحد الذى أبدع هذا العالم وبالرغم من اشتراك الديانات الثلاثة في الناحية العامة في أمور جوهرية فان هناك انفراد الاسلام بأمور كثيرة مميزة قد يكون أولها مفهوم التسمية التي تسمى بها .

فالاسلام هو اسلام الوجه لله ، اسلام التراث من وجوه شتى اختارها مع الصدق والاخلاص في ذلك وتبرئة العقل والقلب من كل ثنائب الشرك ومع منتهى التعظيم والاحلال والمحبة لله بحيث يكون للاسلام في الظاهر سلوك وفي الباطن حالا وطبيعة ٩٩

فالاسلام هو الموقف الفكرى والنفسى للانسان وهو موقف جميع المخلوقات فالكون كله بسمواته وأرضه مسلم لله والمخلوقات كلها ساجدة لله وهي مسبحة بجلاله وبجده بلسان واحد .

ولما كان كل بناء حضارى يحتاج الى اساس من فكر وايمان وهو روح الحضارة والى مؤمن بالفكر يحمل روح الحضارة ويشرع في البناء او على الاقل يهيئ له الظروف ، فالاسلام نفسه بجميع جوانبه اساس للحضارة الاسلامية والمؤمن بروحها الذى شرع في البناء هم العرب والمنفذ هو الامة الاسلامية ومن اندمج فيها من أهل الديانات والمذاهب الاخرى والمناسبة هي خروج العرب ومعهم الاسلام واللغة العربية وميراث الحنيفية الابراهيمية الى مسرح التاريخ العالمى الكبير ولقاؤها مع الحضارات الاخرى .

وقد انبثق العلم من القرآن سواء من حيث المنهج ، وهو منهج حسى عقلى لان الله أمر باستعمال الحواس والعقل معا .

وقد غرس الاسلام حب المعرفة بفضل ما جاء في الكتاب الحكيم من اشارة بالعلم ورفع شأن العلماء وتعظيم للحكمة ومن أوتيها ، ومن حث على النظر في الكون وفي آيات الله وفي النفس الانسانية واسرارها مع ترك التقليد للموروث وتجنب الحكم بالظن والهوى ومع الاهتمام بطلب العلم اليقين والمطالبة بالدليل والبرهان .

(٨)

ويكاد يجمع الباحثون في الحضارة الاسلامية عن ان ميزتها ومكانتها بين الحضارات العالمية انها تقوم باسم الله تعالى وعلى يد الانسان وانها متفتحة تقبل كل الثمرات الروحية والعقلية والمادية لعناصر الحضارة الصحيحة وهذا هو سر تجددتها المستمر ونصوص القرآن صريحة في ان الله تبارك وتعالى قد استخلف البشر في الأرض واستعمرهم فيها أى طلب عمارتها

وفي ضوء هذه المفاهيم تبين أن مفاهيم الحضارة الإسلامية تختلف اختلافا عميقا فهي كما يصورها (منير شفيق) . . .

أولا : ترمى الى التوحيد الاجتماعى فى الاسلام الموجب لتحقيق توازن دقيق بين مختلف حاجات الانسان ومتطلباته ومختلف حاجات المجموعات البشرية ومتطلباتها الحاجات المادية والروحية والنفسية والمعرفة .

ثانيا : الاسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حيوية لا تجعل من الممكن أن يفهم أى جزء على حدة وإنما ضمن وضعه فى الإطار العام أو من خلال علاقته بالوحدة الكلية والأجزاء الأخرى مجتمعة وفى آن واحد .

ثالثا : توحيد البشر والشعوب والقبائل ، مع عدم التنكر لسنة الله التى جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا فى ظل رابطة الاسلام التى تضبط وتهذب وتطور الروابط بين الأفراد والجماعات .

(١٠)

ونصل من هذا العرض كله الى حقيقة واحدة هى :

أن المفهوم الإسلامى يقوم على : التكامل بين المنهج والتطبيق وبين الفكر والأخلاق ، وبين الروح والمادة وبين الدنيا والآخرة وبين الإلهى والبشرى وبين الفرد والمجتمع .

هذا المفهوم الذى لا يستطيع الفكر الغربى أن يفهمه أو يؤمن به والذى أدى تخلفه هناك الى انحدار الحضارة الغربية وهزيمة الفكر الغربى ودخول المجتمعات الغربية الى مرحلة الازمة ، فقد وصلت الحضارة الغربية الى القمة فى انجازاتها المادية ولكنها كما يقول الدكتور أسحق فرخان - تصل الى التخصيص فى مجال استعباد الشعوب النامية من أجل سعادة الانسان الغربى المذهل الذى يستمتع بتراث الحضارة الغربية المادية .

ويقول : لقد أسرفت الحضارة الغربية اليوم فى تطويع التكنولوجيا لخدمة الانسان الغربى كما أفلست فى الاهتمام بالقيم الروحية والخلقية والانسانية التى تعطى الحضارة توازنا وتجعل الانسان أخا للانسان أينما كان وها نحن نرى ما ينتج من بعض آثار الحضارة الغربية اليوم من اسراف فى المتعة المادية وتدمير الثروات

العالية على حساب الاجيال القادمة وكثير من شعوب العالم الثالث ، وانتاج لاسلحة الدمار التى تكفى اليوم لدمار الكرة الأرضية فيما لو وصل مجنون الى قمة السلطة فى المعسكر الغربى أو الشرقى وتلويث البيئة الطبيعية من تراب وبخار وهواء حتى يمكن القول بأن عناصر هلاك البشرية وجرائم القضاء على الانسان تتسارع بنفس المعدل الذى تنتشر به مظاهر الحضارة الغربية .

ويقول الدكتور أسحق فرخان أن الحضارات لها مظاهر متشابهة من حيث الشكل فى مجالات الآداب والفنون والعمارة والعادات وأنماط الحياة ، ولكن الحضارة الإسلامية تميزت بعدة ميزات جعلتها نموذجا منفردا فى سلسلة حلقات الحضارة الانسانية ومن هذه الميزات .

أولا : ان الحضارة الإسلامية حضارة هادفة تقوم على الإيمان بالله والارتقاء بالروح وتنمية القيم الأخلاقية والانسانية لدى الانسان والمجتمعات البشرية .

ثانيا : ان الحضارة الإسلامية حضارة شاملة لجميع ميادين الحياة من لغة وآداب وعلوم وفنون مما يعود بالنفع على الانسان فى حياته الخاصة والاجتماعية والعالمية وقد كان المقياس فى كل مجالات الحياة ذلك الإطار الإسلامى فى العقيدة والخلق وكان التقدم فى العلوم الكونية موازيا للتقدم فى العلوم الشرعية .

ثالثا : ان الحضارة الإسلامية حضارة متوازنة فيما يتعلق بالنواحي الروحية والمادية وفيما يتعلق بما يخص الفرد وما يخص المجتمع وفيما يتعلق بالامة الاسلامية من جهة وسائر شعوب الارض بصورة عامة وبالجمله فإن الحضارة الغربية اليوم مهددة بالانهيار والانحلال لتركيزها على النواحي المادية على حساب النواحي الروحية .

وإن الاسلام مؤهل اليوم أكثر من أى وقت مضى لان يعلن للحضارة الاسلامية توازنها وينفذ الدشرة من دمار قد يكون شاملا وعلى علماء المسلمين بلورة المنظور الاسلامى لسائر التخصصات العلمية فى سائر حقول المعرفة والنووض باللغة العربية كوعاء للحضارة الاسلامية وايجاد جيل اسلامى معاصر يؤمن بربه قادر على العطاء والبناء .

الباب الثالث عشر

أسلمة كتابة التاريخ

(١)

الاسلام بأسلوب عاطفى وجدانى خالص على نحو قصائد المديح والمبالغة وانما ندعو الى أسلوب اسلامى الوجهة جامع بين عطاء العقل وعطاء الوجدان وأن يكون تفسير التاريخ الاسلامى قائما على منهج الاسلام الجامع بين الروح والمادة ، وتوجهه الى كل ما يملك الانسان من قوى الوجدان والروح والعقل والفكر .

وعلى ان نثق ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هي محاولة قاصرة لا تستطيع ان ترقى الى مفهوم الاسلام الجامع والذي لا يقف عند حدود الجوانب المادية أو المحسوسة أو يحكم بها على الامور ، وانما هو اوسع دائرة وأرحب أفقا حيث يجمع بين عاملى الروح والمادة فى النظر الى مختلف الوقائع والاحداث وفى تقرير القضايا الاساسية كقضية التقدم والحرية والمعدل الاجتماعى والشورى ومن هنا فان محاولة كتابة تاريخ الاسلام بأسلوب العلمانية أو القومية أو المادية هو بمثابة محاولة فاشلة مردودة على أصحابها ، ولن يقبلها الروح الاسلامى الذى تشكل منذ خمسة عشر قرنا على التكامل الجامع بين القيم والذي يربط حركته فى المجتمع والنفس بالله تبارك وتعالى ويجعل الاخلاقية عاملا أساسيا فى هذه الحركة .

كذلك فان دعوى كتاب التغريب من أن أسلوب الغرب هو المنطلق الذى يستطيع به المسلمون ان يحققوا كيانهم ووجودهم ومجتمعهم ، هذه المحاولة خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة (منذ اثارها طه حسين ومحمود عزمى وغيرهم) وقد تكشف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من ايدى المسلمين وثبت فشل المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الاولى كما ثبت فشل المنهج الماركسى والاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية فقد تبين أن ما ظنوا أنه عامل موصل للنهضة هو عامل عازل يسام المسلمين والعرب الى الاحتواء الكامل والانصهار فى بوتقة الامم العالمية .

تعرض تاريخ الاسلام لمحاولة خطيرة ترمى الى تفريغه من مقوماته وتفسيره تفسيراً مادياً عن طريق جماعة الاستشراق وتابعيهم من التغريبيين وذلك بهدف خطير هو القضاء على روحه القوية النفاذة القادرة على اعطاء الاجيال الجديدة من الشباب المسلم دفعة من الايمان والثقة فى سلامة منهجهم وصدق عقيدتهم وهو الهدف الحقيقى من الاساليب الوافدة التى انخلت على كتابة تاريخ الرسول وصحابته والاسلام ومنهاجه على اساس المنطلق الذى عمد النفوذ الاجنبى على رسمه لاساساً وهو تفريغ التاريخ الاسلامى من آثاره العميقة القادرة على انبعاث هذه الامة من جديد وهى جزء من المحاولة الكبرى التى ترمى الى تزيف الاسلام عقيدة ومنهجاً ، ثم ضربه فى مراحل التطبيق على ايدى خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم والدول الاموية والعباسية والعثمانية وغيرها .

وقد وضح ذلك تماماً فى الكتابات العصرية للسيرة النبوية التى قامت على اساس انكار المعجزات والجوانب الغيبية والخوارق التى اثبتتها الوثائق الصادقة التى حفظتها الاجيال والتى حققها علم تحقيق السنة النبوية ولقد تبين اعراض الكتابة العصرية للسيرة (العقاد ، طه حسين ، هيك) عن الجوانب ذات الصلة بالايمان والعقيدة واليقين والتقوى وقوانين الاسلام فى النصر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) هذا الاعراض يرمى الى : اطفاء نور العطاء الالهى فى السيرة النبوية بتاريخ الاسلام فلا شك ان كفاءة السيرة والتاريخ بالطريقة العلمانية من شأنه ان يخفف هذا الوهج العظيم الذى يجب ان يمسك قلوب المؤمنين فيعرض السيرة خاوا من يقين الايمان تحت اسم العلم الذى لا يعترف بغير المحسوس والذي لا يستطيع فهم الوحي والنبوة ومدد السماء .

وليس معنى هذا أننا نطالب بكتابة السيرة وتاريخ

على مدى التاريخ ، وأن الاسلام يتميز بمفهوم اسلام النفس لله ، واخلاقية الحياة والمجتمع ، والمسئولية الفردية والجزاء الاخرى .

(٣)

تتمثل ميزة التاريخ الاسلامى عن تواريخ الامم الاخرى فى ميادين كثيرة :

الاولى : انه نشأ فى رحاب الدين الاسلامى بمعنى انه بدأ يجمع الاحاديث النبوية التى تتعلق بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد جمع الاحاديث وثبوتها ظهر باب يتعلق بحياة الرسول وكان هو النواة التى نشأت عنها وترعرعت الدراسات فى علم التاريخ ، وهذا جعل علم التاريخ يبدأ بداية ترتبط بجمع الاحاديث ، وتحرى الدقة الكاملة ، فى سلسلة الاسناد وان التاريخ بنشأته حول سيرة الرسول يتميز بالصدق والدقة فى التدوين وهى ميزة لم تتوفر لاي تاريخ آخر .

الثانية : ان الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامى وتدوينه لم يكونوا من رجال الدولة الرسميين وانما كانوا علماء اجلاء وهبوا انفسهم للعلم ابتغاء مرضاة الله .

الثالث : الهدف من التدوين هو خدمة المجتمع الاسلامى .. بمعنى ان التاريخ الاسلامى كانت له وظيفة هامة ومحددة ، وهو امر اكسبه طابعاً فريداً لا تجده أيضاً فى تواريخ الامم السابقة واللاحقة ، فقد كان يقوم بتدوين تاريخ تلك الامم غالباً نفر من رجال الدولة الرسميين بقصد اضعاف التمجيد على الدولة ، تدوين التاريخ الاسلامى فقد كان المقصود من واضعه عملية تقدم للمجتمع الاسلامى النماذج التى تجنبه الخطأ وتهديه سواء السبيل .

وقد وجدت الدراسات فى التاريخ الاسلامى مادة خصبة فى حركة الفتوح الاسلامية وما ترتب عليها من اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول شعوب جديدة فى ظل الاسلام ، وهناك جانب هام ظهر للتاريخ الاسلامى مع امتداد الدولة الاسلامية هو استخدام التربية فكان الخلفاء وكبار رجال الدولة يحرصون كل الحرص على ان تكون دراسة التاريخ الاسلامى عنصراً حيوياً فى تربية ابنائهم وكثيراً ما كانوا يوجهون المؤدبين والمشرفين على تربية ابنائهم بالاعتماد على التاريخ فى توسيع مداركهم وثقافتهم .

الرابع : رجال التاريخ الاسلامى هم الذين تصدوا لمحاولات دس احاديث مكذوبة عن الرسول ، فمثلاً اذا جاء فى سلسلة الاسناد لحديث من الاحاديث شخصية

ان منهج التفسير الاسلامى للتاريخ يقوم على اساس واضحة وقاعدة كلية وهو بذلك يختلف عن منهج الغرب الليبرالى القائم على اعلاء شأن الفرد وعظمته وسيادته ، او النظرية الماركسية القائمة على اعلاء شأن المجتمع وكلاهما نظرية انشطارية تقوم على جانب واحد وتعتمد المفهوم المادى وحده فى كليهما .

ويتقرر منهج التفسير الاسلامى للتاريخ (اولا) فى ان الامم التى تخرج على منهج الله لا بد ان تدمر ، وان سنة الله تبارك وتعالى فى زوال الامم وانقراضها ماضية الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا القانون فى عديد من الايات الكريمة :

(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفوها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .. الاسراء .

٢ - ان تاريخ البشرية كله انما هو صراع بين الاسلام والفكر البشرى ، بين الحق والباطل ، بين منهج الله تبارك وتعالى ومنهج البشر .

٣ - ان البشرية كلها وحدة جامعة ، الناس لادم وادم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى) فلا تمييز لامة او عرق او جنس او شعب .

وان دين الله واحد وان تاريخ الاسلام لا يبدأ من محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يبدأ من ادم عليه السلام .

٤ - ان تاريخ البشرية الحقيقى هو تاريخ الانبياء الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وقد دعا القرآن الكريم الى اهمية دراسة التاريخ وعبرة الامم ونواميس الامم وسنن الحضارات وغير ذلك كله فى قوله تبارك وتعالى :

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

٥ - ان الدين بمفهوم الاسلام الجامع هو العامل الاكبر والاساس فى بناء التاريخ والحضارة والمجتمع الاسلاميين ، وان الدين بمفهوم الاسلام عامل مؤثر على الاقتصاد والسياسة والتربية والاجتماع وليس ظاهرة عرضية كما يحاول الماركسيون تصورهم الذى يقوم على مفهوم المسيحية الغربية ويقرر الباحثون ان الدين هو العامل المؤثر على انشاء الحضارات واقامة المدنيات

يكشف عنها المؤرخ أنها كانت بعيدة عن مجريات الاحداث
فهنا يتهم الحديث بالكذب .

وفي الفترة التي شهدت الخلافات بين الفرق
الاسلامية وعمد فيها أصحاب تلك المذاهب الى ترويج
افكارهم بأحاديث مرسوسة .. قام المؤرخون بتصحيح
الموقف قال سفيان الثوري : عندما لجأ الرواة الى الكذب
لجأنا الى التاريخ .

ويزودنا التاريخ الاسلامى بتجربة المسلمين الرائعة
والفريدة في ميدان التعليم وهى ما يجب أن نضعها
موضع العناية كأسلوب لحل مشاكلنا التعليمية .

(دكتور ابراهيم العدوى)

(٤)

ومن هنا فنحن مطالبون بالكشف عن دسائس
المستشرقين في كتابة تاريخ الاسلام واعادة كتابة التاريخ
الاسلامى لتنتقيه من سموم المستشرقين والتغريبيين حيث
أن في بعض الكتب التى في ايدينا افتراءات على
الشخصيات الاسلامية .

ولقد قدم المسلمون أول منهج علمى لتحقيق الحديث
النبوى وطبقوا هذا المنهج فيما بعد على وقائع التاريخ
ولكن التجربة التى وصلت الى ذروة القوة والسلامة في
مجال الحديث النبوى لم تستطع مد روايتها الى كتابة
التاريخ الاسلامى فدخلت الى الساحة عناصر كثيرة من
الرواة والشعوبيين وأهل الأهواء والمذاهب السياسية .

يقول المستشار سالم البهنساوى : لقد ظلت
عصور التاريخ الاسلامى مرتعا خصيا للدس والوضع
والتجنى والجهل بالاسلام فاستمسك بها أعداء الاسلام
وأهل المال الأخرى يأخذون منها نصلا مسمومة لتثويته
تاريخ الاسلام ، لقد وقّع التاريخ الاسلامى ضحية
مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على اصول الاسلام
والباس الباطل ثوب الحق والطعن في رجال الاسلام
وقادته واضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الاسلام كان
قبولا وعملا وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم الافتراءات
تليقة من تاريخهم الاول ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة
الأهواء كغيرهم من أهل المال والنحل .

« ثم ان المؤامرات امتدت الى تغيير بعض احداث
التاريخ الاسلامى لتلائم الفلسفة الاوربية ، ثم امتدت
المؤامرات الى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير
المذهب الماركسى في تفسيره المادى للتاريخ ، وكان الرواد
الاول في ذلك بعض صبيان الراسمالية الغربية ثم

اتباع الماركسية من الاعراب وبعض من تحولوا من
الفكر العلمانى الى الاسلامى بكتابات أسهمت في بعض
الأخطاء نقلًا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا
التاريخ الاسلامى او كتبوا عنه .

ويكشف المستشار سالم البهنساوى : هذه
المؤامرات التى جرت في تدوين التاريخ الاسلامى ويردها
الى عاملين :

الاول : استخدام العقل في غير موضعه .
الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى
العامل الاول : استخدام العقل في غير موضعه .
المجال الذى ينفرد فيه العقل بالحكم على الاشياء
هو ما خضع لنطاق هذه الحواس أما الامور غير المادية
التى لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس فليس للعقل
قدرة في الحكم عليها .

ولقد نشأت عن استخدام الانسان عقله في غير
موضعه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها ومازالت
تجنى أثر الصراع بين هذه المذاهب السياسية
والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهر ما يسمى بالمذهب الفردى
والمذهب الجماعى ، وأصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا
حدود الفكر الذى بنيت عليه فلسفتهم فابتدعت كل
طائفة تفسيراً لاحداث التاريخ الانسانى يؤيد فلسفتها
كالفلسفة الاوربية والفلسفة المادية ، كما وضعت كل
فرقة مناهج للنفس البشرية ، مع أن هذه النفس لا
تخضع للتجارب المادية وبالتالي فالمناهج التى تبنتها كل
فرقة ليست علما بالمعنى الصحيح فلم تبين على نتائج
محددة لتجارب علمية .

ومن ثم اختلفت هذه المناهج اختلافا شاسعا ،
حيث بنيت على الظن والتسليم بصحة المذهب الاجتماعى
الذى انبثقت منه وقد ظهر ذلك واضحا في الفلسفة
التاريخية الاوربية وفي مناهجها ومؤثراتها كآثر لحرمان
الانسان من حرية التفكير ولحرق مئات من العلماء
والمفكرين بدعوى أن العلم في نظر الفكر الدينى الاوربى
السائد في القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ولقد ساد المجتمعات العربية والاسلامية اقوام
ظلوا أتباعا للغرب ومذاهبه حتى انضموا اليه في اسقاط
الخلافة ومحاربتها لان بريطانيا ستقيم لهم خلافة
اسلامية عربية قرشية هاشمية .

كذلك فقد تجاسر أفراد للعمل على اخضاع الاسلام
وقيمه للفكر الماركسى فزعموا أن النبى صلى الله عليه
وسلم هو مؤسس اليسار ولقد كان لهذه الفلسفات

ولقد حرص الاستشراق في مؤامراته على اشارة الشبهات حول تاريخ الاسلام بالتركيز على عدة نقاط اساسية وحشد المفاهيم الخاطئة حولها على النحو الذى عرض له الاستاذ صفوت منصور . هذا موجزه :

اولا : اثر الاسلام على العرب ..

فقد حاول الاستشراق الخبث والدس في الحديث عن اثر الاسلام على جاهلية العرب فقد حاول حصر دور الاسلام في انه ابطل كثيرا من العادات السيئة وكفى بينما ليس هذا الا جانب واحد من جوانب عديدة صنع بها الاسلام مجتمعا جديدا واقام الناس على منهج الله تبارك وتعالى ..

ثانيا : وحدة الدولة الاسلامية ..

فهم مصريون على تقسيم التاريخ الاسلامى الى دول (ابوبية — عباسية — عثمانية) وهم لا يعترفون بامتداد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول نشأت في المدينة المنورة ، وهى تواصل مستمر وتعاقب غير مقطوع ، متكامل الصلة بالدولة الاسلامية فالدولة الاسلامية ممتدة منذ اعلانها الى ان اسقط الاستعمار الخلافة العثمانية على يد صنيعتهم مصطفى كمال اتاتورك ١٩٢٤ .

٢ — الاشارة بالحركات الانفصالية عن جسد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول الاستقلالية عليها فان الخطر الدفين يتضح من وراء ذلك في انهم يريدون ان يوهوا بقصر عمر الدولة الاسلامية واجهاض مفهوم الخلافة والترويج للشعبوية والاممية ، والضرب على اوتار القوميات والاقليات وتشجيع تمزيق جسد الامة الاسلامية وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم .

والمعروف ان الدولة الاسلامية ممتدة امتداد التاريخ وجذورها تنتهى الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنة الحياة ان تتعاقب الاجيال .

ثالثا : مفهوم الوحدة الاسلامية ..

الحرص على تجاهل وانكار هذا المفهوم حتى لا ينطبع في اذهان نابتة الاسلام وحتى لا يدركوا هذا المفهوم الواجب اعتناقه والعمل له ، وقد ضمت الوحدة اجناسا مختلفة وشعوبا متباينة ولم يكن العرب وحدة قواد الامة الاسلامية بل ارتفعت راية الخلافة لترتفع على كل الجنسيات والبلدان وانتظم الجمع في وحدة اسلامية كبرى (لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى)

بشطريها اثر في فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهرا من علوم الدنيا ، فظهر الصراع بين اهل العقل واهل النص ، وظهر ما يسمى باليمين الاسلامى واليسار الاسلامى وحاول كل طرف ان يؤيد مذهبه وفكره بتفسير خاطئ للقرآن والسنة وتحريف صريح لمواقف الصحابة .

العامل الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى ..

اولا : ان أحداث التاريخ الاسلامى لم تدون الا في منتصف القرن الثانى للهجرة بعد ان ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التى تخدم مذهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزدكية .

ثانيا : الذين دونوا هذا التاريخ كان همهم جمع الروايات والاخبار بلا تمحيص ولا تحقيق .

ثالثا : لم يحصل اهتمام بتحقيق الروايات التاريخية بالميزان الذى محصت به روايات السنة النبوية .

رابعا : استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فقتلوا كما هى ونسبوا الى المؤرخين ليضغوا عليها الثقة وهى من الاكاذيب .

خامسا : تسرب فكر اعداء الاسلام ..

وقد استطاع خصوم الاسلام ان يروجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله .

١ — اما بتلقيق روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمر وروج ذلك (جرحى زيدان) في رواياته التاريخية حتى اصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من ان ابن خلدون في مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله (ما علمنا عليه من صيحة سوء فقد قام بمنصب الخلافة في الدين والعدالة وبما كان عليه من صحبة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك ومكاتبه سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على الاوقات ودوام الصلاة .

٢ — واما الاعتماد على كتب الأدب .. وما كتب خلال العصر العباسى من كتب النوادر والاخبار وما اخترع الرواة من قصص لتكون مادة للتسلية ، وقد اورد كتاب العقد الفريد قصصا عن الخلفاء والامراء والوزراء فيها تناقص وما فعله الاصفهاني في كتابه الاغاثى وهناك اخطاء بعض الفرق ومحاولتها اختلاق روايات تؤيد مذهبها وتحريف بعض المواقف وتفسيرها لخاطئء لنصص القرآن والسنة .

حتى الولاة الذين انفصلوا وكونوا دويلات كانوا يستمدون شرعيتهم من تبعيتهم للخليفة العباسي .

رابعا : عالمية الاسلام ..

التركيز على المغالطة في عالمية الاسلام الثابتة بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، ونجد للأسف من يروج لهذه المغالطة من أساتذة الجامعات ويتجاهلون الرسائل التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية ويتجاهلون غروتى مؤنة وتبوك اللتين كانتا مع الروم واعداد جيش أسامة

خامسا : الفتن في عهد عثمان ..

يثير الاستشراق وكتاب التغريب الاتهام الظالم لسيدنا عثمان الذي فند مزاعم الثوار في مسجد المدينة ورد على تساؤلاتهم ورفض أن يعزل نفسه أو يرضى بالذهاب الى الشام الى جوار معاوية (كتاب العواصم من القواصم) .

والمقصد هو تشويه صورة المصدر الأول من المسلمين لاثبات أن الاسلام غير قادر على الامتداد الزمني بمثالياته فما هو الفرق بين عثمان وعمر ، هكذا يقولون ان الاسلام بشموخه وجلاله لم يكن الا في عهد الرسول وصاحبيه ابي بكر وعمر .

سادسا : شخصيات مفترى عليها ..

كذلك فقد حرص الاستشراق وتابعيه من التغريبين على الغمز والتشويه والافتراء والكذب المتعمد لتشويه أمجاد الاسلام وأبطاله وحرف أبنائنا عن الهدف الوجداني الذي تحققه دراسة التاريخ من حيث الاقتداء والتأسي بسير وتراجم من يدرس تاريخهم .

ومن ذلك ما قاموا به من تشويه صورة معاوية وقد وصفوه بالدهاء والمكر وتشويه صورة هارون الرشيد (الشراب والغناء) وتشويه صورة السلطان عبد الحميد ، وتجاهل مقام به من مواقف البطولة في رد مؤامرات الصهيونية وتجاهل حركة الإصلاح التي قادها لتجديد شباب الدولة .

سابعا : العثمانيون وتوحيد العالم الاسلامي ..

ومن ذلك وصف العصر العثماني بالاستعمار والاحتلال ، ولو أنهم استوعبوا حقيقة امتداد تاريخ الدولة الاسلامية لادركوا أن العثمانيين يمثلون عهدا من العهود التي حكمت ، ولو علموا أن الوحدة الاسلامية يجب أن ينطوي تحت رايها كل المسلمين ، لما وصفوها بأنها دولة معتدية ، وكذلك انكارهم دور العثمانيين في

تجديد شباب الدولة الاسلامية في المشرق في الوقت الذي كان الفرنجة يقومون بحرب الاسترداد ضد مسلمي الاندلس وقد تمكن العثمانيون من اسقاط عاصمة البيزنطيين (القسطنطينية ١٤٥٣) ووصلوا الى اسوار فينا ونهر الدانوب ثم اتجهوا شرقا ليوحدوا العالم الاسلامي (العراق والشام ومصر والحجاز والمغرب العربي) وهي من أطول الاسر الاسلامية حكما .

ثامنا : انكار اثر الاسلام في حركات التحرير ..

عمد الاستشراق وكتاب التغريب على الدور الذي قام به الاسلام في حركات الجهاد التي قامت على أساس اسلامي وأداتها آيات الجهاد وسور القتال .. ويرجعون أثر هذه الحركات الى نمو الروح القومية تارة والروح الوطنية تارة أخرى ويسبغون على قادتها صفات الثورية والوطنية مع أن الأساس اسلامي وأن الروح الجهادية هي التي كانت تحركهم ضد المستعمر الاوربي ومن يدرس حياة (أحمد عرابي ، يوسف العظمة ، الشيخ شامل ، عبد القادر الحسيني ، عبد القادر الجزائري ، عمر المختار) يعلم أن الاسلام كان هو الأساس الفكري لكل هؤلاء وأولئك ، إذ أن الاسلام هو الذي يرفض الظلم ولا يرضى بالاستعباد وهم لذلك يخفون روح الاسلام ومفهوم الجهاد الاسلامي في تحريك هذه الشخصيات والحركات .

تاسعا : اخطاء في التعبير ..

ومن ذلك تعهدهم تحريف العبارات الاسلامية الاساسية ، واحلال بدائل عنها لا تؤدي معناها ، ومن ذلك وصف (غزوات) الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة (صراع) ونبد كلمة (جهاد) .



ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ويتعمدون حجب صفة الرسالة عنه ، والمعروف أن النبي غير مؤيد بكتاب سماوي وأن الرسول هو المؤيد بكتاب سماوي ، ووصف قيادته بأنها (حكومة النبي في المدينة) أو وصفها (بالحكومة الدينية) .

ومن عباراتهم قولهم (شاعت الصدق) علما بأن المشيئة لله والصدق لا مشيئة لها .

وقولهم الشورى قريبة من الديمقراطية وفي ذلك غبن لمفهوم الشورى التي تقوم على رأى أهل الحل والعقد لا على أغلبية الغوغاء .

والشورى تجعل السلطان الله أما الديمقراطية فتجعل الشعب مصدر السلطات وشتان ما بين الشورى والديمقراطية ..

والفساد ، وهلاكها يتم باضطراب اقامة العدل وأنه لكي يحقق التاريخ أغراضه بوصفه مصدرا عظيما في التربية الخلقية والتماسك الاجتماعى والرقى الحضارى فمن الواجب أن يتبع في تعليمه أمور عشرة منها : توجيه تعليم التاريخ في البلدان الاسلامية الوجهة الاسلامية وارتباط تدريس التاريخ بالدين وأن المجتمع المثالى كان أيام الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم وأنه يجب العناية بالصلوات والروابط التاريخية بين أجزاء الأمة الاسلامية وتطهير المناهج من الشبهات التى أثارها المستشرقون وأن يكون مدرس التاريخ ممن لهم احساس اسلامى سليم وثقافة تاريخية ودينية عميقة ودراسة الحوادث الكبرى التى أثرت في تاريخ البشرية وأن يتضمن الكتاب المدرسى الحقائق العلمية الدقيقة والمطابقة للاتجاهات الاسلامية .

ويقول الباحث : ان دراسة تاريخ الاسلام وتوجيه مناهجه يجب أن يتم في هدى الأهداف العامة لرسالة الاسلام فالمسلمون رحماء فيها بينهم أشداء على الكفار لذلك فان ما تحويه مناهج التاريخ في أى بلد اسلامى يجب أن يخضع لمثل (يضم الميم والثاء) الاسلام وقواعده فلا يحاول أن يضع في مناهجه ما يؤلم مشاعر البلد الاسلامى الآخر ، ومن ذلك خطأنا في دراستنا لتاريخ الخلافة العثمانية في اعتمادنا على المصادر النصرانية المغرضة في دراستها .

وهكذا نجد ان أسلمة كتابة تاريخ الاسلام أصبحت ضرورة أساسية لتصحيح المفاهيم والعودة الى المنابع ، وقيام التاريخ الاسلامى بدوره الطبيعى والصحيح في بناء العقل الاسلامى والوجدان الاسلامى في هذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا الاسلامية وفي مواجهة التحديات التى يقوم بها التغريب والغزو الثقافى والنفوذ الواعد .

ومن أخطائهم قولهم بأن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوربا (محمد عمارة وعبد العظيم رمضان) وهو قول باطل تماما ولا دليل عليه فمتى كانت هناك عروبة تصارعها أوربا في هذه الفترة وكلمة العروبة كلمة جديدة لم تستعمل الا منذ سبعين عاما على الأكثر « ١ . هـ .

عاشرا : دعوى أن الشام ومصر والمغرب كانت جزءا من العالم المسيحى وجاء الاسلام فأخرجهم منه ، وهذا القول ليس له أى سند من الصحة التاريخية ، ذلك لأن الوجود الرومانى في هذه المناطق كان وجودا دخيلا وكان احتلالا ثم انحصر مع ترحيب أهل هذه المناطق وتعاونهم على اتهام هذا الانحسار .

فلا يجوز اعتبار هذه المناطق انتزاعا من العالم المسيحى ، بل أن الباحث المدقق يجد أن موجات عربية كثيرة توالى على هذه المناطق طوال خمسة الآلاف من السنوات السابقة للفتح الاسلامى على هيئة موجات متوالية وسرت للإسلام أرضا عربية وكان المسلمون الفاتحون يجدون من القيمين ذوى قرى ونسب .

في رسالة : كيف يجب أن يعلم التاريخ في البلدان الاسلامية يقول (حامد شاكر حلمى) :

ان التصور الاسلامى للتاريخ ينحصر في أنه تعبير عن ارادة الله وكشف لجلال رحمته وعظيم تدبيره وكمال قدرته ، وأن هذا العالم يخضع لسنن الهية ثابتة وهى كثيرة متعددة منها : سوء عاقبة المكذبين وأنه بشكر الله وحده تدوم النعم وبالمعاصى تزول وأن الناس مسئولون عن رقيهم وانحطاطهم ، كما أن الايام تتداول بين الناس ، وأن المؤمنين يستحقون النصر ، والأمم تزول بالتصرف

الباب الرابع عشر

أسلمة منهج اللغة

(١)

الخطأ إلى أن يتبنى المسلمون — إلى غير مدى — اللغات الأوربية وسيلة لتعلم العلوم أو لبناء منهجهم الحضارى والعلمى على غير أسس اللغة العربية بمفاهيمها القرآنية الأساسية لبناء المجتمعات والحضارات .

وقد توالى في العقود الماضية دعوات اللهجات العامية والحروف اللاتينية ، واشتعلت فكرة تعليم أبناء المسلمين اللغات الأجنبية بهدف عزلهم عن اللغة العربية بل وهى محاولات باطلة زائفة لن تؤدى إلى الهدف الذى يرمون إليه ، يجب كشفها ودحضها والوقوف فى وجه دعائها الذين يغرون بعض البلاد الإسلامية باستعمال الحروف اللاتينية ، أو استعمال العامية فى الإذاعات والمسرح والصحافة .

كذلك فنحن مطالبون بأن لا تقتحم الألفاظ الغربية محيط لغتنا ويجب أن نعربها أولا بأول . لأننا لو تركنا للعلماء والمخترعين من أهل الصناعة فى الغرب — على حد تعبير الدكتور منصور فهمى — بأن يقتحموا الحواجز على لغتنا العربية لعرضناها لجحافل من الألفاظ تغمر بها فتصبح هذه اللغة مهلهلة خالية من جمال صنعتها العريقة ونسيجها المنسجم ..

ولذلك فنحن مطالبون بالعمل على الحيلولة دون استخدام الدخيل من اللغات الأخرى ، استجابة لصيانة مادة اللغة العربية ومسيرة لطواعية اللغة نفسها وما نطوى لها فى نفوسنا من اعزاز .. بل إن حماية الفصحى ضرورة هامة لكونها جزءا لا يتجزأ ولن يتجزأ أبدا من الإسلام نفسه ، وإيمانا بالحقيقة القائلة بأن العربية بسبب انتشارها الآن فى كل أنحاء العالم دون استثناء يجب اعتبارها لغة مشتركة لكافة المسلمين والمسلمات الملتزمين إلى هذا الدين لا للعرب وحدهم ذلك أن اللغة العربية هى مفتاح فهم الإسلام والاحاطة به وبدونها سوف تضيع معالمة ويجهل الناس حقائقه وتعاليمه .

تعرضت اللغة العربية فى العقود الأخيرة لحملات مكثفة تنطوى على مؤامرة غادرة قوامها تسليم اللغة العربية لمنهج الغرب ، واحتمواؤها ، ومن ثم النظر إليها على أنها إحدى اللغات المتطورة التى تتحول مع الزمن إلى المخاف لتحل بدلا منها عاميات الاقطار التى تتكلم بها وذلك استمدادا من التجربة التى واجهتها اللغات الأوربية بعد أن انفصلت عن اللغة اللاتينية .

وقد كان خليقا بالدعاة إلى هذه المحاولة أن يعلموا أن الفارق بعيد وعميق بين تطور اللغتين الجرمانية واللاتينية وبروز العاميات الفرنسية والألمانية والإسبانية وغيرها وترجمة الانجيل إليها وبين موقف اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ومن ثم إعطاها وضعاً مختلفاً ما يزال قائماً وسيظل حائلاً دون تمزقها إلى عاميات ودون دخولها إلى المتحف كما دخلت اللغتان اللاتينية والجرمانية .

ولذلك فنحن نطالب بأسلمة منهج اللغة ، وتميز منهج اللغة العربية عن منهج اللغات الأوربية المعاصرة والتأكد من أن دراسة هذا المنهج الغربى عمل لا يؤدى إلى نتائج ايجابية بالنسبة للغة العربية .

وإن الدعاة إلى هذا المنهج إنما يرغبون إلى أن تنصهر اللغة العربية فى أتون العالمية والأممية وبذلك تنقد ميزتها الخاصة التى أعطاها لها القرآن الكريم والتى ستظل قائمة بها باعتبارها لغة قومية للعرب ولغة عالمية للمسلمين جميعاً بوصفها لغة الثقافة والعقيدة والعلوم .

لقد ذهبت بعض مجامع اللغة إلى دراسة اللهجات وتقبل دعوات أعداء اللغة الفصحى أمثال أنيس فريجة وسعيد عقل وغيرهم .. كما جرت الدعوة إلى كسر عامود الشعر .

ولعل التغريبيين يرغبون فى أن يؤدى ذلك الاتجاه

معظمهم من اليهود الذين كانوا يهدفون الى ابراز دورهم الحضارى وفضلهم على العرب والمعروف أن ثلوثلبنس هو أول من استخدم كلمة السامية عام ١٨٧١ . . . وقد كشف الباحث فساد هذا المنهج واضطرابه نتيجة عدة

ملاحظات هامة :

أولا : ان الأوربيين يجعلون اللغة الدينية المستعملة في النصوص المقدسة وفي الطقوس غير تلك التي يتحدث بها الناس في حياتهم العامة ومصالحهم الخاصة (وهذا هو الذى ركز عليه (علم اللغة الحديث لهدمه) وهو أمر يختلف في اللغة العربية أساسا عن اللغات الأوربية حيث لا توجد مثل هذه الفوارق .

جل اهتمامه وأنه يعد المظهر المكتوب أمرا ثانويا .

رابعا : الزعم بأن تتناول اللهجات الدارجة بالدراسة اثراء للغة الفصحى المشتركة وأنه يسدى لها خدمة المحافظة عليها وهو زعم لم يرق عليه أى دليل علمى ولا يؤدى قيمة فعلية ولن يصل الى نتائج مفيدة للغة القرآن الكريم بسبب غير خفى هو أن أوليات علم اللهجات الحديث تقرر وتهدف الى دراسة اللهجة المعينة لذاتها وفي ذاتها .

خامسا : ان هذا المنهج يهدد الجهد والزمن في أمور نظرية ثانوية ، وهو بمثابة ترف علمى لسنا في حاجة اليه .

سادسا : ينظر المنهج الوصفى الى التطور أو التغير الذى يطرا على اللغة على أنه سنة طبيعية تصيب الكلام فتصيب بعض الألفاظ وتنمى الفاظا أخرى ، وتفسيرا وتوسع أو تضيق معانى الفاظ أخرى .

ولا شك أن هذا الصنيع اذا ما طبق على اللغة العربية فإنه يفتح الباب على مصراعيه أمام أصوات والفاظ وعبارات غريبة وخاطئة للدخول في جسم اللغة والعمل على اتلافه .

ويقينا التام أن الفاظ وعبارات القرآن الكريم حية لا تموت كما أن معانيها لا تموت وأن الاستعمال الصحيح للغة هو الذى يحييها ويوقظ ما أهمل من الفاظها ويقوم ما أعوج من تراكيبيها ولغتنا بطبيعتها ممتازة عن غيرها بما فيها من قدرة الاشتقاق والرونة .

سابعا : اذا كان المنهج الوصفى الحديث يجعل أساس دراسته للغة ، تناولها في فترة زمنية معينة فإن

ان قضية مناهج علم اللغة الحديث هي أكبر التحديات التي تواجه الدارسين المسلمين . شأنها شأن مناهج النفس والأخلاق والاجتماع والتربية الوافدة وهذا هو ما يدفعنا أن نكشف هدف هذا المنهج ونبين تعارضه وعدم استجابته للغة العربية لأنه في الحقيقة لم ينشأ في رحابها وإنما نشأ في رحاب اللغات التي انشقت على اللغتين اليونانية واللاتينية والتي لم تكن في الحقيقة الا لهجات عامية حلت محل اللغة الأم وهو ما كان يملأ وجدان (ولكوكس) حينما دعا المصريين ١٨٩٢ الى اصطناع اللهجة العامية وطرح اللغة الفصحى ظلنا منه ان ذلك طريق يسير سيؤدى الى انحلال اللغة العربية الى عاميات وبذلك يتحقق الهدف الخفى المستور وهو اعلان الحرب على القرآن الكريم .

فمناهج علم اللغة الحديث يتركز في المنهج الوصفى الذى يجعل أساس دراسة للغة دراسة اللهجات والتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب ، وصرف الانظار عن علاقة اللغة بالدين في سبيل احياء القوميات الحديثة في الغرب .

ولا ريب أن هذا المنهج قد وضعته العقلات التلمودية شأنه شأن منهج العلوم الاجتماعية وعلم النفس والتربية من أجل تدمير العلاقات القائمة بين اللغات دين الكتب المقدسة وتحطيم العلاقة المعروفة بين اللغات الأوربية واللاهوت .

وقد أشار الأستاذ عيسى أمين صبرى المتخصص في دراسة المناهج اللغوية الحديثة الى أخطار هذا المنهج ومعارضته لمفاهيم اللغة العربية التي تختلف أساسا عن اللغات الأوربية الحديثة تاريخا ووجهة وهدفا في بحثه الذى نشره في مجلة الأمة (صفر ١٤٠٥) فقال ان الباحثين قد نشأت في نفوسهم شكوك كثيرة حول هذه المناهج الوافدة التي هي من آثار تلك النار المستعرة المستعدة لاكل هذا التراث وانفساد هذه اللغة وقد راو في هذه المناهج تحديا حقيقيا وأنها حلقة في سلسلة الأخطار التي رصدها الاعداء لمواجهة الاسلام ولغته وهي - في رأيهم - مؤامرة لا تختلف عن الدعوة الى العامية واجلالها محل الفصحى أو مبدأ الحروف اللاتينية بها وان جاءت اليوم ترفل في ثوب علمى وتعدى النزاهة

وأشار الى أن هذه المناهج إنما أرادت احياء الثقافات اليهودية ورفع شأن اللغة العبرية وقد نبغ هذا التشكك والتوحش من كون التسمية (السامية) مستمدة من التقسيم التوراتى للشعوب . ومع أن علماء المقارنات

تطبيق هذا المنهج على الفصحى يمسها من جوانب كثيرة لأن هذه اللغة قد شرفت بنزول القرآن الكريم بها مما اكسبها صفة الديمومة ونفى عنها الانقراض ، وبذا لا يمكن أن تعد المراحل التي مرت بها لغات تستقل كل مرحلة منها بخصائص وقواعد مختلفة فلا يجوز أن نفصل تراث الأجداد وتعدد اللغة قواعد ، ثم ننظر في العربية لمعاصرة وما لعبه التطور الشاذ فيها وتدور منها قواعد وخصائص ومفردات وأساليب لغوية جديدة

فاذا فعلنا ذلك عند كل حقبة وتعددت الفترات نجد أنفسنا أمام لغة جديدة بعيدة عن لغة القرآن الكريم التي تمشي متوقعة في أغراض العبادات والشعائر الدينية فقط وبذلك تتقطع صلاتنا بالماضى وتحول الصعوبة اللغوية دون فهمها .

ان التطور الطبيعي الذى يثرى اللغة لا يضاد سننها وقواعدها ، ولقد عرفت العربية قديما المجاز وغيره من الأساليب التى أفادت اللغة وأثرت بها ولكن لا نرضى أن يتسرب الخطأ والضعف فى المستوى تحت ستار هذا التطور .

ثامنا : ان الآراء التى جاء بها المحدثون والمتضمنة فكرة القواعد العالية لجميع اللغات ففيها خروج عن سنن الحقيقة واختلاف الألسنة ، وهى تذويب للعربية ومحو قواعدها . وكذلك الحال بالنسبة للترويج للغة العالمية أو الاختصار على لغة واحدة لجميع البشر : كلغة (الاسبرانتو) ذات الحروف والكلمات اللاتينية أو القريبة منها .

تاسعا : جاءت المناهج اللغوية الحديثة صارفة انظارها عن الدين فى سبيل احياء القوميات الحديثة أما العربية فهى لغة حضارة خالدة أدلت الجانبين المادى والروحى معا اهتمامها وحققت الاعتدال والوسطية لذلك لأن من درسها فى منهج يضع فى اعتباره هذه الحقيقة ، وليس من شك أن هذا المنهج يولد مع الحضارة نفسها ومعنى هذا أن المنهجية فى اللغة تتبع من طبيعة هذه اللغة وخصائصها وأغراضها .

عاشرا : أن الفصحى ليست تلك اللغة اللاهوتية التى تحاط بهالة من التقديس تحجبها عن تلبية حياة المجتمع وتتركها قضية عن القيام بدورها فى تلك الحياة ، وهى ليست أيضا تطرح الدين جانبا لتتساق مع تيار يعمل بها الى التذويب وفقد الهوية ، وإنى لها المقدرة على أبعاد الدين واقضاء القرآن الكريم والتشكر لفكر المسلمين وهى التى استمدت من كل هذه اسباب القوة والمنعة وطول العهد وهى ليست كذلك تلك اللغة

المرتبطة بفترة زمنية قصيرة هدفها اشباع حاجات مادية أو علمية مؤقتة .

ومن أجل ذلك لابد من منهج لغوى متميز يحقق الوسطية المتبناة لامتنا فى الأمور الخيرة دائما ، تلك الوسطية التى تملك القدرة على التمييز والنقد . ولا يغريها ركوب مطية التزييف مهما كان سهلا « ١ . هـ .

واذا كان لنا ان نلم بعلم الله العام فنقول ان الذى وضعه هو فرديناند دى سوسير وأن أبحاثه ظهرت ١٩١٦ وقد قامت على دراسة اللغات الأوربية القديمة والحديثة .

ومن ناحية أخرى فإن هناك أيضا دراسة اللهجات العربية وهو جانب آخر من دراسات اللغة محاط بكثير من الشكوك والشبهات وله أهدافه التغريبية .

يقول الأستاذ عبد الستار فراج فى التعليق على كتاب ابراهيم أنيس (اللهجات العربية) :

« اذا جاز أن تكون العادات والتقاليد فى جميع العالم خاضعة لناموس واحد جاز لنا أن نقهر جميع اللهجات العربية على الخضوع لما استنتجه الأوربيون من دراستهم للهجاتهم وأصواتهم ولكن ما أحسب أن العوامل التى أثرت فى التقاليد الانجليزية مثلا تتفق مع العوامل التى أثرت فى التقاليد العربية تمام الاتفاق ، فليست البيئة كالبيئة ، وكذلك فى اللغة ليست الحروف فى أكثرها كالحروف ، واذا كانت نظرية الطب أن سوء التغذية مثلا يسبب ضعفا عاما فليس كل ضعف كعام فى الطب يرجع الى سوء التغذية ، ولكن الظاهرة التى نلاحظها فى الكتاب هو وجوب اخضاع اللهجات العربية دون قيد ولا شرط لما قرره علم الأصوات الحديث فاذا وجدنا بعد البحث أن كثيرا من الظواهر العربية فى لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعنا فى رواية الرواة مهما بلغت من القوة .

« ليس من العدل أن تفرض النظريات فرحنا وانما العدل أن ندرس ونستقصى ونحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكثف بهيل أو بضعة أمثلة ، لكنه جعل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة كالنظريات الهندسية تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق مع أن النظريات الهندسية لا ينطبق منها كل مثلين الا اذا تساوى فى القرض ضلعان أو الزاوية المحصورة بينهما أو زاويتان وضلع .. » .. الخ .

ويتساءل الأمير مصطفى الشهابى عن ما وراء الاهتمام بدراسة اللهجات العامية فيقول : ان اللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات ، وكلها

وهذه نقطة هامة في التحدى الذى يواجه اللغة العربية والعلوم الحديثة فان اسلمة هذه العلوم يستدعى نقلها الى أفق اللغة العربية أساسا ثم صبغها بصيغة التوحيد الخالص .

وما تزال قوى التغريب تقاوم تقديم العلوم الحديثة باللغة العربية في الجامعات بتعللات واهية ، وتتردد على السنة المشككين والمغرضين قضية ما اذا كانت اللغة العربية تصلح لتكون لغة العلم ، والواقع أن اللغة العربية مرت بهذه التجربة ونجحت فيها تماما وكانت تجربة الطب في دمشق تحمل الرد المقنع في هذه المسألة .

كذلك فان التعليم في القصر العيني في مصر ظل سبعين عاما باللغة العربية حتى احتل الانجليز مصر فكان من الطبيعى أن يقاوموا هذا الاتجاه تحت تأثير النفوذ الاستعماري المسيطر آنذاك ، ولكن الى متى ..

(٤)

ومن حرب الفصحى : الحرب الموجهة الى الحروف العربية والدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وقد فات هؤلاء ان هناك فوارق عميقة بين كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية او لغات أوربا التى تفرغت عن اللاتينية .

ذلك ان التركية هى من الاسرة الطورانية ولم تكن ذات حضارة أصلية قديمة ولم تسهم يوما في الثقافة الانسانية على الصعيد العالمى ، وقد بلغ من ضعفها انها قد استعارت أبجدية اللغة العربية في ذاتها تعبير عن ذلك وثقافة ممتدة لامة واحدة في تاريخها البعيد الى حاضرها المشرق ولا تزال مفعمة بالحياة والقوة وتطورها وتفاعلها لم يتوقف وهى لغة امة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والمصير الوثقى ارتباط وثيق ذلك فهى لغة القرآن أساس الحضارة والفكر والثقافة العربية الاسلامية .

كما يقول دكتور عبد الكريم حرمانوس : ان اللغة العربية سندا هاما أبقي على روعتها وخلودها هو الاسلام فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة ولا العصور المتباعدة ولا اللهجات المختلفة على نقيض ما حدث للغات القديمة والمماثلة التى انزوت تماما بين جدران المعابد وكادت تنقرض ..

اليوم لا ضابط لها من نطق او صرف او نحو او اشتقاق او تحديد لمعنى الالفاظ فهى كلام العامة يستعمل فى الاغراض المعاشية وفى علاقات الناس بعضهم ببعض وهذا الكلام وقتى لا يثبت على مرور الأيام وموضعى لا يتحول من قطر عربى الى قطر آخر ، ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وأدب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعم بعضها أو كلها الاقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا فى قطره وقلما يفهمه غير أبناء ذلك القطر أو غير طائفة من أبناء ذلك القطر ، فإذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فماذا تكون مغية هذا العمل ، ان اخشى ما اخشاه ان يستهوى هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه السرطانات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وحزرا يباعد بعض الاقطار العربية عن بعض بدلا من أن يوجد بلغتها ، أى أن تكون النتيجة مخالفة تمام المخالفة لما يتوقع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى أما القول بأن تدريس هذه اللهجات يقضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة أدواتها فهو قول ضعيف . ان قضية الفصحى والعامية لا تحل بدراسة اللهجات العامية بل تحل بتسيير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها .

(١)

وفى مجال المؤامرة التى ترمى الى احتواء اللغة العربية محاولة استئصال اللغة الأجنبية فى تدريس العلوم بوجه خاص وهو كما يقول مالك بن نبي : علامة الفشل فى استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطاق حياتنا الفكرية بحيث يتقى الصلة بينها وبيننا .. صلة سطحية لا نغير منها نحن شيئا ، ولا تغير هى فينا شيئا بينما نرى فى المجتمعات الحية ان هذه الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن أكثر فأكثر لا على هضم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما ، مثل اسرائيل التى أعادت لغة ماتت منذ ثلاثة آلاف سنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بها الى الامام ، وكما يحدث فى اليابان والصين وكما حدث ذلك فى حضرة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت فى اللغة العربية الفصحى فى لغة قحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلاسفة .

الباب الخامس عشر

أسلمة الأدب

(من أسلمة الأدب العربى الى انشاء ادب اسلامى)

فى العصر الحديث الى المجتمعات الاسلامية واخذت تنشر سمومها وانحرافات عبد طوفان من القصص والمسرحيات والقصائد العربية وكتب النقد التى تأثرت بهذا الطوفان والمعروف أن الأدب فى العصر الحديث يقوم بوظيفة أساسية فى خدمة الفلسفات والعقائد الغربية المختلفة وقد ظهرت نتيجة ذلك فى عدد من الأدباء والنقاد يحملون الهوية الاسلامية وينتمون بفكرهم وعواطفهم الى تلك الفلسفات والعقائد ويتحولون الى دعاة لها بقصد أو دون قصد .

ولقد كانت المذاهب الأدبية الغربية (وهى الثوب الأدبى للفلسفات والعقائد الغربية ، قد أغرت أولئك الأدباء والنقاد وشدتهم ببياناتها ومبادئها وجعلتهم يعتقدون أنها تقدم النموذج المثالى للأدب الإنسانى الرفيع ، ولم تكن المبادئ والصفات التى تحملها المذاهب الأدبية الغربية محصورة فى الأدوات الفنية وقضايا فكرية وعقدية خطيرة .

فالاعمال الأدبية التى تنتمى الى الواقعية الاشتراكية مغموسة بالماركسية تحمل مبادئها وقضاياها بشكل مباشر أو غير مباشر ، والاعمال الأدبية التى تنتمى إليها الوجودية تجند كل طاقاتها الفنية المؤثرة لزرع القضايا الوجودية : كالقلق ، الاغتراب ورفض الغيبيات وفصل الإنسان عن العقائد السماوية .

ومن هنا كان لابد من تميز واضح بين مفهوم الأدب الاسلامى ومفهوم الآداب الغربية .

(٢)

أما المذاهب الأدبية الغربية فإنها كلها بلا استثناء تخالف مزاجنا النفسى وعقيدتنا وقيمنا وحين نتصل بها فنحن يجب أن نكون واعين لوجوه الاختلاف والآثار المعارضة ، ذلك أن المذاهب الأدبية مرتبطة دائماً بالبيئة والعقيدة . وكلا المذهبيين (الكلاسيكية والرومانسية) مرتبطة بالدين والتحولت فى بيئة الغرب ، فالكلاسيكية فلسفة تمجد العقل والرومانسية ثورة على العقل وتمجد العاطفة

فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى وقد أضاعت أضواء كثيرة وبُنيت قلاع جديدة للاتصال والعودة الى منابع ، منها قلعة علم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى وعلم الأخلاق الاسلامى وعلم التربية الاسلامى كان لابد أن تتحقق خطط الدعوة الى الأصالة التى قامت منذ منتصف القرن الرابع عشر لتحرير الأدب العربى من تبعيته للمناهج الأجنبية الوافدة سواء فى كتابة تاريخه أو فى أساليب النقد .

لقد دخلت الدعوة الاسلامية مرحلة جديدة متقدمة على سابقتها فى مجال التنظير والتقنين للفكر الاسلامى فى اطار الأعمال الكبرى القائمة من أجل التماس المنافع مع الوعى القوى بايقاع العصر ، حيث بدأت تلك التجارب فى الميادين المختلفة تشق طريقها ومن هنا كان التحرك من أجل انشاء ما تسميته المدرسة الاسلامية فى الأدب ، وقد مر الأدب بمرحلتين : مرحلة التصحيح للأدب العربى واخراجه من التبعية ومواجهة التحديات التى حاصرتة خلال القرن الماضى عندما فرض عليه الاستشراق مذاهب الغرب فى النقد والتاريخ وقد قطعت حركة تحرير الأدب العربى من التبعية شوطاً طويلاً وكان من الضرورى أن يتقدم الى مرحلة جديدة لانشاء دعائم وأسس الأدب الاسلامى .

ويختلف مرحلة تصحيح الأدب وتحريره التى سبقت والتى شارك فيها كثيرون عن مرحلة انشاء الأدب الاسلامى (وهى مرحلة ابداعية فى المقام الأول أن صرح هذا التعبير وفارق كبير وعميق بين أسلمة الأدب العربى وبين انشاء أدب اسلامى أصيل من نقطة البدء بعدما تقطعت الاوصال لفترة من الزمن .

ويمكن القول بأن تلك المغالاة فى انحياز الأدب العربى المعاصر الى التبعية والتفريب كان عاملاً أساسياً فى الدعوة الى انشاء نظرية الأدب الاسلامى كوسيلة أساسية للتحرر من هذه التبعية والخروج من دائرة الحصار .

يقول الدكتور عبد الباسط بدر : امتدت آثار الأدب

ولكى نصل الى مفهوم الأدب الإسلامى الذى نضع قاعدة الأساس له يجب أن نعالج واقع الأدب العربى ونكشف عن التحديات التى تواجهه .

(٣)

تحديات التغريب فى مواجهة أصالة الأدب العربى

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة يحتاج الى دراسة ومراجعة ، وتتطلب العمل على فتح الطريق الى بناء منهج عربى اسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى وفقده . خاصة وأن المنهج الغربى الوافد مازال مسيطرا على الدراسات الأدبية فى الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغة العربية فى أرجاء كثيرة من بلادنا العربية الإسلامية .

واعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا الى عصر الأصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا الى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للأدب العربى واللغة العربية الفصحى : « لغة القرآن » رغبة فى تحرير الفكر الإسلامى كله من المناهج الوافدة والتى غمرتها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة أمتنا هى التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفس وطابع أمتنا وأدبنا . وإبراز ذلك واضحا أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافى والتحرر من التبعية للغرب فى شتى صوره ، وإملاك الإرادة القادرة على ربط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقا الى تبليغ الإسلام للعالمين .

- أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة ..
- ثانيا : فساد خطة تحقيق التراث وتجديده ..
- ثالثا : فساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية ..
- رابعا : محاولات هذه اللغة العربية الفصحى ..
- خامسا : المؤامرة على عمود الشعر .
- سادسا : انحراف القصة ..

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة

أخطر ما أصاب الأديب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الأدب فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعا شديدا ولقد كان من أسوأ التحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاما عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الإسلام تحت اسم جديد

وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادئ والأخلاق والإسلام يتصادم مع هذه المذاهب من حيث أنها تستند الى فلسفات تعارض المفاهيم الإسلامية فالأولى وثنية والثانية مسيحية وبالجملة فإن المذاهب الأدبية الغربية مرتبطة بفلسفات مادية ونحن لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة والشعر العربى بالعقل والعاطفة ذاخر ، وما نرفضه وما يتصادم مع الفكر الإسلامى هو أن يوجه العقل والعاطفة الى فلسفة معينة .

ومن ثم فإن علينا أن نكون واعين بما وراء هذه النظريات الأدبية من مذاهب غربية تقوم جميعها على المادية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ .

وقد عرض الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا (فى كتابه القيم) نحو مذهب اسلامى فى الأدب والنقد الى موقف الإسلام من المذاهب الأدبية فى الغرب فأشار الى مايلى :

أولا : موقفنا الإسلامى من هذه المذاهب هو الالتزام الإسلامى .. فالكلاسيكية استنبطت من أدب اليونان والرومان بوثنيتها التى جاء الإسلام لاجتثاثها من جذورها والقضاء عليها والإسلام يرفض كل ما يحاد الله ورسوله ويحارب الإسلام ، وإذا كان الكلاسيكيون يقصرون أعمالهم الأدبية على الجوانب المادية من حياة الإنسان أما الجوانب الروحية وما فيها من تألق وصفاء فهى لا تحظى بشئ من اهتمامهم والأدب الإسلامى يعطى الحياة المادية حقا كما يعطى الروح حقا أيضا وإذا كان بين الإسلام والكلاسيكية تناقض وتباين كبير فأن التناقض بينه وبين الرومانسية أكبر وأعمق ودعاة الوثنية الذين يستنكرون الكلاسيكية التى تنبض بالروح الوثنية فانهم لا يريدون أن ينتقلوا منها الى الرومانسية التى تنبض بالروح المسيحية وإذا كان الأدب الرومانسى بنى على تحرير الأديب قيود العقل والواقعية والانطلاق فى رحاب الخيال المرنج فإن الأدب الإسلامى أدب واقعى يجره جوادان اثنان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر هما : جواد العاطفة وجواد العقل ثم ان الرومانسية تدّين بأن الغاية من الأدب المتعة ، أما الأدب الإسلامى فلا بد من أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعا وممتعا فى وقت واحد ، كذلك فإن نظرية الواقعية تختلف مع مفهوم الأدب الإسلامى ذلك ان الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه (لا اله والحياة مادة) ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة والأديب الإسلامى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدّين بأن الطبيعة وما فيها وبمن فيها إنما هى مخلوقات لله سبحانه وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم .

وتيار جديد وبدأت الكتابات الأدبية كلها وكأنها منفصلة انفصالا تاما عن الحلقات المتتابعة للأدب العربي بل أن الكتابات التي قدمها بعض الأدباء المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماما كدراسات أبى العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومى وغيرها .

فقد جرت المحاولة لاختضاع الأدب العربى (القديم كما يسمونه) الى مذاهب غربية كالمذهب التحليلى والمذهب النفسى وجرى اخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لاهياء شخصيات منكرة لا وزن لها فى تاريخ الادب العربى الحقيقى من امثال الصعاليك والزنادقة امثال أبى نواس وبشار بن برد والضحاك وحماة عجرد وغيرهم على أنهم — كما ادعى التغريبيون — يمثلون عصرهم اصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذى وددت أن أتحدث عنه فى مؤتمر اسلامى للأدب العربى لا يغفل عن تحديث التغريب وأخطار الغزو الفكرى للأدب العربى وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونثير ، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستندة من نظرية دارون وما بعدها والتي تنظر الى الانسان على أنه حيوان شهوة ومعدة .

وهو بالقطع ليس كذلك فى مفهوم الفكر الاسلامى الذى يعتبر الأدب العربى حلقة من حلقاته وحبسة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التى فرضت نفسها على الأدب العربى أن تعطى للأدب ، مجالا أكبر من حجمه الحقيقى ، وتفسح له مكانا أكبر من طبيعته فأصبح من حق الأدباء التحدث فى مختلف القضايا الاجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر فى مجالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقه والشريعة والأخلاق .

كذلك فان محاولة الدعوة الى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعا أمام اخلاقية الأدب وغلبة المفاهيم التى يسمونها الأدب للأدب والفن والفن وهى مفاهيم ينكرها الفكر الإسلامى تماما ويردها ردا غير جميل . فهى تحرر الأدب من طابع الأخلاق وتدفعه الى تصوير الغرائز والاهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفى ظل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكُتب التى تتصل بأنثارتهم امثال ألف ليلة والافغانى و من هذه المصادر كتب طه حسين فصول كتابه (حديث الأربعاء) كما انفسح المجال أمام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن

جوانب الصراع والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والاخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة الى الاطلاق بدون جرح والجرأة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطىء الى بروز أسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها فى أسلوب مكر من أساليب الغزو الثقافى يراد بها وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد اجابة صحيحة تهدى قلبه الغض أو ترضى نفسه البسيطة ، بل ان الدكتور طه حسين قد فاخر يوما بأنه أخضع للشك بعض المعتقدات التى ورد ذكرها فى القرآن وأحاديث الرسول .

ولقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى الوافد على الأدب العربى : ضعف أصالة البحث ، والتخفف من المصادر الأصلية ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وما سجله الرواة والقصاصون من أخبار من أجل ترويح آراء كاذبة مضللة ، وهى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى ، وانما جمعت للتسابة والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والأحاجى والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والباطيل ولعل الدكتور طه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد ودعا طلبته فى كلية الآداب بالاعتماد على كتاب الأغاني كما دعا المستشرقون الى اتخاذ ألف ليلة مصدرا لدراسة المجتمع الإسلامى وكذلك ثمار القلوب للشعالى وهى كتب حافلة بكل فاسد وغث ، وليست لها طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طبق طه حسين مذهبه على السيرة فأدخل إليها عشرات الأساطير التى لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبى وينقونها من كل شبهة ، حتى جاء طه حسين فأدخل إليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التى خدعت الكثيرين حتى ظنوا انها عمل أدبى رائع وان كانت لم تخفى على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفا صحيحا حين قال : ان هامش السيرة تهكم صريح .

ثانيا : فساد تحقيق التراث وتجديده

وفى مجال التراث الإسلامى للأدب العربى جرى التحريف والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة

التوكل هجومها عنيفا لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامي وقالوا ان الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكرى وأنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن تقدمها للنيران .

وجرى التغريبون على طريق المستشرقين والمفسرين فلم يحفظوا الا بشاعر داعر ، أو فيلسوف منحرف أو صوفى ضال ، أما الأصلاء جميعا فقد أغضوا عنهم وهاجموهم وانتقصوهم ، وحاولوا الادعاء بأن العبقريات لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وبراعته هو الذى صنع العقلية التى قدمت هذا النتاج وأن العنصر لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وتنهيا إلى أصلها الفارسي وابن الرومى إلى أجداده الروم .

وحين عرضوا للجاحظ قدره في كتابة النجلاء وهاجموا كتابه البيان والتبين لانه الكتاب الذى فضح شبهاتهم وأباطيلهم ودافس أمثال عبد الرحمن بدوى كتاب البيان والتبين بشراسة لا حد لها ، واتهموه بكل نقيصة لانه دل عليهم وكشف المعين الذى منه يغترفون شبهاتهم وأباطيلهم وجرى أمثال عبد الرحمن البدوى عن الملحدين والمنحرفين وعن طه حسين بالمجان والفساق ، وغيره من شعراء الهجاء المقذع وأثارت هذه الدراسات روح التشكيك في الأدب العربى واتهامه والتحامل عليه واعلان أسسوا صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الأدب كله والوقوف عند الشعراء وأدباء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والأدب الرفيع الذى قدمه عشرات النوابغ .

بل ان طه حسين ذهب الى أبعد من ذلك حين قال ان ما فى الأدب العربى من نثر فنى انما أصله من الفرس ، وان أعظم مقومات الأدب العربى والفكر الاسلامى وانما استمدته من اليونان والاغريق .

ومن البعث الزائف للتراث اعادة نشر رسائل اخوان الصفا الذى تأكد أنها من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسنيون الى احياء تراث الحلاج ، وماتزال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب ملئ بالسموم ومن هذا أيضا تلك الأكاذيب الخطيرة بنسبة عدد من أشعار الفرس القديمة الى العالم الفلكى العبقري عمر الخيام وقد كشف الباحثون المسلمون فساد هذه المحاولات كلها .

وهناك محاولات أخرى أشد خطورة في مجال

احياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت ماضية في طريقها الصحيح قبل ان يغير المنهج الغربى بمفاهيمه التى لا تتفق مع ذاتية الأدب العربى وبمحاولاته الخطيرة في احياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير ابان حركة الترجمة من الاداب اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الغنوصى والمجوسى والوثنى ، ولقد حرصت مدرسة النقد الادبى الغربى (طه حسين وأتباعه من بعده) على احياء كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والغزل الحسى والكتب الحافلة بالمفاهيم الوافدة من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلنقى بهدف تدمير قيم الفكر الاسلامى الذى قام أساسا على التوحيد الخالص ونظرة واحدة الى هذه المؤلفات التى انبعثت والتى أعيد احيائها يكشف في وضوح عن الغاية والهدف .

أولا : الفكر المغرب وكل ما يتعلق بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك المحاولات التى قام بها الفارابى وابن سينا للربط بين الفكر اليونانى والفكر الاسلامى في وحدة ثبت من بعد فسادها وعجزها .

ثانيا : احياء كتاب ألف ليلة وليلة والأغاني ورسائل اخوان الصفا التى كتبتها الباطنية .

ثالثا : احياء الفكر الوثنى المتصل بالتصوف في كتابات الحلاج ومحيى الدين ابن عربى والسهورردى وابن المقفع وحنين ابن اسحق وابن الراوندى .

رابعا : احياء شعر الخمر والجنس باحياء شعر أبى نواس وبشار ابن برد والضحاك وحماة عجرد .

ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وأن هذا العصر الذى هو القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالي وابن تيمية والمتنبى والبيرونى ولا يذكرون الا ابن سينا وابن رشد ، وحين يذكروهما لا يذكرون آثارهم في الطب أو الفقه وانما يذكرونهم من حيث هم أتباع أرسطو ، وحين يذكرون المعرى يذكرون شعرا له يغمط التوحيد ويذكر التعدد واذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمامة في محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون المطلب فى أحد عشر مجلدا .

وهم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لان المستشرقين يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التى طالما أيدوها ، ولا يذكرون المعتزلة الا انهم أولياء الفكر اليونانى وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون أن الاسلام قد ضعف بعد سقوطهم ويهاجمون الخليفة

الفكر والأدب والفن فترجمت القصص الإباحي والمسرديات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التي قام عليها المسرح والرواية وهى نظرية الصراع بين الإنسان والآلهة مع أن الإسلام يرفض مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى واللاحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التي قدمها دور كايم وسارتر وكلها تحاول أن تفرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الإسلام الأصيل الجامع الواضح في مختلف مجالات النفس والأخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

واسوا ما في ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الإسلامى على أنها علوم أصيلة وليست فروضا قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أهمها وأصحابها ودون أن تلحق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارئ المسلم ، موقف أمته وفكرها من هذه القضايا .

وفي نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج اليه المسلمون في هذا العصر عن مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التي نحن في حاجة اليها واستبدلت بذلك ركائبا مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم في النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة كما يصور الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية .

ومن شأن هذه الترجمات أن تطرح في مجتمعنا الإسلامى موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتبائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

رابعا : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى

وقد حاول التغريب والغزو الثقافى أن يتوجه بخطة خطيرة من التآمر نحو اللغة العربية الفصحى : لغة القرآن لهدمها ومحاولة احلال العاميات والحروف اللاتينية بدلا منها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى وبين القرآن من ناحية وقطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية باعلاء العاميات ، وقد توالى هذه الدعوة منذ وطأ الاستعمار البلاد العربية وحمل البشر الانجليزى لواءها ولهم ديلكوكس ومنها تلقاها عشرات في مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل من التغريبين حمل هذا اللواء ودعا هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد وسلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض .

وما تزال هذه الدعاوى تتجدد في مختلف أجزاء

بعث التراث وهى اعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طه حسين في كتبه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرها فقد أخضع هذه الكتابات لذهب التفسير المادى للتاريخ وجبرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على أنهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم . فنحن في تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هما اعادة صياغته أو نشر المنحرف منه .

ثالثا : فساد الترجمة من الآداب الأجنبية

وفي مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسسات التبشير ومدارس الارسلالات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من سالتريجات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التي أغرقت القارئ العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسمها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هى انحراف في هذه المجتمعات نفسها .

وقد امتد هذا اللون المسموم الى القصة والفتنة والآداب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

وفي مجال الأدب فقد قذفت آفاق الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة رخيصة ، وقد استهدفت كلها الاثارة دون المنفعة وقام طه حسين بدور كبير فى ترجمة المسرحيات الفرنسية المكشوفة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى اطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى اكنافها القصاصون الحاليون وقد أحصى يوسف أسعد داغر عشرة الآن قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين واعلاء روح التعصب الأوربى وفى الاخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى الى ادخال مفاهيم زائفة فى النفس المسلمة . ومن كتابات امرسون وول ديورانت وغيره تجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفيه الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفة . وعرض تاريخ اليهود عرضا جذابا مشربا بالعطف والمحاباة .

ولقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات

جديداً محدود القواعد ، قليل التنوع ، خفيفاً على العقل والفكر ، سهلاً على الذهن والفهم ، كذلك الأمر في اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة . وبهذا يكون معنى الاصلاح في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية . ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الازالة والوضع ، وهذا يعنى احداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة ان صح اتصالها بالعربية الحالية الدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبعد عنها شيئاً غريباً حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة » .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة ملايين من الكتب في مختلف مجالات الشريعة الاسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت في دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب فالتغيير في هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فإن الاسلام وهو عقيدة وشريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع في العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم إلا بواسطة مبادئ خاصة وقوانين معروفة بعلم الأصول . وأساس هذه المبادئ والقوانين الراسخ أو دعائم علم الأصول انها هي فهم لغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية والنحوية وضوابط علوم البلاغة وإذا اصلحت هذه الضوابط تلك القواعد بالازالة والوضع انهدم أساس علم الأصول وتداعت دعائمه وإذا انهزم الأساس وتداعت الدعائم انهزم أيضاً ما يرتكز عليها وهو هذا العلم وإذا وصل هذا العلم الأساس في استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة الى التداعي ، تداعت معه أيضاً طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتجبت الشريعة وعدنا الى الجاهلية الأولى ..

هذه هي خلفية — الصورة البراقة — كما يصورها الدكتور على العنانى — التى يحمل لواءها اليوم مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية يدافعون عنها وينقلونها من ثوب الى ثوب ومن أسلوب الى أسلوب وكلما انكشف زيفهم في جانب أعادوا تشكيلها في صورة أخرى .

البلاد العربية على صورة وأخرى منذ دعا لويى ماسنيون الى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عدد العزيز فهمى وآخرون ، وتجددت في السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى باللغة الوسطى ، وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولى وهى محاولة مأكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة باعلاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن ولتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها الى العامية وجاءت مرحلة أخرى في محاولة خطيرة تولاهها وتصدى لها الدكتور طه حسين وهى تبديل الخط العربى وقواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو اصلاح أو تجديد (وهى أسماء لبققة مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيراً) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد وهى القوانين والأصول التى ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرناً .

فإذا تحققت هذه الخطة التى تسمى بالتطوير أو التهذيب وتحللنا من هذه الأصول والقوانين والقواعد التى صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هى تحقيق الهدف فى تبليل الالسنه بين المصرى والشامى والمغربى ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى الاسلامى متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم وعندئذ تصبح وحدة العرب كمقدمة لوحدة المسلمين عمل باطل ..

وبدعة الاصلاح اللغة هى إحدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنها الدكتور على العنانى هى فيما يأتى : « ان الاصلاح فى الالفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد ابنىة اللغة وهى (الصرف) وتحويل ضوابط اعرابها والأحوال العارضة على الالفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الوضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وهو (البيان) وتغيير وإهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى اصلاح قواعد الصرف انتقالاً من الصعب الى السهل انما يعنى أن نهزم علم (الصرف) من أساسه ونفسخه فسخاً تاماً لتعدد قواعده ، وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على أنقاضه صرفاً

خامسا : المؤامرة على عامود الشعر

يعرف القافية الا في حدود ضيقه من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربي في الاندلس .

ولقد كان من أثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثر عن تذوق الشعر العربي الأصيل في تراثه الطويل . هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سموم الفكر الغربى من تشكيك ولا أدبية وانحلال ومعانى مرتجلة ساذجة وحاول انبعاث تراث قديم من الأساطير التى جاء الاسلام للقضاء عليها واعلان انها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا في مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المادى .

وتهدف الدعاوى التى يحملها أهل هذا الشعر فى صميمها الى هدم قواعد الأدب العربى والبلاغة العربية وذلك عن طريق عمادها اللغوى وقد حُفِل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والالحاد والتفاهات وقد اتخذه الشيوعيون والمنحرفون أداة لمحاربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الاسلام الصحيح .



سادسا : انحراف القصة

لأشك أن القصة بمختلف أسمائها وفنونها هى فن غربى خالص ومستحدث يختلف اختلافا كبيرا عما عرف الأدب من فنون يمكن أن توصف بأنها قصة أو ما عرف عن طابع القصص القرائى ، فقد بدأت بالترجمة ثم التعريب مع تغيير معالم البلاد وأسماء الأبطال ، مع بقاء جوهرها الاجنبى .

وماتزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الاوربية بكل اخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التى تختلف فى جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الاسلامية ولاشك أن هناك فروقا بعيدة بين النفس العربية الاسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للأحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الاسرة ، وهناك أيضا فروقا وتباينا من ناحية التصرف ازاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى أفق الأدب العربى لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الاسلامية لانها تخضع للمنهج الغربى وهى مغايرة تماما للقصص الأصيل : الذى وصفه القرآن الكريم بأنه (القصص الحق) البعيد عن الخيال الجارف والهوى والتنهيد والتفاصيل وقد اتسم الأدب العربى منذ ظهور الاسلام بخاصية واحدة هى تمثل الصدق والحق مع الوضوح والإيجاز ، والتماس العبرة ، والدعوة الى الخلق والسمو

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الاساسية فى بناء القصيدة . فقد جرت المحاولة أولا للقضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاما من عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الاجنبى ومن ثم بدأت الحملة عليه واتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير الذى هز النفوس فى مواجهة الأحداث ، فى قضايا الوحدة الاسلامية والنفوذ الاجنبى وفى الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة الى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى والاجتماعى وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذى أزر الحركات الوطنية والاسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربى والصهيونية هذه هى الضربة الألى التى وجهت الى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة أشد خطرا هى مرحلة الشعر المنثور وقصيدة النثر أو شعر التفعيلة أو الشعر الحر .

الك الدعوى المسمومة التى حمل لواءها الماركسيون والشيوعيون لاجراج الأدب العربى من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التى أثربها فى محيط الاسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربى أصيل معاصر هو عمر أبو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وانها صناعة وافدة وأن الصهيونية حتما وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هى مبتكرة البدع والهزقات فى هذا المضمار أو ذاك للملء الفراغ عند الشباب ولنعيمهم من العودة الى التراث والأصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عموديا طيلة حياته التى تمتد أكثر من ألفى عام وأن كل التجديدات التى دخلت عليه — كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجى — كانت تلزم بهذه العمودية أو تسير فى اطارها وأن هذا الشعر العربى قد أصبح صورة فكر وتراث حضارة وأمة وقد جاء اليوم من يدعو الى التخلّى عن هذه العمودية كليا للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك من يدعون الى تحطيم هذه العمودية ونبد جميع شعرائها فى القديم والحديث والنظر اليهم على أنهم متخلفون لا يصح ان يسير على منوالهم ويؤكد كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحر فى أصل نشأته شعبية من اتجاه عام يدعو الى تقليد الغرب فى فكره وحضارته . فإطلاق الشعر من القافية التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنا الشعر العربى دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربى الذى لم

اختفت من الأدب العربى المسرحية والملحمة والقصة
الاسطورية وحين ظهرت الف ليلة وليلة وادب المقامات
والسجع كان ذلك كله غربا عن طابع الأدب العربى
المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

فهذه القصة العربية التى يقدمها الأدب العربى
اليوم ليست أصيلة ولذلك فهى لن تستمر طويلا لأنها
مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الاسلامية ، وأنها قد
أفسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات
المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة
من الاغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية
والفساد .

والقصة بهذه الصورة المعروضة اليوم هى من
سموم الغزو الفكرى والتغريب التى تهدف الى تحطيم
القيم الأخلاقية والكرامة وفساد المجتمع .

والارتفاع فوق الأهواء ، وكلها عناصر حضارة للقصة
العربية الحديثة بل ومعارضة لها ، ذلك أن العربى
كان يفكر دائما فى أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة
الحياة الحرة الجريئة المكشوفة ، وطبيعة الفارس
المقاتل الحفيظ على العرض والكرامة . الذى يقول
كلمته فى صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم
تكون فى حاجة الى القصة المصطنعة القائمة على الحبكة
والمفاجأة والطلال والرموز ذلك أن العقيدة الاسلامية
كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساسا فلم
تكن فى حاجة الى هذه المذاهب الغربية التى تقام فى
المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاض معتقدة .

ولما كانت ذاتيته الأمة العربية وفراجها النفسى
وتركيبتها الاجتماعى والعقائدى البسيط السمح ، فقد

الأدب العربى : يجب أن يكون إسلامى الوجهة والمنطلق

ولا يسرف فيها وهو فى تقديره للابطال لا يكرم الافراد
أنفسهم ولا يضعهم موضع القداسة ، وانما يكرم أعمالهم
ويحتفى بها ولذلك فان مثاله هو العمل ، لا الفرد .

ويتسم الادب العربى بوصفه جزءا من الفكر
الإسلامى بسمات واضحة أساسية مستقلة ، تختلف كل
الاختلاف عن مفاهيم الأدب القسدية والحديثة من حيث
استمداده أساسا من معين القرآن وتأثره بالغ الاثر
بالقيم الأساسية التى رسمها للفرد والمجتمع والكون
والحياة .

وقد استطاع الادب العربى أن يمزج خير مقوماته
القسدية بمقومات الفكر الإسلامى وأن يصوغ (فئسا
جديدا) طابعه اسلامى الجوهر يحل خصائص الأمة
العربية من بطولة وكرم وشجاعة وأريحية ومروءة
ويطبعها بطابع المفهوم الإسلامى متجهة الى الله تبارك
وتعالى وخالصة للحق ومتجردة من الهوى والغرض .

وقد شق الادب العربى طريقه أساسا وفق مفهوم
واضح ، قوامه أنه غير منفصل عن الفكر الإسلامى كله
كمفهوم أساسى ، فلم يقبل التضحية بالقيم والمضامين
الاخلاقية من أجل البراعة الفنية وقد استطاع أن
يوازن بينهما ايمانا بمفهومه الإسلامى القائم على الوسطة
والتكامل والجمع بين العقل والقلب والروح والمادة وأن
يرجح أحدهما أو يعلى الآخر مؤمنا بسلامة بناء الكيان
الانسانى وعدم تعريضه للجحود أو الانحراف فى آن .

ويعد طابع « التوحيد » من أبرز خواص الادب
العربى ، وهى خاصية تغلب على غيرها من خواصه ،
وتمثله خير تمثيل ، فقد اتخذ الأدب العربى طريقه ليكون
موحدا متساويا وقد قدم الادب العربى فى نطاق مفهوم
الفكر الإسلامى صورا انسانية عميقة فى مجال البطولة
والزهد والتصوف والتسامى والمثل العليا والنظرة
الجامعة واستطاع فى ظل مفهوم الفكر الإسلامى أن يحقق

ان الوحدة التى حققها الإسلام كانت وحدة فكر ،
متصل بجميع جوانب الحياة ، والادب جزء منه ، وكان
الفكر — لا الادب — هو الذى طبع عالم الإسلام بطابعه
بوصفه شاملا لجميع جوانب المعرفة ، وليس قاصرا على
تصوير النفس الإنسانية وحدها وهى مهمة الادب
الأساسية .

ولم يفصل مفهوم الفكر الإسلامى للادب بين الفن
والخلق وقد استطاع بتجربته الصادقة العميقة أن يحقق
الجمع بين الصدق والأخلاق وأن يوازن بين مهمته وبين
علوم التربية والنفس والاجتماع ولم ينحرف عنها ، فى
سبيل المبالغة فى جانب على آخر ولم يعل من شأن
العاطفة على العقل .

وطبيعة الادب أنه خادم أمين للتاريخ وعلم
الاجتماع ، على أساس قدرته فى تقديم أصدق صورة
للعصر والمجتمع الذى صاغه وكونه .

ويحتاط الفكر الإسلامى فى تعبير « الشعراء » ولا
يراه أصدق معبر عن عصره على أساس أن الشعر منطلق
عاطفى وخبرائى لا يتقيد كثيرا بالعقل ولا بالعلم « وعند
أن الشعراء ورجال الفنون قوم مشبوبو الاحاسيس
محتاجو العواطف وكثيرا ما يعجز فكرهم ويغضى على
قلوبهم عواطفهم المضطربة وميولهم ونزعاتهم ، وهم
بحسبهم المرفه يقدموا لنا صورا براقصة لامعة ساخرة
أخاذة ، ولكنا حريين أن نعلم أنهم قد لا يلتزمون الاعتدال
ولا يتوخون الانصاف ويستخفون بالتبعية ويعتدون على
البدئية فلا يتعمقون ولا يستقصون بل يتعصبون
وينحرفون » — على أدهم ..

وطابع الادب العربى من حيث قيامه على الموازنة
بين العقل والعاطفة لا يعنى كثيرا بالتصاوير والزخارف
والمهرجانات والتماثيل والاستعراضات ويؤمن بالقيم
الروحية الفكرية الحية ، ولا يتكىء على الجوانب المادية

تحرير الخيال من الاغلال الطبيعية الشديدة الوطأة وأن يعيش الواقع ويحسسه .

وبالجملة فإن مفهوم الادب العربى فى اطار الفكر الاسلامى يقوم على الجمع بين الوجدان والعقل ، والروح والمادة معا وهو لا يعنى بالاستعراضيات والمهرجانات والزخارف واوليته هى فى التعبير الفنى ، القائم على الايمان بالله واليوم الآخر ، وفناء العالم المادى وبقاء الروح وخلود اليوم الآخر ، وقوامه ارتباط الادب بالاخلاق ، ويتركز مفهوم الادب حول موقف الانسان من الحياة والمجتمع ، فى محاولة لكشف ما فيها من خير وشر ، وعلى نحو يعلى ويزكى تقبل الخير وشجب الشر ، وهو بذلك دعوة الى القيم النبيلة التى تدفع الانسان الى مجال السمو والرفعة والكرامة دون الخروج عن نطاق الواقع ، حيث يبدأ منه نقطة الاصلاح واعلاء النفس الانسانية عن الشر والفساد .

ويقوم المفهوم الفكرى للادب العربى على أساس :

- ١ - التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته .
- ٢ - زرع الامل فى النفوس وتحطيم اليأس .
- ٣ - الدعوة الى الحياة الفاضلة الكريمة .
- ٤ - تقديم الحل الاسلامى لمشاكل العصر .
- ٥ - الاخلاقية سابقة على الجمالية والعصرية .
- ٦ - اسعاد القلوب والعقول بما يملأها طمأنينة وايمانا .

(٥)

محاولات التغريب فى فصل أدب أمتنا فى الماضى والحاضر

ولطالما دعا الابرار من رجال اليقظة الاسلامية هذه الامة ممثلة فى اساتذتها وعلمائها ورجال جامعاتها الى التماس منهج اسلامى للادب العربى بعد أن أفسد التغريبون هذا المعين المشرق النقى وحالوا بين روائعه وبين الوصول الى الشباب المسلم ، مقدمين عليها سموم أبى نواس وبشار ووالية بن الحباب وغيرهم بل لقد بلغ الفجور والاجرام بكبرهم الى أن يقول أن القرن الثانى للهجرة هو عصر شك ومجون وفيه من فيه من التابعين البررة الذين انشأوا المذاهب الفقهية الاسلامية ومفسرى القرآن ومقننى الشريعة ولقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين : لماذا نكون تابعين لمدارس معينة فى النقد

منذ بدأت حملات التغريب والغزو الثقافى والشعبوية على الفكر الاسلامى عن طريق الاستشراق والتبشير فقد وجهت قذائف كثيرة الى معسكر الادب العربى واللغة العربية بهدف تهوين قيمها الاسلامية التى صاغها القرآن الكريم والسنة النبوية ورغبة فى تزييف اصولها وأصالتها وتذويبها فى أتون النظريات الغربية والاممية الاباحية والمادية والوثنية .

ومن هنا فقد كان من الضرورى والمسلمون يتوجهون اليوم الى بناء مفاهيمهم الفكرية على أساس القرآن الكريم بعد أن تبعت أجيالا طويلة أن يكشفوا زيف هذه المؤامرات الخطيرة وأن يدحضوها حتى يمكن تسوية الارض أمام قيام منهج اسلامى صحيح للادب ، يكون متحررا من التبعية ومستمدا من المنابع .

الادبي ولا يكون لنا نظريتنا الاصلية ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قهنا ؟ لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهى غريبة عنا ، ولا يكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من ادبنا ؟ ومادام ادبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الادب الغربى فلماذا نحكم مقاييس هذا الادب فيه ؟ .

وأعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن هزينة التغريب والغزو الثقافى وقيام مناهج الاصاله فى مختلف جوانب الفكر الاسلامى سياسيا واقتصاديا وقانونا واجتماعا وتربية) أعتقد أنه قد آن الاوان لارساء المنهج الاسلامى للادب . ولقد كان لادبائنا فى عصور الادب العربى المتصلة نظرياتهم ومناهجهم التى شكلوها فى ضوء انتاجهم ، وأعتقد أن أساتذة الادب العربى فى جامعات البلاد العربية والاسلامية اليوم يؤمنون بما آمن به هذا الرعيل الكريم من أنه قد آن الاوان لانشاء منهج اسلامى للنقد الادبى ولتاريخ الادب العربى .

ومن هنا فاننا ننبه على المحاذير الآتية :

أولا : (وهو أخطر المحاذير) تبعية الأدب العربى للمفهوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهوم (تبين وبرونيتير وسانت بيف) وهو مفهوم مبادئ صرف يفترض فى النظرة الى الانسان أنه حيوان يخضع لظروف البيئة ، تسيطر عليه شهوات الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمدادا من نظرية دارون أساسا وقد أثار (ستانلى هايسن) فى كتابه (النقد الادبى ومدارسه) الا أن النقد الادبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم دارون وماركس وفريزر وفرويد وديوى ، أما دارون فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى وطبق على الانسان ما يطبق على الحيوان والحشرات أما ماركس فهو الذى ذهب الى أن الادب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر أو ذاك . أما فرويد فهو الذى يرى أن الادب تعبير مقنع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الاحلام وأن هذه المقنعات تعمل حسب مبادئ معروفة ، وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقمع وراء الوعى وأن بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعا مستمرا أما فريزر فهو صاحب الافكار عن السحر البدائى والاسطورة والشعيرة البدائية أما ديوى فهو يرى أن قراءة الادب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى غايلية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها هذه هى النظرية التى فرضت على النقد الادبى وقبلها المفكرون والادباء وأساتذة الادب ، ، وأما الادباء كانوا خالصى النية فى خدمة الادب العربى لامتصوا

من هذه المذاهب خير ما فيها ثم بنوا لنا نظرية أصيلة مستمدة من جوهر ادبنا ووفق مفاهيمه وقيمه ومناهجه ذلك لان الادب العربى بعد نزول القرآن الكريم أسس منهاجا أصيلا وأقر قوانين معروفة نمت وتطورت ثم توقفت وجمدت وكان فى الامكان تحريرها من أخطاء وانحرافات عصور التحلل ومن سيطرة الواند .

وسما يذكر أن الفلسفات الخمسة التى اشتقت منها نظرية النقد الادبى قد ضربت وطمعن فيها وأصابها بمضى الزمن فساد كبير واليوم نسمع عن أخطاء عريضة فى مذهب دارون وماركس وفرويد تحولت بها هذه الفلسفات عن أصولها فضلا عن أن مفهوم الادب الاسلامى هو اقامة مفهوم الانسان على أنه روح ومادة ، وعقل وقلب ، وأنه قبضة من الطين ونفخة من الروح .

ثانيا : تبعية الأدب العربى لمنهج واند فى كتابة تاريخ الادب ، ذلك هو منهج تقسيم الادب العربى الى عصور ، أموى وعباسى وغيرهما وهو تقسيم ظالم ، فضلا عن وصف عصرى الممالك والدولة العثمانية باسم (عصر الانحطاط) بينما يحمل هذا العصر عصارة ثمرات تطور الادب العربى والفكر الاسلامى مما يجعله خليقا بأن يسمى عصر الموسوعات ، ولولا سيطرة مفاهيم التغريب لتمكن أن يترابط الادب العربى فى وحدة لها طابعها الاصلى المستمد من جوهره والذى يختلف كثيرا عن التقسيم الذى طبقته فرنسا وانجلترا وألمانيا حين انفصلت بأدبائها ولهجاتها عن اللاتينية ، بينما يمثل الادب العربى وحدة متصلة مترابطة منذ ظهور الاسلام الى اليوم بحيث أن كل خطوة فيه هى نتيجة لما سبقها ومقدمة لما بعدها ، دون أن نجد بين هذه المراحل ثمة انفصاما أو توقفا أو انفصالا .

ثالثا : محاولة فصل الادب العربى عن الفكر الاسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والاخلاق . وهى دعوى تهدف الى تحرير الادب من قواعد الدين والاخلاق وتدفعه الى مجالات الغواية والاباحة والكشف وفى ذلك محاولة لفصل بين مقومات الاسلام وبين الادب الغربى .

وقد كانت قضية اقتضاء الأدب العربى عن الاخلاق من كبريات القضايا رغبة فى اشاعة روح الاباحة وحياء تراث الزناذقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والادب المكشوف من اللغات الغربية . ولم يكن هؤلاء الادباء يحملون صورة المثل الاعلى الكريم وكانوا يتطلعون الى صور البوهيمية التى عرفت فى حياة ادباء الغرب .

رابعا : اعلاء الشخصية الزائفة والموصومة من الزناذقة والاباحيين فى شعر بشار وأبى نواس . . وفى نشر : أمثال ابن عربى والحلاج .

والتجاهل والاعضاء وانتقاص الشخصيات ذات الاثر الحقيقي امثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالي والمتنبى وتوجيه الاتهامات اليهم .

خامسا : اقتذاع النقد الادبى وابلاغه اقصى درجات الهجاء واستعمال الاسلوب الحزبى النازل وقد صدرت جميع معارك النقد الادبى من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن احدهما في مواجهة الاخرى .

سادسا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدموات مسمومة ترمى الى اعلاء العامية او التنكر للفصحى بها يسمى اللغة الوسطى ، ومنهم من دعا الى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولى لغتى . والهدف واضح جلى وهو فصل الاداء العربى المعاصر عن مستوى لغة القرآن على ابل ان تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم . وهى محاولة لسلخ الادب عن القيم اللغوية الاساسية ، ولما كانت الصلة بين الادب واللغة من اهم مقومات وجود الادب فقد جرت المحاولات التغريبية لاجراج الكتابات الجديدة من اطار اللغة الفصحى واحتقار الاصول النحوية .

سابعا : محاولة محاكمة الادب العربى الذى صدر عن النفس المؤمنة بالله والتي تعرف حقيقة الانسان وجوهره الجامع روحا ومادة ومسؤوليته الفردية والتي تؤمن بالجزاء والحساب ، محاكمة هذا الادب وفق النظريات المادية والماركسية والوجودية والفرويدية التي تعتبر الانسان حيوانا .

ثامنا : ابتعاث اسلوب جديد على الادب العربى ، هو الاسلوب المزدوج الذى يكتب به نصارى لبنان والمهجرين والذى يصيغ الجملة العربية صياغة غير اصيلة ، ومن عجب ان بعض المجالات الادبية والاسلامية تنشر مثل هذا . ومن هذه الفجوة يتطاع دعاة التغريب لعزل هذه الامة عن البيان العربى الاصيل ومن ثم تبدأ مرحلة تحويل اللهجات العربية الى لغات وهذا يمكن الخطر الذى يعد كل مسلم مسئولا عنه ان وقع ، وقبل ان يقع .

تاسعا : كسر عامود الشعر واعلاء شأن الشعر الحر بمفهومة المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحقر لها والهادف الى نفس الغاية التي تقدمها الازجال والامثلة العامية من حيث صدورهما من نفسيات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرا : احياء الاساطير والخرافات وخاصة مايسمى تراث فينيقيا وجلامش ، والدعوة الى مضامين كنسية وتوراتية واسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهى كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطارق ومحتواها قتل وتمزق وضياح وعصارة كل مذاهب الوثنية وتفسيرات الاممية .

حدى عشر : احياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التي تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها ..

ثاني عشر : التنفير من الادب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان ، والذي تتمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب وتحقير هذا الادب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية ..

ثالث عشر : المؤامرة على القصة العربية الاصلية باعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التي لا تغير فيها الا الاسماء والاماكن وتبقى بمضامينها التي لا تصلها النفس الاسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها .

رابع عشر : محاولة فصل الادب العربى الى اقاليم ، وهى المحاولة الشعبوية التي دعا اليها بعض التغريبين ، رغبة في تمزيق وحدة الادب العربى والحيلولة دون التقاء جوانبه كممثل لامة واحدة ، وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى ومغربى ، وتلك هى غاية الاحتلال والغزو الثقافى من تأكيد الإقليمية هذا فضلا عن فشل تقسيم الادب الى عصور وهناك محاولة اخرى لعزل الادب العربى الحديث والمعاصر عن الادب العربى القديم واقامة الادب العربى الحديث على نحو يخرجه من طابع الادب العربى الاسلامى وانتزاعه القرآنى .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من التغريبين والتابعين للمناهج الغربية ومروجيها واعطاؤهم صورة البطولة والشهرة والتبرير مع انكار وتجاهل وحجب اصحاب الاصالة الحقيقية من امثال مصطفى صادق الرافعى ورشيد رضا وشكيب ارسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وعلال الفاسى والثعاللى وعزام وباديس وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وابو زهرة وخلاف .

وبعد فلقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين هو : لماذا نكون تابعين لمدارس وافدة في النقد الادبى لا تمثل جوهر مفهومنا للانسان والحياة ولا تكون لنا نظريتنا الاصلية ومدارسنا الذاتية القائمة على اساس من قيمنا؟

كامل للنقد الأدبي ولتاريخ الأدب العربي مستمد من القرآن والسنة يكون فجرا لامتنا وسياجا حصينا لشبابنا من أن ينصرف في بوتقة الاممية العالمية والحضارة المنهارة ، هذا قول مجمل وتفصيله مرافق لهذا وملحق به ..

ومادام أدبنا يختلف في جوهره وذاتيته ومضامينه عن الآداب الغربية ، فلماذا نحكم بمقاييس هذه الآداب فيه واعتقد أنه في مطالع القرن الخامس عشر (قرن الأصالة والتحرر من التبعية) قد آن الأوان لارساء المنهج الإسلامي للأدب وأنه قد آن الأوان لانشاء منهج إسلامي

(ثالثا)

المدرسة الإسلامية في الأدب

قصة الأصالة ذات جناحين

تصحيح الواقع وبناء الأصل

وإذا كان تأثير الدين المسيحي واضحا في الفكر الغربي عامة وفي الأدب الغربي خاصة في نظرية الإنسان والكون مما يمثل في كتاب (انتصار المسيح) وشعر ملتون ومدرسة الأحياء الكاثوليكي التي قادها (ت.س. اليوت) الذي يرى أن الطريق إلى السعادة والمثالية لابد أن ينطلق من الكنيسة وقد استطاع هذا الأدب أن يؤثر في عدد من الشعراء العرب في مقدمتهم السياب وصلاح عبد الصبور .

لذلك من الضروري أن يكون اثر الإسلام واضحا في الأدب العربي من حيث تقديم الأخلاق على الجمالي وتقديم مفهوم التقدم الجامع بين الروحي والمادى ، وتقديم مفهوم التقدم الجامع بين الروحي والمادى ، المجتمع وأن يكون الأديب مسلما مقتنعا بمبادئ الإسلام وقيمه ومثله قبل كل شيء ، وملتزمًا بالإسلام ضابطا لحريته ، وأن يكن مفهومه للصق الفنى هو ما تمثله قوله عمر بن الخطاب عن زهير :

« لا يعاظم في كلام ولا يتبع جوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه » .

ومن هنا يكون موقفنا من الأدب الغربي موقفا واضحا فإن هذا الأدب يحوى عناصر وثنية مسيحية على النحو الذى شاع في كتابات كثيرا من شعرائنا وقصاصينا (نجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور) .

ولا يمكن قبول رأى الذين يرون أن هذه المذاهب حيادية أو يمكن الانتفاع بها في الشكل دون المضمون فإن اليوت يقرر أن المدرسة الكلاسيكية بل الأحياء الكاثوليكي ملتزم بنصرائته (والكاثوليكية بصفة خاصة) كذلك فنحن لا نقبل مفهوم الآلية (الحداثة) التى

كان قيام المدرسة الإسلامية في الأدب مرحلة طبيعية بعد الخطوات التى سبقت والتى ارتبطت باليقظة الإسلامية التى حاولت منذ ثلاثينيات هذا القرن مهاجمة المنهج الغربى الذى فرض على دراسة الأدب بكلية الآداب والكشف عن أنه يتناقض مع أصول الأدب العربى لانه قام على أساس مفهوم الآداب الأوروبية التى تختلف في جوهرها وعقيدتها ومنهجها ، وقد شارك في هذه المحاولة كثيرون وعرض بعض الباحثين لعدد من القضايا التى اعتمدت مفهوم التغريب في دراستها ، ويمثل كتابنا (خصائص الأدب العربى) عرضا واسعا لهذه القضايا في محاولة لمواجهة التحديات التى عرضت للأدب العربى : القصة والشعر والفن والمسرح وقد صدر قبل عشر سنوات داعيا إلى منهج إسلامي أصيل لتاريخ ونقد الأدب العربى . وكان لابد أن تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة التقنين والتنظير التى تسرى الآن في مجال الفكر الإسلامى في علوم كثيرة ، وكان لابد أن يتبع الحركة التصحيحية للأدب العربى حركة انشائية في المقام الأول أو ابداعية - إذا لم يتعارض هذا التعبير مع المفاهيم الإسلامية - وفارق بين أسلمة الأدب العربى وتحريره من التبعية وبين انشاء أدب إسلامي أصيل من نقطة البدء بعد أن انقطعت الأوصال .

نحن اذن بدأنا في قلب التغريب ثم اخرجنا الله تبارك وتعالى إلى الأصالة ، وكان هذا خيرا كثيرا لانه مكنا من دراسة هذه المذاهب وفهمها وكذلك شأن اخوتنا الذين نشأوا في مجال القومية والماركسية والعلوم الاجتماعية الغربية ثم اشرقت نفوسهم بنور ربها فخرجوا منها إلى المعرفة والتغيير . وأحسوا بحاجة أمتهن إلى أن يكون لها منهجها الأصيل .

تطلق منها الخواطر التي تمر بالإنسان في داخله فتخرجها كما هي ، حيث لا يخضع للمنطق أو العقل .

وشعر الطبيعة في الرومانسية سرب من المسارب لايخرج من الواقع فيه خطأ كبير لانه قائم على فلسفة معينة ، كما لا يجوز لنا استعمال مصطلحات غربية وعندنا نستخدم اللفظ المصطلح فانه له دلالة مختلفة عند المسلم ومصطلح (أدب الجنس) هو اخطر هذه المحاولات فهو يمجّد العلاقة الجنسية ويعطيها البطولة لأن مؤاده بهيمى حيوانى .

ومن شأن تحرير مفهوم الأدب وأسلمته أن تواجه هذه الانحرافات الخطيرة التي ظهرت في أدبنا العربى الحديث اذ لم تعد تقتصر على الغزل الفاحش بل أصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى ومن هنا فإن الأدب الاسلامى يجب أن يقف موقفا حاسما ازاء هذه الانحرافات والتجاوزات .

ولعل أسوأ ما يرى من فساد انحراف الأدب العربى الحديث :

انهزامية نجيب محفوظ في شخصية (المومس) وشخصية المرأة عموما عند احسان عبد القدوس ، وفي قصة السراب بتشكك نجيب محفوظ في محارمه ويعتقد أن الفضيلة سراب فضلا عن تمجيد لحظات الضعف كسقوط المرأة . وفي قصيدة (الناس في بلادى) اصلاح عبد الصبور تعريض بالذات العلية مما لا يمكن أن يصدر من مسلم . وكما وصف القدر في القصص الحديث بأنه ظالم أحق الخطى عابث ، وهناك الدعوة الضالة الى تفسير انحراف المرأة نتيجة البحث عن الطعام وهو تفسير ماركسى فاسد .

لذلك فإن من أبرز ما يتوجه اليه الادب الاسلامى هو بناء نماذج اسلامية أصيلة في الشعر والقصة تستمد مفاهيمها من الاسلام وترمى الى تصور اسلامى في نفس الوقت الذى يجب أن يكشف عن فساد النماذج الاباحية والمنحرفة التي كتبها الكتاب الذين يرفضهم الادب الاسلامى أساسا ويقرر أن أدبهم لا يمثل المجتمع الاسلامى الاصيل .

ان الاسلام قد قرر الالتزام قبل أن تعرفه المذاهب المعاصرة وهو يعنى ارتباط الأديب بقيمه ومبادئه ويقرر الأخلاقية أساسا ويحدد وجهة نظر الاسلام تجاه العصور الأدبية : على أنه انساني الوجهة بقسامى بغير انزائ الإنسان ، متكامل النظرة بين دينه ومجتمعه دون أن يكون هذا التوجه قيداً على مقاييس الجمال الأزلى .

والالتزام الاسلامى هو منطلق حياة الإنسان ومن ثم فهو يستطيع أن يتحدث في أى موضوع حتى عن الجنس بمفهوم الاسلام وهذا لا يمنع من أن ننظر الى المذاهب الأدبية الغربية للانتفاع بها ويتقرر الالتزام في الشكل والمضمون وقصد الشكل اخطر بكثير مما يتصور لان الشكل هو افراغ المضمون في صورة تعبيرية تتناول القلب الفنى .

كذلك فإن المذاهب الأدبية الغربية كلاسيكية ورومانسية والواقعية هي مذاهب أدبية تقوم على فلسفات مادية أساسية رأى أصحابها أن السبيل الى اشاعتها في الناس هو تقديمها في قوالب أدبية .

فالكلاسيكية فلسفة وثنية تقوم على تجسيد العقل والرومانسية فلسفة مسيحية هي ثورة على العقل تمجد العاطفة وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادئ والأخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب لأنها تستند الى فلسفات خطيرة جدا ونحن المسلمين لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة ، وكلّ الشعر العربى بالعقل والعاطفة زاخر ، وما نرفضه ويتصادم مع الفكر الاسلامى أن يكون توجيه العقل والعاطفة قائما على فلسفة معينة ، بالصورة التي تأدت بها اليه وعلينا أن نكون واعين بما وراء هذه المذاهب ، والواقعية الغربية تقوم على المادية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ وبالجملة فإن الأدب الاسلامى لا ينحصر في الأدب العربى بل يبدأ به ويمتد الى آداب الشعوب الاسلامية غير العربية وهو المحضن الأكبر والأول للادب العربى وما يزال الميدان الأكبر له . وبين الادب العربى والاسلامى صلة البنوة والابوة وقد حدثت في العصر الحديث أحداث وقضايا منها توظيف الادب في القضايا العقديّة وفي آداب الشعوب الأخرى ، وظهرت انحرافات خطيرة في أدبنا العربى مما جعلنا في حاجة الى أدب اسلامى يحمل قضايانا ويلبى حاجتنا ويمثل شمولية الاسلام في معالجة مختلف قضايا الحياة .

هذا وقد جاء مؤتمر الادب الاسلامى في الرياض ١٤٠٥ هـ حلقة تالية لمؤتمرين عقد أولهما في ندوة العلماء بالهند . بإشراف السيد أبو الحسن الندوى عام ١٤٠١ والثانى في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢ وقد أثرى هذا المؤتمر أدباء مسلمون وأعلن في وقت مقارب تشكيل رابطة الأدب الاسلامى في ندوة العلماء وصدرت في هذه المناسبة دراسات قيمة في مقدمتها كتاب (نحو ادب اسلامى) للاستاذ عبد الرحمن رافت الباشا .

المفهوم الإسلامى المتميز للادب

مع التفتيح ، والارتباط بالجذور مع القدرة على مواجهة المتغيرات ، كما دعنا الى معارضة التقليد الأجنبى والاحتفاظ بالذاتية الإسلامية وأعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد والتبعية .

ثالثا : الصدق : والصدق والوضوح أبرز معالم الإسلام التى أهداها الى الأدب . (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) .

ولذلك رفض الإسلام الأساطير والاهوام الذاتية بعيدا عن الواقع .

رابعا : الوضوح : يتسم الأدب الإسلامى بالوضوح والصراحة تحت ضوء مشرق بعيدا عن الظلال والرمزيات والتبويه الذى عرفت به الآداب الأوربية ، فالنفس المؤمنة بربها لا تعرف التشاؤم ولا توغل فى اليأس والقلق والتمزق .

خامسا : الإيمان : وقد أضاعت ظاهرة الإيمان بالله طريق الأدب والانحرافات والضعف البشرى وطفولة البشرية .

وانفسح الإيمان للإنسان بالإيمان طريق الثقة به والاطمئنان الى حكمه .

سادسا : التفاؤل : فالأدب الإسلامى استمدادا من قيم الإسلام لا يعرف التشاؤم ، وهو يؤمن بأن الغمرات تاتى ثم تنجلي وأن الصبر بعد الشدة فلا يعرف أبدا ذك الطابع من الانقباض الذى عرفته الآداب الأوربية التصدد .

سابعا : الأخلاقية : القانون الأخلاقى أساس وطيد فى الأدب الإسلامى الذى يقرر اعلاء الأخلاقية على الجمالية وعدم تضحية الأخلاقية المرتبطة ببناء الكيان الاجتماعى المسلم .

خامس عشر : أصالة الاستجابة : فالأدب الإسلامى من قاعدة أن لكل أمة ذاتيتها الخاصة النابعة من حيث الرحمة والوفاء ووضوح النظرة وسلامة القصة .

سادس عشر : الذاتية : وينطاق منها الأدب الإسلامى من قاعدة أن لكل أم ذاتها الخاصة التابعة من قيمها فالطابع الخاص هو أبرز طوابع الإسلام .

لمعرفة (الخصائص التى تميز الأدب الإسلامى والتى تختلف عن الآداب العالمية شرقية وغربية) نقول أن الفكر الذى تشكل الأدب الإسلامى فى أطواره يستمد من القرآن الكريم حيث يقوم هذا الفكر على أساس التوحيد الخالص ، لله تبارك وتعالى خالق الكون الذى يمسك هذا النظام المترابط والقائم على كل نفس سا كسبت ، والذى تتمثل مهمة الإنسان فيه ، مستخلف فى الأرض له طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم والعقل والقلب وقد أقر الإسلام رغباته المادية وأشواقه الروحية وجعل له ضوابط تحول بينه وبين الانحراف سواء الى اعتزال الحياة أو الاسراف فى ملذاتها ، وأقام له منهاجاً وسطاً كريماً قادراً على أداء مسؤوليته والقيام على أمانته ومواجهة ما تجابهه به القوى المختلفة من تجديات .

ولما كان القرآن الكريم هو المصدر الأصيل للفكر الإسلامى فهو المثل الأعلى للادب الإسلامى والسنة المطهرة مظهرة له بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاته لقوانين القرآن فى مختلف جوانب الحياة .

ولقد أمد القرآن الكريم العلوم والآداب والفنون الإسلامية ومختلف مناهج الحياة والفكر من عطائه سواء عن طريق المنهج التجريبى أو منهج المعرفة ذى الجناحين أو قوانين قيام الأمم والحضارات وانهيارها وقدم نظاماً كاملاً فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد واعتبر الأدب والفن فرعين من فروع الفكر لا ينفصلان ويتكاملان مع المقومات الأخرى وأقام النظرة الجامعة بين العقلانية والوجدانية على أساس الفطرة وطالب بالبرهان وانكر الأساطير وحرر البشرية من تراث طفولة البشرية وأوهامها ووثنياتها وعلم الأصنام اليونانى .

نظرية الأدب الإسلامى

المفهوم الإسلامى المتميز

وأورد البحث الأصول التى يستمد منها الأدب الإسلامى منطلقاته :

أولا : أصالة الأدب : فقد اتسم الأدب الإسلامى بالطابع الإنسانى البعيد عن العنصرية والاستعلاء بالدم أو اللون ، الذى يقيم روح الإخاء البشرى .

ثانيا : الأصالة : والأصالة هى الالتحاق بالمنابع

واحد وعشرون : الفطرة : ومن أسس الأدب الإسلامى الحقيقية قيامه على أساس فطرة الإنسان الأصلية البعيدة عن الانحراف والفساد .

ثاني وعشرون : ترابط العروبة والإسلام : فالإسلام بالنسبة للعرب أساس فكرهم وحضارتهم والعروبة والإسلام يتكاملان ، حيث لا يقر الأدب الإسلامى مفهوم اعلاء الجنس أو العنصر أو مفهوم القومية العربى الوافد .

ثالث وعشرون : قوامة الرجل ..

رابع وعشرون : تكامل المعرفة ..

خامس وعشرون : الوسطية ..

هذا وبالله التوفيق .

(خامسا)

تأصيل نظرية الأدب الإسلامى

لسماحة السيد أبو الحسن الندوى

٥ - رسم منهج اسلامى مفصل للفنون الادبية الحديثة :

(القصة - المسرحية - السيرة الذاتية)

٦ - الاهتمام بالتفسير الاعلاسى للأدب والعمل على انجازه .

٧ - اعادة كتابة تاريخ الأدب العربى من وجهة نظر اسلامية .

٨ - اظهار صلة الأدب الإسلامى الحديث بالأدب القديم والرد على المحاولات الداعية الى الانفصال بين أدب أمنا فى الماضى والحاضر .

٩ - دراسة الأدب الإسلامى المعاصر فى البلاد الاسلامية واظهار الخصائص المشتركة للأدب الإسلامى فى العالم .

١٠ - القيام بدراسات موسعة لعدد من الأدباء الإسلاميين وبخاصة الذين صاغوا أدبهم بأحدى لغات الشعوب الاسلامية .

١١ - تعريف الشعوب الاسلامية بأداب بعضها

سابع عشر : الاعتراف برغبات الإنسان : حيث قرر الإسلام أن الرغبات من طبيعة الإنسان التى لا سبيل الى قمعها أو القضاء عليها بل يجب تحريرها من الاسراف والجمود معا ووضع لها الضوابط من الاعتدال والعفة واقامها فى دائرة الخير .

ثامن عشر : التوحيد : من منطلق الإسلام قرر وحده الجنس البشرى والفكر الإنسانى وارتفع بالعقل بن قيوده التى كانت تأسره حول الاوثان الى الاعتقاد بالله واحد .

تاسع عشر : الارتباط بالميراث الإسلامى ، وعدم الانفصال عنه ، من حيث أن الأدب الإسلامى يبث حلقات متصلة غير منفصلة عن منبعها الاول والأصيل .

عشرون : التجريب : ولما كان التجريب من أبرز طوابع الفكر الإسلامى فقد كان لابد للأدب الإسلامى أن يمضى على نفس الطريق .

ان غربة الأدب الإسلامى وسيطرة الأدب المزور على العالمين العربى والإسلامى وواجب الدعوة الى الله عن طريق الكلمة الأصلية الملتزمة ، كل ذلك يدعو أدباء الإسلاميين الى انشاء رابطة تجمع صفوفهم وتشد كل واحد منهم بعضد أخيه وترفع صوتهم وتقفهم على واجبهم أمام تجمعات الأدباء المنحرفين وتهيئ لهم أن يتعاونوا لتأصيل نظرية الأدب الإسلامى كى تواجه نظريات الماركسيين والليبراليين والوجوديين فى الأدب وغير ذلك من المذاهب الأدبية غير الاسلامية فى العالم عن طريق :

١ - التعريف وجمع الكلمة واقامة التعاون بينهم فيكونوا قوة اسلامية سلاحها الكلمة الأصلية الملتزمة بالإسلام .

٢ - تأصيل نظرية الأدب الإسلامى واظهار الملامح السائدة فى الأدب العربى قديمه وحديثه .

٣ - تحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامى .

٤ - العمل على تأصيل نظرية النقد الإسلامى على أن يتصف بالموضوعية والبعد عن القواعد المستوردة والاساليب المبهمة .

البعض بترجمة آثارها الأدبية الى عدد من لغات الشعوب الاسلامية الاخرى .

١٢ - تشجيع الادب الذى يهتم بقضايا المرأة المسلمة وتشجيع نتاج الادبيات المسلمات .

١٣ - رسم منهج اسلامى لادب الاطفال والبالغين والشباب .

١٤ - التصدى للدعوات الادبية المشبوهة والمنحرفة .

١٥ - مناصرة حركات التحرر الاسلامى والاسهام فيها بالكلمة الجريئة الاصيلية .

١٦ - الدفاع عن حرية الفكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية .

١٧ - الدفاع عن حقوق الادباء الاسلاميين المعنوية والمادية .

١٨ - تهئية وسائل النشر والتوزيع لادباء الرابطة بجميع الوسائل الممكنة .

(المبادئ العامة)

١ - الادب الاسلامى هو التعبير الفنى والهادف عن الانسان والحياة والكون فى حدود التصور الاسلامى لها .

٢ - الادب الاسلامى ادب ملتزم والتزام الاديب فيه التزام عفوى نابع من التزامه بالعقيدة الاسلامية ورسالته جزء من رسالة الاسلام العظيم .

٣ - الادب طريق مهم من طرق بناء الانسان الصالح والمجتمع الصالح وأداة من أدوات الدعوة الى الله والدفاع عن الشخصية الاسلامية .

٤ - الادب الاسلامى مسئول عن الاسهام فى انقاذ الامة الاسلامية من محتنها المعاصرة والادباء الاسلاميون اصحاب ريادة فى ذلك .

٥ - الادب الاسلامى حقيقة قائمة قديما وحديثا

تبدا من القرآن الكريم والحديث النبوى وسعرة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مع كهار قريش ويمتد الى عصرنا الحاضر ليسهم فى الدعوة الى الله ومحاربة اعداء الاسلام والمنحرفين عنه .

٦ - الادب الاسلامى هو ادب الشعوب الاسلامية على اختلاف اجناسها ولغاتها وخصائصه هى الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الاسلامية كلها .

٧ - يقدم التصور الاسلامى للانسان والحياة والكون - كما نجده فى الادب الاسلامى - اصولا لنظرية متكاملة فى الادب والنقد وملاحم هذه النظرية موجودة فى النتاج الادبى الاسلامى الممتد عبر القرون المتوالية .

٨ - يرفض الادب الاسلامى اى محاولة لقطع الصلة بين الادب القديم والادب الحديث بدعوى التطور او الحداثة او المعاصرة ويرى أن الحديث مرتبط بجذوره القديمة .

٩ - يرفض الادب الاسلامى المذاهب الادبية التى تخالف التصور الاسلامى والادب العربى المزور والنقد الادبى المبني على المجاملة المشوهة او الحقد الشخصى كما يرفض لغة النقد التى يشوهها الغموض وتفتشونها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة ويدعو الى نقد واضح بناء .

١٠ - يستفيد الادب الاسلامى من الاجناس الادبية جميعا شعرا ونثرا ولا يرفض اى شكل من اشكال التعبير ويعنى بالمشغول الذى يحدد طبيعة الشكل الملائم للاداء .

١١ - ان رابطة العقيدة هى الرابطة الاصيلية بين اعضاء الرابطة جميعا ويضاف اليها آصرة الزمالة الادبية التى تعد رابطة خاصة تشد الادباء الاسلاميين بعضهم ببعض ووحدة المبادئ والاهداف التى يلتزمون بها .

(الاعلان عن قيام رابطة الادب الاسلامى برئاسة السيد ابو الحسن الندوى) .



الواقعية بين نظرية الأدب الغربى ومفهوم الإسلام

للرفعة الدائمة والمحاولة الدائبة للتغلب على الضعف
انما يقول (وخلق الانسان ضعيفا) .

كذلك فان الواقعية الاسلامية تسعى لتهديب
النظرة البشرية فلا تصور حالات الهبوط تصويرا مثيرا
جارحا كما تفعل النماذج الادبية الغربية والعربية التى
تصور مشاهد الانحراف تصويرا دقيقا ثم تحلها الحل
النهائى للعقدة الدرامية .

ان الادب الصادر عن التصور الاسلامى (ادب
ملتزم) بحماية الانسان من المزالق والاعطاء ولا يمكن
ان يسلم الانسان الى متاهة الانحراف ولا يمكن ان يجعل
المنكر معروفا امامه ويقلب مفهوماته ..

ان المفهوم الاسلامى فى الواقعية يرى ان لحظة
الهبوط هى لحظة هبوط لا لحظة بطولة تستحق
التصفيق والاعجاب .

(محمد قطب)

ان الواقعية الغربية تضى صفة البطولة على
لحظة الضعف البشرى المزرى جدا فى بعض الاجيال
ليضل نفسه عن حقيقة هبوطه المزرى فبدلا من ان
يتهم نفسه او يتهمه احد بالنقص ويطلب نفسه
او يطلبه احد بالارتفاع وهو لا يريد الارتفاع ولا
يقدر عليه لانه اخذ الى الارض واتبع هواه بدلا من
نلك يقول ان الارتفاع خرافة والهبوط هو الحقيقة
الواقعة السوية التى يقال عنها « ليس فى الامكان
ابدع مما كان » اما الواقعية الاسلامية فهى لا تنكر فى
ان حالات الهبوط هى حقيقة واقعة وسع ذلك فهى
لا تمجدها ولا تسلط على الاضواء لانها فى حقيقتها
لحظات هبوط .

ان الواقعية الاسلامية لا تحب ان ترسم صورة
مزرى للبشرية ولا صورة بيضاء من كل سوء بعيدة عن كل
شائبة ، كلاهما هكذا يقول القرآن ذاته الذى يدعو

ساسا

لماذا لا يكون الأدب العربى عالميا

لان هناك تحيزا فى الانتقاء والاختبار تحت عنوان :
هو ان يثبتوا ان الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم
بضاعتنا ردت الينا فان هوى المترجمين لما ترجموه
هو ان يثبتوا ان الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم
الغربية وللأساليب الغربية ايضا .

ثالثا : ان المصطلحات التى تستعمل الآن فى
الادب العربى دخيلة وغريبة فهو يحاول ان يخضع
لاطوار الادب الغربى الذى ينتقل بين الكلاسيكية
والرومانسية وانتقل منها الى السريالية والوجودية
والآن يحاول ان يقف فى خضوع امام النظرية الجديدة
الطاغية عليه وهى البنيوية .

كما ان الادباء خضعوا لمسميات كثيرة كعصر
التنوير وحاولوا ان يطبقوه على الادب العربى ، بينما
عصر التنوير هذا فى اوربا انما يمثل العصر الذى
سيطرت قيم التحولات التلمودية التى عملت على هدم

اولا : ان الادب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ
العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه
وحدة من وحدات الفكر الاسلامى بما دخل عليه من
مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع
من أساليب غريبة من ناحية الأداء .

ولذلك فان الانتاج الادبى القائم الآن بين ايدينا
لا يمثل حقيقة الشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ،
كما ان أسلوب ادائه غريب على الادب العربى لانه
يخضع للنظرية المادية التى وصفها برونيتروتين
استمدادا من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة
المادية التى تعتبر الانسان حيوانا سواء من ناحية
الطعام (الماركسية) او من ناحية الجنس (الفرويدية)

ثانيا : ان ترجمات الادب العربى الى الآداب
الاوربية التى تمت فى العقدين الاخيرين لا تمثل حقيقة
الادب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ،

المجتمع ، وهذه هي أخطر السهوم المسمومة التي أصابت الأدب العربي اليوم فضلا عن تبعيته في مصطلحات العصور ، والعناصر .

سادسا : إما أن الأدب العربي جدير بأن يكون عالميا فذلك أمر لا سبيل إلى إنكاره فهو بطبيعته التي يستبدها من الإسلام يمثل المشاعر النفسية السمحة المستعيلة على الخطيئة والاباحة ، والمتجهة إلى الحرية بدلا من الانانية وإلى الجماعية بدلا عن الفردية والتي لا تفقد أخلاقيتها من أجل الجمالية ، ولا تفقد معنوياتها في رسالة التقدم من أجل ماديتها ، هذا الأدب الذي يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، المندفعة في سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيق المجتمع الرباني جديرة بأن يكون انتاجها الأدبي عالميا لأنه انساني بطبعه وخلق بأن يصل إلى كل النفوس المشوقة إلى الإيثار والعدل والإخاء .

ولكن هذه المرحلة من الأدب العربي لم تبدأ بعد وترجو ألا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فإن الفكر الإسلامي اليوم هو القادر على تقديم رسالته الإنسانية إلى العالمين لأنه قد تحرر من التبعية وانطلق إلى آفاق العدل والرحمة والإخاء الحقيقي ولقد كان الفكر الإسلامي في إبان الازمات التي لحقت بالمسلمين قادرا على العطاء أكثر من الأدب العربي الذي مازال غارقا في أوهام الاحتواء والتبعية والذي لم يستطع بعد أن يكشف الأخطار والتحديات التي تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذي تفرضه القوى الاستعمارية وخاصة خطر التحدى الصهيوني المتنامي ١٥

ثانيا : مفهوم الأدب الإسلامي

لا ينحصر الأدب الإسلامي في الأدب العربي وحده بل يبدأ به ويمتد إلى آداب الشعوب الإسلامية غير العربية ، وهو المحضن الأكبر لهذه الآداب وبين الأدب العربي والإسلامي صلة البنوة والابوة ، وليس عيبا أن أسلافنا حصروا اهتمامهم في الأدب العربي ولم يتجاوزوه ، بل إن عدم استخدام المصطلح لا يدينهم فلكل عصر مصطلحاته وقد جرت في العصر الحديث قضايا جديدة منها (توظيف) الأدب في القضايا العقيدة وفي آداب الشعوب الأخرى ، وظهور انحرافات خطيرة في أدبنا العربي الحديث إذ لم تعد تقتصر على الغزل الفاحش وبعض المبالغات بل أصبحت تقصد إلى محاربة القيم الإسلامية وإحلال قيم أخرى وافدة ومن هنا كانت

صروح المدرسة المسيحية المثالية من أجل إقامة مفاهيم الاتحاد التي قادها فولتير وروسو وأصحاب الموسوعة وكان ذلك مقدمة لاشغال الثورة الفرنسية التي حطمت قواعدها الوحدة المسيحية الغربية وفتحت لليهودية الطريق إلى السيطرة على المجتمع الغربي وتحطيم بالنظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغلب الجنسية وانسقاط مفهوم الدين .

رابعا : مفهومنا للأدب العربي أنه وحدة من وحدات الفكر الإسلامي ، يقوم على قيم الإسلام العليا : التوحيد والأخلاق والعدل والإخاء .

وهي القيم التي قام عليها مضمون الأدب العربي بعد الإسلام ثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات الجوسية والفارسية .

الاداء العربي الآن يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربي الممتد خلال العصور والذي وصل على أيدي البارودي وشوقي والمنفلوطي والزيات والرافعي إلى قمة عالية فهو الآن ينحدر إلى لغد الصحافة ، أو ما يسمى اللغة الوسطى .

الشعر ينحرف الآن إلى قصيدة النثر والشعر الحر ويتدنى إلى مفاهيم منحرفة مكشوفة وأداء مقتبسة رديء

القصة : تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب الغربية ولا تمثل النفس العربية أبدا ، وهي تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على أنها علاقات طبيعية في المجتمع حتى يعتد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهذا مايجرى عليه أغلب كتاب العصر ، الذين يصدرون أساسا عن مفهوم علماني لا يؤمن بقيم الدين الحق ، ووشى يعلى من نظرية عبادة الأصنام ، ومادى لا يقر بوجود المسؤولية الفردية ولا الأخلاقية ولا الجزاء الأخرى .

هذا النتاج كله باسم الأدب العربي لا يمثل حقيقة الأدب العربي ، وإنما يمثل انحرافا طرأ على الأدب العربي بدخول المذاهب الوافدة عليه ، وعلى المجتمع أيضا ، ومن هنا فإن هذا الأدب القائم يتمثل في تبعية واضحة سواء من ناحية الأداء أو المضمون ، من ناحية تاريخ الأدب أو النقد الأدبي .

وأخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التي تقول بأن الأدب العربي له استقلاله عن الفكر الإسلامي وله حريته في مجال الأداء دون اعتبار للمسؤولية الأخلاقية والحدود والضوابط التي قررها الإسلام على

ان الالتزام يأتي من الخارج بينما ينبع الالتزام من الداخل وفي هذا يختلف عن مفاهيم الالتزام في الاداب الاخرى في فروق متعددة ، كما اشار الى أن الاسلام يقر حق الكاتب في حرية التفكير وابداء الراي في اوسع نطاق حيث لم يحاول الاسلام ان يفرض نظرة علمية معينة كما ركز الباحث على اخلاقية الادب الاسلامي وموقفه من تصوير الشر والفضيلة . ويقرر ان الادب الذي يقود قارئه الى العطف على الانحلال والعجاب بالرزيلة والانحدار ، انما هو ادب هدام .. ا.هـ.

والمفهوم الاسلامي لنظرية الالتزام في الادب تقرر بأن الالتزام يعني ارتباط الاديب بقيمه ومبادئه وهو بهذا المفهوم لا يتواءم مع المذاهب الاوربية التي يصطنعها ادباؤنا المحدثون .

فان دعوة الفن للفن تنظر الى جمال الشكل سواء كان بناء أو هداما ، فكان هذا المذهب يعزل الاديب عن الدين والاخلاق ، كذلك فهو يختلف عن المدارس التعبيرية والتأثيرية واللاوعي والسريرية وما فوق الواقع والتي تعادى الواقع وترد الانسان الى غرائزه ومع ذلك فان الالتزام لا يعنى الاديب من مقاييس الجمال الادبي . ويرى بعض الباحثين أن الالتزام الاسلامي هو منطلق لحياة الانسان ، ومن ثم فهو يستطيع أن يتحدث في أي موضوع حتى في الجنس بمفهوم الاسلام وقاعدة الالتزام يجب ان تنطلق من مفهوماتنا الاسلامية وأصولنا الاسلامية مع توثيق الارتباط بين الادب والاسلام في ضوء مقاييس القرآن والسنة

ولا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون لان الشكل هو افسراغ المضمون في صورة تعبيرية تتناول القالب الفني ، الشعر الحر ، شعر التفعيلة ، القصيدة النثرية ، القصيدة المدورة ، الشعر السريالي . ولما كان الشكل الموجود الآن في الادب يشتمل على عناصر وثنية ومسيحية فكيف يمكن أن يكون المضمون اسلاميا ويكون الشكل وثنيا ومسيحيا ، ومعنى الالتزام في الاسلام لا يعنى محاصرة الاديب في قضايا معينة ..

حاجتنا الى ادب يحمل لواء قضايانا ويلبي حاجتنا . وبهمة الاديب المسلم انه ينشئ ادبا اسلاميا للمسلمين في جميع المصورة ويتناول الاعمال الادبية عندنا وعندهم ولا بد أن نؤصل الادب الاسلامي ليقف في وجه الادب الوجودي والادب الاشتراكي . ذلك ان الادب الاسلامي يتخذ موقفا اسلاميا ينطلق من العقيدة وعلى الاديب الاسلامي من أجل أن يكون اسلاميا أن يكون على وعي كامل بالاسلام حتى يعلم ماهو حلال وماهو حرام وأن يكون واقفا على كتاب الله عز وجل وبما يتصل بهذا الموضوع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا (بوصفه) مؤصلا للنظرية أساسا عن المذهب الادبي الذي نسعى اليه : فيقول :

لما كانت هذه التيارات الاجتماعية قد انبثقت عن نظرة أصحابها الى الانسان والحياة فانه من الضروري أن يكون للمسلمين مذهب ادبي متميز القسمات ، واضح الغايات ليعبر عن نظرتهم الى الانسان والكون وموقفهم من دنيا والآخرة ، وقد تبين أننا اليوم أكثر من أي يوم مضى في حاجة الى منهج لادبنا الاسلامي بعد أن تعرض في هذا العصر لغزو فكري ووجداني وحضاري ما عرفنا له نظما من قبل وقد وقف الادب الاسلامي القديم منذ فجر الاسلام سندا للدعوة وظل على مر التاريخ يهاجم الاوضاع الفاسدة ويتصدى للفرق الزائفة ويخلص النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين ، وقد ارتبط الادب الاسلامي في كل زمن مع قضايا عصره وتلاحم معها تلاحما مثيرا للدهشة **نقد قصدي للزندقة والزنادقة** ووقف موقفا كريما من مختلف التحديات .

اما بالنسبة للخصائص العامة للادب الاسلامي والمميزات التي تميزه عن الاداب الاخرى فان أعظم هذه الخصائص هي انه ادب غائي هادف ، ملتزم ، أصيل ، متكامل ، مستقل .

وان الادب الاسلامي ولد على الالتزام ونبت في منابته ، وأشار الى الفرق بين الالتزام والالتزام من حيث



الحدثاء : الباطنية الجديدة

الدعوة إلى الحدثاء ردة إلى

طفولة البشرية

مصادر البحث :

طبيب كريم في دنيا الاسلام والعرب وقد تعاقدت مطامحهم الى توجيه ضربة قوية للصحة الاسلامية عن غير الطريق الذى يتوقع منه الضربات ، بل عن طريق مدخل ضيق قد لا يلتفت اليه الكثيرون وهو الشعر ، وقد جاءت حركة الشعر الحر وشعر التفعيلة وغيرها منذ ظهورها مقدمة ومدخلا لهذا العمل الخطير ، قام على رأس هذه المؤامرة شاب علوى خدعه (انطون سعادة ، زعيم الحزب القومى السورى واغراه بترك الاسلام والدخول فى المسيحية وحمل لواء الدعوة الى ما أسماه (فينيقيا) وتلقفته الجهات التى استثمرته لحظة عمل بعيدة المدى (على أحمد سعيد - أدونيس) وقد اتاحت له تلك الجهات أن يحصل على الدكتوراه فى الأدب العربى من معهد الدراسات الشرقية فى الجامعة اليسوعية . فى بيروت برسالة عنوانها (الثابت والمتحول : دراسة فى الاتباع والابداع عند العرب) حاول فيها أن يهزم صرح العربية الشامخ ويثبت أن أصحابه غير مبتكرين أو مبدعين ويبرهن أنهم لم يقدموا شيئا للإنسانية ..

وفى هذه الرسالة وضع (ايدلوجية) دعوته الى الحدثاء التى خدع بها عدد من الشباب الذين عجزت خلفياتهم عن أن تحميمهم من السقوط فى هذا المستنقع

دعاة الحدثاء

دعاة الحدثاء كانوا كما يقول دكتور محمد عبد العظيم سعود من أقليات بعضها ربما كان متهمها فى دينه أو ولائه القومى وبعضها كان لا يحظى من الأغلبية بنظرة ارتياح مطلقة . وأن هناك غالبا شيئا ما عالقا بالنفوس ففى سورية كان على أحمد سعيد الذى زين له انطون سعادة أن يغير اسمه الى (أدونيس) منتميا الى الحزب القومى السورى وهو حزب أعلن عداوته للإسلام والعروبة معا اذ دعا الى فينيقية سورية ثم تحول أدونيس بعد ذلك الى مذهب اللامنتمى وأدونيس هو القائل : (أن السبب فى العداء الذى يكنه العرب

- ١ - (ك) الثابت والمتحول : أدونيس .
- ٢ - (ك) الشعر الحديث الى أين : غالى شكرى .
- ٣ - مجلة فصول : عدد خاص يضم أبحاث مؤتمر الحدثاء (محمد برادة - خالد سعيد ، كمال أبو ديب ... الخ) .
- ٤ - ويحدثونك عن الحدثاء : محمد عبد الله مليبارى (جريدة الندوة . جمادى الآخرة ١٤٠٥ ومابعداها) (دكتور طاهر التونسي ، دكتور محمد عبد العظيم سعود) .

الدعوة الى الحدثاء ليست دعوة مرحلية من دعوات التغريب فى مجال الأدب ، ومن حيث تدخل فى اطار السريالية والوجودية أو مذهب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وانما هى شئ أكبر من ذلك : انها ثورة على الثوابت الاسلامية الأساسية عن طريق خافت الضوء هو (الشعر) حتى لا تحدث ضجيجا أو صياحا يفسد عليها هدفها الذى تسير فيه حتى تصل الى غايتها الخطيرة ، وهى تقصد أساسا الى محاربة القيم الاسلامية وازاحة فكرة الاصول الثابتة بهدف تغليب طوابع التطور المطلق والتغيير المتوالى الذى لا يعترف أساسا بالضوابط والحدود والذى يرقى الى فتح الطريق أمام حرية الاباحة وتمجيد العلاقة الجنسية والجرأة على أعلى القيم التى جاءت بها الأديان وذلك بتحطيم هذه الضوابط والحدود .

قهى عند قحص كتابات الداعين لها وتعيق كتاباتهم (وخاصة ما نشر من أبحاث مؤثرهم الذى جمعت أبحاثه لتكشف عن أبعاد هذا المخطط الخطير) يتبين أن وراء هذه الدعوة خطة رسمت بدقة وذكاء ومكر فى نفس الوقت ، قام عليها الحاقدون على كل شئ

للإبداع ، كل إبداع ، هو أن الثقافة العربية بشكلها الموروث هي ثقافة ذات معنى ديني) .

ويعرف الأستاذ ولسون في كتابه (اللامنتهى) بقوله : لا صلاح هذا العالم الملىء بالمتناقضات إلا بالثورة والغضب وعدم الانتماء إلى أية قيمة أخلاقية من القيم الموروثة بل لابد من مواجهة العالم بكل مشاعر الحقد والكراهية) ويقول محمد الماغوط من زملاء أدونيس (على اللامنتهى أن يحس باللاجدى لأن هذا الوجود بلا موقف ولا دليل ولا مستقر ولا مرشد فليس للامنتهى إلا الاحساس بالسأم وتمنى الموت والإنانية الفردية ورفض كل المعطيات الخارجية) .

وفي لبنان كان هناك (سعيد عقل) الذى تابع بعض النقاد والشعراء بامانة الشعر وهو الذى خرج بعدها ليعلم أن اللغة العربية لا تنفى بالتعبير عن المشاعر ولا بد من استبدالها باللغات العامية وأن هناك مشكلة في كتابتها فليست كل أحرفها منطوقة وبعض كلماتها ينقصها أحرف ولهذا كتب ديوانه (يارا) بلغة غريبة في أحرف لاتينية وهو رجل (حراس الأرز) الذين جعلوا شعارهم قتل الغرباء (أى قتل المسلمين) .

وفي مصر كان الدكتور لويس عوض وهو رجل يكرر في كل مناسبة أنه ليس قوميا وأنه علماني وقد لعب هذا الرجل دورا خطيرا في الحياة الثقافية في مصر في الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين حين كانت وسائل الاعلام كلها موجهة وتحت الرقابة الصارمة وكان هو المستشار الثقافى لجريدة الاهرام وقد قام لويس عوض بروح متعصبة دون أى شاعر عمودى يبتغى طريقه الى وسائل الاعلام والنشر من اذاعة أو صحافة أو أى وسيلة أخرى الى الجماهير كما يقول الدكتور طاهر أحمد مكي في كتابه (الشعر العربى المعاصر - دوافعه ومداخل لقرائته) وأفسح المجال واسعا عريضا لكل من يكتب الشعر الحر وإذا نشر قصيدة عمودية لشاعر عمودى مثل كادى الشناوى نشرها موزعة الجمل على نحو يوحي بأنها من الشعر الحر ، وفي ظل هذه الحركة تحول شبان كثيرون لما يزلوا شاردين في عالم الشعر وكان يمكن أن يصبحوا شعراء عموديين ممتازين الى شعراء يكتبون كلاما تافها في الشكل الجديد وأصبحوا كما يقول الشاعر أدونيس وهو ليس متهم في شهادته لأنه من دعاة الشعر الحر المتحمسين له « في الشعر الجديد اختلاط وفوضى وغرور تافها وشبه أمية ، ومن الشعراء الجدد من يجهل حتى أبسط ما يتطلب السفر من أدراك لأسرار اللغة والسيطرة عليها ومن لا يعرف فن الشعر غير

ترتيب التفاعيل في سياق ما ، أن الشعر الجديد ملئ بالحياة والمهرجين » .

كان هناك بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وهم من أخلص دعاة الماركسية ، نشر السياب قصائده كلها صيحات انكار وحيرة بل وثورة على الله (جل في علاه) .

هذا أمر ، أما الأمر الآخر الذى يهدف إليه هذا التيار « فقد كان واضحا في تلك الرغبة المحبومة في اظهار الاحتقار للتراث الإسلامى العربى والزراية على الشعراء العرب القدامى الجيدين ، ونعتهم بالصنعة والتكسب واعلاء التراث اليونانى والرومانى على ما فيه من وثنية .

ويسخر (أدونيس) من حادثة الاسراء في قصيدة (السماء الثامنة) ومعين بسيسو الماركسى يهزأ بالتراث واعلام التاريخ ومن طريقة الاسناد في الحديث النبوى الشريف ويؤلف منظومة ساخرة (حدثنى وراق الكوفة) عن خمار البصرة ، عن قاض في بغداد ، عن سايس خيل السلطان ، عن جارية ، عن أحد الخصيان . الخ والحق أن الشعر الحر مشرع بالدعوة الى الاباحية على نحو لم يشهده الشعر العربى الا عند بعض الشعراء الشواذ المنبوذين .

والعجيب أن دعاة هذا اللون العجيب قد قفروا الى كثير من البلاد العربية الى حيث التحكم في وسائل الاعلام حتى أنك تكاد تراهم يسيطرون سيطرة تكاد تكون كاملة على هذه الوسائل في بعض بلدان العرب ، وفي هذا الجو الارهابى أصبحت ترى شعراء عموديين يكتبون قصائدهم أو يعيدون كتابتها بعد تسطيرها وتبييضها وتقطيعها ارضاء لهم وتقية .

وقد ترجم كثير من تلك القصائد ليس لجودتها وانما أولا لسهولة ترجمتها لمستشرق شاذ ، أو لدوافع سياسية وعلل دينية ونحن نرجح انها حركة مقصودة أريد بها طعن اللغة العربية : لغة القرآن والاسلام وعمادها توطئة للاجهاز عليها . وستبقى العربية والشعر العمودى وسيبقى من فوقهما القرآن والاسلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن يعمد هذا المسمى بالشعر الحر طويلا لأنه لا يعلن بالذاكرة ، ويستعصى على الغناء ، أو يفرط في الرمزية المتطرفة الجامحة والغموض والتلفيق « ا.هـ .

وإذا ذهبنا نستعرض الدعاة الى الحداثة نجدهم جميعا من متعصبى الأديان الذين دأبوا على محاربة الاسلام واللغة العربية واتخذوا شعار الحداثة ستارا

ينفثون من تحته سمومهم ويظهر ذلك واضحا في كتاب غالى شكرى (شعرنا الحديث الى أين) ومنهم أدونيس والماركسيون أكبر أعداء الاسلام : بدر شاكر السياب والبياتى ودنقل ، وشعراء المجون وكان يوسف الخال قد رسم الخطة لهؤلاء وساقهم اليها وهو مبشر مسيحى يقول :

(خاسر من يبيع ثلاثة ويشترى واحدا)

يقصد بالثلاثة عقيدة التثليث المسيحية والواحد هو عقيدة الاسلام ومنهم أمير اسكندر (مسيحى ماركسى) جبرا ابراهيم جبرا ، أسعد زروق ، ولويس عوض ، و خليل حاوى ، وتوفيق صايغ ، وشوقى ابن سقا ، وميشال طراد وميشال سليمان وفتحى سعيد وسعيد عقل وموريس عواد وكلهم مسيحيون ، ويقول الدكتور طاهر التونسى بعد هذا العرض أنه حتى عندما انتسب الى مدرستهم بعض من تسمى بالاسلام استعمل التعبيرات المسيحية ويبدو ذلك واضحا في شعر بدر السياب الذى يدعى ان المسيح صلب وقد كذب وكذب أساتذته النصارى واليهود (فما قتلوم وما صلبوه ولكن شبه لهم) ويذكر عد آدم وحواء القصة كلها كما روتها التوراة لا كما رواها القرآن .

وقد أثار لويس عوض الى أن صلاح عبد الصبور يقرأ الانجيل بحماسة وأنه دخل دائرة الخلاص المسيحية ، وتجسد التركيز على التراث المسيحى والمصطلحات المسيحية واضحة في شعره ، وقصيدة (حكاية قديمة) عن المسيح وصلبه ونظم بعض أبيات من (نشيد الأئشاد) وتجسد ذلك في معين بسيسو ونزار قبانى :

(مصلوبة الشفتين ، الصليب الذهبى)

وعبد الوهاب البياتى (فى صليب الالم) ..

أبولوجية الحداثة

أجمع الباحثون على أن (الحداثة العربية) هى ثورة متمرده على كل نظام وقاعدة وقانون وأنها ترمى الى هدم الضوابط والحدود والقيم والقواعد التى قدمها المنهج الربانى افساحا للمنهج البشرى : القائم على التحول الدائم ، ويرى البعض أنها ثورة اجتماعية هدامة تتخفى وراء الشعر والأدب لتحجب غايتها وحركتها ، ولذلك فإن دعاء الحداثة يهاجمون الثوابت التى قدمها الدين الحق فى عنف شديد ويصفونها بالجمود والمحافظة والتحكمات وقد وصفها الأستاذ محمد عبد الله ملبيارى بأنها باطنية جديدة تحاول غزو مبادئنا وقيمنا بدء من

الشعر وانتهاء بالعقيدة الاسلامية وأن المسألة ليست أن يكون الشعر عموديا أو غير عمودى أو تفعيليا أو نثريا ، ولكنها أكبر من ذلك ، أنها محاولة هدم فى مختلف قضايا النصر : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما يتصل بها من تحرير وحرية وعدالة . (٢) وقضايا العصر التعليمية والعلمية والتفنية وما يترتب عليها من مشكلات . (٣) وقضايا العصر الأدبية والفنية وما يستحدثه من أجناس ومدارس واتجاهات .

ويمكن القول أن هذه المؤامرة قد وضعت قواعدها على أساس حركة الزندقة القديمة وجماعة المجان الذين كان على قيادتهم (الشاعر الفارسى أبو نواس) الذى كان حاقدا على الاسلام والذى جندته قوى الباطنية والمجوسية والقرامطة ليهدم عن طريق الشعر جميع مقومات الثبات الاسلامى فى البيئة العباسية وقد أعانه على ذلك مجموعة من الزنادقة والشعوبيين الذين تركوا تراثا مسموما استطاع المستشرقون أحيائه عن طريق شعوبى جديد يحمل فى أعماقه جميع أحقاد المجوسية والباطنية وقد وضع نظرية الحداثة على ستة أصول :

١ - نظرية التطور المطلق التى تصلها من نكر هيجل فى دعوته الى الغناء الثوابت وهى نقىض نظرية أرسطو وقد أصطنعتها القوى الصهيونية والماسونية لآحياء الفكر التلمودى وخلق نظرية تقول بأنه ليس هناك شىء ثابت وصالا وأن كل شىء متطور وذلك لهدم ثبات الأديان والأخلاق والقيم . ويرون أن الانسان هو محور العالم .

٢ - أحياء الوثنيات القديمة فقد كشفت رسالة أدونيس عند تقديمه الوافر لفكر أبو نواس واهتمامه بفكر الملاحدة وأصحاب نظرية وحدة الوجود والحلول والاتحاد واعادة أحيائها من جديد وهى الخطة التى وضع قواعدها المستشرق لويس ماسينيون .

٣ - تحطيم عمود اللغة العربية ، وهدف تحطيم الفصحى لغة القرآن هدف قديم وقد شارك فيه كثيرون منذ بدأت حركة التغريب والغزو الثقافى (ويلكوكس - لطفى السيد - سلامة موسى - سعيد عقل) .. الخ أملا من هؤلاء الدعاة فى أن تحطيم اللغة العربية سيحولها الى المتحف ويفسح الطريق أمام تمزق الوحدة القرآنية الاسلامية الجامعة .

٤ - تحطيم عمود الشعر وذلك إيمانا بأن عمود الشعر هو القاعدة الأساسية للأدب والبيان العربى بعد القرآن والسنة ومن هنا جاءت الحملة على خليل بن أحمد وعلى كل الشعراء الملتزمين للنظم العربى الاصيل .

٥ - مهاجمة مفهوم الثبات والقيم وإطلاق اسم السلفية عليه ، والسلفية هنا تعنى المعتقد الدينى فالحداثة ترى أن فى الأفكار الباطنية والصوفية تحولا عن الثبات الدينى به وتعتبر هذا التحول منطلقا تاريخيا للحداثة العربية .

٦ - تقليب مفاهيم السريالية (النظرة التى لا يحكمها العقل أو ما يسمى فوق الواقع وقوامه احتقار التراكيب الفعلية والروابط المنطقية المعروفة والقواعد الاخلاقية والجمالية المألوفة والاعتماد على اللاشعور واللامعقول ، والرؤى والاحلام والحالات النفسية المرضية لاسيما حالات التحلل النفسى ويعنون بال رغبات الجامحة .

٧ - تقليب طوابع الجنس والاباحة استمدادا من مفهوم الانحراف وعبادة الجسد واباحيات الوجودية التى دعا اليها سارتر، والتحليل النفسى الذى يعتمد نظرية الجنس التى دعا اليها فرويد ونظرية العلوم الاجتماعية التى دعا اليها دور كايم وفتح ابواب المجون والجنس والاباحة والتحلل الاجتماعى .

٨ - على أن يدور ذلك كله فى اطار (التاريخانية) وهى الحتمية التاريخية لماركس فالمنهج الماركسى التاريخى هو الأساس الايدلوجى للحداثة .

وقد عمد (ادونيس) فى سبيل صياغة هذه النظرية التى قدمها له شيخ المنظرين القس يوسف الخال الى استقطاب خيوط من التاريخ لتكون أدلة واضحة واضواء كاشفة على الطريق وذلك بالاعتماد أساسا على الفكر الباطنى الفلسفى والصوفى والاهتمام برموزه ومحاولة ربط الخطوات بتطور الشعر الحديث بالمرحلة الأخيرة منه (قصيدة النثر وشعر التفعيلة ، واختبار الحاقدين الجدد على نسق الحاقدين القدامى : أبو نواس ومهيار الديلمى واعتماد الحركات التمردية الهدامة للمختار الثقفى والقرامطة والزنج وقد خطا دعاة (الحداثة) خطوة متقدمة على مفهوم العصرية من ناحية والشعر الحر من ناحية أخرى .

فالشعر الحر تقليد لشعر (والت وثمان) أما شعر الحداثة فهو متابعة للشاعر الصليبي توماس اليوت ويرى دعاة الحداثة أن الشعر الحر هو التيار (السلفى) الجديد بالنسبة لشعر الحداثة .

أما توماس اليوت فهو زعيم هذه المدرسة فى العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم ويقول دكتور عبد الله الطيب : لقد حذف اليوت

فى منظومته (الأرض المقفرة) اللفظ الدال على العرب واستبداله بكنيسة ماغنسى وردد اشياء من التوراة والانجيل ويرجع هذا الى الشعور الصليبي الموروث الصادر عن تعصب دينى أو عنصري اذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد ، فهو يرجع الى الشعور الصليبي الموروث والتعصب الدينى أو العنصرى ومردة الى الزهو والغرور والاعتقاد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان » .

ولا ريب أن كتمان سرقته للمعلومات وشعر العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم العرب واسماء من اشاروا اليهم ، كل هذا يؤكد الشك فى أصالة اليوت فى منظومته (الأرض المقفرة) ويؤكد قسادة وجهة الذين تابعوه من دعاة الشعر الحر والحداثة .

الحشاشية : هى الجذور ..

ويحاول ادونيس ودعاة الحداثة أن يردوا فكرتهم الى القديم : وهى صادقون فى ارتباطهم بالحشاشين والباطنية والمجوسية المتنامية فى القرامطة ويتحدثون عن جذورهم فى أبى نواس وأبى تمام والرازى وابن الراوندى ، على أساس أن الخاصة الرئيسية التى تميز هذا النتاج هى ادانة التقليد والمحاكاة ورفض النسخ على منوال الأقدمين ويركز ادونيس فى كتابه (الثابت والمتحول) على الحركة العقلية والفلسفية والعلمية عند ابن الراوندى والرازى ويراى فى الحركة الصوقية (الفلسفية) وفى التيارات اللاحادية أو مايسمى حركات الزندقة والشعبوية وفى طليعتها الحركة القرطبية

الحداثة وخلفياتها الايدلوجية

تهدف الحداثة الى تجاوز القواعد الأساسية للإسلام : قواعد الثوابت التى هى بمثابة الضوابط والحدود الى تحفظ شخصية الفرد والوجود الاجتماعى وهى تحاول أن تخدع الناس بأن هؤلاء الرواد والرموز السابقين قد حطموا هذا القيد وتجاوزوه وأن هذه المحاولة هى التى مكنتهم من الابداع وهم يدعون بأن الحداثة هى الثورة الدافعة لتجاوز التأخر والجمود والارتقاء الى منطلق العصر .

وترد ذلك كله الى (التاريخانية الماركسية) كمدخل للحداثة . وترى أن هؤلاء الرواد قد اقتحموا مفهوم الزمن الدينى ومن ثم فهم يركزون على (فكر التجاوز) وانه مصدر الابداع وأن هذا التجاوز لا يتوقف فهو فى حركة دائمة .

هذا هو مفهوم (الثابت والمتحول) ..

وهذا التجاوز يرمى الى تزعزع فكرة النموذج او الاصل ، أى ان الكمال لم يعد موجودا خارج التاريخ ، وأصبح الكمال بمعنى آخر كامنا في حركة الابداع المستمرة .

هذه المحاولة كاذبة ومضللة ومحكوم عليها بالسقوط لأنها لا تقوم على أى أساس من الفطرة أو العلم أو الحق أو المنطق ، وإنما هي نوع من التميويه الكاذب والخداع المضلل ، لان كل هؤلاء الذين اعتمد عليهم مفهوم الحداثة من رموز قديمة قد سقطوا فعلا وداستهم الأقدام ولم يدخلوا التاريخ الا في باب الشعوبيين والباطنيين وأعداء الانسانية . ولقد هزموا فكريا في عصرهم وذهب كل ماقلوه من أكاذيب وادعاءات حتى جاء الاستشراق والفسزو الفكرى ليعيدهم مرة أخرى الى الحياة ، وهي محاولة محكوم عليها بالانهيار والدمار ، كالمحاولات الأخرى التى سبقتها ولن تجدى هؤلاء الدعاة الجدد نفعا لأنها لا تقوم عندهم من منطلق أمين أو من منطلق غيرة على هذه الأمة أو رغبة في السمو بها ولكن من منطلق حقد دفين وكراهية وهزيمة، والمهزوم يعمل دائما على كسب المهزومين الى صفه ليحس بأنه ليس سببوا، ولقد كان دعاة الشعوبية والباطنية مهزومين منعزلين شأنهم شأن أبى نواس وبشرى في القديم حيث كان يتحاملهم الناس ، وإذا كان قد أتيج لهم عن طريق « أحد غلمان التغريب والشعوبية » أن يذيع لهم فكرهم على هذا النطاق الواسع فاتها ليست الا صيحة مضللة قد أغمدت الأقلام الاسلامية فيها خاجرها .

ان هؤلاء دعاة الحداثة انما يدعون الى توهين السلطة المطلقة وهي الدين والنيل من السيد الاعظم (الله تبارك وتعالى علا وجل عن كلماتهم المسمومة) ولن يتحقق يوما أن تغلب الفئة الباطلة على النظام الربانى القائم ، في حكمه وقواعده وأى أصل من أصوله ، على الحق فهما تجمع لهذا دعاة الشعوبية والباطنية .

ويرمى أدونيس الى الغاء القديم الأزلى الباتى جل جلاله ، ومفهوم الزمن عند أدونيس يتعارض مع مفهومه الدينى ، والغاء الزمن الدينى يرمى الى الغاء كل قديم باعتبار أنه لا شيء في الوجود اسمه قديم ويهدف من ذلك الغاء فهما للقرآن الكريم وأنه كلام الله القديم .

والحرية عن الحديثيين هي التحلل من كل قيد دينى أو اجتماعى أو نظامى أو قانونى .

وهم عندما يسمون الحداثة (الثورة المتجهة لتجاوز السلفية) يقصدون تجاوز قيم الدين والأخلاق .

وخين يدعون الى حرية اللغة يقصدون الخروج باللغة عن سيادتها ومضمونها وتحررها من اطارها التاريخى والبلاغى المرتبط بالبيان العربى والقرآن الكريم .

ويؤرخ أدونيس للحداثة بالدعوات التى خرجت على الاسلام (المختار الثقفى والزنج والقرامطة) ويرى انها قامت بالتححرر من الثبات، وكذلك دعوات الزنادقة (فى الشعر) والاباحيين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاشراق .

وبالجملة فان الحداثة (ايدولوجية مناهضة) للاسلام والدين الحق والأخلاق تقوم على الغموض في فهم النص ، وتفسره تفسيراً مختلفاً (لأن الشاعر عندهم ليس مطلوبا منه أن يفهم ما يكتبه) ودعواهم الباطلة أنهم يتشبهون بتفسير القرآن متناسين أن لمفسر القرآن شروطا لابد أن تتوفر فيه .

وهم حين ينكرون العمودية فى الشعراء والتقييد بالوزن والقافية انما ينطلقون من مفهوم الحداثة القائم على التمرد والثورة على كل قيد عقدي أو فنى (كما تمرد أبى نواس وصوفية وحدة الوجود والحلاج وابن عربى ونظرية الحاكم بأمر الله) .

وقد استعمل الحداثيون نفس الالفاظ التى استعملها الباطنية سواء فى الغرب (نيتشة وفرويد) أو فى الشرق (الباطنية والحلوليين) .

ويرد أدونيس مفاهيمه الى أصولها ..

(السريالية قادتنى الى الصوفية وتأثرت بها أولا ولكنى اكتشفت انها موجودة بشكل طبيعى فى التصوف العربى (يقصد التصوف الفلسفى) وتأثرت بالماركسية ونيتشة من حيث القول بفكرة التجاوز والتخطى وتأثرت أيضا بأبى تمام وأبى نواس من حيث فهم اللغة ولم تكن ثورة المختار الثقفى والثورات القرمطية وثورة الزنج الا توكيدا للقاعدة المادية (الأرض — الاقتصاد — علاقات الانتاج) .

ومن هنا تعرف ان حداثة أدونيس هي تلفيق من مكر الباطنية والملاحدة والاباحيين فى الشرق والغرب وأنها تستهدف (ثوابت الاسلام) والايان بالغيب وتقوم على أسس ثلاثة ..

١ — عدم الانتماء لأى قيم أو منهج .

٢ — التمرد على كل الثوابت وفى مقدمتها الدين والأخلاق .

٣ — استعمال قواعد اللغة استعمالا مغلوطا .

٤ - بناء الصور الشعرية على انقاض الأساطير القديمة .

وأخطر ما يركز عليه دعاة الباطنية الحديثة (الحداثة) هو ما يسمونه (المطلق) وهو الله تبارك وتعالى وما من واحد من هؤلاء الا وله في هذا المجال شعر ردىء هابط ملء بالالحاد والفجور والله تبارك وتعالى أعلى وأجل عما يقولون وهذا ينكشف أن الهدف الحقيقي هو الثورة على العقيدة والالوهية والجنود الأصلية للتكوين الاجتماعى وعلى كل ما هو متعارف ومقعد ومنظم ومقتن حتى القواعد اللغوية .

ومهاجمة النص المقدس عملية واضحة واسباسية في دعوتهم ..

يقول كمال أبو ديب : (من الدال جدا على أن النص المقدس في جميع الثقافات التي نعرفها هو نص قديم فليس هناك من نص مقدس حديث والحداثة بهذا المعنى هي ظاهرة « اللاتقاسة ») .

وهو يقصد بالنص المقدس القرآن والأحاديث النبوية وكل كتاب دينى تقديسه الأديان وتقول (لانه لا سبيل لان يكون الأدب حدائيا الا اذا رفض كل نص مقدس وأصبح نقیضا لكل ما هو مقدس حتى العبادة .

فالدعوة الى تدمير القداسة هي هدف اساسى في دعوة الحداثة وهي لا تتقف عند ذلك بل تدعو الى مفارقة الخطيئة وبكارة الانسان واحراق التراث والغاء الخطيئة أى لا خطيئة في الحياة (الزنا ، الربا ، السرقة ، الحقوق .. الخ) فيقولون : كلمة الخطيئة يجب أن تشطب من قواميس اللغات .

والدعوة الى العصيان المعلن قاعدة أخرى تمثليين بقول « أبى نواس » ..

فكان قالوا حرام قتل حرام

ولكن اللذائة فى الحرام

وقد أعلن أدونيس في كتابه (الثابت والمتحول) أنه يرمى الى تحول يزلزل القيم الموروثة من (بيئية) واجتماعية وأخلاقية ، تحول في الثقافة العربية التي يبثها الاسلام بقيمه الدينية .

والمعروف أن الأب بولس نويا اليسوعى هو الذى قدم له منهجه ووصفه بأنه (شاعر التحول المستمر)

وقد ركز على عبارة أدونيس (نفسى تجردت من الماضى وقيمه كلها بما فيها القيم الدينية والخلقية) .

وعلق الأب بولس على ذلك فقال : لقد انتهيت

الى نتيجة هي أن الرؤيا الدينية هي « السبيل الأصلى في تغلب المنحى الثبوتى على المنحى التحولى في الشعر ، أن النظام الشامل الذى خلفه الدين (يقصد الاسلام) كان العامل الأساسى الذى جعل المجتمع العربى في القرون الثلاثة الأولى يفضل القديم على الحديث بحيث أنه وضع القديم في مجال الكمال واعتبر كل جديد خروجاً على المثال الكامل » .

وهكذا نرى كيف تتضافر قوى كثيرة على تأييد هذا المذهب وتشويه صفحات التاريخ الاسلامى وترى أن قلة من الزنادقة ظهروا في القرن الثالث وداستهم الأقدام كانوا عوامل تجديد وحداثة كاذبة بدعوى أنهم تجاوزوا الثوابت واجترعوا على الحقائق الاسلامية .

وهكذا كانت دعوة الحداثة : **التحول هو المطلق** وأن التجرد من كل الموروثات التي تمت مع نمو تاريخنا الاسلامى هو أساس الوجهة ، ومن العجيب أن أدونيس وثلة كانوا من المتجردين من موروثاتهم وأوساطهم وأسرهم وعقائدهم التي نشأوا عليها وتنكروا لما غذتهم به أمهاتهم وآبائهم من ايمان وهكذا يدعو هؤلاء الخارجون على أمتهم - يدعون الناس الى خروج مثل خروجهم . ان هؤلاء ينكرون مفهوم الاسلام الجامع بين (الثوابت والمتغيرات) ويلجأون الى مفهوم الغرب الذى كان يؤمن بالثوابت وحدها وقد دفع هذا بعض المفكرين الى تحطيم الثبات بالدعوة الى (التغير المطلق) ولكن هذه الدعوة لا تصلح في أفق الفكر الاسلامى لانه لا حاجة له بها ، لما جاء الاسلام أرسى قواعد الثبات ونظم وسائل التحول والتغير والتطور من داخل الثوابت الأساسية القائمة على الخلق والمسئولية الفردية والايان بالبعث والجزاء ومن هنا وقف الاسلام أمام كل دعوة باطلة ترمى تحت اسم التحول الى القضاء على الثوابت أو هزها أو النيل منها .

وتلك سنة الله في خلقه وناموسه في قيام الأمم والحضارات وتحولها وسقوطها .

وكل الدعوات التي حاولت أن تنال من لثوابت الاسلامية ، كالبابية والبهائية والقاديانية والقرمطية فقد تحطمت لأنها مخالفة لمنهج الله نفسه وقانون البقاء وستذهب (الحداثة) وتدوسها الأقدام قبل أن يعرف دعائها من أين آتتهم الجائحة (**وآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا**) مهما بلغ ارتفاع أسهمهم فهو الى انحسار وانتشار فكرهم فهو الى زوال .

مقطع الراى في (الحداثة) انها :

اولا : ردة الى طفولة البشرية وهجوم مستتر

على دولة واحدة من دول الغرب وهى شديدة الصلة بتاريخ أوروبا السياسى ومرتبطة بفقدان الايمان الدينى وهى تطوير للرومانتيكية والرمزية والواقعية بل ظهر ما يسمى با (بعد المودرنزم) .

وهذا تختلف تماما عن طوابع الادب العربى العميقة الصلة بالقيم الأساسية من الدين والاخلاق .

واذا كانت هذه الدعوة المدعاة قد وجدت من بعض القوى ما يفتح لها الطريق ، فان هذا البريق الهلامى سوف لا يثبت تحت ضوء الشمس ، وقد انهزم شعراء الحداثة فى المواجهة وتراجعوا فى كثير من مواقع وحاولوا ان تغييروا خططهم وقالوا ان شعر الحداثة يقرأ ولا يلقى ، وعجز أصحاب الحداثة عن بيان ما فى نفوسهم فادعوا أنهم طلاب غموض وقد رفضهم المثقفون واتهموهم وانقطعت الجسور بينهم وبين الأدب الاصيل ذلك ان هذه الدعوة وافدة وليست لها جذور وهى كالذبت الذى يوضع فى الأرض فلا ينبت وقد رفض الجسم الاسلامى العضو الغريب فى محاولات كثيرة سابقة ، وفى هذه المحاولة يرفض التغريب بحسم ويرفض ما وراءه من أهواء ومن أهداف ومطامح ومطامع ، لم تعد خافية على أحد .

على القصصى : لغة القرآن بهدف تدمير منظومة البيان العربى المرتبط بالقرآن الكريم والسنة وترمى الى جميع كتابات العلماء والمؤرخين والفقهاء التى تقوم على فقه اللغة والبيان والتحقيق التاريخى الذى استمهده المسلمون من علم الحديث النبوى .

ثانيا : تهدف الى تقويض المنزع الحقيقى للأدب العربى المرتبط بالقرآن الكريم والسنة ونزوع الى اغراقنا فى مذاهب التجريدية والرمزية والدادية والسريالية .

وقد وصفه الدكتور محمد مصطفى بدوى بأنه (الفن الذى استجاب لما حل بأوروبا من اضطراب شامل وكان نتيجة لانعدام اليقين والتجديد المعلن ، انه الفن الوحيد لذى يصلح لانهيار العقل ولما أصارت المدنية من دمار أبان الحرب العربية الاولى ، انه فن الرأسمالية ، دارون وماركس وفرويد ، جاء بعد القضاء على الحقائق العامة المشتركة وعلى افكارنا التقليدية عن العلية وبعد اندكار الآراء المتوارثة عن وحدة الشخصية الفردية فأين نحن العرب من هذه الاشياء .

ان (المودرنزم) حركة اوروبية ليست مقصورة



الباب السادس عشر

أسلمة الاقتصاد

حقين : حق للمجتمع وحقا للمسكين والسائل والمحروم
وأن الحرية فيه منضبطة لها حدود لا يتجاوزها وأن الربا
على إطلاقه حرام .

(٢)

فالمنهج الاقتصادي الإسلامى جزء من كل متناسق
ومتناسك هو الشريعة الإسلامية التى جاءت بقواعد كلية
عامة فيما يتعلق بالمسائل التى تتطور بتطور البيئة
والمجتمع وقد جاءت الشريعة بضوابط تفصيلية فى المسائل
التي لا تتطور بتطور الزمن كالواريث والعبادات واحكام
الأسرة وضوابط الشريعة وكلها تهدف الى حماية الانسان
مما يتجاوز الطاقة البشرية أو يرهقها

وللمنهج الاقتصادي الإسلامى ذاتية خاصة
تتمثل فى :

اولا : الجمع بين الثبات والتطور ، أو خاصية
الالتزام بأصول معينة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل
وملاءمة التطبيق .

ثانيا : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة .
ومناط الاقتصاد الإسلامى هو « المصلحة » وتختلف
المصالح باختلاف الظروف وتقدم المصالح حسب أهميتها
وبجرى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى
حال التعارض ، وتقدم المصلحة العامة على مصلحة الفرد
فى حالة عدم امكان التوفيق .

ثالثا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات
الروحية والاحساس الدائم برقابة الله تبارك وتعالى
لكل تصرف .

رابعا : ارتباط ما هو مادى وما هو روحى
فى الاسلام .

خامسا : ازدواج الرقابة ، الرقابة العلنية والوازع
الدينى الداخلى .

سادسا : المصالح المادية مقصودة ولكن
ليس لذاتها .

ان اسلمة الاقتصاد جزء من اسلمة المنهاج
الاجتماعية التى تتحرك فى دائرتها الأمة الإسلامية ، وهو
ضرورة أساسية لتحرير الوجود الإسلامى من التبعية ومن
الآثار الجائرة والظالمة التى أساعت الى مواردنا وانتهبتها
وحرمت منها أهلها فان القوى الغربية التى سيطرت على
المجتمع الإسلامى عمدت الى احتواء اقتصاد المسلمين
وفرضت عليه أساليب التعامل الرأسمالية القائمة على
الربا والرشاوى ونهب الموارد واستقدام الخبراء
والمصنعات ومن ثم أدخلتنا فى ماتهة واسعة من الأساليب
المضطربة التى كان علينا أن نستسلم لها وقد فرضت
علينا ما دمننا لسنا قادرين على امتلاك ارادتنا ، ومن ثم
دخلت بلاد المسلمين فى أزمت القروض والفوائد وخضعت
المصارف الأجنبية . بل ان الدول البترولية ذات الفوائض
الضخمة أيضا وقعت تحت سيطرة الاقتصاد الأجنبى
وعجزت عن استقدام فائضها ومدخراتها لاقامة صناعات
فى بلادها . وكان أخطر ما فى هذه التبعية خضوع الاقتصاد
الإسلامى كله لأسلوب الربا والمصارف الأجنبية .

ومن هنا فقد علت الصيحة لتحرير المال الإسلامى
وتطهيره من المعاملات الربوية والتحرر من الخضوع لكلا
المذهبين الاقتصاديين العالمين الرأسمالى والاشتراكى بعد
أن تكشف اضطرابهما وفسادهما والدعوة الى نظام عالمى
اقتصادى جديد .

ويرجع هذا أساسا الى فساد نظرية الاقتصاد
السياسى نفسه الذى قامت عليه المعاملات الاقتصادية
فى الغرب والذى وضع قاعدته (روبرت أوين) ثم جاءت
الموجة الثانية بنظام الاقتصاد الاشتراكى الذى كان بمثابة
رد فعل أشد اضطرابا على منهج الرأسمالية المضطرب .

وقد كشفت الأبحاث عن الاختلاف العميق بين
مفهوى الاقتصاد الإسلامى والاقتصاد الغربى كما كشفت
عن فساد المنهج الاقتصادى الغربى المعاصر الذى يختلف
فى أهم ما يتمثل فيه الاقتصاد الإسلامى هو انطلاقة من
منهج الله إيماناً بأن المال كله لله وأن الانسان مستخاف
فيه وأن عليه أن يتعامل معه على أساس العدل والرحمة
والإخاء وأن يكسبه من حلال وينفقه فى حلال وأن منه

(٣)

وللاقتصاد الاسلامى قواعده الأساسية التى تمثل منهجا جامعا :

١ - يقوم المجتمع الاسلامى اللاتطبقى أساسا على العمل ولا يسمح بانفصال الملكية عن العمل لأن العمل واجب مقدس .

٢ - يربط الجزاء بالعمل على أساس الفرص المتكافئة (ولكل درجات مما عملوا) .

٣ - يمنع التفرقة ويعتبر فرض الاسلام حدا أعلى للدخل (أى الثروة الخاصة) تحقيقا لعدالة التوزيع ومنعا للاستغلال والتسلط الطبقي .

٤ - فرض الاسلام حدا أعلى للدخل - أى الثروة الخاصة - تحقيقا لعدالة التوزيع ومنعا للاستغلال ولما لم يقيد الاسلام هذا كذلك فلاحد نسبى له يختلف من مكان لآخر ومن عصر لآخر ، ومن ثم يجب تركه لتقدير الحاكم بما يتفق مع ظروف المجتمع والعصر الذى يعيش فيه وهذا التقدير يمكن انفاذه بضوابط أربع يضعها الحاكم فى أى عصر وأى مجتمع وهى التى تعمل تلقائيا كصمام أمن ضد ظهور طبقة مستغلة مستغلة سيطرة سيطرة الأفراد فى جميع الدرجات وبهذا يكون (سواسية كأسنان المشط) .

الضوابط الأربع

أولا : أن لا تترك الأموال لدى قلة من الأفراد الى الحد الذى يتخذون منها أداة للتسلط الاقتصادى والاجتماعى (كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) .

ثانيا : أن لا تترك الأموال تتجمع لدى بعض الأفراد الأغنياء الى الحد الذى يدفع بهم الى الانغماس فى الترف ومظاهر التميز ، الأمر الذى سرعان ما يؤدى الى تحلل المجتمع وانتشار الفساد ولا يلبث أن يعمل على انهياره تماما كما حدث لمجتمعات انغمست فى الترف وما فوق الكماليات .

(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفينا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

ثالثا : اذا تجمعت الأموال لدى بعض الأفراد - ولا توجد لديهم نزعات التسلط أو الانغماس فى الترف والتحلل فان تجميع الأموال مجرد الجمع أى (الاكتناز) أمر يتناقى مع مصلحة الجماعة ، لانه يحبس الأموال عن دورة النشاط الاقتصادى شأنه شأن من يحبس ماء النهر عن أرض الغير ولذلك حرم الاسلام الاكتناز (والذين

سابعاً : الحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة .

يقر الاسلام حرية الأفراد فى ممارسة نشاطهم الاقتصادى ولكنه لا يترك هذه الحرية مطلقة بل يقيدها بقيود أساسية :

أولا : أن يكون النشاط الاسلامى مشروعاً حسب المفهوم الاسلامى ومن أجل هذا حرم الاسلام انتاج الخمر أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو كنز المال أو حبسه عن التداول والانتاج أو حتى صرفه فى غير مقتضى العقل والا عد المرء سفياً وجاز الحجز عليه .

ثانيا : أن يكون النشاط متفقاً مع المصلحة العامة .

وهذا هو السبب فى تحريم الاسلام بعض أوجه النشاط الاقتصادى المشروع متى كان يأتى ضرراً بالآخرين يفوق ما يعود على أصحاب هذا النشاط من منفعة ، وهذا هو السبب فى القيود التى وضعها الاسلام على الملكية الخاصة فجعلها مجرد وظيفة اجتماعية فالحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة فى حدود معينة وحقوق الملكية الخاصة مقيدة بمبلغ اتخاذه سبيلاً الى الأضرار بالغير أو عدم تنمية المال بالوسائل المشروعة .

ثالثاً : المال مال الله وحده والانسان مستخلف فيه .

ففى الاسلام : المال مال الله وحده والانسان مستخلف فيه استخلفه الله للانتفاع بهذا المال الذى يوجه فى سبيل الله ، أى فى سبيل مصلحة المجتمع ، والمال تطهره الصدقة والزكاة ركن من أركان الاسلام وهو نظام للتعاون .

ويرمى الاسلام الى تداول المال بين الناس دون تداوله بين طائفة خاصة وقد قيد الشرع حق التصرف بالاتفاق بمنع السرف والتقتير ومع العمل على تنمية الثروة بمنع الغش والربا والتمار والاحتكار .

وللمرأة أن تزاول التجارة والصناعة وأن تتولى العقود والمعاملات وأن تملك كل أنواع الملك وأن تنمى أموالها .

رابعاً : اقرار التوازن فى الحقوق .

وضع الاسلام نظاماً حكيماً يحول دون تضخم الثروات بين يدي أقبية وتكفل لكل فرد حياة انسانية كريمة تحفظ له مقوماته وحقوقه ، وتقتضى هذه الأحكام باقرار التوازن فى الحقوق بين الأفراد وذلك بمنع التعسف فى استعمال الحق الخاص ومنع الاحتكار فى التجارة ومبدأ الزكاة يهدف الى استرداد المال المختزن فى أربعين سنة وبذلك تنتقل الثروة كل أربعين سنة بين أيدي الناس الى أيدي آخرين .

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم) .

ودعا الاسلام الى الانفاق مضاعفة لحجم المعاملات
وتحبذا للرواج (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) .

رابعاً : أن لا يكون تجميع الأموال لدى بعض الأفراد
عن طريق امتصاص حقوق الآخرين مثل بخس العمال
أجورهم أو بعض المستهلكين يفرض أسعاراً احتكارية
باهظة عليهم (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) .

(٤)

ومن ثم فقد علت صيحة مفكرى الاسلام بالدعوة الى
أن يعود المسلمون الى مفهوم الاسلام فى الاقتصاد ولن
يحرروا البشرية من لغة الاقتصاد اليهودى . وقد
كتب الأستاذ أحمد حسين عام ١٩٧٦ فقال : لم
يصل اليهود الى ما وصلوا اليه من خديعة البشر الا من
خلال أوروبا وأمريكا وما انتهت اليه من كفر بالمعنويات
وعباداة للمادة ، يستوى فى ذلك الشرق (الشيوعى)
والغرب (الرأسمالى) والسرى فى هذا الاتفاق بين الشيوعية
(عدوة رأس المال) والرأسمالية (عابدة رأس المال) أن
الطرفين لهما اله واحد هو المادة .

وعندما كانت الحضارة الاسلامية هى المهيمنة
والمسيطرة لم يستطع اليهود أن يطلوا برأسهم فى دنيا
المال (الاقتصاد) الا بعد أن فقد المسلمون سلطاتهم
وتفوقت عليهم أوروبا ونجح اليهود فى أن يصبحوا ملوك
المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامى نفسه
لسلطاتهم ، بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك
تغمر العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه ، دون أن
يتصور المفكرون أنهم بذلك يفرقون الى الأذقان فى خطة
تشبه فى الاسلام الكفر ، حيث توعده الله المرابين بحرب
من الله .

وقد حانت الساعة لنقول ذلك ونواجه الدنيا
باقتصاد اسلامى مبرأ من لعبة الاقتصاد اليهودى (الربا) .

لقد فشلت النظريات الرأسمالية والشيوعية
والاشتراكية منذ وضع آدم سميث (اليهودى) أصول
النظام الرأسمالى وكان يعتقد أن هذه الأنظمة ستحقق
العدالة وأن الأفراد سيكونون سعداء لأنهم يعتقدون أن
(المذهب الحر) يعطى للأفراد الحرية أن يربح كيف يشاء
وينتج كيف يشاء وينفق كيف يشاء ، وكان يعتقد أن نتيجة

ذلك كله هو اسعاد المجتمع كله وأن المنافسة بين التجار
وبين أصحاب المصانع والشركات هى التى سوف تحقق
عدالة الأسعار وسوف تظل الأسعار فى خدمة جماهير
الشعوب على أساس المنافسة الحرة بين الرأسماليين ،
وكان من نتيجة هذه الحرية وجود طبقة الرأسماليين :
هذه الطبقة التى اتجهت الى رعاية مصالحها واتجهت
بالتالى للظلم والطغيان على طبقة الفقراء والعمال
فى تنمية ثرواتها فتكون أغنى من الأخرى وأقوى وأشد .

ويرى آدم سميث صاحب نظرية الاقتصاد الحر :
أن الانسان الذى يحقق مصالحه الذاتية يؤدى فى نفس
الوقت خدمة هائلة للمجموع ، إذ أن ثمرات عمله سوف
تنعكس على المجتمع ، كما أن التنافس الحر يؤدى أيضاً
الى خدمة المجموع ، ولكن نظرية آدم سميث لم تصمد
لعوامل التجربة التاريخية فإذا كانت هذه النظرية قيد
صلحت فى وقت ظهورها حيث كان العمال يملكون وسائل
الانتاج فان الأمر اختلف عندما تم تأسيس الشركات
والمؤسسات الكبرى وأصبح الانسان فى ظل هذه
الشركات مجرد وسيلة للاحتكارات الكبرى وجاءت نظرية
جديدة هى (الاقتصاد الموجه) أى الاقتصاد الذى تتدخل
فيه الدولة لحماية المستهلكين . وامتلاك الدولة لوسائل
الانتاج حيث أصبح الفصل بمثابة ترس ضخم ، ولم يتحقق
شيء ذو بال فقد أخذ العالم يعيش متأرجحاً بين نظرتين
فاسدتين .

يقول نيبستان فى كتابه (الديمقراطية الفرنسية) :

أن الماركسية والليبرالية التقليدية نظرتان ناقصتان
وتتكران للحقيقة الانسانية وانهما ينفلتان بسهولة من
قضية البحث العلمى وأن التحيز يغلب عليهما الى اليوم
أكثر من العقل وانهما لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة
فى مجتمعاتنا الا تمثيلاً ضعيفاً ، وانهما يتكيفان بصعوبة
لايجاد حلول لمشاكلنا الواقعية وأن الموقف الموضوعى
يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة والبحث عن
صيغة جديدة مقبولة .

ويرى المؤرخون أن الصنم الاقتصادى هو الصنم
الذى قضى على جميع الحضارات من حضارة بابل ومصر
القديمة الى اليوم ، وكان طغيان المال وغروره هو
المعول الذى قوض الامبراطوريات القديمة والحديثة على
السواء من حيث بدأ الاغريق والرومان والفرس حتى
وصلوا الى الديمقراطية التى يتشدد بها الغرب اليوم
ثم ستندثر تلك الحضارات كما ستندثر الامبراطورية
الحديثة اليوم .

وقد أخفق علم الاقتصاد الراهن في التوصل الى القيم الحقيقية للأشياء :

أولا : فشل في صياغة نظرية في القيمة الموضوعية وفي قياس تلك القيمة بمقياس ثابت بسبب تجاهله للسلع الحرة .

ثانيا : كان كارل ماركس متحيزا ولم يكن على حق عندما أسقط قيمة وسائل الانتاج التي تقدمها الطبيعة كالأرض والماء والرياح من حساب القيمة النهائية للسلعة المنتجة لكي ينتهي من بحثه الى أن كل القيمة يخلقها العمل وكان كارل ماركس متحيزا فقد وضع نصب عينيه نتيجة مسبقة وراح يتحايل لكي يثبت صحتها فقد أراد أن يثبت أن النظام الرأسمالي نظام فاسد يقوم على استغلال العمال .

(٥)

ونحن - المسلمين - أصحاب النظام الاقتصادي الاسلامي نقرر عدم صلاحية النظامين العالميين وفسادهما وضرورة خروج المسلمين منهما وعوفتهما الى نظامهم الاصيل فالاول يجمع المال في يد الأفراد مع حرية التصرف فيه (الرأسمالية) والثاني يجمع المال في يد الدولة مع حرية التصرف فيه (الشيوعية) .

ويقول دبيلسي : في كتابه عن حياة الحضارات وقوتها :

ان الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هي في الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ولذلك كان الغرب لا يتكلم الا بكلمة المربعة كلمة الأزمة فهي نوع من أنواع الاعانت في القرن ٢٠/١٩ بدلا من أن يكون ترياقا أو علاجاً . ان تركيز السلطة في الدولة عرض من أعراض الشيوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التي تعيش فيها .

ومن الناحية الأخرى يقول سوركن : ان الحرية في المجتمع الأوربي معناها فسخ المجال للفرد لتحقيق رغباته وهي تتوقف على مدى قابليته وامكانيات تحقيقها ، ومن الناس من يسيطر على رغباته التي لا يمكن تحقيقها ، ويتجلى ذلك بصورة متصرفة في الزهاد والذين يدينون بالحضارة الفكرية ومنهم من يسعى لتوسيع رغباته ويذل الجهد لاشباعها بكل وسيلة ، وكلما ازدادت حريات الفرد ازدادت رغباته وحاجاته ، الأمر الذي يدفع الى صراع عنيف مع الناس للحصول على أكبر ما يمكن من الأشياء المادية كالثروة والحب واللذة والراحة والأمن ، ولما كان الانسان لا يستطيع الحصول على هذا الا على حساب الآخرين فان هذه الحرية في الغالب تزيد الصراع بين البشر وهذا يتجلى في الحضارة الحديثة ، لقد كانت الحرية

ويؤكد كثير من الباحثين أن علم الاقتصاد الراهن ليس علما ، يقول الدكتور حسن غانم :

ان علم الاقتصاد الراهن ليس علما من العلوم اذ تشوبه الغشائية والتحيز وقصور النظرة الى الكون والانسان وعدم ربط الظاهرة الاقتصادية بغيرها من الظواهر الكونية التي تنقدها من قبيل العوامل الخارجية لا الداخلية وعدم التحديد الدقيق لدلالات الالفاظ لذهابهم التي يتبادلها الباحثون .

وأكبر مقاتل للنظرية الاقتصادية المعاصرة انها لا تقوم على الأصول الثابتة وانما تقوم على الاختلال الطارىء ولا تقوم على علم من العلوم بل على أسس اختلالية على الاطلاق وانما يرتبط مقام العلم بالتوازن حيث التماسق العضوى والوظيفى بين الكائنات والحركة المتوافقة للظواهر المختلفة .

والعلم يرتبط بالتوازن لا بالاختلال ، ومن هنا فان أبرز مقاتل علم الاقتصاد والنظرية الاقتصادية المعاصرة قيامها على النماذج الاختلالية التي أقامها فلاسفة اليونان وفعلها من بعدهم المدرسيون في العصور الوسطى وكلها تقوم على فروض اختلالية تقيم الحياة على فكرة التناقض والصراع فالموارد الطبيعية نادرة والطبيعة عدو للانسان لا هتف لها الا تدميره والقضاء عليه والحياة كلها صراعات : صراع ضد الطبيعة وصراع الانسان ضد الانسان وصراع من أجل البقاء وصراع بين طبقات المجتمع والعداء قائم بين الفرد والمجتمع فاما ان تغلب مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع أو ان تطفئ مصلحة المجموع على مصلحة الفرد والانسان لا هم له ولا هدف سوى اشباع غرائزه كالبهائم يجرى وراء الطعام ويسعى الى تحقيق أكبر لذة ممكنة : كان الفكر السوفسطائى يدعى أن القوانين الطبيعية أو الطبيعة تدعو الى الاغراق في اللذة وتدعو الأقوياء الى البطش بالضعفاء وجاء هوبز ليدعى أن الانسان ذئب مفترس . وردد الكتاب بعد ذلك الفكرة الدارونية عن الصراع من أجل البقاء ، ثم جاء كارل ماركس ليقوم عملية التطور الاجتماعى كلها على فكرة صراع الطبقات .

وحول اشباع الحاجات والغرائز المادية ، ولا يزال هذا النمط من التفكير الفلسفى المنحرف هو ذاته النمط الذى يسير عليه ، وهكذا تحول علم الاقتصاد وهو من العلوم الانسانية السلوكية الى علم أصم من علوم الجوامد كعلم الميكانيكا مثلا وهو ليس كذلك في واقع الأمر والمعنى الحقيقي للاقتصاد هو التدبير والاعتدال والوسط والاقتصاد في مفهوم الاسلام هو الاعتدال والتدبير البدن .

الحسنة سائدة في العالم الغربي في أواخر العصر الروماني فلما جاءت المسيحية اكدت على الحرية الباطنية التي يعتبر فيها المرء رغباته الكثيرة غير أن الناس أخذوا يتحولون تدريجيا من تلك المثل الى المجتمع التعاقدى الذى ينال فيه الفرد والجماعة حرية التعاقد .

وهذا يصل بنا الى تقرير فساد التعاقد في المجتمع الغربى وهو الدعامة التى قام عليها فساد : التعاقد في العلاقات الاجتماعية ، فساد التعاقد في العلاقات الاقتصادية .

(٦)

ويصل بنا البحث الى حقيقة أساسية هي :

النزاع بين الماركسية الشيوعية والرأسمالية الغربية : يقول أحد الباحثين : فالماركسية الشيوعية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين يعترف في تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار مالم يتحول العالم بأسره الى الشيوعية عن طريق الثورة ومايسبقها من تمهيدات فهي بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطر ما ، هذا التوسع منصوص عليه في التعاليم الشيوعية وفي الدساتير الشيوعية وفي ثورات الشيوعية وكتبها المقدسقى ماركس وانجلز ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية توسع استعماري تقليدى من نوع مماثل في السوء الا أن هذا التحدى السوفيتى يضع الرأسمالية الغربية في نفس الوضع الهجومي الذى تقف فيه روسيا السوفيتية ويجعل أمريكا وهي معقل هذه الديمقراطية في حالة الاهمية التى تستعد فيها لمواجهة التوسع الشيوعى وسحقه وابادة الماركسية من الوجود في المراحل النهائية اذا استطاعت ذلك .

أين تقف اليهود وهم قومية لها في كل معسكر غالبية ضخمة العدد قوته النفوذ . في روسيا تجد العنصر اليهودى في الحزب الشيوعى وفي التنظيمات الشعبية والفكرية بارزا اشد البروز ، كبار المعتقلين والصالحين يهود ، وفي بولندا يبرز العنصر اليهودى في النظام الشيوعى القائم هناك اشد البروز في وجه مجتمع كاثوليكي يمقت بحكم تعاليمه وتواصل النفوس فيه الشيوعية مقتا .

وهم يجعلون من فكره (اللاسامية) ذنب التحدى والخداع والواربة والغفوسة التى تمتلك العقول اليهودية في كل مكان وفي كل جيل ، فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم المتاعب .

ثم اليهود هم العنصر الرئيسى في الحزب الشيوعى الأمريكى وهم وراء مهادنة الروس بأى ثمن ، ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيتية في الجامعات الأمريكية نسبة عالية جدا ، والكتاب الذين يعالجون مواضيع العلاقات السوفيتية الأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود فيهم عالية جدا .

ثم هم اليهود من وراء الرأسمالية ومن وراء الشيوعية وهم المسيطرون على الاقتصاد العالمى وهم اصحاب امبراطورية الربا .

ولذلك فانه متى تكونت لدى العالم الاسلامى ارادة واضحة للتخلص من التخلف لن يجد في هذه المذاهب ما يحقق له ذلك ، لانها هي مصدر الاحتواء لبقاء في دائرة التخلف ، ولذلك لأن من تحطيم قيد الرأسمالية والشيوعية معا والتماس منحج الاسلام في الاقتصاد والمسلمون بالاسلام أقدر الناس على اخراج البشرية من هذه الدائرة المغلقة المدمرة وهم أجدر من يحقق للإنسانية هذه التجربة التى تعيد الى عالم الاقتصاد أخلاقته وربانيته وتقضى على الانحرافات الاباحية التى تورطت فيها الرأسمالية كما ينجو من الأخطاء السلبية التى تورطت فيها الماركسية .

على الاقتصاديين الاسلاميين أن يقدموا منهجا اقتصاديا متكاملا يمكن الاعتماد عليه في تحقيق التنمية في الدول الإسلامية ، وقد اكدت المناقشات التى دارت في عديد من المؤتمرات التى عقدت في السنوات الأخيرة أن هناك منهجا اقتصاديا اسلاميا قادرا على العطاء وتحقيق التنمية في البلدان الإسلامية .

كما جرى اقرار التعريف الاصطلاحي لعلم الاقتصاد الاسلامى على أنه علم وسائل استخدام الانسان لما استخلف فيه لسد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقا لمنهج شرعى محدد .

ويقوم الاقتصاد الاسلامى على قواعد ثابتة لطبيعتها وهي مجموعة المبادئ والأصول الاقتصادية التى جاء بها الاسلام في نصوص القرآن وأن تتضمن :

١ - تنظيم النشاط الاقتصادى والقيود التى يخضع لها هذا التنظيم أوجه النشاط المحرمة وحدود نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة .

٢ - قواعد متغيرة بطبيعتها وهي عبارة عن الاساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التى تبشرها الدولة لاحالة اصول الاسلام وسياسته الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع في اطاره .

٣ - أن تكون الزكاة هي المورد الأساسى للموازنة

وأهم قواعد هذا النظام تحريم الربا : وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية الحكم برؤية الفائدة وأن الربا محرم بثتى صورته وأشكاله وأن فى البنوك الإسلامية البديل باحلال نظام الاستثمار بالمشاركات والمضاربات والمرايحات التى باركها الله بديلا عما حرمه .

وتقوم المبادئ الإسلامية للاقتصاد على ثلاث :

١ — مبدأ الملكية المتعددة الأشكال .

٢ — مبدأ الحرية الاقتصادية المحدودة .

٣ — مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى .

والاقتصاد الإسلامى لا تتمشى مبادئه مع فكرة اليد الخفية أو جهاز الثمن لآدم سميث .

يقول الدكتور عرفة المتولى بسند (جامعة صنعاء) :

ان النظرية الاقتصادية فى الإسلام تفترض وجود المجتمع المسلم الذى تتوزع فيه الثروة وفقا لأسس يقرها الإسلام كالميراث الشرعى أو العمل أو الهبة أو غير ذلك

من أبواب الكسب الأخرى فلا يصلح الاحتكار كأساس لتوزيع الثروة كما فى المجتمعات الرأسمالية ولا يتساوى أفراد المجتمع فى الملكية كما فى المجتمعات الشيوعية .

(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورقعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

وتتمثل مقدمات نظرية الإسلام فى التوزيع العادل وإخراج الزكاة والصدقات وذهاب الحصيلة لمصارفها الشرعية .

أما الفكر الاقتصادي المعاصر فاننا لا نجد له هذه المكونات ، ونظرية العرض والطلب التى تحقق توازن السعر والذى يحقق بدوره مصلحة البائع والمشتري غير صحيحة حيث تفترض فروضا غير واقعية ، ولعل وجود الاحتكارات والمنافسة غير العادلة والاتفاقيات السرية ونظام العملات الدولية كل هذا وغيره يجعل العدالة بعيدة تماما عن الأسعار الموجودة فى هذه الأسواق ولا تحقق النتائج وهذا يعنى فشل النظرية أو عدم وجود نظرية .

الباب السابع عشر

أسلمة التصوف

تقديس الأولياء — والتصوف الصحيح كما يصوره الدكتور أبو الوفا التفتازانى هو الذى يتجه الى تربية النفس وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمدرسة السلفية وأن تقبل من التصوف ما كان سلوكا .

ويرى الدكتور موسى شاهين لاشين : ان أخذ النفس بالعبادات والزهد كسلوك وبصفة مستمرة مخالف للإسلام لأن الإسلام طلبهما بقدر ، وعلى فترات لا بصفة السلوك المستمر ، ويقول : لقد اتسع مفهوم التصوف فى القرنين الثالث والرابع الهجريين واستخدم المتصوفة تعبيرات واصطلاحات غير معهودة فى الإسلام بل رأينا تشبها واضحا بين حالات التصوف وبين الديانة الهندية فحالة (الغناء) عند الصوفية تشبه حالة (الترفان) أو النجاة عند اليهود ، وفكرة الحلول والاتحاد عند الصوفية تماثل (التناسخ) عند الهنود ، ويرى بعض العلماء أن التصوف له صلة وثيقة بالنصرانية لوجود التشبه فى حياة الصوفية وتعاليمهم من ناحية ومن حياة المسيح وتعاليمه ورهبانية النصارى وطرقهم فى العبادة واللباس من ناحية أخرى ، كما يلتقى التصوف فى بعض افكاره مع الفلسفة الأفلاطونية ، فهى تقول ان الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر وانما تدرك بالمشاهدة فى حالة الغيبة عن النفس والعالم المحسوس والتصوف يقول ان المعرفة تكون بنور يقذفه الله تعالى فى قلب العبد بعد صفائه ، فمسبيل المعرفة واحد عند الصوفية والأفلاطونية وقريب من هذا قول الغزالى : ان العقل يعجز عن كشف ومعرفة الحقيقة اليقينية وأن القلب وحده هو القادر على معرفة الله بالكشف وقوله ان عين التلب تستطيع ان ترى الله فى حالة اليقظة كذلك

فان كلام ابن عربى عن وحدة الوجود والحقيقة الحمدية يشبه فى الفلسفة الأفلاطونية مراتب الوجود التى تعنى العقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفس الجزئية ، كما استخدم الصوفية الاشرافيون كثيرا من الالفاظ الاصطلاحية والأفلاطونية كالكلية والحقيقة والمثل والتبضع والوحدة والكثرة ،

لما كان التصوف فى حقيقته هو علم تركية النفس والسمو بها وتحريرها من مطامع الدنيا على أساس مفهوم الإسلام فى أن تكون الدنيا فى يد الإنسان وليس فى قلبه يجاهد فى سبيل الحصول عليها من الحلال وانفاقها فى الحلال مؤمنا بأن السعى فى سبيل الكسب والرزق فريضة من فرائض الإسلام وأن الإسلام يدعو الى دخول المجتمع واقتحامه بأسلوب الايمان فى التعامل مع الناس وليس اعتزال هذا المجتمع والهروب منه ، وأن يكون وفق مفهوم العارفين : خدمة المجتمع وتصحيح معوجة التماس جواهر الإسلام فى اقتداء واضح بالسلف الأول من الصالحين بعيدا عن المصطلحات الغربية الوافدة وعن مفاهيم التصوف الفلسفى وعن كثير مما احتوته كتب العصور الأخيرة من انحرافات .

وفى العصر الحديث حاول التغريب والغزو الثقافى اثارة مفاهيم ضالة منحرفة عرفت عصور قديمة وصحدها علماء المسلمين ، كأحياء فكر ابن عربى والحلاج والسهروردى وابن سبعين وأحياء مذاهب الباطنية ووحدة الوجود والحوال والاتحاد ومفاهيم اخوان الصفا والاعتزال والقرامطة حتى اختلطت الأمور اختلاطا شديدا ومن ثم غمد وجب تحرير التصوف من هذا الاضطراب الشديد وأبرز مفهوم التصوف السننى المحرر القائم على نفس المفاهيم والقيم والمصطلحات التى عرفها السلف الصالح والعصر الأول قبل ظهور الخلاف .

ان هدف التصوف السننى فى الحقيقة هو بناء النفس بالتربية والخلق على نحو يقيم المسلم على طريق الله دون أن يوغل فى الماديات ، كما يحميه من أن يسرف فى الزهد واعتزال الحياة .

اننا مطالبون بتحرير (رسالة تركية النفس) من الفكر الباطنى تحريرا كاملا على النحو الذى عرفتته المدرسة السلفية (ابن تيمية وابن القيم) ولم تنكره بوصفه سلوك وتربية فتد كتب ابن تيمية رسائل فى التصوف وكان يسميه (علم السلوك) وقد أنكر ابن تيمية التصوف الذى يسرف أصحابه فى ربطه بالفلسفة ومنها

ونتيجة لهذا الاتحاد الصوفي قامت المعارك بين الفقهاء وبين الصوفية فانهم الفقهاء الصوفية بخلق البدع بل وبالكفر والاحاد ولولا الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري لضرر التصوف وانهزم واختفى امام هجوم الفقهاء .

كذلك فقد اضفى المريدون على مشايخهم آيات التقديس والاجلال ونسبوا اليهم اوهاما وخيالات على الولاية والكرامات وتعددت الطرق المتناذرة واتخذت كل طريقة لباسا خاصا وعاما خاصا وشيخا ومريدين وتحول كثير من مشايخ الصوفية الى جباة يفرضون الاناوات ويأكلون من ايدى المريدين سحقا وحراما .

ان كثيرا من مشايخ الصوفية قد غرسوا في نفوس مريديهم انهم اولياء الله في ارضه وانهم وصلوا الى ان يقولوا للشيء كن فيكون ، وانهم يعلمون الغيب ويراقبون العبد ونشروا درجات الاولياء التي اخترعها ابن عربي حيث قال بالقطب وهو الغوث وهو عبارة عن واحد في موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان وبالامامين ، وهما شخصان : احدهما عن يمين الغوث والآخر عن يساره وبالأوتاد وهم اربعة اشخاص يقفون في اربعة اماكن من العالم وبالبداء وهم سبعة رجال ، وبالنجباء وهم اربعة مسئولون عن ... وبالنقباء وهم ثلاثمائة . وهذا كله بدعة في الدين والدين منه براء .

« وقد بدأ التصوف كظاهرة تطرف اسلامي لمقابلة تطرف البعد عن الاسلام وذلك عندما اتسعت رقعة الدولة ، ودخل في الاسلام من يكيد له ، وازدهرت الدنيا للمسلمين وفتنت قلوبهم واتجهت الدواس الى الماذات وخاف بعض العابدين على دينهم فاعتزلوا وتكسوا وانقطعوا للعبادة ولبسوا الخشن » .

وقد توالى تحذيرات العلماء المسلمين على مدى تاريخ الفكر الاسلامي من انحراف التصوف : فقد نهى الامام احمد بن حنبل عن قراءة كتب (الحارث المحاسبي) والتزام الكتاب والسنة علما وعملا وقد نهى الامام ابو زرعة عن كتب الفتن في اصول الديانات وازهد على طريق الصوفية وقال اربال وهذه الكتب فيها بدع وضلالات ، عليك بالاثار فانك تجد ما يغنيك عن هذه الكتب (الرسالة - مارس ١٩٤٢) .

ولقد كانت غير اهل السنة والجماعة مركزة على مواجهة الانحرافات ، عبر عن ذلك الشيخ حسنين محمد مخلوف حين قال : هناك تصوف كاذب زائف انتقله قديما فنام اشربوا تعاليم الباطنية والهلولية

وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ودسوا في التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة في الدين كابن سبعين الاشبيلي المتوفى ٦٦٩ واضرابه افسادا لعقائد العامة من المسلمين وهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف في شيء ، وانما هم زنادقة ملحدون وقد كشف زيفهم وغند مزاعمهم كثير من ائمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلي المتوفى ٧٢٨ والامام ابن القيم ٧٥١ . وقد أولع بعض الشعراء بالحديث عن رابعة العدوية وما يسمونه الحب الالهي . وتردد اسمها كثيرا على انها نموذج من نماذج الزهد والحقيقة ان العقيدة المنسوبة الى رابعة العدوية هي عقيدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة وهي اقرب الى الرهبانية وان صحت غوى مخالفة لما امر الله به رسوله ونبيه ومن هنا غان هذه الصيحة التي يرددونها تحت اسم مدرسة الحب الالهي هي مغامرة من مغامرات التغريب الحريص على اذاعة ركل ما يخالف مفهوم السنة والجماعة ، وقد اشار الدكتور عمر غروح ان ما نسب الى رابعة من الشعر والنثر منسوب الى غيرها فهناك رابعات كثيرات وتظهر عليه آثار الصنعة والتكليف مما يوحي بأن كثيرا من تلك الآثار من عمل العصور التالية لعصر رابعة ، كما ان العقيدة المنسوبة اليها (الهى ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل حبا لك) هذه العقيدة باطلة لمخالفتها لكتاب ربنا وسنة نبينا ولقد بين الله تبارك وتعالى السبيل الى محبته فقال : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) فالمحبة لا تتم الا بالاتباع والانقياد لله وأوامره (وخافون ان كنتم مؤمنين) وأن العقيدة الباطلة مقتضاها تعطيل آيات الله تعالى التي وصف فيها النار وأصحابها وأهوالها وذكر الجنة ونعيمها وما أعد الله لعباده المخلصين وقد بين الله تبارك وتعالى عباده وأنبيائه وهم صفوة خلقه فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا) فالرغب الرجاء والسرعة والرهبة والخوف والخشية ومدرسة الحب الالهي يسمون من عبد الله خوفا من ناره وطمعا في جنته أجير السوء بل ان بعضا منهم يجعل (الخوف) من منازل العوام وليس من منازل الخواص فياليت شعري من أى منزلة يكون الانبياء والمرسلون وقد جعل الله تبارك وتعالى الخوف من لوازم الايمان وموجباته (يردون رحمته ويخافون عذابه) ، (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) .

وقال ابن القيم : ان من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ، ومن عبده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد .

البلف والدعوة الى الانقاذ من الضلال ، والعودة الى
التصوف الذى يستبد أصوله من الشريعة .
وقال الشيخ أحمد بن الغبائى فى كتابه
(عقد المرجان) :

الصوفى الحقيقى هو الذى لا يجعل الاستغراق فى
العبادة وسيلة للتغريب بالناس وتضليلهم واستغلالهم
لاخذ أموالهم فان الحرمان كل الحرمان فى ان يبحث الانسان عن
وسيلة من وسائل الرزق تغنيه عن الناس فاذا كسبها
بقيت عبادته لله خالصة .

والمتصوف الحقيقى يجب ان يتعدى عن الدائرة لئلا
يسقط فى زلة الاعجاب والرياء والدغوى والاختلاف وان
أكبر منقذ من الانزلاق ان يشتغل من أجل كسب
رزقه وان يحترف بحرفة تغنيه عن الناس وتبعده عن
الافتقار اليهم .

ولابد ان ينزه الانسان الصالح نفسه عن الدعوى
والغرور وان يبعد عن التعالى والتناول .

وقد سئل الامام أبو بكر الطرطوشى فى ما تقول فى
مذهب الصوفية ، يذكرون الله ويذكرون النبى ثم انهم
يوتعون بالقصب على شىء من الأديم ويقوم بعضهم بترقص
ويتواجد ثم يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلون .

قال الطرطوشى : هذه بطالة وجهالة وضلال وما
الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله أما الرقص والتواجد
فأول ما أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا
له خوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون وأما
القصب فأول من اتخذ الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن
كتاب الله ، وكان يجلس النبى مع أصحابه كأن على
رؤوسهم الطير ولا يحل لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر ان
يحضر معهم ويعينهم على باطلهم .

(أوردها القرضى فى الجامع لاحكام القرآن ج ١١) .

وقد تناولهم ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس ابليس)
وعدد أخطاءهم كما رآها فى عهده ، ومنها سخرتهم من
أهل الظاهر واتهامهم بالتصور عن ادراك البواطن وتذوق
المواجد .

ويدافع الدكتور أبو الوفا التفتازانى عن التصوف
المصرى ويقول انه سلك منها مغيرا لمنهج فلاسفة
التصوف وكان نهجهم عمليا أخلاقيا بعيدا عن التطرف
والمغلاة والشطح وان تجد فى مشايخ الطرق الصوفية فى
مصر نماذج متطرفة كالحلاج والبسطامى وابن عربى

وقال شيخ الاسلام عقب ذلك : ذلك ان الحب
الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع
هواها وصاحبه اثما يحب فى الحقيقة نفسه وقد اتخذ
الله هواه ، فلهذا كان زنديقا ومن هنا دخلت الملاحدة
الباطنية كالأفانين بوحدة الوجود فان هؤلاء سلوكهم عن
هوى ومجبة فقط ليس مع رجاء ولا خوف (جامع
الرسائل) .

وهكذا فان فكرة الحب الإلهى عقيدة باطلة
ومخالفة للكتاب والسنة ، ولذلك فان هذا الخلط الذى
تظهر فى كتابات بعض المدفوعين الى اشاعة هذه الأفكار
فى ان مضوا فى مجال الحب الإلهى الامام الشافعى وأجد
البدوى وأبو العباس المرسى والامام البرعى مخطئون .

أما ابن النارض وابن عربى وابن الحلاج فهؤلاء
لهم موقف آخر فى مفاهيم دخيلة كالحلول ووحدة الوجود
وقد حدد الاسلام موقفه منهم على النحو الذى قدمه الامام
ابن تيمية والامام ابن القيم ، هذا التصوف الفلسفى
ليس مفهوما اسلاميا صحيحا وكل اغراق فى النظريات
والسطح فهو بعيد عن التصوف السنى .

ولقد اشار الشيخ صلاح أبو اسماعيل الى غلبة
كتب الأوراد على قراءة القرآن والى بعض كتب
متداولة : مثل مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأخزاب
وحزب الدسوقي الكبير والصغير وحزب الرفاعى الكبير
والصغير والى ما فيها :

أولا : من ألفاظ غريبة غير مفهومة .

ثانيا : مصطلحات مبتدعة مخالفة للقرآن والسنة
على نحو (وزج بى فى بحار الاحدية وانشلنى من أوحال
التوحيد) أو (انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقتنى فى
بحر الوحدة) .

وهناك ما يشار من قضايا مثل قصة (الحقيقة
والشريعة) حيث لا يعرف الاسلام اسم الحقيقة أو
الطريقة ، وقد مضى عهد الرسول والصحابة والتابعين
وتابع التابعين ولم يعرف الاسلام الا شريعة تشرى
أحكامها على سائر المسلمين ولم تبرز الى الوجود بدعة
(الحقيقة) الا مع ظهور الفرق الباطنية التى بداها
عبد الله بن سبأ وتلميذ عليه أمثال الحلاج والبسطامى
وابن عربى .

ولقد جرت المحاولات دائما لتحريير التصوف من
هذه الانحرافات وقام العلماء فى كل عصر لادياء روح

والمسهروردي أولئك الذين مزجوا الفلسفة بالتصوف وتأثروا تأثرا عميقا بالتيارات الفلسفية فشطحوها بنظريات وحدة الوجود والخلود والفناء التي استهجنها أهل زمانهم وعارضوها بشدة .

وأشار الى دور الصوفية في ميدانين كبيرين :

أولا : نشر الاسلام في أفريقيا وفتح البلاد أمام الدعوة الاسلامية سلميا . فقد انتشر الاسلام في أفريقيا عن طريق القادرية والشاذلية والتيجانية .

ثانيا : محاربة أعداء الاسلام وحمل لواء الجهاد ومحاربة الصليبيين وفي طبيعة المصريين : البساطة والاعتدال والسهولة والوسطية .

وقد جاء رواد التصوف الفلسفي من مثل ابن عربي وابن سبعين الى مصر بحثا عن النفوذ والاتباع وترويج مذاهبهم ففشلوا وكان مصيرهم مصير كل الدعوات والمذاهب التي تصادم نزعة الاعتدال عند المصريين .

وفي مجال ظهور الطرق الصوفية يقول الدكتور التفتازاني :

ظهرت الطرق الصوفية منذ القرن السادس الهجري وارتبط هذا الظهور بحدثين من أهم الأحداث التي تعرض لها العالم الاسلامي وهما :

أولا : سقوط الأندلس .

ثانيا : اندلاع الحروب الصليبية .

ففي الوقت الذي انهيار فيه الحكم الاسلامي في الأندلس كانت أولى الحملات الصليبية تحط رحالها على السواحل السورية مفتحة ملحمة الصراع الحربي التي دامت قرنين كاملين وكما يحدث دائما في أعقاب الكوارث والنكسات يتساءل المسلمون عن سر هزيمتهم واندحارهم ورأى البعض أن السر يكمن في بعدهم عن الله والاقبال على المعاصي ، وأن الخلاص هو في الرجوع اليه والمحافظة على حدوده والابتعاد عن نواحيه وكان هذا التفكير متفقا مع النزعة الصوفية .

وفي وسط هذه القمة الكاسحة اشتد تيار التصوف وارتبط ارتباطا شديدا بروح الجهاد الذي فرضته الأحداث وبصورة أشد في المغرب .

وفي مصر حرص صلاح الدين على تنظيم الصوفية فأقام أول تنظيم للطرق الصوفية وهي الخانقاه . وقد قاموا بدور ضخم في استعادة القدس ومقاومة الحملات الصليبية على دمياط وهزموا القديس لويس في المنصورة .

وفيما يتصل بهذا نتحدث كتب التاريخ عن جهاد التيجانية والسنوسية والمهدية (والسنوسية ليست طريقة صوفية) ولكنها تأخذ أسلوب التربية وتكوين الأفراد وتقيم الزوايا وقد أكدت أكثر من غيرها الجمع بين الجهاد والعمل الدنيوي كالزراعة والصناعة وكان لهذه الفرق دورها الكبير في نشر الاسلام في أفريقيا كما قاومت النفوذ الأجنبي (الايطاليين في برقة والانجليز في السودان) .

وقد عرف الصوفية فن الحرب والحزم والعزم والتوكل على الله والتضحية بالنفس في سبيل حماية الذمار ولم يصلوا الى الدعة والاثراف الا بعد أن توقفت الحروب .

أما بالنسبة للاتهامات الموجهة الى التصوف وانحرافه عن التصوف السني الى التصوف الفلسفي : الدكتور أبو الوفا التفتازاني .

الاتهام الموجه الى التصوف من أنه يعود في أصوله الأولى الى البوذية والجوسية والرهبانية ، هذا الاتهام جاء من بعض المستشرقين الذين درسوا التصوف في أوروبا من القرن ١٦ الى أوائل هذا القرن تقريبا حيث نسبوا التصوف الى مصادر مسيحية وهنكية ويونانية وفارسية والذي دعاهم الى ذلك منهج خاطيء في البحث نبه اليه المستشرق نيكولسن . والتصوف من حيث هو (تجربة نفسية) موجودة في حضارات وديانات سابقة ، فالنفس الإنسانية في كل عصر كانت تهدف الى أنواع من الكمال الأخلاقي وهو موجود في الإنسان بالفطرة ، فبأتى بعض المستشرقين في محاولة ربط التصوف الاسلامي بالديانات السابقة على نحو مفتعل ولا دليل على الارتباط .

فقد تشابه التجربة الصوفية ولكن المضمون مختلف فنجد في الاسلام تلقيا وسلوكا واقتداء بالرسول .

والتصوف الاسلامي يأخذ طابعا مختلفا عن المسيحية ف نجد صوفية الاسلام يعملون بأعمال مختلفة لأنهم يتبعون قول الرسول (لارهبانية في الاسلام) في حين أن المسيحية عكس ذلك . فالتجربة الصوفية كما يقول تعليم الدارسين المحدثين واحدة من الناحية النفسية ولكنها تختلف من حيث الغاية والهدف .

الأذكار كما لا يجوز اختلاط الرجال والنساء وأصل ممارسة الذكر إنما هي تلاوة القرآن أو ممارسة الحديث والدعاء بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاجتماع على ترتيل أسماء الله الحسنى .

أما التوسل إلى الله تعالى فيكون بالعمل الصالح أما بالنسبة لأولياء الله الصالحين فنستفاد بعلمهم والاقتداء بهم في الطريق والاستعانة بالمعرفة يكون بالله العلي العظيم . (اياك نعبد و اياك نستعين) .

ان اقامة الافراح والموالد والتماس بركة الموتى هي من الامور الشكلية التي لحقت بالتصوف وليست منه فالتصوف كما قلنا تخلق وسلوك ولا شيء غير هذا ولكن ممارسات العوام من اتباع التصوف قد يكون في بعض الأحيان هو السبب في بعض الظواهر التي تحدث مثل استخدام الطبل والزمر والرقص والغناء والحركات غير اللائقة في حلقات الذكر فهي ليست من التصوف بل دخيلة عليه والأصل في مجال الأذكار أن يكون اجتماعا لذكر الله بصورة شرعية ولا يجوز استخدام الموسيقى في مجال

الباب الثامن عشر

أسلمة علم النفس

٣ - نوع جديد من التراث لم يدون كتابه ولم ينتشر إلا من اليهود أنفسهم ولا على الناس إنما تصل خلفا عن سلف في تلقين شخصي محوط بطابع السرية .

وحيث أن التلمود يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فإن كل الموجودات اليهودية بما فيها (فرويد) بطبيعة الحال ، إنما تسلك طريقها وفقا للتراث الدينى اليهودى الصهيونى ، ولما كان التحليل النفسى نتاجا لأحد هذه الموجودات اليهودية الذى هو (فرويد) كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكرا يهوديا صهيونيا وإذا قيل أن فرويد أراد الموضوعية ومع الافتراض بأنه أرادها فإن السؤال الذى يفرض نفسه : هل كان بوسعهم أن يحققها ، وهل كان من الميسور له وهو يخطط لنظام اشترك فيه مع هرتزل ، وكان له دوره الواضح فى هدم الحصانة النفسية وادخال البشرية كلها - ما عدا اليهود - فى مفهوم الجنس الإباحى الذى يوجه كل تصرفات الانسان كما يدعى .

ويرى الدكتور صبرى : أن فرويد مشبع بالروح الصهيونية وقد اضطلع بمهمة القضاء على المسيحية موضوعيا وعلميا كما اضطلعت اليهودية الصهيونية من ألفى سنة بمهمة القضاء عليها ايدلوجيا وعمليا وترجع كراهيته للمعتقدات والطقوس الدينية والمسيحية الى الأثر المزعج لربيته الكاثوليكية الدمية العجوز التى كانت معاملتها له تنطوى على مزيج من الحنان والشدّة .

وأنه فى سبيل اقناع الناس بأنه محايد فقد ارتدى ثوبا الحاديا مزيفا استطاع من خلاله أن يهاجم المسيحية بالاذات دون الأديان جميعا وهو الحاد ذهنى لم يصل الى وجدانه الحادا زائفا لأنه تركه بعد ذلك منتسبا لليهودية الصهيونية .

وأشار الدكتور صبرى جرجس : الى أثر الأوضاع الجانبية التى تواجهها الأقليات فى مجتمع طبقتى ، مثل انضمامه لجمعية بنائ برث وحضور اجتماعاتها والقاء محاضراته فى تفسير الأحلام بها وعلاقاته الشخصية

منذ سيطرت قوى التغريب والغزو الثقافى على مناهج الثقافة والفكر فقد طرحت مفاهيمها فى العلوم الاجتماعية والانسانية فى محيط الفكر الاسلامى الذى حجبته مقرراته عن مجال التعليم والثقافة فى البلاد الاسلامية .

وقد تبين منذ اليوم الأول فساد هذه المفاهيم التى تشكل النظرية الغربية فى علم النفس وعجزها عن العطاء فى مجال النفس الاسلامية التى تشكلت على نحو مختلف ومن خلال عقيدة وثقافة وقيم تختلف عن تلك المفاهيم التى شكل منها أدلرويونج وفرويد مفاهيمهم ، مع الاعتراف بوحدة النفس الانسانية فإن هذه النفس تشكلها القيم والعقائد وقد واجه هؤلاء العلماء النفس الغربية التى تشكلت على تراث اليونان والرومان الوثنيين وتراث المسيحية المنزلة وقد اخطأ فى ذلك علم الأصنام اليونانى بأساطير الرومان بتحريفات الخطيئة والصلب والفداء ، ولما برزت نظرية فرويد وتغلبت على نظريات الآخرين كان من وراءها الفكر التلمودى كله واحقاد اليهود على المسيحية والغرب وعلى البشر جميعا .

وقد جاءت تقبلة الدكتور صبرى جرجس سنة ١٩٧٠ عندما أصدر كتابه عن (التراث اليهودى فى الفكر الفرويدى) كشف واضح مدعم بالأدلة عن أن مذهب التدايل النفسى خرج بكامله من عبادة (التلمود) ممثلا لاحقاد اليهود على البشرية كلها وقد تبين أن التحليل النفسى (الذى خدع الناس أكثر من خمسين سنة على أنه (علم) أصيل ، هو عرض عصرى للتراث اليهودى الصهيونى المتمد مسارا عبر الأجيال ويرى الدكتور صبرى جرجس أن التراث اليهودى الصهيونى يتألف من ثلاثة مصادر :

١ - التوراة : وهى وثيقة سياسية عصرية استخدمت العقيدة الدينية لتحقيق مخططاتها السياسى العنصرى .

٢ - التلمود : وهو تفسير للتوراة فى اطار الفكرة السياسية العنصرية التى بداتها .

بأصدقاء يهود ومثل قوله عن يهوديته : اننى مدين بالفضل لطبيعتى اليهودية فيما املك من صفتين مميزتين لم يكن فى وسعى الغناء عنهما خلال حياتى الشاقة فلأنى يهودى وجدت نفسى خلوا من التمييزات التى احتلت غيرى دون استخدام ملكاتهم الذهنية وكيهودى كنت مستعدا للانضمام الى المعارضة ولننصرف دون موافقة الاغلبية الساحقة .

ويرد الدكتور صبرى جرجس : الأصل الفكرى لنظرية العقل الباطن واللاشعور عند فرويد الى نظرية (الزوهار) التى يتحدث عن الاتصال الجنسى بوصفه الكشف عن الغريزة . ويحاول فرويد حين يسعى الى الفهم والكشف عن اللاشعور الى الكشف عن عمى العقل من الانسان .

اما نظرية تفسير الأحلام عند فرويد فيرجعها الدكتور صبرى جرجس الى التشابه بين طريقة تفسير الأحلام وبين طريقة تفسير الزوهار للتوراة بفصل الفترة من سياقها ثم محاولة ايراد الخواطر المرتبطة بها .

كذلك فان نظرية الغرائز ومفهوم (اللبيد) لم يكن يتيسر ظهورهما الا فى نطاق الافتراض بأن الانسان حيوان بشرى وأن الذى يقرر سلوكه الى حد كبير هو الأساس البيولوجى لتكوينه وهكذا نرى الدعوة الفرويدية التى تستند نبعها من التراث الصهيونى فى تعصبه واستغلاله تصوغ مناهجها على أساس أن الانسان فى جوهره هو عبد لغرائزه ، وأن ذلك انما يمثل الانعطاس المنطقى للمجتمع البرجوازى الذى افترخت فيه فى جموده وتحلله الفكرى والخلقى كذلك فان منهج فرويد فى علم النفس يهدف الى خدمة مصالح المجتمع البرجوازى والرأسمالية .

وان التحليل النفسى فى أساسه (الذى يقوم على أن الانسان فى جوهره عبد لغرائزه) يعتمد على الصراعات الناشئة بين الرغبات الفطرية الغريزية والمكتسبة من تاحية وبين الاما الاعلى والذات الواقعية من ناحية أخرى وليست تهدف مناهيم فرويد الى تبرير الحركة الصهيونية او انشاء وطن قومى لليهود تحسبوا انما ترمى الى الهدف الأكبر للصهيونية وهو تقديم الكيان الانسانى لوصل الخيط بنظرية دارون من حيث أن الانسان حيوان ليقول بأنه خاضع للجنس .

هذا المنهج السارى فى افق التعليم والجامعات والثقافة والصحافة فى العالم الاسلامى اليوم والذى تجرى عليه محاكمة مختلف قضايا المجتمع هو منهج غريب علينا

وبخيل ويختلف مع قيمنا واصولنا كل الاختلاف بل انه يهاجم كل القيم التى جاءت بها الاديان من مصدر الخلاف بين المسيحية والعلم فى أوربا ومن هذه الخلافات :

اولا : ينكرون وجود الله تبارك وتعالى ووجود الروح منفصلة عن الجسد فى جوهرها وصفاتها وأعمالها وبقاتها حية بعد فنائها لأن هذه الروح لا تقع تحت دائرة الحى ولا يمكن ملاحظتها أو اخضاعها للتجريب .

ثانيا : النظر الى الدين على أنه يمثل صراعات الانسان اللاشعورية وهو فى جانب منه يزود الانسان باشباعات بديلة ، وأن الدين مستمد من اسطورة اوديب وما يتضمنه من وهم الأب السماوى المحب الذى يعد المؤمنين بالسعادة فى عالم آخر اذا هم تنازلوا عن رغباتهم الغريزية فى هذا العالم .

ثالثا : انكار البعث والخلود والمسئولية القدسة وانكار النظام الاخلاقى واعتبارهما من ضروب الزيف والخرافة .

رابعا : اخضاع العلوم الانسانية لما حصلت له العلوم التجريبية .

خامسا : كما ينكر علم النفس الغربى : وجود الله والوجدان الدينى كذلك فهو ينكر العقل الذى يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحدها .

سادسا : غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس بحيث يتصور النفس الانسانية تصورا ماديا ، فهى عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى المباشر والانسان فى اطار هذه النزعة المادية مدفوع بقوى لا معقولة ، ومغلوب على امره تصدر عنه أفعال قهربية وكل ما يملكه العقل من (حيل) : هى (تبرير) هذه الأفعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها والتسامى بها .

سابعا : معظم النتائج الى قدمها أصحاب هذا المذهب وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحالات المرضية ثم عمت على حالات الأسوياء ثم أقيمت نظرية كاماة فى هذا الاطار الزائف .

ثامنا : غلبة المادية على علم النفس ، والمادية فلسفة حياة وجراثيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

تاسعا : آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة تواجهه بالنقد العنيف داخل الاطار السيكلوجى نفسه وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من

فرويد شخصاً وشخصية حتى التحليل النفسى مدرسة ومنهجاً وفلسفة حياة .

عاشراً : تقوم نظريات علم النفس التحليلي (كارل يونغ وغيره) على اعتماد الأساطير القديمة على أنها حقائق علمية (كما اعتمد فرويد على أسطورتى أوديب والكرا واعتماد القصص الخرافية والحياة البدائية وديانات الشرق والغرب والكيمياء القديمة (حجر الفلاسفة) والتنجيم وقراءة الأفكار والتخاطر والتلباى والاستشفاف والانتروبولوجيا ، وكل هذا الفكر القديم البالى الذى هو (فكر طفولة البشرية) باجماع الباحثين هو المصدر الذى يقوم عليه علم النفس محولا الوسواس والهلاوس والهذيان والطقوس البدائية إلى حقائق كاذبة وكذلك طقوس تدشين الطفل ورموز الثعابين والحيات والخيول الحنطة والطيور الرمزية وأسطورة البطل وصراعه مع الآلهة ، كل هذه الأساطير التى أحيها (فريزر) واعتمدها علماء النفس البارزون فرويد ويونج وأدلر وإن كان يونج وأدلر يختلفان مع فرويد فى الدافع الجنسى ولكنهما يعتمدان كل هذه الأساطير فلا ينخدع بهما أحد ظنا أنهما أكثر أصالة .

مذهب أدلر يقوم على حافز طلب القوة ومذهب يونج يقوم على مركب النقص .

نظرية الجنس :

يقول يونج : أن فرويد يرى أن أصالة الجنس هى صانعة المتاعب وقد اعتمد فرويد الدافع الجنسى كمصدر لكل تحركات الانسان : ويتحدث الأستاذ سعد حسن لطفى عن نظرية الجنس فيقول : تعتبر الغريزة الجنسية هى المهيمنة على كل تصرفات الانسان فتضع البشر فى مرتبة أقل من مرتبة الحيوان وهذا التغير الخاطيء يجعل الحياة كلها خلافاً حول الجنس ، وعلماء النساء الى درجة أن غاية الانسان فى الحياة هى اشباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

وهذا المذهب هو المعمول به فى التحليل النفسى وفى العلاج وفى التربية والتعليم مع أنه أكبرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القويم ومن المسلم به أن الصحة النفسية هى فى العفة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد من أن الصحة فى الإباحة وأن الأمراض النفسية فى العفة حيث نسب اليه ما يسميه (الكبت) وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم وأشد حزمًا من الإباحة والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ

والادراك ويزيد قوة البدن أيضاً ومقدرته على الأمراض بعكس الحال عند المسمرين فى العلاقة الجنسية ناهيك عن مضار الزنا كالأضرار التناسلية الفتاكة .

نظريات أخرى :

وهناك مذهب آخر من مذاهب علم النفس يجعل الانسان عبداً للعالم والمال وتسيره غريزة التملك فيكون سعيداً وصحيحاً نفسياً اذا كان غنياً ومريضاً نفسياً اذا كان فقيراً . وهذا مخالف للواقع والعقل فإن الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ويملكون سحتهم البدنية والنفسية وهى احسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء والمؤمن سديد للعالم والكافر عيب لها .

وهناك مذهب نفسى آخر (والكلام للأستاذ سعد حسن لطفى) يجعل الانسان خاضعاً للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاء الناس وهذا المذهب يشجع على الرياء والتفاني فى القوة والطاعة فى المجتمع هى فى ارضاء الله (تبارك وتعالى) ولو باغضاب الناس لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فيرضى الله الناس عن ارضاء باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضى الناس باغضاب الله .

وهناك مذهب نفسى آخر : يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله (جل جلاله) ويقول ان الانسان لو اعتقد فى أى شئ فانه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .

وهذه المذاهب جميعها فى نظر الاسلام مرفوضة تماماً بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها واتخاذ مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطاً بين خطين .

ومن وجهة نظر الطب النفسى فإن الاستقامة هى أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة وعدم الايمان أساس كل الأمراض . وأن المؤمنين يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولا ينخدعون منهم وأن التعليم اذنى هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل والمؤمنون يعتقدون ان السحر كفر بالله وباطل وخرافة وتكثر الأمراض

النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقد والرغبة في المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس الى فعل الخير والبعد عن الشر غير الوازع الدينى والطمع فى رحمة الله ورضاه والخوف من عقابه . ولقد واجه الفكر الاسلامى مفهوم النفس الغربى الوافد ورد كثيرون على أخطائه وأخطاء فرويد بالذات وخاصة فيما يتعلق بالحديث عن (اللاشعور) الفرويدى بكل محتواه الغريزى ، بينما يقدم لنا العلماء المسلمون وخاصة الذين اهتموا بتزكية النفس الى لا شعور أعمق وهو الجزء الذى اذا ما أصبح شعورا وبقينا عمر الايمان الحسى (على حد تعبير الدكتور يحيى الرخاوى) .

هذا اللاشعور المرتبط بالفضيلة . والسمو والصنق والايمان والذى تتجاهله الحضارة الحديثة تجاهلا تاما .

ولقد تبين لبعض المدارس النفسية الغربية هذا المفهوم الاسلامى العميق والذى يمثل (حاجة أصيلة فى تركيب النفس البشرية والذى يرد اغتراب الانسان ووحشته وشقاءه الى اهلها أو كبتها أو انكارها ، فقد تبين ان فطرط الحرمان من الفضائل يؤدى الى امراض محددة لها من الاضرار والمضاعفات ما يفوق مثيلاتها من امراض نفسية ، الا أن انتشار امراض نقص الفضائل لا تظهر بيننا بشكل صريح لسببين :

أولا : انها امراض شائعة شيوع الوباء وكأنها القاعدة وليست الاستثناء والثانى : أن الحديث عن الفضيلة كثيرا ما يغنى عن ممارستها وكأنه التحذير المسكن .

ومن ذلك مرض الزيف الذى ينتج الحرمان من فضيلة الصدق ومرض الظلم الذى يتجه ليقضى على فضيلة العدل ومرض التعتيد والغفوض الناتج من كبت فضيلة البساطة .

وهذا الذى تكتشفه بعض المدارس النفسية الحديثة هو ما جاء فى حديث الامام ابو حامد الغزالى حيث عرض لامراض الحسد والعداوة والكبر والعجب والخوف وحجب الرئاسة وخبث النفس .

ومن الباحثين المسلمين الذين عنوا بوضع أسس علم نفس اسلامى وشغلوا أنفسهم منذ سنوات بهذه الدراسات الدكتور حسن الشرقاوى الذى تطلع مرحلة

طويلة فى طريق هذا العمل الكبير حيث يبنى منهجه على قواعد أساسية :

يقول : يزعم رجال مدرسة التحليل النفسى ان النفس البشرية مغلوطة على امرها رضيت بذلك أم أبت تسيرها دوافع قسرية وتحركها غرائز حيوانية ونزعات انانية وأن الانسان مثله مثل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية واشباع شهواته البهيمية . وأن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من ادخال ويرى فرويد أن أصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون باعتبار أن الانسان حيوان وحشى مصاب بالشبق الجنسى فلا هم له الا تحقيق لذاته والتفليس عن غرائزه الجنسية فان لم يستطع فهو مريض نفسيا ، وأن الانسان السوى هو الانسان المتوحش ، ويجرى علاج الامراض النفسية فى ضوء عقدة اوديب والكرأ وقد اتخذ فرويد من هذه الشخصية الاسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية حيث جعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدها على هذه الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية وقد روج اليهود فى كتبهم لهذه الاسطورة وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بغية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الاخلاقى والغناء القيم الأساسية والمثل العليا من على الارض وقد استعار عقده (اوديب) لجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها واستعار عقده (الكزأ) لتمثيل العلاقة الجنسية بين الأب وابنته وجعل فرويد من الاسطورتين الخيليتين حقيقة واقعة وأخذ بنشر هذه الآراء فى المجتمعات الغربية التى كانت قد سقطت فى أوائل هذا القرن فى الانحلال الخلقى وتفشى بين الأسر الزنا والعلاقات غير المشروعة فوجدت آراؤه أذانا صاغية وتمسك بها الشباب الساقط والزوجات العاهرات ليكون مسوغا علميا لتصرفاتهم الماخلاقية ومبررا لفعل الفواحش وظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هذه الموجة الانحلالية فى عقول الشباب الاوربى وظهرت مسرحية (المومس الفاضلة) التى عرضت مئات المرات .

هذه القصة تمثل الحالة التى برزت فيها أوربا فى نهاية القرن ١٩ وبداية القرن العشرين حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن وجاءت المسرحية تدافع عن العهر والعاهرات وتروى قصة امرأة عاهرة أحببت شابا من أسرة محافظة وذهب اليها الأب يربحوها أن تترك الشاب مهجرتة وتخلت عن ملاكها لتعيش بعيدا فى كوخ حقير حيث تموت بداء المل ، والمغزى الخطير القصة انها تشجع على البغاء وتعاون

الغريزية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية هؤلاء الأطباء يهبطون بالإنسان إلى البهيمة والحيوانية .

قال سفيتزر : وهو اكبر علماء التربية الالمان :

وقد قامت مدارس التحليل النفسي على تبرير السلوك الجنسي الشاذ. وتنصح الشباب بالتنفيس عن عنزعاتهم الجنسية ومطالباتهم البيولوجية وحاجتهم

الباب التاسع عشر

أسلمة التراث

اختلف هذا العمل ببعض أعمال الفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة والتصوف الفلسفى ، وكل ما دخل على الفكر الإسلامى نتيجة ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية وغيرها ، غير أن الفكر الإسلامى الأصيل قد وقف وقفات حاسمة أمام الفكر الواعد وكشف زيفه وصحح الانحرافات التى انجرف اليها الذين حاولوا اتحامه على الفكر الإسلامى الأصيل ، كما فعل المعتزلة والفلاسفة وأصحاب التصوف الفلسفى .

هذا التراث كله يقبله المسلمون تماما وينظرون اليه نظرة كاملة ، فلا يبتغون أجزاء منه من شأنها أن تعيد اذاعة الوثنيات والمجوسيات وفلسفة علم الأصنام وغيرها التى وقع فيها : الفارابى وابن سينا ، أو الحلاج وابن عربى وابن سبعين والسهورردى أو ما وقع فيه الرازى وابن الراوندى وغيرهم ، وتلك هى محاولة الاستشراق التى بداها باحياء رسائل اخوان الصفا وغيرها واعانة عليها غلمان المستشرقين أمثال : طه حسين وعبد الرحمن بدوى وغيرهم .

إن ابتعاث التراث الإسلامى هو قاعدة البناء الأساسية لليقظة والدعامة الكبرى للصحوة فهو والتاريخ يعطى الشباب المسلم الاحساس القوى بالثقة والإيمان بالأمّة التى صمدت الحضارة الإسلامية الإنسانية التى نشرت ضوئها فى العالم كله خلال ألف عام وقدمت للبشرية مفهوم التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الإنسانى وحررت العقل من الوثنية وحررت الإنسان من العبودية التى فرضتها حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهندوك ، هذا التراث الذى تحجبه اليوم جامعات ومعاهد وهيئات فى الغرب لتخفى الحقيقة التى يجب أن يعرفها المسلمون عن حقيقة دورهم فى بناء الحضارة ، ليس فى تقديم المنهج العلمى التجريبى فحسب بل وتقديم أصول العلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأن عشرات من النظريات العالمية الآن إنما هى مبثوثة فى مصادر التراث الإسلامى التى تبلغ أكثر من ربع مليون مجاد موجودة فى مكتبات

أن مفهوم التراث فى الفكر الإسلامى يختلف تماما عن مفهومه فى الغرب ، ومن هنا يجب أن تختلف النظرة اليه ، ومن ثم فإن المنهج الذى يتبعه الغرب فى تعميم ترائته والنظر اليه والانتفاع به هى مسألة تخصه بالذات ولا تنسحب على التراث الإسلامى بل لا تصلح أصلا لأن يكون أسلوبا صحيحا لتقويم التراث ، ولذلك فنحن فى حاجة الى أسلمة منهج تقويم التراث . أى أننا يجب أن نقدم أسلوبا مختلفا عن أسلوب الغرب الذى تخضع له الآن ، وأن يكون هذا الأسلوب مستمدا من « النظرة الإسلامية للتراث » فالغربيون ينظرون الى تراثهم على أنه أساطير وكتب قديمة ليست لها قداسة ، وفنون للترفيه وللإغراق فى الخيال ويتوهم تراثهم القصصى على الصراع بين الآلهة والبشر وعلى عباده جمال الأجساد وقد غلبت عليهم النزعة السقراطية فى تقبل صور الشذوذ الجنىسى والخضوع لمفهوه احتقار الأنوثة والبيكاراة على النحو الذى انتهى بالحضارة الغربية المعاصرة الى عقد زواج رجل على رجل ، أو غير ذلك من أنواع الانحراف .

كذلك فى ميدان الكتب المقدسة فالغربيون ينظرون اليها على أنها من كلام البشر وأنها ليست لها قداسة خاصة وأنها توضع موضع الانتقاد وهكذا فإن التراث فى الغرب ليست له قيمة تحميه من محاذير الاضاعة منه والحذف ، وتغييره والتوسع فى تصوراته ، لأنها تعتد به من الأساطير التى يجوز للكاتب أو الشاعر أن يتصرف فيها .

وهذا يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن (جوهر) التراث الإسلامى وعن النظرة اليه فالتراث الإسلامى هو (أولا) ميراث الرسالة وأنبوة الموحى بها للرسول الخاتم (القرآن الكريم) وقد أوتى هذا الكتاب كما أوتى الحكمة (السنة النبوية) وكلاهما مكمل للآخر ، وهذه لها قداستها الكاملة ، وهناك التراث المكتوب من صنع العقل الإسلامى فى مجال الفقه والتفسير والعلوم وهو عمل بشرى يلقى الضوء على الرسالة الأساسية وقد

العالم وقد كشفت الأبحاث الأخيرة كيف أن رجلاً من دعايات الحضارة الغربية وعصر النهضة كان منهجها مأخوذاً من الفكر الإسلامى : فرنسيس بيكون وديكارت ولقد ترى هذه الحملة الضخمة التى تحملها أقلام التغريبيين على التراث فتدهش لذلك ، وربما تقول : انهم يريدون ألا يعرف المسلمون (حجم) الدور الذى قاموا به والذى أنكره الغرب تماماً وأقام حوله (مؤامرة الصمت) ولكن الأمور أكبر من ذلك وأبعد مدى .

وذلك هو ما كشف عنه الباحثون الذين يدعون الى أسلمة المعرفة وفي مقدمتهم الدكتور اسماعيل الفاروقى الذى يقول ما معناه :

ان بناء نهضة اسلامية حقيقية في مجال العلم والحضارة لا يمكن أن تبدأ الا من آخر خطوات التراث الإسلامى وأنه لا يمكن أن تبدأ الا من آخر خطوات التراث الإسلامى وأنه لا يمكن بناء هذه النهضة على الشظايا المنقولة من حضارة الغرب .

يقول : ليس هناك موقف إسلامى حى اليوم ليست له علاقة بتراث الإسلام ولا بد من دراية كاملة بالتراث من حيث نواحي القوة والضعف فيه بل ان الموقف الإسلامى فى الحاضر وفى المستقبل يجب أن يأخذ صورة مصاحبة للتراث دائماً وليست انطلاقا جذريا فحسب .

ذلك أنه قبل تفصيل العلاقة والملائمة بين الإسلام وعلم معين يجب أن نكتشف ماذا فى تراث الإسلام مما يتصل بهذا العلم ، ان تراث أسلافنا يجب أن يظل بالنسبة لنا نقطة الانطلاق وأن أسلمتنا للعلوم ستكون ضحلة جداً اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننتفع بنظرات أسلافنا الثاقبة .

وهناك مشكلة الانتفاع بالتراث فى بدا مسيرة الباحث الحديث ذلك أن مصنفات العلم الحديث لا توجد ولا حتى أسماؤها فى التراث على هذا النحو ، كذلك فان التراث قد يحتوى على معلومات قيمة لا يمكن تصنيفها طبقاً لآى تصنيف جديد ولا ربطها به ، ان العالم المسلم الذى تدرب فى الغرب كثيراً ما يهزم أمام استغراق التراث عليه ، الأمر الذى دفعه بقوة الى الأعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شىء حول موضوع البحث ، مع أن الحقيقة أنه هو الذى لا خبرة له بتصنيفات التراث التى تتدرج تحتها مثل تلك المسادة الملائمة لموضوعه ، كذلك فان العالم المسلم الذى يدرس فى الغرب لا يمتلك الأوقات ولا الحيوية المطلوبة للقيام باستطلاع ناجح للمؤلفات الضخمة والكثيرة التى تضم تراث العالم الإسلامى .

كذلك فان أساتذة التراث الإسلامى التقليدى على الرغم من خبرتهم لا يمكنهم أن يكتشفوا أولاً أن يقوموا جوانب الملائمة بين هذا التراث والعلم الحديث نظراً لجهلهم بتلك العلوم وعدم درايتهم بموضوعاتها ومسائلها وقضاياها ، ولا بد من تعريف الخبراء بالعلوم الحديثة وامدادهم بمثابة التلازم التى يستطيعون استخدامها فى أبحاثهم .

ولا بد من أن نقدم للمسلم المتعلم فى الغرب :

١ - صفحات من التراث فى شكل مختارات تتضمن مادة علمية بكل موضوع .

٢ - تحليل كتاباتهم على ضوء الخلفية التاريخية المتصلة بمشاكل عصرهم .

وهكذا نجد ان القضية ذات أبعاد خطيرة لم نكتشفها وربما استهنا بها ولكن الذين يثيرون الحرب على التراث يعلمون خطورته من حيث أنه سيحطم القواعد المزيفة التى يحاولون أن يقيموها من مفهومات الغرب للتراث حتى لا يستطيع التراث الإسلامى أن يصل الى غايته الحقيقية .

وهذا يفسر أيضاً تلك الدعوات الى إعادة النظر فى التراث وتفسيره تفسيراً جديداً ، هذا التفسير اما أن يكون مادياً أو ماركسياً واما خاضعاً لجذور تلمودية وهذا عمل مرغوض ولا عمر له ولا بقاء .

وهناك من يتحدث عن تراث مصرى (يهودى الذى يقوم به بعض التغريبيين : زكى نجيب محمود وطه حسين ، وعبد الرحمن الشرقاوى وغيرهم بل وكتابات كثير من المؤرخين الذين يعملون على اطفاء نور التراث وبريقه بتحويله الى مادة جامدة ووضعه فى أسلوب علمى جاف وتفسيره تفسيراً مادياً .

وهناك من يتحدث عن تراث قوى (يهودى ومسيحى وإسلامى) وهذه خدعة كاذبة فالتراث الإسلامى متصل وكل ما سبقه فهو مما وقع عليه سيف (الانقطاع الحضارى) فتوقف لأن لغته ماتت ، ولم يعد له وجود حقيقى بل ان الثقافة الإسلامية لم تعد منذ ظهور الإسلام ثقافة المسلمين بل ثقافة كل من تظلم الأرض الإسلامية قبيها وتقاليد وعادات ، فما هذه النعرات الباطلة التى تتجدد على بعض الشعوبيين باحياء مايسمونه تراثاً مات قبل أربع عشر قرناً ومايحوى سوى الأساطير والخرافات والأوهام وطفولة البشرية .

العلوم العام أكبر مما أثبتته الدراسات التي تمت حتى الآن ولا يقلل من هذه المكانة أن تعترف لمن سبقنا ولغيرنا بماله من جهد ، فمكانة العلوم العربية الإسلامية في تاريخ العلوم لا تقل عن مكانها لدى أمم أخرى ، وأثر العلوم العربية في عصر النهضة الأوروبية أوسع وأعمق من أن يتصور ليس هذا مجرد رأى أو انطباع ، وإنما هو ثمرة دراسة وبحث في هذه العلوم مدى ثلاثين عاما حاولت فيها بتتبع قصة أثر العلوم العربية الإسلامية في الغرب في عدة مجالات ، وإن كان أكثر هذه الحقائق لم تتضح بعد لمؤرخي العلوم وسيستغرق اظهارها في كتبهم وقتا طويلا . لقد قطع المسلمون مرحلة الأخذ والتمثل في وقت قصير نسبيا ، حتى اذا وصلت الى اواسط القرن الثالث الهجرى كان المسلمون قد دخلوا مرحلة الانتاج الاصيل المبتكر ، وهذا الطابع الابداعى نفذ الى جميع العلوم في سرعة وعمق وقد ظلّ مستمرا دون انقطاع حتى القرن الثامن الهجرى ومعنى هذا فان المسلمين في اواسط القرن الثالث الهجرى استطاعوا ان يطوروا ما ورثوا عن الاغريق والبابليين والهند والفرس ، وإن يصححوا هذا الموروث وإن يأتوا بقوانين ومذاهب جديدة وأن يستخدموا آلات جديدة في تجاربهم ومقاييسهم وأن يضعوا علوما جديدة غير موجودة لدى الأسلاف . وقد بدا الغربيون الترجمة من اللغة العربية الى اللاتينية وكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطرلاب وبالهندسة العملية ، ولما لم يجدوا في كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية فقد اضطروا الى استخدام المصطلحات العربية كما هي :

وهنا نكتشف حقيقة هامة هي اخطر ما يصل اليه البحث وهو انكار فضل المسلمين جملة تقول :

وقد انطلق اللاتين من مبدأ (الانتحال) فيما كان الموقف الاسلامى واضحا في اسناد الأقوال الى أصحابها ولما كان اللاتينيين قد أخذوا العلم من اعدائهم والمسلمين في الدين والسياسة فقد أدى الانتحال الى اخفاء المؤلفين الحقيقيين ، وذلك خلافا لامتبع عند المسلمين فقد كانوا يأخذون من أبناء دينهم وغيرهم دون أى مانع معنوى ثم قامت الجامعات في المدن الأوروبية ، على غير مثال أوربي ولم يعرفها الاغريق ولم تعرفها العصور الوسطى الأوروبية ، وهى ليست الا تقليدا للجامعات الإسلامية : اصولها وفروعها وبرامجها .

وقد كانت ظاهرة الانتحال تقوم على نسبة الكتب العربية الى علماء الاغريق ومن ذلك نسبة كتاب حنين ابن اسحق في العين الى جالينوس ونسبة كتاب نور الدين البطروجى في الفلك الى ارسطو .

إن فهم موقع (التراث الاسلامى) من فكرنا الاسلامى فهما صحيحا من شأنه أن يبنى روح هذه الأمة الاسلامية في نفوس الشباب المسلم بالثقفة وانيقين والايامن الخالص بأن العودة الى المنابع واستلهاهم اسلوب الأصالة والرشد الفكرى من شأنها أن تطلع فجر النهضة الاسلامية الجديدة التى قامت على اصولها الأولى منذ صيحة التوحيد المتجددة ومطالع اليقظة الاسلامية .

هذا الفهم يؤكد لنا عدة حقائق :

الأولى : أن الاسلام هو الذى قدم مفهوم الحضارة الانسانية القائمة على العدل والرحمة والاخاء البشرى وحرر الانسان من الوثنية وعبودية الانسان للانسان .

الثانى : أن القرآن هو الذى فتح امام المسلمين أبواب قوانين العلوم وسنن الحضارات والمجتمعات وهو الذى وجه المسلمين الى انشاء المنهج العلمى التجريبي وعلم المعرفة ذى الجناحين .

الثالث : أن المسلمين لم يقبلوا الفكر اليونانى والمجوسى والوثنى القديم وكشفوا زيفه وما قبلوه من المعارف القديمة حققوه واختبروه وأصلحوا ما فيه من الخطأ وما قبلوه منه صاغوه كمادة خام فى محيط فكرهم القائم على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

ومن هنا فقد تقرررت القاعدة التى قامت عليها المدنية الاسلامية خلال الف سنة وتركت أكثر من مليون كتاب من كتب التراث منها ما ذهب ومنها ما حفظته الخزائن فى الغرب وفى بلاد الاسلام . وهو ما لم يتم حتى الآن تقويمه أو التعرف على أبعاده الحقيقية فان كلمة (فضل التراث الاسلامى على الحضارة) هى كلمة ساذجة لا تتناسب مطلقا مع الآثار البعيدة التى لم يعرفها حتى الآن جيلنا لأنه لم يقدر له بعد الكشف عن مذهب هذا التراث على وجه الحقيقة وما استفاده علماء الغرب منه فى مجالات القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وما عرف حتى الآن لا يمثل أكثر من واحد على عشرة ، أى أن مايقوله الآن هو عشر الحقيقة ، وذلك لأن الغرب لا يريد أن يطلع المسلمون على حقيقة معطيائهم ولا على الحجم الحقيقى لهذا العطاء .

ويصور الدكتور فؤاد سزيمكين هذا المعنى بعد عمله خلال ثلاثين عاما فى مجال التراث الاسلامى المنثور فى مكتبات الغرب على وجه اقرب الى الدقة حين يقول : أن المكانة الحققة للعلوم العربية الإسلامية فى تاريخ

ويشير الى هذا المعنى الأستاذ موسى الموسوى يقول : دخلت العلوم الاسلامية أوروبا في عصر الترجمات واحتلت مكانا كبيرا في الفكر الأوربي ولكن أغلبية المستشرقين الأوربيين بخست ذلك وأخذت الكثير من هذه العلوم دون أن تشير الى المصدر الأساسى الذى هو الاسلام ، كان قانون ابن سينا يدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر ، وأثار الغزالي ترجمت الى اللاتينية ودخلت الفكر الأوربي وان ديكارت أخذ كثيرا من آثار الغرب نصا وروحا وأن كثيرا من آثاره التى أقام الدنيا وأقعدها فيما يتعلق بفكرة (أنا أفكر فأنا موجود) أو الأدلة التى يستند اليها في اثبات وجود الله كانت موجودة في الفكر الاسلامى .

ويضاف الى ذلك أمرين : (الأول) أن المستشار عبد الطيم الجندى كشف بكتابه الذى صدر (١٤٠٤ هـ) أن فرنسيس بيكون أخذ المنهج العلمى الذى قدمه الى أوروبا من ثنايا كتاب الرسالة للإمام الشافعى .

(الثانى) : أن كتاب (المنقذ من الضلال) المترجم الى الفرنسية وجد في مكتبة (ديكارت) وعليه تأشيرات بنقل نصوص منها الى نظريته .

ويشير الدكتور فؤاد سيزسكين الى أن ظاهرة حذف أسماء العلماء العرب وذكر أسماء علماء الإغريق ترجع الى عاملين مهمين :

الأول : ظهور التيار المناهض للعربية وقد نشأ هذا التيار في نهاية القرن ١٣ ، أوائل ١٤ م بضاوة وشدة . أنها العقدة النفسية تجاه أسماء العلماء العرب ورائد هذا التيار المناهض للعربية هو (رايون لولوس) وقد وصل إلينا أكثر من سبعين كتابا اتضح من بحثها أنها جميعا مؤلفات عربية وقد استمر هذا التيار الى أواسط القرن ١٦ م .

ثانيهما : الطموح والولع بالتفوق الحضارى فكانت

الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين تنسب الى يومنا هذا الى علماء أوربيين ومن هذا القبيل اكتشاف الحجرة المظلمة ، في النظريات وكشف المثلثات الكروية والآلة الفلكية المسماة باسم عصا التفلولى وتأسيس التجربة وهى مكتسبات نسبت دون حق الى لفى بن جرير وذاعت شهرته بها ولم يسجل أحد من الباحثين نفسه كيف يمكن لرجل واحد أن يكتشف هذه الاكتشافات الخطيرة واليوم يعرف المكتشفون الحقيقيون لها وهم من العلماء العرب .

والى جانب الكتب المترجمة فثمة وسائل أخرى لإخفاء الانتاج العلمى الاسلامى : أن الكثير من الأوربيين بعد أن أدركوا أهمية العلم الاسلامى شرعوا في الرحيل الى الشرق والاقامة به سنوات طويلة ويعلموا اللغة العربية ودرسوا العلوم وعادوا ومعهم العلم والكتب . ومن ذلك العالم الإيطالى (ليوناردو نبحور اينوس من علماء الرياضيات اللاتين تعلم العربية ودرس الرياضيات في تونس وتنسب اليه اكتشافات خطيرة في تاريخ الرياضيات ومن ذلك كوبرنيكوس الذى أخذ نظرياته عن دوران السيارات عن الفلكيين المسلمين الذين عاشوا في القرن ١٣ ، ١٤ م .

هذه الاكتشافات هى اقتباسات من الكتب العربية وثمة وسيلة أخرى لأخذ العلوم العربية وهى طريقة النقل الشفوى ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى عرف العلماء اللاتين الذين لا يفهمون العربية الانتاج العلمى العلماء اللاتين الذين لا يفهمون العربية الانتاج العلمى يستفيدون من تلك الكتب دون أن تكون قد ترجمت في أوروبا أو كُتبت وترجمت وخفيت ترجمتها على الناس . يبدو أن الأمر كان معروفا للمسلمين لذا كان عليهم في كتب الحسبة أن يحذروا بشكل رسمى من بيع كتب العلم لليهود والنصارى الا ما كان من شريعتهم فانهم يترجمون كتب العلم وينسبونها الى أهلهم وأساقفتهم وهى من تأليف المسلمين .

الباب العشرون

إسلامية الانتماء فى إطار الحلقات الثلاث

(الوطنية - العروبة - الوحدة الإسلامية)

كان من اكبر أهداف الغزو الفكرى القضاء على الانتفاء الإسلامى واحلال انتفاء قومى واقليمى ووطنى بدلا منه بحيث تتمزق الوجهة الواحدة التى ألف بينها القرآن الكريم والإسلام والدفاع عن الكيان وحماية الزمار ، والوقوف فى وجه العدو الخصم المهاجم ، ايماننا بدعوة الله تبارك وتعالى المسلمين الى الاعتصام بالوحدة والرباط فى الشغور .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ...

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) .

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ..

ومن منطلق تزييف الانتفاء الواحد دخلت الى الأمة الإسلامية مفاهيم التمزق القومى تحت أسماء العناصر العرقية والوطنية المرتبطة بالأرض والملتمسة تاريخها فى صور زائفة من تاريخ سابق للإسلام لم يعد له بعد الإسلام قدرة على البقاء ايمانا بما قرره علماء التاريخ والآثار من الانقطاع الحضارى بين ما قبل الإسلام وما بعده .

وقد حاول الغزو الفكرى والتغريب احياء نحل قديمة كالفرعونية والفينيقية والبابلية وغيرها لرد المسلمين اليها بعد انتزاعهم من الوحدة الإسلامية الجامعة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ولم تستطع أن تحقق شيئا لأنها كانت ضد حكمة التاريخ ولم يجد أصحاب هذه الدعوات وسائل أو معطيات تمكن لهم دعوتهم فقد ذابت اللغات والتقاليد والأساطير والآداب الشعبية وتوارت ولم يبق منها الا تراب مطحون من كثرة ما داسته الأقدام .

ولقد أثرت تصريحات لزعماء التبشير والاستشراق والغزو الفكرى تركيز على تزييق الوحدة الإسلامية الجامعة والتركيز على اعلاء الاقليميات والقوميات ، وقد

دفعت الرياح فى سارية الاقليمية بحكم التمزق الذى قامت به القوى السياسية الأجنبية التى سيطرت على البلاد الإسلامية منذ احتلال الجزائر ومصر والسودان ثم الشام والعراق والمغرب حين حاولت أن تنشئ لكل قطر من هذه الاقطار تاريخا مستقلا منتزعا من التاريخ الإسلامى العام ، ومفهوم قومى للغة والفكر والتربية والثقافة بعد انتزاع نظم السياسة والاقتصاد والشرعية والاجتماع واحلال القانون الوضعى والنظام الديمقراطى الغربى والمصرف الربوى . وبذلك حجت طوابع الإسلام . وبذلك خلت مناهج التعليم خلوا تماما من روح الإسلام ، وطوابع الوحدة ، وطوابع الرحمة والعدل والاخاء والايمان التى كانت سائدة فى مناهج التربية والتعليم . وحلت محلها مفاهيم أخرى وافدة قائمة على قيم مادية تفرض الصراع والتنازع حول مختلف أمور الحياة وخلا المجتمع الإسلامى من طوابع الحياء والغيرة ورعاية الأسرة وحماية المرأة وظهرت صور جديدة من الاباحيات والخمر والتحلل والفساد الاجتماعى بانتشار (روائع) الأدب الأوربية القائمة على الكشف والجريمة وهكذا دخلت البلاد العربية فى دائرة الاقليمية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية ، وسقوط الخلافة وانفصال تركيا عن الإسلام وفى هذه المرحلة عمل النقوذ الأجنبى على حرب الوحدة وتشجيع الثغرات القومية والوطنية . ودعم الحركات الانفصالية التى عملت على تهئية الجو لهدم الخلافة الإسلامية وقد بالغ الاستعمار فى تقطيع أوصال العالم الإسلامى ولاسيما دولة الخلافة ، وبذلك تحطمت الوحدة الإسلامية وتجرأ الكماليون على الغاء الخلافة واقامة دولة علمانية فى تركيا وتبعمهم اشياعهم فى العالم الإسلامى . وكان سقوط الخلافة عاملا من عوامل هدم الوحدة وتاكيد الحواجز والحدود بين المسلمين بالتاريخ .

« واهتم المستعمرون بالتاريخ لتأكيد الفوارق بين المسلمين وتمزيقه الى تاريخ اقليمى وقومى ، وتفريغه من قوته

فقد عجزت أن تحقق شيئا لأنها كانت تجرى ضد التيار .

لقد تبين بعد هذا الدشد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية فشل هذا الجهد وفساده ، لأنه لم يكن منطلقا من منطلقات الأصالة والنباع ومن روح الاسلام الحق ومفهومه للعلاقة بين العروبة وبين الاسلام .

لقد كانت الدعوة الى الوحدة عاجزة عن استيعاب مضمون الاسلام فكرا ، فضلا عن انغلاقها فى وجه الامتداد الاسلامى خارج البلاد العربية وكان واضحا أن الذين رسموا الخطة هم خصوم للعرب والمسلمين جميعا وانهم انما كانوا ينقلون معركة التجمع الاسلامى للجهاد وتحرير فلسطين الى معركة وهمية والى دعوة باطلة .

ولقد تبين من هذه التجربة الخطيرة حقائق كثيرة أهمها أن العروبة لا يمكن أن تكون المرحلة على طريق الوحدة الاسلامية شأنها فى ذلك شأن الاقليمية فاذا استغلت لتكون هى منهج حياة عجزت عن تحقيق ذلك وفشلت تماما ..

وهذا ما أكدته أبحاث الباحثين الغربيين الذين تصدوا لدراسة هذه الظاهرة وفى مقدمتهم ليوناروبانيدر فى كتابه (الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط فقد استطاع بدراسة المد الذى تعالى به تيار العروبة (١٩٥٥ - ١٩٧٠) أن يصل الى الحقائق الأساسية الآتية :

أولا : انها من صنع الاستعمار للقضاء على الوحدة الاسلامية واقامة الوطنيات والقوميات والاقليميات فان حركة النضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الحقيقية من مفهوم الاسلام الاصيل فى الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانيا : ان القوميات التى فرضتها القوى العسكرية فى المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل فى سبيلها من مال وانفق من دعاية وماجرى من كتابات لاقتناع الأجيال الجديدة بها

ثالثا : ان العالم الاسلامى لم يقبل الديمقراطية بمفهومها الغربى المخالف لمفهوم العروبة ولم تكن القومية أحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لاختفاء الأيدي المخضبة بالدماء والأنياب والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعا : ان التعارض بين الدين والقومية فى الغرب شئ مستمد من مفهوم الدين فى الغرب ، أما الاسلام فانه

المعنوية التى ترفع روح العزة وتجمع قلوب المسلمين ، وعمدوا الى تفسيره بالمنهج المادى للقضاء على روح الايمان والقوة المعنوية فيه وعلا صوت التاريخ القديم قبل الاسلام وبذلك أصبح لكل شعب تاريخه المتميز ومفاخره الخاصة ولم يعد الاسلام الا عابر سبيل فى عصم من العصور التاريخية اتى مر بها الشعب وسطا التوميون والوطنيون على التاريخ الاسلامى وما فيه من بطولات وأمجاد تركوها نهبا من الأقوام والبلدان بعد أن سلبوها هويتها الاسلامية فاذا البخارى تركى وطارق ابن زياد بربرى وصلاح الدين كردى فقد أعادوهم الى الجنس والولد مع أنهم ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية لم تصنعهم قومية معينة ولا يد معينة ولكن صنعهم مفهوم القرآن ومنهج الاسلام .

وآثار الغزاة فكرة الأحزاب فمزقوا المسلمين الى اشتراكى وديمقراطى وتقدمى ووطنى وثورى ومحافظ ويمين ويسار .

(٢)

هذه مرحلة الاقليميات التى ركزت على فصل البلاد العربية فى كيانهم لها فلسفتها الخاصة المنفصلة عن الاسلام والمرتبطة بتاريخ قديم عملوا على احيائه عن طريق الحفريات الأثرية .

ولكن الروح الاسلامى العميق المستكن فى الأعماق لم يلبث أن تشكل فى صورة أخرى عندما خفت وطأة الاحتلال فقد بدأت الدول المتجاورة فى التعارف مرة أخرى يجمعها ايمان بالعروبة التى حمت رسالة الاسلام الى كل مكان فى هذا الكوكب فكان هذا التنادى بالعروبة وهو نداء يضمهر روح الاسلام ، فكرا ووجودا تاريخيا وجغرافيا .

ولكن الدعوة الى العروبة التى كانت تتحرك فى اطار الاسلام منبعثة من الأرض الى القوم الى الفكرة جرت المحاولات لتزييفا فأدخل الى مفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام تفسيرا عامانيا مسمما بضم التجربة الغربية فى علاقة القوميات فى أوروبا بالوحدة المسيحية وكأنها نموذجا للحركة العربية .

واستغلت صيحة الدعوة الى القومية العربية وانتزعت مفهوم الغرب ومن ثم عجزت عن أن تحقق هدفها لأنها بدت متعارضة تماما مع الوجدان الاسلامى العربى ، وبالرغم من الفرص الواسعة التى أتاحت لها

لا يعارض القومية بل يهذبها ويضعها في صيغة أخرية مفتوحة .

خامسا : ما تزال العقيدة الإسلامية قادرة على أن تغير كثيرا مما يفرض وتحطم كثيرا مما يقنن وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

ونحن اذا راجعنا تاريخ فكرة القومية وجدناها فكرة وافدة جاءت من أوروبا أول من نادى بها نابليون في مصر في محاولة لابعاد مصر والشام عن الدولة العثمانية وأشعار العرب بأنهم مختلفون عن الأتراك وجاء محمد علي وإبراهيم باشا ورفعوا نفس الشعار واستسلم للدعوة بعد ذلك الشباب العربى المسيحى ابتغاء تفويض الخلافة تحت شعارات مأكرة وكان للمدارس التبشيرية أكبر الأثر في تعميق هذا المفهوم .

وهكذا نجد أن الأقليات هي التي قادت هذه الحركة وكذلك كانت هذه الأقليات دعاة الاشتراكية والثورية والماركسية بهدف ضرب الاسلام .

ويقتضينا الانصاف أن نقول ان الفكرة القومية كانت — كما كانت الفكرة الوطنية في مرحلة من المراحل من عوامل مقاومة الاستعمار ، ولكن الخطر هو أن الأيدي المغرضة حمايتها لتجعلها قضية قائمة بذاتها من ثم أصبحت حاجزا دون اكتمال الدائرة بالاندفاع الى الطرقة الطبيعية والى المرحلة التالية وهي الاسلام .

وقد أشار ارنولد توينبى الى أن الشعوب الملونة أخذت الديمقراطية ولكنها لم تفهمها جيدا ، ونحن نرى أن هذه الشعوب أخذت القومية ، كما أخذت الاشتراكية ، بغير أن تضع لنفسها وجهة واضحة إزاءها ولقد قال محمد اقبال : ان الانسانية لا تستريح أبدا ما دامت تسودها نظرية القومية المشؤومة التي تقطعها اربا اربا بحيث لا يكاد الصدع يلتئم فضلا عن أن القومية تقيم الحواجز ضد تنقل المنتجات والأموال والصناعات .

(٣)

ومن يراجع تاريخ العالم الاسلامى في مواجهة القومية يجد أنها من المؤامرات الخطيرة التي حاولت أن تفسد الوحدة الإسلامية والمفهوم الاسلامى حتى في البلاد التي ليس فيها أديان أخرى كالبالكستان مثلا أو تركيا .

ويرى كثير من الباحثين أن القومية العربية (بمفهومها الغربى) كانت وليدة الصهيونية والنفوذ الغربى والصهيونية التي تعاونت منذ فجر هذا القرن لتدمير الخلافة العثمانية بهدف اقامة دولة إسرائيل على انتقاضها .

ومن هنا خفت صوت الفاهمين للعروبة في اطار الاسلام بل اختفى تماما ولم يبق في الساحة الا أصحاب المفهوم الوافد ، من أولئك الذين يقولون ان العروبة دين القوميين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الاسلام وقبل المسيحية ، ويبالغ دعاة القومية الوافدة فيرون أنها يجب أن تنزل من قلوب العرب اينما كانوا منزل وحده الله من قلوب المؤمنين ، ويقول احدهم : ان القومية العربية هي نبوة هذا العصر .

وهكذا نرى أن دعاة القومية كانوا يطمعون في أن تحل العروبة في قلوب الناس محل الاسلام لتكون ديانة وعقيدة وفكرا وفلسفة مستقلة بذاتها كما يقول عم فاخورى (الينهاض العرب الا اذا جعلوا العروبة والقومية عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها خاصة الاسلام) (كتابه : كيف ينهض العرب) .

وقد فتحت القومية أبواب الدمار على المجتمع الاسلامى ، لأن تمزق المسلمين بالقوميات والاقليميات افسح لقومية يهودية الطريق لتسيطر في فلسطين ولظهور نحل وأقليات أخرى ذات تاريخ قديم معروف بعداؤه للاسلام السننى ومن ثم ظهرت تلك التعاقدات بين المارونية والصهيونية وبين البعث والنصرية وغيرهما .

وهكذا يتجدد تاريخ الحروب الصليبية والتتار والحشاشين على نحو جديد له كل عوامل الخصومة للاسلام من النحل والفرق والامتليات .

(٤)

ان دعاة القومية يقيمون أيديولوجيتهم على وضع متعارض تماما للاسلام بل ومتناقض معه أساسا فهم يتبنون المفهوم العلمانى الغربى من ناحية والمفهوم الماركسى من ناحية أخرى ويخلطون بينهما خلطا يجعلهم في موقف العداء مع الاسلام والحرب له .

فدعاة القومية العربية متفقون تمام الاتفاق في موقفهم من الدين بعامة والاسلام بصورة خاصة فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ويعتبرون الدعوة الى

ترابط الدين والدولة دعوة رجعية ويحرصون على علمنة الدولة وعلمته قوانينها ، كل ذلك تقليدا وانسياقا مع الخط الذي سلكته الحركات القومية في أوروبا وبخاصة الثورة الفرنسية .

وهم بذلك يتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين في الغرب وبين مفهوم الاسلام فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمادة ، تتربط فيه القيم الاجتماعية والسياسة الاقتصادية ويربط بين الدين والعلم وليست له خـلافاـت كـتـلك الخـلافاـت الـتى قـامت بـين المـسيحية فـى الغرب وبيـن العلم او بيـنـها وبيـن الدولة . ذلك ان فكرة فصل الدين عن الدولة في الغرب نشأت نتيجة ظهور سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية الاقتصادية وتأثيرها في الحكومات المختلفة بل وقيام حكومات رجال الدين : الحكومات الشيوقراطية التى لم يعرفها الاسلام وهم يتجاهلون أن تاريخ الاسلام لم يشهد قط أى صراع بين علماء الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فى الاسلام أصلا فئة متميزة تدعى رجال دين والاسلام يعتبر كل فرد من أفراد رجل دين اذا تحققت فى نفسه وسلوكه تعاليم الدين كما أن الاسلام لا يفرق فى الوقت نفسه بين الدين كعبادة والدولة كحكم بل يجعلها سببا لعلّة واحدة هى اظهار الحق :

(الذين ان مكانهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمـور) .

فلزوم التمكين فى الأرض بالحكم والسلطان والدولة غاية اقامة حكم الله والعكس بالعكس ، ولقد كان من الضرورى أن يفرق بين واقع الاسلام وتاريخه وواقع المسيحية وتاريخها ولكن وضعت القضية على المشابهة مع الاختلاف العميق ، ولعلمهم يعلمون ولكنهم يغفلون .

(٥)

خير من حدد العلاقة بين الحلقات الثلاث (الوطنية - العروبة - الاسلامية) وترابطها هو الأستاذ الامام الشهيد حسن البنا امام اليقظة الاسلامية المعاصرة حيث يقول :

« ان رابطة العقيدة هى اقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض وان فكرة القومية تذوب امام فكرة الأخوة الاسلامية التى يبثها القرآن فى نفوس من يعتقدونه جميعا ، ولكن اذا كانت الوطنية حب للوطن الذى ولدنا

فيه وحفيظنا اليه واختصاصا له بالخدمة ، فان الاسلام يحتضنها بل ويعتبرها جزءا من منظومة فكرة السياسى فقط يحذر أن يكون جذورها قاصرة على الاقليم الضيق الذى ولد فيه ، اذا كانت الوطنية حب هذه الأرض والفتها والحنين اليها والعطف نحوها فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة وما يأمر به الاسلام من جهة أخرى ، فقط يطلب منا الاسلام الاتقف بحدودها عند حدود الاقليم الصغير الذى ولدنا فيه فلقد وسع الاسلام حدود الوطن ليشمل القطر الخاص أولا ثم يمتد الى الاقطار الاسلامية ثم يرتقى الى الامبراطورية الاسلامية الاولى ، ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جميعا . وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للانسان جميعا ..

« والمثل التطبيقى لهذه الحلقات والدوائر التى تبدأ بالدائرة الوطنية والدائرة العربية فالدائرة الاسلامية ، أن مصر قطعة من أرض الاسلام وزعيمة أممها ، وفى المقدمة من دول الاسلام وشعوبه .

« المصرية او القومية لها فى دعوتنا مكانها ومثلتها وحقتها فى الكفاح والنضال ، اننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون فى سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيننا معتقدين أن هذه هى الحلقة الاولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وانها جزء من الوطن العربى العام ، واننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام والعروبة لها فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحقتها الوافر فالعرب هم أمة الاسلام الاولى وشعبه المنخرى وفق مقالته صلى الله عليه وسلم : (اذا ذل العرب ذل الاسلام) ولأن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية وتهضمتها ، ونحن نعتقد اننا حين نعمل للعروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله ، والقرآن عربى ، وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة افضل القربات الى الله وتلك هى الوسيلة العملية التى وحدة اللسان بعد وحدة الايمان .

« والعرب هم عصبه الايمان وحراسه ، ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لا بد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لآحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها » .

« الحلقة الاولى الوطنية ، والحلقة الثانية : الوحدة العربية ، والجامعة الاسلامية هى الحلقة الكبرى والسياسى الكامل للوطن الاسلامى العام ، لا تتعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها » « فالاسلام يعتبر المسلمين جميعا

أمة واحدة ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا ولايتنكر للوطنية ولا للقومية بل يرى الجامعة الاسلامية ثمرة تلى الدائرة القومية والتي تلى هى الأخرى دائرة الوطن الذى نشأ فيه المسلم .

« فقط ينكر الاسلام ويستنكر القومية اذا عنت العصبية الجنسية والفخر الكاذب ، أما اذا عنت بالاعتزاز والمزايا والتاريخ مما تحتاج اليه الامم الناهضة مندمجا تواجه التحديات التى تحول بينها وبين النهوض » .

وهكذا وضع الأستاذ البنا قاعدة الانتماء فى حلقاته الثلاث التى تتكامل وتصل الى الغاية من اقامة الوحدة الاسلامية العالمية ، لا أن تنصهر فى مذاهب الاقليمية أو الاممية المعاصرة التى يدعيها الغربيون والصهيونيون والشيوعيون وكلها ذات ولاء وافد .

واذا راجعنا نظرية الأستاذ البنا الآن بعد خمسين سنة وبعد تجربة القوميات التى خاضتها البلاد العربية رأينا أن الأمر يكشف عن حقائق كثيرة ويقدم تحفظات كثيرة ازاء المحاولات المتجددة للدعوة الى القومية العربية بمفهومها الوافد المفرغ من عنصره الاسلامى الاصيل ونحن نطالب الآن بدعوة ذات أصالة تضع العربية فى مكانها الصحيح من الوحدة الاسلامية كمقدمة لها ومنطلق اليها ، بعد أن أثبتت التجربة أن الذين قاموا بالدعوة الى القومية لم يكونوا مؤمنين بقاعدة الحلقات الثلاث المترابطة ولم يكونوا ينظرون الى العربية على أنها حلقة من حلقات الوحدة الاسلامية العامة ، فضلا عن أنهم بالغوا مبالغة خطيرة فى اعلاء القومية على نحو العنصرية ، اعلاء بلغ بهم الى الحد الذى أنكره الاسلام من العصبية واستعلاء العرق والدم الذى جاء الاسلام للقضاء عليه .

ولقد تقرر فى فجر البيضة الاسلامية : أن الاسلام وطنية المسلم وقوميته ، وأن العربى منذ اليوم الاول حين اسلم أصبحت حساسته وعصبية الاسلام لا لقبيلته ولا لغيرها ، يحمى أرض الوطن لأنها نبضة الاسلام ، لأنها المسجد ، فالمسلم مسلم أولا وعربى ثانيا .

(١٦)

العلاقة بين العربية والاسلام قضية دقيقة يجب أن تتناول من منطلق عقائدى صادق الايمان بالاسلام نفسه ، بعيدا عن مغالطات التوميين الزائفة ، وعلى نحو اصيل بعيد عن الظن والخداع .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : لقد ارتبطت العربية بالاسلام منذ انشائها ونمت وتطورت ونضجت داخل اطاره دون أن يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان السماوية الثابت المحدد وقد جعل لها الاسلام شخصيتها المتميزة والعرب اليوم هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى وبحكم تجمعها وتلاصقها فى حيز مكاني واحد لا تقوم بين أجزائه فواصل طبيعية وهم بحكم التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة مهئون لأن يكونوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وهو ما يطلق عليه (عربية اسلامية) والمسيحيون الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا فى ظل عروبة لا دينية لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين نحو عصبية تحطم وتعتدى وتظلم والخطر هو أن ينجم جيل من المسلمين يجهلون الاسلام فى ظل العروبة اللادينية . كما حدث فى الحكم العثمانى بعد عزل عبد الحميد (أى فى ظل الاتحاديين) .

أما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع المسيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقفون تحت تأثير ماتوهوميه من أن النهضة الأوروبية الحديثة كانت .. للرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية وهو وهم لا يثبت للتمحيص فالحركة الدينية البروتستانتية التى تهدت على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من أصابع الصهيونية وكان همها الأول هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت اكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العداء والبروتستانت اليوم هم اشد الطوائف المسيحية عطفًا على الصهيونية وأكثرها مساندة لهم ماديا ومعنويا ثم ان ازدهار الذى حققته فى أوروبا لم ينتفع به أحد ، كما انتفع به اليهود فى جمع الثروات فى أيديهم والسيطرة على شئون السياسة والاقتصاد مما اقتسح الطريق أمام دعوتهم الى نشر الاتحاد والاتحلال الذى ينفذون منه الى السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها هذا كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان وهى شعارات لم ينتفع بها غير اليهود ولم ينتفع بها زنوج أمريكا وقد اعترفت عزيز ميرهم (السياسة الاسبوعية ١٩٢٦) بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا واطاليا هم الماسونية وأن زعماء الثورة الفرنسية كانوا من الماسون وأنهم هم الذين وقّعوا الشعار (حرية - اخاء - مساواة) وأن تركيا نالت دستورها بفضل محافلهم .

والنهضة الأوروبية انتهت الى تفتيت الجامعة

الأوربية المسيحية وتقسيمها الى دول شتى لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المستقلة .

ويصل الدكتور محمد محمد حسين من هذا الى عمق الفوارق بين مفهوم القومية في الغرب وحلقاتها التاريخية وبين مفهوم (العروبة الاسلامية) ومصادرها الحقيقية ، وهى حلقة سابقة ومؤهلة وموسدة للوحدة الاسلامية اساسا وليست منفصلة بنفسها أو مؤمنة بفلسفات الاستعلاء القومى الغربى وهى تغير وحدة التاريخ الاسلامى ووحدة اللغة ووحدة العقيدة منطلقها الحقيقى وأبرز ما تحالف فيه الغرب أنه لا يوجد فى أفق الاسلام جهازان يتنازعان السطة دینی وسياسی كما لا توجد سلطة دينية متحركة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهاية القرون الوسطى ولقد كانت مختلف العناصر تساهم فى التطور الحضارى على مدى القرون والأجيال : وخاصة العناصر العربية غير المسلمين لم تجد هذه العناصر غضاظة فى بناء الحضارة الاسلامية فالاسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتنا الدينية ويحظر التضييق عليها أو ممارسة أى كون من ألوان الضغط عليها لحملها على ترك دينها ونصوص القرآن الكريم فى تأمين اليهود والنصارى ورعاية حقوقهم واضحة جلية والدليل الناصع على أن المسلمين اتبعوها على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول وعملوا على انصاف أهل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وكنائسهم وأعراضهم .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن البلاد العربية ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام بل ان عروبتهما فى الحقيقة تتبخر عن اسلامها ، هذه العروبة لم تحدثها الا من طريق الاسلام وبسبب ذلك ان الاسلام دعا المسلمين أن يحبوا العرب ويلتفتوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغة جامعة تشملهم .

وعن النبی صلى الله عليه وسلم فى المستدرک :
(من أحب العرب فبحبى أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم) وقوله : (أحبوا العرب ولقاتهم فإن لقاتهم نور فى الاسلام وإن فناءهم ظلمة فى الاسلام) وقوله : (إذا ذلت العرب ذل الاسلام) وقوله : (إن العرب واحد وإن الأب واحد وإن الدين واحد ، من تكلم بالعربية فهو عربى) .

وهكذا نرى أن الاسلام هو الذى أعطى العرب لغتهم ووحدتهم عليها وعلى القيم التى تضمنها كتابه وسنة رسوله فالتفت قلوبهم وعقولهم وأزمتهم على ما يحلون وما يحرمون وما يحبون وما يكرهون .

وهكذا كانت العلاقة بين العروبة والاسلام فمتى نشأت الفرقة ؟ .. جاءت الفرقة حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية ، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من الدولة العثمانية واتخذت الدعوة شكلا ثنائيا هو بعث التراث العربى وإنشاء صحافة ومشرح عربى وأن تكون العربية لغة الدواوين والقضاء والتعليم بدلا من اللغة التركية لقد نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد طائفة لهم صلة بدعاة المذهب الانجلي البروتستانتى من الأمريكان : الشرباق ، البستانى ، البازحى ، سليم تقلا ، جرجى زيدان .

كانت الجامعة الاسلامية هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلعب سلاطينها بلقب الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (١٦ الميلادى) وقد زاد نفوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منذ أخذ السلطان عبد الحميد يدعمها ويدعو الناس الى الالتفاف حول رايته ، والاعتصام بها فى وجهه الاطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر الوقت الملائم لاقتسام املاك هذه الدولة .

وكان هناك فريق ثان واقعا تحت تأثير الدعوات الاسلامية كان يرى التفرقة بين الخلافة والسلطنة ، ويجعل الخلافة فى العرب ، السلطنة فى الترك وحجتهم فى ذلك أن العرب هم أقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه وكان ذلك اى الكواكبى واضحا فى كتابه (أم القرى) وابتدعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية .

وكان هناك فريق ثالث واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوربا فى القرنين ١٨ ، ١٩ وكانوا يتصورون الجامعة تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين وهمهم الأول : إنشاء دولة عربية مستقلة على النمط الغربى : الديمقراطية والمجلس النيابى ويتوسلون بها الى إنشاء دولة عربية كبرى مقصورة على الجناح الايمن لما تسميه الآن بالعالم العربى ، أى القسم الآسيوى وحده ، وكانوا واقعين تحت نفوذ الفكر المستمد من كتاب الثورة الفرنسية ومفكرها ومن غلاسفة عصر النهضة الليبرالية فى أوربا الذين ولوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية هذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غلاة القومية من الترك الذين يدعون الى القومية الطوباوية اذ كان أكثرهم منضمين الى حزب الاتحاد التركى هكذا نشأت فكرة القومية مثابسة بمفاهيم وأفدة كان هدف النفوذ الأجنبى والصهيونية أن تصبح حقائق

مسلمة ، ومن ثم جاءت الموجبة التالية موجة ساطع
الحصرى وميشيل غفلى ، التى قدمت مفهوم القومية
العلمانية المتبسة بالاشتراكية والماسونية وغيرها .

وكان هذا الاتجاه هو التيار الذى سقط ستوتا
شنيعا لأن الوجدان العربى لم يقبل به ، وبذلك انفسح
الطريق للمفهوم الحقيقى : مفهوم الأصالة القائم على
حلفات الوطنية والقومية والجامعة الاسلامية .

(٧)

ونصل الآن الى مصر الاسلامية : ما موقفها في
قضية الانتماء :

لقد كانت مصر المعاصرة بكل ما تحمله من تفوق
فكرى او مركز قيادى او مكانة اجتماعية هى من عمل
الاسلام ، فالاسلام هو الذى اعطاها كل هذا الفضل
الذى تتميز به ولم تعطها التراثات التاريخية من قبله
الا امتدادها بالحنيفية السمحاء الى الدين الخاتم ، أما
ما سوى ذلك فان ذلك التاريخ القديم لم يلبث الا قليلا
حتى ذهب وذهبت معه اللغات القديمة ووقع ذلك
الانقطاع الحضارى الذى اقتره علماء التاريخ ولم تعد
الفرعونية الا مرحلة من مراحل الوثنية وعبادة الاصنام
وكل محاولة اليوم لبعث هذه الفرعونية فانا لا نجد من
الوسائل التى تعتمد عليها الدعوات شيئا ما تستطيع أن
تستند عليه .

ان تراث الوثنية الفرعونية قد قضت عليه
المسيحية المنزلة وقضى عليه من بعدها الاسلام وليس
هناك شيء مما يعز به تاريخ الفرعونية الا وهو من
أحمد مصدريين :

نبوءة ابراهيم الخليل الحنيفية ، وتراث الأديان
المنزلة او من ميراث العرب الذى جاء الفراعنة منهم
موجة من موجات الهجرة من الجزيرة العربية ، شأنها في
ذلك شأن موجات الفينيقية والآشورية والبابلية وغيرها
من الموجات التى تحاول أن تستعلى بنفسها عازلة نفسها
عن مصدرها الأصيل .

واذا كان هناك بعض الذين يعملون في الصحافة
والإذاعة من يروجون بتأمر من قوى خارجية لما يسمى
(الايتولوجيا) وهى المصرية القديمة : بحسبانها عقيدة
او لغة ولكن هذا كله هباء ، بعد أن قطعت مصر تلك

المراحل الواسعة على طريق العروبة والاسلام واصبح
لا يقضى أمر في هذا الوطن العربى أو العالم الاسلامى من
دونها وهو خيال ضال بعد أربعة عشر قرنا في طريق
التوحيد واصبح فكرها الاسلامى ولغتها العربية هو فكر
المواطنين جميعا وتراثهم جميعا ، وبعد أن ثبت بما لا يدع
مجالا للشك لأصحاب الأهواء ممن حاولوا ذلك من
المؤرخين ، ان هناك (انقطاع حضارى) لا سبيل الى
تجاوزه الى ما تذلزل رسالة الأديان من الوثنية مرة أخرى
أو أن ما تبقى من شظايا قليلة الأهمية مما يحاولون بعثه
وتجديده يمكن أن يشكل تراثا أو لغة أو ثقافة ، أو أى
مظهر من مظاهر الارتباط أو ما يمكن أن يكون عاملا من
عوامل الأحياء ، ولقد جاءت المسيحية يوم جاءت تهدم هذا
التراث الوثنى وقد حاربتة ثلاثمائة عام وقدمت في سبيل
هدمه الوفاء الشهداء والضحايا لتقرر كلمة التوحيد الحققة
التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ثم جاء الاسلام
فيقتضى على هذا التراث نهائيا .

ولكن ليس معنى هذا أن نغض الطرف عن الآثار
الفرعونية فهى مقخرة من مفاخر هذا الجنس العربى الذى
جاء من الجزيرة العربية وعرف الإيمان بالله وكانت الموجة
الفرعونية أصلا صادرة من جزيرة العرب وهى تمثل
محطة ضخمة من مراحل الحضارة والتقدم ، وقد أثبت
القاموس الذى أعده أحمد كمال باشا أن أغلب الكلمات
الفرعونية ذات أصل عربى ومثل هذا يقال في الموجات
الفينيقية والآشورية والبابلية والبربرية وذلك تحقيق
تاريخى استغرق أعاما وأعواما حتى قبلت فيه كلمة
الحق بعد أن استغاثت مؤامرات الفزوة الاستعمارية
والثقافية في الثلاثينات .

ويقول الأستاذ أحمد بهجت : لقد اختارت مصر
الاسلام والعروبة منذ ما تقرب من ألف سنة ولعبت
دورها كأمة مسامة عربية على امتداد الألف سنة .

هل تنتمى مصر الى الملك رمسيس الثانى أم تنتمى
الى عروبته واسلامها ؟ هل ممكن أن يفخر أحد المصريين
اليوم بانتمائه الى المومباوات المنحلة ويجوز الدجل
الفرعونى المثاله ، هل يفضل أحد هذا على نظافة
العقل المسلم ودوره كخليفة لله في الأرض ، أن عروبة
مصر واسلامها حتمية واقعية الى جوار أنها واقع تاريخى

وبعد فإن المستقبل هو الوحدة الإسلامية ، وعودة الخلافة .

فالاسلام دين عالمي ، والشعوب الاسلامية بصرف النظر عن الجنسيات والقوميات واللغات انما هم اخوة في الكفاح المشترك من أجل نشر تعاليم الاسلام والدفاع عنها وتطبيقها والقضاء على الاضطهاد والاستعباد والتفرقة واستغلال الانسان للانسان والشعوب للشيوع الأخرى ، ولذلك فإن الطريق بعد سقوط الاكليات وفشل القوميات هو الوحدة الإسلامية الشاملة وفي سبيل الطريق الى وحدة شاملة يجب كسر

حواجز التغريب والغزو الثقافي والمخططات التلمودية الصهيونية واليهودية والماركسية والعلمانية وما يواجه الى العقيدة والتاريخ والسيرة واللغة العربية والقرآن من شبهات ومحاولات لاثارة الشكوك والمنهج الاسلامي هو العامل الأكبر في جمع المسلمين الى وجهة واحدة . ولأن من كسر قيود القانون الوضعي والمنهج الربوي وعلمانية التعليم وكل ما يطرح في أفق الفكر الاسلامي من فلسفات مادية ضالة . لا بد من تجلية العلاقة بين الديمقراطية الغربية والشورى في الاسلام وما بين الاشتراكية والعدل الاجتماعي وما بين القومية الغربية والعلاقة بين العروبة والاسلام ولا بد من التحرر من المنهجين الشيوعي والراسمالي لأنهما غريبان عن الاسلام والعالم كله يتقرب اليوم منهجا جديدا وليس سوى الاسلام .



الباب الحادى والعشرون

أسلمة المصطلحات المعاصرة

الفصل الأول

مدخل إلى البحث

بميزان الاسلام والعادل ونقيسها على محك الشريعة
الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال ما لا يصلح منها
بمصطلحات اسلامية أقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن
أخلاقياتنا .

ويجب أن تكون هناك قواعد أساسية في النظر الى
المصطلحات الوافدة أهمها الفوارق العميقة بين الفكر
الاسلامى والفكر الغربى فكلمة ليبرالية التى يترجمونها
بالحرية لها في الغرب مفهوم مختلف وكذلك الديمقراطية
التي يترجمونها بالشورى في الاسلام ، هناك فارق كبير
بين المصطلحين .

وهناك مفهوم (الخطيئة) المرتبط أساسا بمفهوم
المسيحية في نظرية فداء السيد المسيح للبشر ، وهو
مفهوم لا يقره الاسلام وعن الخطيئة ينتشر فكر
وقصص لا حد لاضطرابه وهو في ميزان الاسلام له
مفهوم مختلف .

كذلك فانه لغلبة النزعة المادية في الفكر الغربى
فهناك مصطلحات مختلفة لا يعرفها الفكر الاسلامى مثل
أدريه ، ولا بيك ، والاعتراب ولمصطلحات أخرى مفهوم
مختلف ومتميز . فالعقلانية في الاسلام جزء من تكامل
جامع للعقل والروح ، والتطور في مفهوم الاسلام مرتبط
بالثوابت وفي الفكر الغربى قائم على مفهوم التحول
الدائم .

وهكذا دعا الخلاف بين مفهوم الاسلام القائم على
التوحيد الخالص واسلام الوجه لله والايمان بالوحى
والنبوة وبين مفهوم الفكر الغربى المرتبط بالوثنية اليونانية
والعبودية الرومانية والتثليث المسيحى الى خلافات
عميقة ..

من القضايا الكبرى التى تواجهها يقظة الفكر
الاسلامى هى أسلمة المصطلحات المعاصرة والتحرر من
التبعية لها في نطقها ومضمونها الوافد ، وكذلك فعل
المسلمون في العصر الأول عندما واجهوا تراث الحضارات
القديمة ، وكذلك فعل الأوروبيون عندما ترجموا تراث
الاسلام العلمى ، ايماننا بأنه لا يمكن فصل المصطلحات
عن ملابساتها الفكرية التى تومىء اليها ولا يمكن نقلها كما
ننقل ألفاظ الاختراعات والعلوم .

ويقول الدكتور حسن الشرفاوى : ان تطبيق
المفاهيم الغربية وفرض مناهجها عسفا على الأمة
الاسلامية في مجال العلوم الانسانية هى بمثابة عملية
غزو فكرى يحمل في طياته اضرارا مادية وخلقية بالغة
الخطورة .

وتكمن خطورة العمل بالمصطلحات الغربية عن
الاسلام وتطبيقها في مجالات العلوم الانسانية في توجيه
الفكر توجيها بعيدا عن القيم التى تتبناها الأمة والمفاهيم
التي تمثل ثقافتها ومثلها وأخلاقها ، ولا شك أن مفاهيم
الغرب تنبع من نظرة مادية وعلمانية تفصل بين العلم
والدين وتستثنى أصولها من موقف الحادى لا يعترف بالله
تعالى ربا وخالقا .

وقد أصبح تزويد هذه المصطلحات بوعى أو بغيروعى
أمرا مألوفاً لدى غالبية المتعلمين تبدو في عملية التأثير
بالسلوك الأخلاقى الغربى ومن ثم في اتباع أسلوبهم في
التفكير والمنهج والحياة .

ومن هنا كانت ضرورة النظر الى هذه المفاهيم
الغربية نظرة الفاحص اللبيب لا نظرة المفكر ، علينا
أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته في حجمها الطبيعى ونزنه

واخطر هذه المصطلحات : مصطلح (الشيوعية) الذى لم يعرفه الاسلام وهو مذهب يقوم على سيطرة رجال الأديان على الحكم ، وهى دعوة قائمة على نظرية الحق الإلهى الذى يعتبر الميثاق الإلهية مصدرا للسلطة الزمنية .

والاسلام لم يعرف هذه الحكومة فى تاريخه ، كما لم يعرف الخلاف بين الدين والعلم كما عرفته أوروبا ولذلك فإن مقايضة الفكر الإسلامى على هذه المواقف التى حدثت فى تاريخ الغرب هى مقايضة باطلة .

كذلك فإن هناك تفسيرات باطلة لمصطلحات إسلامية ، كموقف الاستشراق والفكر الغربى مثلاً من (المعتزلة) فالمعتزلة فرقة إسلامية من فرق المتكلمين والعقائد ، دافعت عن الإسلام فى وجه المحاورات المسيحية الكلامية ولكنها انحرفت بعد واستعلت عن وجودها الطبيعى فى إطار الإسلام ، ولذلك فالمسلمون لم يقبلوا منها وأعادوها الى موقعها الطبيعى من المنظومة الإسلامية الجامعة لكل عناصر الفكر وفرقه .

ولكن المستشرقين شاعت لهم خصومتهم للإسلام أن يصفوهم بأنهم أغارقة الإسلام ، كذلك أعلنوا من شأن التصوف الفلسفى الذى يختلف مع مفهوم التوحيد الخالص .

وسيطرة المصطلح الغربى هى التى حملت الكتاب الى اعلاء مايسمى (بالعقلانية) فى محاولة للتقليل من شأن الوحي أو النقل وهو (القرآن والسنة) ومن ذلك قولهم أنه إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وهو مفهوم خاطئ فإن العقل أداة فحسب أما الوحي فهو الضوء الذى يكشف الطريق أمام العقل ، والعقل متغير اى رأى . أما الوحي فثابت ومن مصطلحات الماركسية : فكرة الحتمية وهى جزء من مفهوم المذهب المادى وهى أن العالم مسير لا مخير ، وكل ما يقع فى العالم من أحداث هو من عمل الإنسان ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعا فلا اختيار ولا ارادة ومن ذلك القول بأن أبطال التاريخ تنشئهم الظروف الاقتصادية (نابليون وكرومويل ونيسر) .

وهذا كله يختلف مع مفهوم الإسلام الذى يقرر المسؤولية الفردية ويقرر ارادة الإنسان القادرة على التغيير ، والتى هى موضع الحساب والجزاء .

وقد تردى الفكر الغربى بين طرفين : المثالية والمادية وبين الرهبانية والاباحية وهو اليوم فى مرحلة المادية الاباحية ومن ذلك مفهومه الفلسفى القائم على التفسير المادى للتاريخ والحضارة (وهو مفهوم تشترك فيه الليبرالية والماركسية جميعا) وهذا المفهوم يختلف عن

مفهوم الإسلام الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب على أساس أن الإنسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح .

وأبرز مفاهيم الإسلام التى يجب أن يكون لها أثرها العميق على المصطلحات المعاصرة هى « التكامل » حيث يقرر الإسلام أن الإنسان يجمع بين الحس والفهم والعقل وأنه عقل وقلب وتفكير وعاطفة وأن الغناء أحدهم هو بمثابة خروج على انطردة وعكس لطبيعة الأشياء وأن اليقين أصل والشك عرض وتقوم النظرة الإسلامية على اقتناع العقل وتصديق الفكر . وتتمثل فى ثقة القلب وطمأنينة الروح وواقع الإنسان متكامل (بيلوجى ونفسى وعقلانى وروحى) وكلما أهمل أحد الأركان وقع فى الأزمة والصراع وواجه التمزق النفسى وكذلك فى عالم الاجتماع فكما كانت النظرة القلمية أو قومية أو وطنية أو أدبية تكون ناقصة وغير قادرة على الكمال والشمول .

وإذا كان العالم منقسما الآن الى تيارين : تيار الليبرالية الرأسمالية وتيار الاشتراكية الماركسية ، الأولى تعطى شأن الحرية الفردية والأخرى تعطى الجماعية وتسقط مكانة الفرد .

والعالم اليوم ممزق بين التيارين :

فإن هناك تيار ثالث هو تيار الإسلام الجامع بين الفردية والجماعية فى توازن واتساق وفيه خير مافى المذهبين ، وقد خلا من شرهما .

فالفرد فى الإسلام للمجتمع ، والحرية منضبطة ، وحق الضعيف فريضة وليس هناك إباحة مطلقة وليس الإنسان ترسا فى آلة والقيمة الخلقية هى القاسم المشترك الأعظم للحياة الاجتماعية والحضارة وقد أعلن الإسلام حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرنا وطبقها فى مجتمعه منذ ذلك اليوم ، وقد أحترم حريات الناس وحق الفئات المختلفة غير المسلمة وأمنها على أموالها وأعراضها ومعاييدها .

ومن الدعائم الأساسية فى مواجهة المصطلحات الغربية : مفهوم (الثوابت والمتغيرات) الذى قام عليه الإسلام فى مواجهة فكرة التطور المطلق وفكرة النسبية الغربيتين وقد عرف الفكر الغربى فكرة (الثبات المطلق) التى قال بها أرسطو وعائش عابها الغرب طويلا حتى تغير تحت تأثير المذهب التجريبي الإسلامى فانتقل من فكرة الثبات المطلق الى فكرة الحركة المطلقة أو التطور المطلق التى قال بها دارون وسينسر ووصلت الى تميتها فى فكر (هيجل) وكلا النظرتين مرفوضتان فى الإسلام لأن كلا منهما تأخذ جانباً واحداً ليسيطر سيطرة كاملة ، أما الإسلام فهو يقر مفهوم (الثوابت) التى جاء بها المنهج الدينى والقائمه على تقرير واضح للأخلاق والقيم

والمعروف أن الحدود والضوابط لا تتغير مع فتح باب الحركة والاجتهاد والتغير والتطور بما يناسب العصور والنبات بالنسبة للفرعيات . وهو تطور يجرى في دائرة الثوابت ولا يصادم متغيرات المجتمعات أو الحضارات .

ومن هنا فان نظرنا الى مصطلح التطور الغربى يجب أن تكون قائمة في اطار مفهومنا الاسلامى . كذلك فان من خطأ المصطلح الغربى أن يعتبر كل تطور تقدما وليس هذا صحيحا على اطلاقه وانما يعنى التطور الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى نتيجة لظروف وعوامل متغيرة .

والفلسفة المادية والفكر الغربى الحديث يقوم على أساس انكار وجود الله تبارك وتعالى فهى تضع بدلا من اسمه الأعظم : كلمة الطبيعة . ونحن يجب أن نحترز لذلك تماما فان الطبيعة هى من صنع الله عز وجل وأنها مخلوق له ولها خالق ولا يمكن القبول بمفهوم أن الطبيعة أوجدت نفسها .

وعلىنا أن نحذر أيضا من كل ما يترتب على نظرية الطبيعة وانكار وجود الخالق ، ويقرر الباحثون أن الفلاسفة الماديون ملأوا لأنهم قالوا أن للمادة وجودا مطلقا وأنها قادرة على الحركة والحياة ، والدهريون ملأوا لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبنى على الاتفاق كما أن علينا أن نحترز من قول بعض الفلاسفة أن الأجسام لا تحترق وأن الله تبارك وتعالى جل شأنه لا يعلم الجزئيات أو القول بوحدة الوجود فان هذا كله انكار لمعلوم من أصل الدين بالضرورة وكان صاحبه كافرا بأصل من أصول الدين .

وقد خطا الامام الغزالى الفلاسفة الذين أرادوا أن يزنوا كل شئ بميزان العقل فكان الدين فى أيديهم آلة خادمة للفلسفة فكان خطرهم على الدين والأخلاق ، وكذلك خطأ الذين رفضوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقروا شعائر الدين وانكروا الشرائع والنحل وجحدوا فضل الأديان والملل . وكذلك خطأ الفلاسفة الذين أهملوا أحكام الشريعة وتحذروا عن رفع التكليف فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة .

وليس هذا الذى ندعو اليه غريبا فى الفصل بين الأمل وتثبيت وجوه التميز بينها بل أن هؤلاء الذين تجمعهم

ابجديات لاتينية واحدة يفعلون مثل ذلك وقد أشارت الصحف الى المحاولات التى تقوم الاكاديمية الفرنسية بها لتطهير اللغة الفرنسية من المصطلحات الانجليزية ، بل لقد قدمت الاكاديمية عبارات بديلة فطالبت باستبدال كلمة (كليونج) الانجليزية التى تستخدم فى مصطلحات الاقتصاد بالكلمة الدارجة (كوما لىسايون) كما طالبت بتحاشى استعمال كلمة (ديسكاونت) الانجليزية ويجب استبدالها بأى من الكلمات التالية (ريستون - رابية) الخ وكلمة «لورك» الانجليزية وتوجد فى الفرنسية كلمات مثل (ابرانس أو أسبع) الخ وأوردت الصحف كلمات أخرى ، وتنصب هذه التحذيرات على بعض انقاط الدققة فى قواعد النحو الفرنسى . وبالنسبة لما يتردد كثيرا هذه الأيام من كلمات الحرية والعقلانية والعلمانية فى عالمنا الاسلامى يقول الدكتور حسن الشرقاوى : ان هناك سوفسطائية جديدة تحاول أن تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقبا ، وتتخذ من العقلانية مركبا تهاجم به الدين القيم والشريعة السمحاء ، دون أن ندري أن الثوابت انثى أدخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجزة عن التعرف على حقيقة الدين ان العقل وحده لا يهذى الى حقيقة الدين ، انما الدين هاد للعقل واذا لم يرتبط العقل بالايان فانه ينزلق ويقع فى التشابهات ورغم أنه المحك والمعار للتمييز بين الصحيح والفساد من الأمور المحسوسة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق ، الا أن العقل لا يستطيع ان يخوض فى ساحة المعرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الايمان والا وقع فى الضلال والشطط ، وذلك لاتباعه الظن والوهم ، فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له عام ولا هدى ، يصوغ افكاره تحت قوالب جامدة ويحدد معايير فى تقنيات محددة ، يحاول بها أن يفرض قانونا جديدا ما أنزل الله به من سلطان ، ولقد حاول الفلاسفة والمفكرون أن يضعوا أنفسهم فى قوالب ليثبتوا أو ينفقوا حقيقة الدين ، وفى الحالين أخفقوا أخفاقا كبيرا وكلما صاغ أحد الفلاسفة نظرية فى أصل الوجود أو ماهية المعرفة جاء فيلسوف آخر فأثبت فلة علمها وتهافت منطقها وضعف حججها وأسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخرى ليثبت أصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطنعها لنفسه ، الا أن نظريته هى الأخرى لا تصد عن النقد فما يلبث أن يظهر غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة .

وهكذا يناقض المفكرون بعضهم بعضا ، ويعلم أحدهم أنه اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وأنه وصل الى الحق ، وما يتبع الا الظن أو ما تهوى نفسه ، وهكذا فان

المفكرين الذاتيين برغم استخدامهم عقلهم لم يصل أحد منهم الى حقيقة واحدة متعلقة بأصول الأشياء أو بحقائق الوقائع أو المبادئ الأولى . ان محاولات الفلاسفة والمفكرين هي مجرد تخمينات وفروض لم تثبت صحتها كما لم يستطع أى منهم عن طريق القوالب العقلانية التى اصطنعوها كنسجيج فكرى أن يصطنع منها مقبولا يواكب الحقائق الكونية ، اما هي تخمينات وتخييلات وأضعاف احلام لا تستطيع أن تفيد المتعطش الى المعرفة الا نصبا

وتعبا . ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الى حقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الدين تركوا أنفسهم للهوى ، وبدأوا فى الطعن فى حقيقة الدين الذى أنزله الله كهاد للناس واعتبروه معطلا لتقدم العقل البشرى والنشاط العلمى وطعن بعضهم فى السنة المحمدية توطئة للطعن فى أصل الدين وهذا الأسلوب المعاصر قد خطط له الماركسيون والملاحدون حيث فشلوا فشلا ذريعا فى اخراج المرء عن إيمانه » .

الفصل الثانى

الفلسفة المادية

اتسع نطاق الفلسفات . فشملت الفلسفة المادية وما وراءها من مذاهب وانحرافات .

والفلسفات الغربية القديمة هى المنطلق لظهور الفلسفة المادية الحديثة وهى فى مجموعها تقوم على انكار وجود الله تبارك وتعالى وقد صدرت بمفاهيمها المادية فى مواجهة التحديات التى قامت بين العلم والكنيسة فى العصور السابقة والتى أوجدت هذه الخصومة الشديدة فى مواجهة الدين بصفة عامة فهى ترى أن الدين عائق عن التطور وهى تعنى (الدين الغربى) الذى صارعته ولكنها لا تعرف أن الدين فى الاسلام مفهوم مختلف ، وأن الاسلام ليس ديناً لا هوتياً قاصراً على العلاقة بين الله والانسان ولكنه دين جامع يمتد الى العلاقة بين الانسان والمجتمع وأن الاسلام هو الذى انشأ المنهج العلمى التجريبي فلا صراع بينه وبين العلم أساساً ومن الخطأ البين أننا ندرس الفلسفة فى مدارسنا وخاصة فى التعليم الثانوى فنترك فى نفوس الناشئة بذرة الشك والاحاد حيث يعتقد الشباب المسلم انه امام (علم) وليس امام نظريات وفروض قابلة للخطأ والصواب وأنها فروض وأفدة من حضارة أخرى لها ظروفها وتحدياتها وإذا راجعنا النظريات التى وادتها الفلسفة الغربية تجدها كلها تقوم على :

- ١ - النسبية ٢ - المنفعة ٣ - التطور المطلق
- ٤ - الجنس ٥ - حيوانية الانسان ٦ - دافع
- المعدة - الخ . .

أما الأسس الفلسفية للمذهب المادى فهى تقوم على أن الانسان سيد نفسه ومادك مصيره فهو وحده المسئول عن أن يشرع لنفسه فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وسائر نواحي حياته وأنه لا موجود الا المادة ، وأن المادة أزلية لم تخلق وأن تفنى وأن كل ما فى الوجود من أشياء انها تكونت بمحض الصدفة وأذن فلا اله ولا ملائكة ولا جن وأذن فالاديان كلها باطلة ، وأذن فلا بعث ولا نشور ولا حساب ولا جزاء ، وأن كل ما نسميه عقلاً أو نفساً أو روحاً أو فكرياً انها هو شكل من أشكال المادة وأن تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين طبيعية لا تتخلف

أن موقف الاسلام من الفلسفة واضح . فقد جاءت الفلسفة لتفسر الغامض الذى كان يبحث عنه الانسان . من شئون الغيبيات والمصير وعوالم الجن والمعاد وغيرها وكان الفلاسفة يحاولون أن يضعوا تصويراً لهذه الجوانب واجابات لهذه التساؤلات فلما جاء الاسلام ونزل القرآن قدم للبشرية منهجاً كاملاً لعالم الغيب الذى يسمونه (الميتافيزيقا) بحيث لم يعد الانسان معه فى حاجة الى البحث عن ذلك المجهول ، وقد أراد الحق تبارك وتعالى أن قدم للانسان هذا المنهج حتى لا يشغل وقته ولا يضيع جهده فى البحث عن تصورات لن يصل منها الى شيء ، وحتى يدفعه الى السعى فى الأرض وعمرانها وتلك مهمته الحقيقية .

ومن هنا كانت نظرة الاسلام الى الفلسفة القديمة فكلها تصورات فلاسفة قائمة على الاحتمال والظن والمحاولة والفروض التى هى مجال النظرية البشرية التى تخطئ كثيراً . ومن هنا كان من الضروري أن يؤمن المسلم بأنه لا حاجة له مطلقاً بهذه الفلسفات المضطربة بعد أن أمده الله تبارك وتعالى بالمنهج الاصيل .

ولقد وقعت الأزمة الشديدة عندما ترجمت الفلسفة اليونانية وقام بعض المفكرين بالربط بينها وبين مفاهيم الاسلام (ابن سينا والفارابى) واختلطت عليهم الأمور وعجزوا عن تقديم ما يوافق التوحيد الخالص وتبين من بعد أنهم كانوا يعملون لحساب حركة الباطنية التى أفرزت ثورتى الزنج والقرامطة والتى كانت تعمل على هدم الدولة الاسلامية وواجه علماء المسلمين هذه المحاولة وكشفوا زيفها (ابن حنبل والثعالفى والغزالى وابن تيمية) فى المقدمة ، ثم أعيدت المحاولة مرة أخرى فى العصر الحديث على أيدى دعاة التغريب والغزو الثقافى بهدف تزييف مفهوم الاسلام الاصيل الناصع القائم على التوحيد الخالص . وكان لسيطرة النفوذ الأجنبى أثره العميق فى فرض الفلسفات القديمة والمادية على مذاهب التعليم وتأثر الشباب المسلم بها ومن هنا كان لابد لحركة البيظة الاسلامية من وقفه ازاء هذا الخطر ، خاصة بعد أن

وهى فى غير حاجة الى الايمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسره ..

ولا ريب أن هذا المفهوم كله مضاد تماما لمفهوم الدين الحق ، ولمفهوم الاسلام ومن هنا فان جميع النظريات والفروض والاستجابات التى تصدر عن هذه الفلسفة هى باطلة تماما ، وهى فى تقدير الاسلام اجتهادات قابلة للصواب والخطأ وليست لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ومن ثم فجب عدم تطويع الاسلام لآى مذهب فلسفى باسم التحديث .

ولا ريب أن النظريات الثلاث الكبرى التى تقوم على الفلسفة المادية باطلة :

أولا : نظرية هيجل التى تقول ان الحضارة تعيش الآن فى خلاصة ما كان فى العصور الماضية من عناصر الجدد والصالح وأنه ليس فى العصور الغابرة ما يستحق يلتفت اليه أو يهتدى به ، اذ أن أجزاء الماضى التى لم تنضم الى الحاضر هى أجزاء مرغوضة نبذاها الانسان بعد أن اختبرها ولم يجد فيها غناء .

وتعنى هذه النظرية أساسا إلغاء فكرة الدين .

ثانيا : نظرية دارون فى التطور التى كان من آثارها الفلسفية أن تأصل فى التصور الانسانى للكون أنه مصدر للصراع والنزاع وأن من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح والمصارعة فى ضوء هذه النظرية أو أنه لا يستحق البقاء الا من أثبت قوته وكل من يفنى فى هذا النظام القاسى فإنه انما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفناء وأن القوى على الحق اذا هو أخذ مكانا ضعيف بعد أن أزاحه وقضى عليه وهذه النظرية هى نظرية الاستعمار والسيطرة على الشعوب الفقيرة الضعيفة وسحقها والاستيلاء على مواردها وهى فلسفة القسوة بالغة بالانسان الذى رحمته الأديان وجعلت له حقا فى مال الغنى وحقا فى العلاج والسكن والكسوة وقد جاء الاسلام حاميا للضعيف حتى قال رسوله صلى الله عليه وسلم :

(الضعيف أمير الركب) .

ثالثا : نظرية ماركس فى التفسير المادى للتاريخ وهى التى اتت حلقات الفلسفة المادية الى الحياة وهى التى تجعل الانسان مازال محاربا منذ بدء أمره لأغراضه

الشخصية ومصالحه وأنه ما انقسم الى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات الا لأجل ما كان فى نفسه من أثره وحبه لذاته ، وما نشب بين الطبقات والشعوب من الحروب والمنازعات الا بسبب هذه الأثرة الذاتية والى هذه المصارعة الطبقيّة يرجع الفضل فيما رزقه الانسان من تقدم وارتقاء .

وهذا مفهوم زائف وخاطيء فالاسلام لا يقر الصراع الطبقي ولا الصراع الاجتماعى ويقيم مناهج الحياة على أساس التعارف والالتقاء .

ولقد حاولت الفلسفة أن تكون بديلا عن الدين فى تفسير أمور الطبيعة ولكنها عجزت أن تحقق شيئا ، ومن ذلك خطأها فى الادعاء بأن الدين عائق عن التطور ، كذلك من أخطائها أنها تعتمد على العلم التجريبي المتغير ، والذي يفسد بسرعة ، وما قال الغرب ان الدين عائق عن التطور الا لأنه عرف اليهودية والمسيحية فقط ولم يعرف الاسلام ولو عرّفه لما قال ذلك بحق ، ولما كان الغرب لا يملك منهجا اجتماعيا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع (اذ أن منهجه قائم فى اليهودية لا فى المسيحية) فإنه يبحث عن أيولوجيات . أما المسلمين فأنهم لا يحتاجون لذلك .

ان الفكر الغربى لا يستطيع أن يقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فهو حين يتخذ من ردود فعله ضد الكهنوتية قواعد يريد أن يفرضها على المجتمعات فإنه لا يقدم رؤيا صحيحة أو سليمة ، والآخذون بها آثمون لا يعرفون أبعاد الأمور .

ان النظرية المادية هى رد فعل الكهنوت . وأن النظرية الماركسية هى رد فعل الرأسمالية .

ولذلك كله فنحن فى ضوء الاسلام نستطيع أن نقرر :

أولا : ان هناك فرقا واسعا وعميقا بين العلوم الانسانية والعلوم التجريبية فى مقاييسها .

ثانيا : ان محاولة التوفيق بين العقيدة الاسلامية والفلسفات هى محاولة فاشلة وقد فشلت فى التجربة الاولى (العصر العباسى) وانهارت وتصدعت لأنها حاولت الجمع بين متناقضين .

الفصل الثالث

علم الكلام

الشواهد ترتد في النهاية الى المصدر الاسلامي الاصيل أما مباشرة أو بطريق غير مباشر .

ما الموقف من علم الكلام :

أما بالنسبة لعلم الكلام فقد ثبتت براعمه واشتدت ساقه لتواجه اعتراضات وشبهات مشارة في طريق الاسلام وكان يقتضى الاعداد لهذه المواجهة أن يوضع في الاعتبار فريقان يخاطبهما هذا العلم .

يقول الدكتور محمد كمال جعفر : ان الفكر يكون اسلاميا على الحقيقة اذا انبتق أو استلهم من القرآن والسنة الصحيحة نصا أو روحا ، أصالة أو بالتبعية . وكذلك يكون اسلاميا اذا انطلق من المبادئ العامة الكلية التي تمثل في الواقع قوانين الفكر الأساسية .

الفريق الأول : هو فريق الشبهات المثارة والاعتراضات الموجهة بغية التشويش والبلبله من قوم هدفهم الحقيقي لا يرتبط بنشدان الحقيقة ، قدر ما يرتبط بزعة الثقة في العقيدة .

أما الذى وقع في التاريخ الاسلامى فهو أن وصمات الكفر والاحاد والزندقة التي كانت توجه الى من هم خارج النطاق الاسلامى اطلقت بلا حساب على غنائ ومذاهب نشأت في المحيط الاسلامى .

أما الفريق الآخر : فيضم هؤلاء الذين يظن أن يقفوا فريسة لمثل هذه الشبهات من أبناء هذه العقيدة ، ومعنى هذا ان علم الكلام يخاطب من هو خارج الاسلام ويخاطب المسلم الذى يحتاج ثباته ودعم ايمانه الى طمأنة عقله وراحة وجدانه .

ومن العقم التركيز على الجوانب التجريدية النظرية المنقطعة في كثير من الأحيان عن دنيا الواقع وحناء الناس ، فقد أحات الفرق الكلامية الدين الى مجرد مجال نظرى للعقيدة بأبعادها الفكرية دون أن تتدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها وكانت النتيجة فتح باب الجدل واغلاق باب العمل .

واختلاف طبيعة الفريقين يقتضى اختلاف طبيعة المنهج .

وقد اغتال الاغراق في الجدل ولجج المخالفة صفاء الايمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناء والتعصب والتجاوز عن القصد .

ولقد خضع علم الكلام الى الأغراض السياسية المرحلية ونسى في غمرة الأحداث رسالته الأصلية ، وانقلب سلاحا فتاكاً يفتال وحدة الأمة ويذكى نار العداوة بين طوائفها وطبقاتها . وقد تدخلت عناصر غير اسلامية فشجعت هذا التفرق وزادت في صراع الصراع والحققت فرقا معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذى تقوم عليه ببادئ الاسلام الأولية وقد بذلت جهود لتلمس اصول ونصوص مثبتة تشير الى تفرق المسلمين الى فرق متعددة .

وقد نشطت عوامل تأريث الصراع الى أبعد حدود النشاط في كل اتجاه بهدف واحد ، هو تفنيت وحدة هذه الأمة وتشويه عطائها الفكرى وتبديد جهودها واستفراغ طاقاتها فيها ليس فيه عناء حتى أوصدت أبواب الجهاد دون مبرر مفهوم .

ومن هنا تجيء الدعوة الى تجميع نطاق الآفاق الأساسية التى يلتقى عليها الفكر السليم المستفيد من كل ما أتيح له من شواهد الصدق واليقين والنفع العام وهذه

ولهذا انحرف علم الكلام ليخضع لأغراض ذات

سياسة أيولوجية لهذا الفريق أو ذاك وبذلك حبس نفسه في قوقعة الطائفية والطبقية فسلب النظرة الإسلامية الواسعة والأفق الإسلامي الرحيب .

وفي البرهنة على وجود الله (تبارك وتعالى) وصفاته لم يسلم علم الكلام من الوقوع فريسة لأدلة ما لبثت أن صارت موضع أخذ ورد الفلاسفة والمفكرين لعدم متانتها المنطقية وسموها الى مرتبة البرهان لقد نسي علم الكلام النهج القرآني والأدب الإسلامي تجاه مسألة وجود الله ذلك أن القرآن لم يركز على الاستدلال على وجود الله وإنما فصل القول في صفاته وأفعاله وعلاقته بالكون وبالإنسان وليس هذا هو المجال الحقيقي الذي يقيد الإنسان .

ويرى الدكتور محمد كمال جعفر خطأ فكرة دراسة علم الكلام بدرس الفرق الكلامية واختلافاتها ، إذ ما الفائدة التي نحصل عليها عندما نعرف أن الخوارج قالوا كذا والأشاعرة قالوا كذا .

ويقول « أنا أمثل جيلا أتاحت له فرصة الاطلاع على التراث ولذلك رسمت منهج التوحيد بين الفرق الإسلامية أولا أن نبحث عن أصول اتفاق بين فرقتين مختلفتين وتبرزها ثم ننظر الى أوجه الخلاف فقد تكون أسباب الخلاف تاريخية لم يعد لها وجود الآن ، أو غرضية ، وقد يكون أسباب الاختلاف في اللفظ .

ان أهل السنة يقولون : ان الله يرى بلا كيفية والمعتزلة يقولون ان الله لا يجد ولا يحصر ، وهو نفس المعنى ، اذن اللغة هي التي تختلف والهدف واحد .

الفصل الرابع

المنطق اليونانى

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

وقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والاسلام وراؤ فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التى تختلف اختلافا بينا عن اللغة العربية التى لها منطقها الخاص ، والتى بها نزل القرآن وجاء الاسلام على أساس من مصطلحاتها لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه .

يقول ابن تيمية : ان المنطق ميزان العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط في فكره وليس الأمر كذلك فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الإدراك ولا يقف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا تقليد في العقليات — وجماهير العقلاء في جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهج لوضع أرسطو وهم اذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ثم ان هذه الصناعة زعموا أنها تفيد في تعريف حقائق الأشياء ولا تعرف الا بها وكلا هـذين غلط .

ولسنا هنا في مجال استعراض النكبة التى حلت بالعرب والاسلام بسبب المنطق اليونانى .

قال الامام الشافعى : ما جهل الناس واختلفوا الا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطوطاليس . وأشار الشافعى بذلك الى ما حدث زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من البدع وان سببها الجهل بالعربية .

قال السيوطى : والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسطو الذى هو في حيز ولسان العرب في حيز ، ولم ينزل القرآن ولا اتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاوره والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح ولقد كان موقف الذين ارادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى أساسا لمنهج البحث في الاسلام هو بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الاسلامية الشامخة ، فقد اعتمد المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كليا حتى جعلوه أساسا في مباحث الدراسات الاصولية والفقهية وقد عمت الازمة حين اتخذ النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية .

الفصل الخامس

الاشتقاق

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

تطور للمادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترقى بمقتضاها المادة من حال الى حال بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر .

وينكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين والذى تقرر فى صورة قاطعة أن آدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله تبارك وتعالى بيديه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء وهده الى الحق .

ان المزية اللغوية فى الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية هى شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية الاسلامية واتساعها وريقها وابداعها ، وهى فى نفس الوقت شاهد على أن هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطا طويلا فى الترقى والتقدم عبر الممارسة والدربة المران الى أن اكتملت هذه الحضارة ونمت معها هذه القدرات والملكات .

الاشتقاق فى العربية هو اشتقاق شديد المرونة بحيث لا يمكن حصره فى أصل واحد أو ضبطه فى قاعدة . فما الذى تعنيه مرونة الاشتقاق فى اللغة العربية من الوجهة الحضارية .

اللغات فى أصلها تعليمها من الله تبارك وتعالى قال تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) وقال : (خلق الإنسان علمه البيان) أما نمو اللغات وتشعبها وازدهارها وتقدمها أو ضمورها وانزواؤها وبمعنى آخر حياتها وموتها إنما هو رهن بأصحابها وعقولهم وظروفهم .

وتقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية مرفوض ، لأنه يقوم على أصل باطل ، وهو القول بالتطور بالمفهوم الالحادى الحديث ، الذى يذهب الى أن الإنسان مجرد

* * *

الفصل السادس

العقلانية

مصدران ربانيان (وان كان أحدهما بكلام النبی) لا يتصل بهما الزيف وهذا يختلف عن موقف المسيحية من اللاهوت القديم الذى هو من صنع البشر .

وهذا المفهوم وحده الجامع بين النقل والعقل هو الذى أعطى المسلمين — دون غيرهم من الأمم — القدرة على تقديم منهج التجريب الإسلامى ومناهج المعرفة وسنن الحضارات والأمم .

وهى حين أخذت من تراث اليونان أو غيرهم إنما أخذت بعد ما غربت وصححت ولم تخالف مفهوم التوحيد فى هذا النقل ، وليس هنا مما يجعلنا ننسى مؤامرة الترجمة وأخطارها والمسئولية التى تقع على المأمون ورجال اللاهوت الذين استقدمهم والذين خلطوا بين دينهم وبين تراث اليونان كما خلطوا بين فكر أفلاطون وأرسطو ولسنا ننسى مسئولية المأمون فى قضية خلق القرآن ومما فتح الباب واسعا أمام الزندقة والشعبوية والفكر الباطنى والالحاد ولقد استعمل العلماء المسلمون ملكة العقل أعظم استعمال دون أن يفرطوا فى الأصول الأساسية للوحى التى قام عليها الدين الخاتم ، ولو أن المسلمين كانوا عقلانيون قحسب لما استطاعوا بناء هذه النهضة الضخمة فى مجال العلم والحضارة وإنما الذى مكنتهم من ذلك هو أنهم أداروا التجريب والعلم فى دائرة الأخلاق والإيمان بالله والمسلمون مع إيمانهم بقدرة العقل على التمييز والبرهنة والاستنباط لم يقولوا أبدا بكلمة (سلطان العقل) الواقعة المضلة التى جاءت من الفكر المادى ويحاول استعمالها بعض التغريبيين اليوم .

وليس صحيحا ما يدعيه البعض من أن السهام توجه الى ملكة العقل وتتم التشكيك فى قدراته ما يسمى (النصوص والمأثورات) ، بل أننا نتساءل لماذا يوصف النص القرآنى والسنة المطهرة بأنها نصوص ومأثورات وقد جهلوا أننا لا يمكن أن تعطى للمنهج العقلى أكثر مما يستحق ، أو نعليه على مكانه الطبيعى فى منظومة الفكر الإسلامى الجامع ، أو أن تجعل له من المكائنة ما يتجاوز

العقلانية نزعة غريبة الطابع مستمدة من الاعتماد على العقل وبراهينه ومعطياته واتصاده مصدرا وحيدا للمعرفة وهو مفهوم لا يقبله الإسلام الذى يقرر أن هناك مصادر عدة للمعرفة منها العقل ولكنه ليس المصدر الوحيد فالعقل هو مناط التكليف فى الإسلام ولكنه يتحرك لاثما تحت ضوء الوحي ونور الفطرة ، ذلك أن الإسلام يؤمن بالنظرة الجامعة التى توازن وتوائم وتمزج بين الروح والمادة والعقل والوجدان .

ولكن هناك من يحاول اليوم أن يتحدث عن (العقلانية الإسلامية) ويقررها وحدها بالاعتبار ، وهذه هى معاودة لتجربة قديمة مر بها المسلمون بعد ترجمة الفلسفة اليونانية وهى تجربة المعتزلة الذين اعتبروا العقل مصدرا للمعرفة وأعلوه على الوحي (النقل) ودعوا الى أنه فى حالة الخلاف بين العقل والنقل أن يخضع النقل للعقل .

ومن هنا ظهرت فكرة التأويل وهى فكرة لها حدودها التى يجب أن لا تخرج بها عن النص القطعى . وقد كانت هذه إحدى المحاذير التى وقع فيها الفلاسفة .

ولقد حاول البعض (أمثال أحمد أمين وغيره) الادعاء بأن سقوط الاعتزال كان عاملا من عوامل تأخر المسلمين والحقيقة أن سقوط الاعتزال بعد استعلائه وادعائه أنه هو المنطلق الوحيد للمعرفة الإسلامية كان طبيعيا (وهو نفس الموقف بالنسبة للقائلين باتخاذ الحدى سبيلا واحدا للمعرفة) وهو الذين يعتمدون على الوجدان وحده .

والقرآن الكريم ليس معجزة عقلية فحسب ولكنه معجزة متعددة الجوانب فى فنون المعرفة وأساليب مخاطبة الإنسان من ناحية فكره ووجدانه ومن ناحية التاريخ والحكمة والمعجزة والغيبيات .

فلا تناقض فى أسلوب المعرفة الإسلامى بين النقل والعقل إذ أن النقل فى حقيقته هو (القرآن والسنة) وهما

به النص القرآني والسنة المطهرة وهي التي تحمل قوانين الاسلام الاصيله وضوابطه وأصوله الربانية وثوابته المنزلة .

كذلك فان موقف الاسلام من العقل هو موقفه من الوجدان تماما فهما نافذتان للمعرفة يتكاملان في المسلم ولا يتعارضان ولا يذهب احدهما بمكانة الآخر وليس الاسلام ديننا كما يدعى بعض الذين كتبوا عن العقلانية (عبارة الاسلام الدين) فان الاسلام دين بمفهوم الدين الحق وليس بمفهوم اللاهوت الغربى وهو دين بمعنى الجمع بين العلاقة بين الانسان والله تبارك وتعالى من ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى وكلاهما يكمل الآن ولا يعارضه ونحن بهذا لا نؤمن بأن العقل وحده يملك القدرة على ادراك الحقائق .

وفي نفس الوقت لا نراه الا مرتبطا بالقلب (ولهم قلوب لا يعقلون بها) فليس هناك فاصل بين العقل والقلب ولكن هناك ترابط وتكامل .

ومن هنا فنحن نرفض كل محاولة للقول بأن العقل يناقض النقل أو أن النقل يخضع للعقل ، أو أن هذا النقل هو مجموعة ماثورات ونصوص ، اذ كيف يمكن أن يوصف الوحي بذلك وكيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه ماثورات أو توصف السنة النبوية بأنها نصوص .

ان هذا القول لا يصدر الا من عقلية مادية علمانية لا تعرف تكامل الاسلام مهما تحدثت باسمه ، ولن يكون في الاسلام تماثل بين الشريعة والفلسفة ، بل لابد أن تخضع كل معطيات الفكر الاسلامى للمنهج الربانى الذى هو الشريعة المنزل ، التى هى لب رسالة الاسلام الى النبى الخاتم .

وليس من مفهوم الاسلام الاصيل قبول التأويل لحل لما يدعى من تناقض من النصوص التى هى الوحي وبين براهين العقل . وان كل دعاوى حل هذا التناقض بين العقل والكتاب باطلة ويجب أن يخضع العقل للوحي تماما ولن يكون هناك تناقض بالنسبة للوحي وانما هناك قصور ربما بالنسبة للعقل .

واذا كان الشيخ محمد عبده قد دعا الى ذلك بتأثرا

بالله رشد وغيره فتلك نظرة مرحلية اضطر اليها الشيخ ولكن ليست في الحقيقة ما هو مقبول في عصر القرآن ، فقد كانت تلك الفكرة أشبه بمرحلة المعتزلة بأخطائها ومحاسنها ولا يمكن اعتبارها قانونا نافذا على كل العصور بل كانت من الضرورات التى لجأ اليها الشيخ محمد عبده للخروج من الدرج والحصار الذى كان يسيطر به المذهب المادى على الفكر البشرى اذ ذاك أما الآن فان الفكر الاسلامى قد انتقل من خلال نضال حركة اليقظة الى المرحلة القرآنية التى لم يعد لديها ما تعتذر به عن الأوضاع التى عرفتها محمد عبده وفريد وجدى واقبال والعقائد .

لقد جاءت مرحلة الأصالة والطابع القرآنى الخالص التى صحح الفكر مما كتب عن السيرة وعن الفكر الاسلامى .

ولقد استطاعت هذه المرحلة ان تكشف أخطاء عن علم الكلام الذى كان مؤسسا على براهين العقل ، وأخطاء المعتزلة ، التى جرت في هذا الطريق شوطا وهذه مرحلة لن تعود ولا يحتج بها ، والدعاة اليها مخربون يرعون في احياء الفرق القديمة البائدة والخلافات التى كانت مثارة في عصر ترجمة الفكر اليونانى وهى مرحلة مضت وانتهت .

وبالجملة فنحن نتحرك من خلال مفهوم الاسلام الجامع وغير اللاهوت في المسيحية الاوربية التى تقوم على القلب والايمان وليس مثل المعتزلة وعلم الكلام الذى يقوم على العقلانية وانما نحن نؤمن بمفهوم جامع متكامل . واذا قيل ان القرآن معجزة عقلية ، نقول نعم ، هو معجزة عقلية ووجدانية تاريخية وعلمية الخ ..

وليس كون العقل مناط التكليف مما يحمل على الدعوة الى قداسته ونحن لا نعز من قدر التحول الذى حدث على يد جمال الدين ومحمد عبده يتحرر الفكر الاسلامى من الجبرية الصوفية ولكننا نحب ان ينقل ذلك الى المرحلة الجديدة التى تجاوزت بعض محاولات هذه المرحلة هذه المرحلة الجديدة هى المرحلة القرآنية في الفكر الاسلامى .

الفصل السابع

العصرية

في المذهب الرأسمالي الليبرالي أو الماركسي الاشتراكي ووصلت البشرية من خلال هذين المذهبين الى صراع رهيب ولم يتحقق لها أملها في بناء المجتمع الرشيد ، وهي الآن تتطلع الى مذهب جديد ، وليس غير الاسلام .

ان روح العصر تدخل في باب المتغيرات ولكن روح الأمة تدخل في باب الثوابت ولا بد أن تخفض المتغيرات للثوابت وأحيانا تكون روح العصر مجموعة من الأهواء والانفعالات يختلط فيها الصحيح بالخطأ ، الاستجابة لا تكون للعصر وانما للحق ، للمنهج ، لمنهج الله تبارك وتعالى . والاسلام قادر على الاستجابة للعصر ، وقادر على استيعاب المتغيرات دون أن يخرج عن قيمه الأساسية وقواعده الصحيحة . والاسلام يقر التقدم ولكنه يجريه في قنوات ثابتة محكمة .

كما أن الاسلام أعطانا القدرة على مواجهة الأحداث متى كانت متعارضة مع منهج الله فليس علينا أن نستسلم للأوضاع المنحرفة تحت اسم التبرير أو قبول الواقع أو التأويل أو الرخص ودعاة التبرير هؤلاء أعداء التقدم الحقيقي والإيمان بالمنهج الحق والاسلام لا يقر دعاء الملا مقسـمى .

وإذا خرج الاسلام من ضوابطه وثوابته فقد انتهت فاعليته ويجب أن نقدر تماما أن الاسلام ليس شأنه شأن المذاهب والأيدلوجيات البشرية ، فهو منهج اجتماعي عصرائي شامل يتجاوز كل الفلسفات التي ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ، ومن باب أولى كل الأديان السابقة له والتي احتواها كمرحلة نحو وحدته وتكامله .

ومن ثم فهو لا يقبل الخضوع لانحراف المجتمعات نحو الإباحة وانحراف الحضارات نحو المادة .

وكل دعوة في العصرية يجب أن تكون ذات أصالة

هناك دعوة مضللة تتحدث دائما عن روح العصر والاستسلام له ، وعلى الإنسان أن يجعل نفسه جزءا من عصره ، وقد غاب عن الدعاة الى هذا المذهب أن روح الأمة أعظم من روح العصر وأن روح العصر هي طائفة من التقاليد اعتنقها الناس في عصر معين دون البحث عما إذا كانت صالحة أم فاسدة ، وهل هي نافعة أم ضارة ؟ .

والاسلام يقر مبدأ العصرية ولكنه لا يقر الاستسلام لروح العصر إذا كان ذلك من شأنه أن يتجاوز القيم الأساسية له ذلك أن هناك قيما أساسية لا يمكن تجاوزها وأن هناك حدود وضوابط يجب أن يتحرك المسلم في دائرتها وان لا يضحى بها في سبيل الحصول على أى قدر من التقدم المادى .

وان هذا التحفظ على روح العصر لا يحول مطلقا دون قدرة المسلم على التقدم والتطور والتغيير ومجاراة تحولات العصر والمجتمع وأن الاسلام له من قواه المدخورة ما يمكن المسلمين من الخروج من الأزمة دائما ومن الاستجابة للتقدم الجامع بين شطرين المادى والروحى .

ومن شأن الاسلام أن لا يخضع لانحراف المجتمعات ولكنه قادر على ردها الى طريقها الأصل الطبيعي .

ونحن الآن نمر بمرحلة خطيرة في حياة المجتمعات والحضارات وهي مرحلة الانحراف الخطير الذى وقعت فيه الحضارة الحديثة في تحولها المادى وغياب عنصرها الدينى والأخلاقي وانحرافها عن طريق الله الى طريق الاستعلاء بالعرق والفساد الخلقي .

ومن هنا فإن الاسلام لا يقر قبول فكرة الاستسلام (لروح العصر) لأنها تعنى الاندفاع في الطريق الخطأ .

لقد انحرف هذا العصر عن طريق الأخلاق والدين والعلم الى طريق الفلسفة المادية ، والانحرافات سواء

بارتباطها بالمنهج والتاريخ وتنقية الفكرة من الانحرافات التى تضعها الفلسفات فى طريقها لتعود الى منابع أولا ولتستمد أصالتها من الرشد الفكرى ، ولقد كانت دعوة العصرية التى قامت بها المدرسة العلمانية منذ أوائل القرن الميلادى دعوة منحرفة مضللة ، حاولت احتواء الفكر الإسلامى وتغريبه قبل أن تجيء حركة اليقظة الإسلامية لتصحيح الطريق .

لقد ذهبت الدعوة العصرية الى آخر الشوط فى

فرض نفوذها فهدمت الخلافة وحطمت الوحدة الإسلامية وحجبت الشريعة الإسلامية وفرضت النظام السياسى الغربى والمنهج الربوى الاقتصادى والمنهج العلمانى التعليمى ومع ذلك فإن حركة اليقظة الإسلامية كانت قادرة على أن تكشف زيف ذلك كله لا يقر الإسلام فلسفة اللحظة ولا الفردية المفرقة ولا الجماعية التى تأكل الأفراد ولا يقبل انحراف الفنون والآداب ولا وسائل الكسب الحرام أو الاندفاع نحو أهواء الجنس والجريمة وإذا انحراف المجتمع فالإسلام يدعوهم مجددا الى العودة الى الله .

الفصل الثامن

السلفية

الاسلام دين ودولة قامت على أساس القاعدة التي رسمتها الحركة السلفية ، والتركيز الأساسي الذي بذلته في المحافظة على طريقة (الاتباع لا التقليد) ودعمت مقوماتها الراسخة الجامعة بين اخلاص التوحيد لله تعالى وحده والايمان بالوحي طريقا لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الانسان في شئون معاشه لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وأصر الشرك لينفرغ فيما يعود على الانسان بالنفع في ميادين العلوم ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية .

وقد صور الدكتور مصطفى حلمي الخطوات التي حققتها الحركة السلفية :

أولا : وقفوا بصلابة أمام محاولات التجزئة والبتز والتأويلات الكلامية والتخرجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية .

ثانيا : وقفوا بالمرصاد مبينين الانحرافات عسبن الأصول الإسلامية والاعتماد على الأصوليين الأساسيين : الكتاب والسنة .

ثالثا : حاربوا نزعة الجبرية التي ساهمت في ركود الهمم واضعاف الإرادة الإنسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الإيجابي النشط .

رابعا : المحافظة على الاسلام في مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته وأنظمته وفقا لطريقة السلف .

ويقول : لقد حاول الاستشراق افساد مفهوم السلفية المشرق الاصيل وقال بعضهم : انه ارتداد عن محاكاة الشخصيات المبدعة المعاصرة الى محاكاة اسلاف القبيلة ، ويعتقد بعض المستشرقين أن الحركة

حاول التغريب والغزو الثقافي أن يصف مصطلح السلفية بأنه مصطلح قديم أو رجعي أو متأخر ، بينما هو في حقيقته مصطلح التجديد والعودة بالاسلام الى منابع ، والتماس الأصول الصحيحة للاسلام وتحطيم التقليد والتبعية ، وحماية الفكر من أساليب الغزو الفكري والحضاري ، فقد كان السلفيون في كل عصر من عصور الاسلام هم مجددوه ، والذين دفعوا عنه تحريف الغالين وردوا عنه كيد الفلسفات الوثنية المترجمة والنظريات الوافدة وكانوا طليعة المواجهة للاستعمار والنفوذ الأجنبي السياسي والاجتماعي .

فكيف يجيء اليوم من يدعى هزيمة السلفية في معركة التغريب بدعوى أن تيار التجديد قد جعل تيار السلفية متخلفا والحقيقة أن تيار التجديد هو الذي انحرف عن الطريق الصحيح بعد أن احتواه التغريب وأخرجه من الأصول الحقيقية والأسس الصحيحة لمفهوم الاسلام وكانت دعوى التغريبين أن تولدتوينبى بأنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده دعوى باطلة ، إذ أنهم أوغلوا في التغريب ولم يستطيعوا الصمود في ميدان الأصالة ولقد كان التيار السلفي مقدمة للتيار القرآني فقد حرر العقيدة ومهد النفس المسلمة للفهم الصحيح للاسلام ديناً ونظام مجتمع ويقرر أن تولدتوينبى كما يستشهد الدكتور مصطفى حلمي بأن الحضارة الإسلامية لم تمت عضوياً كما ماتت الحضارة الإغريقية ويرجع الفضل في بقائها الى نقاء العقيدة وقد ظل دور السلفيين باقياً في احياء عقيدة التوحيد وفهم الأوائل للاسلام لأن الاسلام — كما يقول توينبى وقد أعاد توكيد وحدانية الله في مقابل الضعف البادي في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية وقد استمرت السلفية المحافظة على التوحيد في جوهره النقي فمنعت تردى العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنية .

وعندنا ان حركة اليقظة الاسلامية التي دعت الى ان

السلفية الاسلامية هي شبيهة بالحركة الانجيلية الكاثوليكية والاصلاح الدينى خلال القرن السادس عشر بانها استعادة استخدام طقوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ثم هجرت والفيت أربعمئة سنة .

وهذه المقارنة باطلة تماما فان العودة الى منابع الاسلام تختلف تماما عن عودة الكنيسة الى طقوس قديمة تجاوزتها الايام اذ انها فى الحقيقة عودة الى الاصول الحقبة المنزلة .

ذلك أن الاسلام له أصوله الثابتة التى يجب العودة اليها كلما انحرفت السبل بالمسلمين ودخلت الى العقائد والنحل أخلاط فاسدة من العادات والوثنيات فالسلفية طريقة موضوعية ذات أسس علمية منهجية تعتمد النصوص الشرعية الموثقة ، وتلتزم الثوابت الأساسية : كقطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع حرص شبيهات الملحدين والمشركين ، هذا فضلا عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعد التحليل والتحريم فى المأكل والمشرب وتنظيم العلاقات الاجتماعية فى الأسرة والمجتمع . واقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقا لأصول الشرع .

* * *

ويقول الدكتور مصطفى حامى : ان السلفيين ظهروا الهجوم المكتسح عندما نقل الفكر الغربى اليونانى واللاتينى حيث أخذوا فى دراسته وتحقيقه

ومناقشته ورد اباطيله ، ثم قيس ذلك بمقياس العلم الاسلامى فما وافقه قبله المسلمون وما خافه رفضوه ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصية الأمة وأصلها ، وقد حارب السلف قائما مستعمرا وحاكما مستتبدا فرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وقد أخذ المستشرقون تقليب صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسىء الى الاسلام فاعلوا شأن الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة ، وأحياء وتجديد ومدح نحل ومذاهب مختلفة أما بأسمائها المعروفة بها كالاسماعيلية أو الباطنية أو تحت أسماء جديدة كالبهائية والقاديانية ، وبعث الإلحاد من جديد تحت ستار العلمانية والماركسية والدوران مع نشر فكرة وحدة الأديان أو التقريب بينها وإزالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة والباطل بصوره المتعددة المتضاربة .

ومن هنا فان السلفية هي الحركة الكبرى التى جددت الدعوة الاسلامية ولولاها لكان على الغرب أن يستعيد الشرق روحيا وفكريا الى أبعد حد ومن هنا تعرف أن السلفية التى أحيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت الحلقة الأولى والأساس المدعم لحركة اليقظة الاسلامية اذ جاء بعدها مرحلة الجهاد (السنوسى والمهدى وأحمد بن عرفان وشامل وعبد الكريم وعبد القادر الجزائري) ثم مرحلة العقلانية والتحرر من الجبرية الصوفية (جمال الدين ومحمد عبده) ثم جاء حسن البنا بحمل لواء (القرائية الجامعة) التى ربطت الحلقات الأربعة فى عقد واحد (السلفية والجهاد والعقلانية والتربية) .

* * *

الفصل التاسع

العلمانية

ولقد حاولت قوى النفوذ الأجنبي عزل الاسلام عن المجتمع حين فرضت نظاما سياسيا غريبا وقانونا وضعيا واقتصادا ربويا ومنهجيا تعليميا مفرغا من الدين وحاولت ان تصور الاسلام على أنه دين لاهوتى قاصر على العلاقة بين الله والانسان وقائم على العبادات والأخلاق ومن هنا فان العلمانية لا ليس لها مكان في عالم الاسلام فقد أخذت اوروبا بالعلمانية في مواجهة جمود المسيحية وانحرافها ، ذلك ان المسيحية التى عبرت الى الغرب هى مسيحية بولس وليست المسيحية الأصلية .

ولقد كانت تجربة تركيا العلمانية هى أولى التجارب فى هذا المجال وقد واجهت معارضة وفشلا لأحد لها ، وكانت ترمى الى فصل الاسلام عن الدولة من أجل :

١ - الغاء الخلافة .

٢ - تمزيق الوحدة الاسلامية الى قوميات واقلميات .

٣ - التهديد لسيطرة الصهيونية على فلسطين .

ولا شك أن دعوة الغرب الى العلمانية كانت تهدف أساسا الى تمكين الغرب من السيطرة الاقتصادية والاستغلال الاقتصادي لأنه يفسح الطريق أمام السرقة والرشوة مع تعطل الحدود .

ومن هنا فقد تكاثفت القوى الثلاث الزاحفة للسيطرة على الاسلام على تاريك (العلمانية) والدعوة اليها (الغرب والصهيونية والشيوعية) لأنها فى النهاية تنتزع النظام الاسلامى وتحول دون تطبيق شريعة الله .

ويحمل الاتجاه العلمانى فى طياته : الفلسفة المادية والتفسير المادى للتاريخ ، والنظام الربوى ، نظام الرأسمالية والليبرالية والديمقراطية بكل فساده وقدرته

العلمانية قضية غير اسلامية ، ولكنها أدخلت الى المجتمع الاسلامى فى إطار عملية التغريب والغزو الثقافى ، وهى قضية غير اسلامية لأنها تدعو الى فصل الدين عن الدولة من منطلق تاريخى حيث عجزت المسيحية الغربية عن الملائمة مع متغيرات المجتمعات والاستجابة للتحول الذى وقع بعد خروج المجتمع الغربى من جبرية الرهبانية ويبدو هذا الموقف فى مظاهر ثلاثة :

أولا : النظرة الروحية الخالصة التى يقوم عليها الفكر المسيحى والتى ترتبط بالرهبانية والعزوف عن الحياة الدنيا واحتقار المادة .

ثانيا : الادعاء بأن ما جاء فى انكتاب المقدس معصوم من الخطأ وأن ما يقوله آباء الكنيسة مقدس لا ينقض .

ثالثا : الخصومة مع العلم وعدم قبول معطياته ، وقيام الحكومة الثيوقراطية التى يسيطر عليها رجال الدين .

ذلك أن أوروبا بعد أن تحررت من قيد الرهبانية وفى ضوء حقائق العلم التجريبي الذى وضع منهجه المسلمون تغيرت مفاهيم كثيرة وبدأت المواجهة بين العلماء التجريبيين ورجال الكنيسة وقامت الكنيسة باضطهاد رجال العلم ومن ثم اتهمى رجال العلم رجال الدين جملة ودخلوا فى مفاهيم جديدة لاقامة مايسمى دين الانسانية وغيرها قائما على الفصل بين الدين والسياسة .

أما فى الاسلام فان الأمر يختلف حيث لا يوجد تناقض بين القرآن وبين العلم من ناحية وليس هناك عالم دين له قداسة خاصة ، وليس هناك حكومة رجال دين ، كما أن الاسلام لا يقر العزوف عن الحياة بل يدعو الى السعى فى الأرض والعمل والكسب ولا يحتقر المادة وينكر الرهبانية واعتزال الحياة .

على سيطرة طبقة اولياء النفوذ الاجنبى على البلاد من أجل تمكين الرأسمالية الربوية من استنزاف ثروات الأمة الاسلامية وتركز الفكرة العلمانية على إلغاء الاسلام السياسى (الاسلام دين ودولة ونظام مجتمع) وتعمل على تأريث القومية والوطنية والاقليمية بما يدعم الانفصال بين أعضاء الكيان الاسلامى الواحد .

ومن هنا فان كل محاولات دعاة العلمانية انما ترمى الى تدعيم مقولة باطلية : هى أن الاسلام دين روحى وليس ديناً ودولة على النحو الذى نقله الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الاسلام وأصول الحكم) من أصل للمستشرق اليهودى مرجليوت . بينما لم يوجد فى بنية الاسلام أى صراع من الصراعات التى فرضت العلمانية فى أوروبا أو كانت رد فعل لها ومن هنا تفرض العلمانية نفسها على الفلسفة فتروج لأراء دارون وفرويد وماركس وتعمل على كتابة التاريخ من وجهة نظر علمانية . كما عملت القوى المسيطرة على معاملة المجتمعات الاسلامية على أنها مجتمعات غربية نصرانية لا مناصرة لها من فصل الدين عن الدولة واقامة سائر الهياكل الثقافية على أسس لادينية علمانية تقضى على أخلاق الاسلام ووجهة نظرة فى السياسة والعلم والتعليم والاعلام ١٠

يقول الأستاذ طارق البشرى : لقد سعت العلمانية فى اطروحاتها الحديثة التى تقول لنا ان تصاعد المد الاسلامى مؤخرًا ليس الا رد فعل لهزيمة الواقع فقط . ولكن ما أراه الآن أن حركات التحرر الوطنى فى بلادنا على مدى القرن ١٩ كان يندمج فيها العنصر الاسلامى مع العنصر الوطنى . وتجارب المهديّة والوهابية والسنوسية وعبد القادر الجزائري وجمال الدين الأفغانى والحزب الوطنى فى مصر قبل الحرب الأولى كلها خير دليل على ذلك .

ويقرر الأستاذ محمود عارف أن الذين يثيرون قضية العلمانية أو فصل الدين عن الدولة تأتى دعواهم لأحد أسباب ثلاثة :

- ١ — أما نتيجة عدم فهم لعظمة مبادئ الاسلام .
- ٢ — أو نتيجة للرغبة فى معارضة تطبيق الشريعة الاسلامية دون شجاعة المجاهرة بذلك .
- ٣ — أو المعارضة فى كون الاسلام صالحاً لكل زمان ومكان .

١٠

١١



١٢

١٣

١٤

الفصل العاشر

الإعلام

ويركز الباحثون على أن التحكم الاستعماري الغربي المركز بوجه عام في مصادر المعلومات والخبرة والانتاج الاعلامي وتكنولوجيا الاعلام ، يعطينا — كما يقول الأستاذ عبد القادر طاشي — فكرة واضحة عن الدور الذي يلعبه هذا التحكم في مجال تكريس تبعية الدول النامية والمستضعفة للمعسكرات الاستعمارية .

ففي مجال الصحافة وفي مجال تناول المعلومات فان وكالات الأنباء الغربية الأربعة (أسوشيتد برس ، يونايتد برس : رويتر ، وكالة الصحافة الفرنسية ، تتحكم في ٨٠ في المائة من التوزيع الاخباري في العالم ، وهذه الوكالة الغربية لا تخصص لأخبار الدول النامية أكبر من ٢٠ — ٣٠٪ من تغطيتها الاخبارية بالرغم من أن سكان الدول النامية يؤلفون ثلاثة أرباع سكان العالم ، حيث تحتكر هذه الوكالات بالإضافة الى وكالة تاس الشيوعية معظم الطاقات المادية والانسانية .

وفي مجال الصحافة وتبادل المعلومات — ثلث الدول النامية من عجزها امتلاك وكالات أنباء وطنية خاصة بها ، وتتجاهل وكالات الأنباء الغربية عموما في تغطيتها الاخبارية مشكلات الدول النامية وتطلعاتها فضلا عما — يشوب ما تجود به هذه الوكالات من الدس والتحريف والتشويه .

والمشكلة الأساسية هي أن الصحافة الغربية لاتهتم الا بالأخبار المثيرة كأخبار الأزمات والاضطرابات والكوارث والصحافة الغربية صحافة تجارية مصلحية لأنها تهتم بالمصالح المادية الاقتصادية للدول الغربية وتحاول اشباع تهم قرائها الى أخبار الجرائم والاضطرابات والكوارث دون مراعاة للآثار السلبية الى تتركها هذه النوعية من الأخبار في تشويه الواقع وتضليل الناس .

اما بالنسبة للاذاعة والتلفزيون فان الدول

ان أخطر ما يواجه الأمة الاسلامية في مجال الاعلام تلك المعطيات الوافدة التي لا تتفق مع عقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا وأسلوب عيشنا فان الغرب الذي يحارب عالم الاسلام حربا خفية ومعلنة ، يهدف من بضاعته التي يصدرها تخريب النفس المسلمة والعقل المسلم وهذا ما نجده في المسلسلات والبرامج الغربية ، حيث توجد مؤسسات متخصصة في انتاج الفاسد من البرامج المكتوبة والمصورة والمسجوعة ، وكلها مؤسسات تحقق أرباحا طائلة . وقوام هذه المخططات التي ترسمها دول متقدمة وتحرص على تنفيذها بمكر ومهارة بغية تفريغ عقول الناس في أقطار العالم الثالث من محتواها ما تقدمه وكالات الأنباء الكبرى التي ما فتئت تسعى الى احتكار موارد الخبر ومساريه لتصوغه على هواها ثم تذييعه في جهات العالم الأربع مصوغا باللون الذي تريده .

ان في العالم قوى عاملة على تخريب الأخلاق وفساد الذمم وتقريب الأمم والفجور الى نفوس العامة والخاصة في جميع أركان الدنيا بدافع الحقد والكراهة ، هذا الصنف له دستور مكتوب يسمى (بروتوكولات صهيون) والذين يعملون على تنفيذه هم الذين يملكون معظم مؤسسات الاعلام الميثوقة في أقطار الأرض وهم يعملون تحت ستار قوانين الحريات العامة وحقوق الانسان وديمقراطية الشعوب ، وهم يستخدمون وسائل الاعلام استخداما يتعارض مع قيم ديننا ومع قواعد الأخلاق والمروءة .

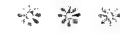
وقد وضعت الشريعة الاسلامية للاعلام قواعد وأسس ثابتة وفيها حلت ما أحلته وحرمت ما حرمته .

(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) .

(أنا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) .

الصناعية تتحكم في ٩٠ في المائة من الموجات الاذاعية وعددا وافرا من الاذاعات الموجهة القوية بمختلف اللغات العالمية والمحلية لنشر افكارها وآرائها السياسية والتبشير لأنماط حياتها ومعيشتها بين الشعوب النامية .

وفي مجال السينما تعد الأفلام السينمائية أكبر التجارات الاعلامية ربحا في الولايات المتحدة حيث بلغت مبيعات ١٩٧٣ (٤٠٠ مليون دولار) هذه هي السيطرة الغربية على المعلومات ووسائل التأثير الاعلامي ومراكز الانتاج التلفزيوني والسينمائي بدعوى السوق الحرة وتحت شعار حرية الصحافة والمعلومات وهي الصورة الجديدة للاستعمار لأن الدول الصناعية الغربية تستخدم هذه السيطرة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسخر هذه السيطرة لتحقيق أهدافها التوسعية فغزو أفكار الشعوب المستضعفة وأضعاف شخصيتها وتخريب ثقافتها وأبعادها ، بشتى الوسائل عن الاهتداء الى شخصيتها المستقلة والاعزاز بحضارتها المتميزة ، وعلاقتها بها هي علاقة الضعفاء بالأقوياء والاتباع بالمتبوعين ، وعلى الشعوب المسلمة مواجهة التحديات الحضارية .



لقد كانت الثقافة والاعلام والمسرح وأدوات التسلية والترفيه وسائل محتواه لتخريب أخلاقيات الأمم والشعوب ولكي يثبت في قلوب الشباب روح الاستهانة بالقيم والسخرية بالضوابط والحدود ، وخاق طابع الشرعية للانحلال والفساد الأخلاقي ولقد استخدمت وسائل الاعلام لبث روح الفرقة والتمزق النفسي والانحلال وخاصة عن طريق الفن الشعبي والفلكلور ولقد شهد كثير من الباحثين والدعاة الى الله ان التليفزيون اخطر جهاز يهدد المفهوم الاسلامي والدعوة الاسلامية ، وأن البرامج التليفزيونية بمستواها الحالي خلقت أنماطا استهلاكية ترفيحية أضرت المجتمع كله . يقول الدكتور ابراهيم امام ان هذه الأنماط الاستهلاكية التي يعرضها التليفزيون مسئولة عن الأزمات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الأفراد ، أن التليفزيون مفروض فيه أنه وسيلة البناء لا الهدم ، وسيلة للإصلاح لا للفساد ، وسيلة للتقويم لا للتعويج ، للارتقاء بمشاعر الأمة وليس دفع هذه الأمة الى أسفل الدركات .

ويقرر عدد من الباحثين أن الاعلام ووسائل الترفيه والتسلية قد عمدت الى تقديم ما يؤدي الى هبوط

الأخلاق . وذلك عن طريق غياب الرؤية الاسلامية عن السلسلات والبرامج . وتقديم النموذج الغربي في مختلف قضايا المجتمع ، وهو نموذج يختلف تماما عن مفاهيمنا الاسلامية . وهذا يعنى كما يقول الدكتور ابراهيم امام اننا امام غزو ثقافي مقنع وجديد لأن الغزاة لا يقولون اننا نغزو البشر بفكرنا وهو جديد لأنه مختلف من ناحية الأسلوب والمداخل ولكنه ليس جديدا من ناحية الغايات والأهداف لأن هدفه هو زحزحة القيم الاسلامية وابعاد الالتزام الأخلاقي من طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للأمة الاسلامية .

وأخطر ما في ذلك أن الاعلانات تعرف وتخطب الغريزة الانسانية وكأن الانسان ما هو الا حيوان عليه أن يشبع غرائزه المادية . ومن العجيب أن المعلنين يستخدمون الغريزة الجنسية حتى في الاعلان عن شفرة الحلاقة أو مشروب المياه الغازية .

لقد قام الاعلام الغربي على الاثارة ومن هنا نقل الاعلام الاسلامي هذه الأساليب من الجنس والاثارة ، اذ حدث نوع من الخلط الشديد بين طبيعة المجتمع الاسلامي وما ينبغى أن يقال فيه مسئولية طبيعة المجتمع الغربي وما يمكن أن يقال فيه .

واحسب أن مسئولية عودة الوعي الاسلامي أدى القائمين على أجهزة الاعلام مسئولية ثقيلة لأنها تحتاج الى نفس طويل والى قيادة سياسية وتعليمية راشدة والى قاعدة عريضة من الاعلاميين المتجاوبين مع الخط الاسلامي الراشد .

ولقد كان التأثير السيء الذي أحدثه النموذج الغربي على بعض العقليات الاسلامية من أهم أسباب هبوط الاعلام الاسلامي ، ومن هنا فلابد من تكوين أجيال من الاعلاميين المسلمين عن غير طريق الابتعاث ، حيث يركزون هناك على فلسفات غربية عن الاسلام بل معادية له . فالذين سافروا الى البلاد الشرقية كانوا يلزمونهم دراسة النظرية الماركسية اللينينية باعتبارها القاعدة الفكرية والمنطلق القيمي لدراسة الاعلام او غيره من العلوم الاجتماعية كالالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا .

اما الطلاب المتبعثون الى الدول الغربية (الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا) فلا بد لهم من دراسة الفلسفة البرجمانية (فاسفة الذرائع) وفكر (جون

ديوى) خاصة فى التربية فضلا عن الاتجاهات الليبرالية الحرة القائمة على مذهب الحرية المرسللة واللذة والرغبة ووضع القوانين العلمية على أسس من الأهواء الشخصية والأفكار المعاصرة للإنسانية .

لعل نغامر بتعريض ابنائنا لهذه الأقطار والمذاهب الهدامة ؟ إن أفضل أعداد لدراسة العلوم الإجتماعية هو الأساس الإسلامى والمنطق الشرعى والعقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله والتوقف عن التبعية التعليمية وكفانا أن نعيش حالة على أولاد العم ماركس أو أبناء العم سام ، اننا أمة ذات شخصية إسلامية مستقلة ويجب أن نكون أمة ذات شخصية اعلامية مستقلة .

اننا فى حاجة الى انبعث الثقة بقدره الإسلام على مواجهة المشكلات المعاصرة بما له من تاريخ وتجربة حضارية وأن تكون أولى مهام الدعوة الإسلامية تعميق الشعور فى المسلمين بوحدة العالم الإسلامى ويجب أن نكشف انهيار التبعية الغربية ونجلى أهم العوامل :

أولا : سقوط الحضارة الغربية وعجزها عن الإجابة عن مشكلات الإنسان واخفاق خريجى المدارس الاستعمارية وتلامذتها الذين مكن لهم الاستعمار من تحقيق أى أمل .

ثانيا : استطاعت الدعوة الإسلامية الانتصار فى معركة التحدى الحضارى والصراع الفكرى وتخليص الجاهل المسلم من مركب النقض أمام الحضارة الأوربية الفازية المتفوقة ماديا .

ثالثا : استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين لوحدة العالم الإسلامى واقناعهم بأن ذلك دين لا يجوز التفریط فيه :

(وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

رابعا : الوقوف فى وجه محاولة النفث والتزويب

للعرب قلب الأمة الإسلامية ودعائهما وفرض واتسع التجزئة واتامة الكيانات الاقليمية مستخدما كل الفرعات العشائرية والقبلية والعائلية والجنسية والقومية ، ذلك ان ما طرحه النفوذ الأجنبى من شعارات وتداول فكرية لم تخرج فى الحقيقة عن أن تكون أقمعة اختبأت خلفها الطائفيات والاقليميات التى تحمل الكيد التاريخى للإسلام ..

خامسا : استطاعت الدعوة الإسلامية الانتصار فى قضية التميز الإسلامى وهى قضية لا تزال فى أشد الحاجة الى الترشيد ازاء شراسة المواجهة مع خصوم الإسلام .

سادسا : استطاعت الدعوة الإسلامية حل المعادلة الصعبة بين العلم والدين بعد أن كانت تسقط فى فريسة أن العلم من لوازم الإلحاد .

سابعا : ضرورة تجاوز مرحلة الإيمان بالإسلام (مبادئ ومثلا) الى مرحلة ترجمة المبادئ الى برامج ، واعطاء الزمن الكافى لايضاح كل مرحلة وعدم استعجال الثمرة (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

ثامنا : نقل الآراء والمبادئ الى واقع المسلمين وربط الاسباب بالنتائج .

تاسعا : الاستمرار فى الدفاع عن المواقع الإسلامية المهددة .

عاشرا : الاستمرار فى تحرير الاقطار الإسلامية المستهدفة لاستمرار الهجوم (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) ذلك أن الاستمرار فى حالة الدفاع يجعل الزمام فى يد أعداء الإسلام ويبقى التحكم بمسار المسلمين الفكرى والثقافى فى أيديهم مع انتهاك المسلمين باعادة الشبهات ولذلك فان علينا أن ننقل من معركة تحقيق الذات الى معركة تقويم الذات .

الفصل الحادى عشر

الثورة

الحديث لاجراج المجتمع الاسلامى من اصلته والقضاء على طابعه الاسلامى . حدث هذا فى الحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحركة التى قام بها عبد الناصر فى مصر فقد كانت كلتاها محاولتان تغريبتان لاجراج المجتمع الاسلامى من طريقه الاسلامى الى التغريب والاقليمية والتبعية تحت أسماء الثورة والتحرير والاشتراكية . وقد جرت الحركتان على طريق فتح الطريق أمام المخططات الصهيونية الطامحة فى السيطرة على فلسطين وبيت المقدس واقامة وطن لها من النيل الى الفرات .

وفى كلا الحركتين لم يشترك الشعب على النحو الذى يعطيه اسم ثورة كما حدث فى ثورة ١٩١٩ . أو الثورات الجماعية التى يشترك فيها الشعب بمختلف طوائفه . ، وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة خطة الانقلابات العسكرية فى عديد من البلاد العربية والاسلامية قام بها رجال من الجيش ازادوا بها الحكومات القائمة . ولكن هذا النموذج لم يحقق ماكانت تتطلع اليه الشعوب باقامة نظام جديد على أساس الشورى أو العدل الاجتماعى وإنما كان عاملا مؤخرا لحركة اليقظة الاسلامية التى كانت تهدف الى اعادة البلاد الاسلامية والعربية الى الشريعة الاسلامية التى كانت مصدر الحكم فيها قبل الغزو العسكرى الاجنبى الذى أوقف النظام الاسلامى فى مجال السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو التربية والتعليم .

لقد كانت هذه الحركات فى الحقيقة مرحلة جديدة من مراحل التغريب ، التى بدأت فى ظل النفوذ السياسى الذى كان مرتبطا بالنفوذ الاجنبى المسيطر عسكريا وسياسيا ، وقد جاء بديلا له بعد انسحاب العسكرين على اثر نمو الغزو الثقافى وامتداد خطوات التغريب .

ولقد تراوحت البلاد العربية والاسلامية خلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الديمقراطية

اتخذ مصطلح الثورة عدة تفسيرات فرضها الكتاب تحت تأثير الدعاية لمرحلة من مراحل الحياة السياسية والاجتماعية للأمم ، ومنهم من بالغ فى هذا وتصور الثورة اتجاها دائما متصلا ، ومنهم من غالى فى وصف التغيير على أنه ثورة ، ومنهم من وصف حركات الجيوش التى تقوم على تغيير قيادات البلاد على أنها انقلاب أو ثورة . ولا ريب أن الثورة هى حركة جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة فى حركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهارة .

وهو مصطلح غربى دخيل على المفاهيم الاسلامية التى تقر كلمة « الإصلاح » وتصور رسالات الانبياء أنها دعوة الى الإصلاح والى تغيير الواقع الفاسد (أن أريد الا الإصلاح ما استطعت) وقد أشار القرآن الكريم الى التغيير ووضع قاعدته (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

والاسلام يدعو الى أن تغيير المجتمع لا يتم الا بعد أن يغيروا الناس ما بأنفسهم بمعنى أن يسلموا أنفسهم لله ويطبقوا أحكامه ويقيموا شرعته ويبنوا المجتمع الربانى الذى يقوم على العدل والرحمة والاخاء البشرى .

والمسلمون مطالبون بالخروج من الأزمة وتحرير أنفسهم من التبعية وأن يظلوا قادرين على امتلاك أرادتهم ، وأن يظلوا مرابطين على الحدود ، محافظين على قواهم وأسلحتهم ، مستعدين للمواجهة ، قادرين على الردع لمن يحاول تجاوز حدودهم أو دخول أرضهم أو فرض سلطانه عليهم ولكن هذا المفهوم الاسلامى فى القدرة على امتلاك الإرادة لا يسميه الاسلام ثورة ، ولكن هو يعنى فى الحقيقة العودة الى منابع ، وتحرير الإرادة والتماس الأصول الحقيقية للنهضة .

واقصد اتخذت فكرة (الثورة) أكثر من مرة فى العصر

وكل ما تتطلع اليه الأمة الاسلامية اليوم هو ازالة السيطرة الاجنبية وامتلاك الارادة الحرة لاقامة المجتمع الاسلامى المنحصر من العلمانية والقومية والمحقق لنظامه الاسلامى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى ايمان كامل بأن الديمقراطية الغربية ليست هى الثورى الاسلامية وأن العدل الاجتماعى الاسلامى ليس هو الاشتراكية ويجيء هذا عن طريق الاصلاح والتربية وبناء الأجيال الجديدة ، وفى ظل مفهوم الاسلام الذى لا يقصر العنف ولا الانقلاب ولا اراقة الدماء ، وانما وفق سنة التطور والتدرج ، ويعيدا عن العنف والديكتاتورية على أساس العبودية لله تبارك وتعالى وتحقيق ارائته والذى يعمل على قيام الوحدة الاسلامية الجامعة وبناء المجتمع الاسلامى الرشيد وتبليغ رسالة الاسلام للعالمين وليس فى ذلك ثورة وانما هى عودة الى المنابع .

الوجودية . . .

كل القيم التقليدية ، كما أصبحت الحقيقة بالنسبة له تدور حول وجوده فحسب ، هذا الموقف يعود الى الاحساس بالاغتراب والى نوع من العيشة واللاعقلانية ، ولعل البير كامو فى قصصه وسارتر فى رواياته أن يكونا النموذجين الاصلين لهذه الظاهرة ولن يكتب للوجودية ازدهار فى العالم الاسلامى والعربى فى المستقبل المنظور الذى لا يزال متمسكا بالقيم القابعة من تراثه الاسلامى .

ولن يستعيد العربى شخصيته ويتحرر من حالة الاغتراب الا بعد أن يهيمن على مقدراته القومية أولا ، وثانيا بعد أن يصنع حضارته أو مجتمعه المستقبلى انطلاقا من قيمه التى تتمثل بصفة خاصة بالفكر القرائى واخلاق القرآن وقد أسفرت كل المحاولات التى قصد بها الى تغريب العالم العربى رأى اعطائه الشخصية الغربية عن فشل ذريع حتى الآن ، فقد فشلت الفلسفات الاجتماعية والفلسفة الحديثة والمثلية فى سلسلة احزاب تسمى قومية وتقدمية ويسارية عن استيعاب الوجدان الشعبى وظل أتصارها محصورين فى طبقة المثقفين الذين تخرجوا فى ظل الثقافة الغربية والمؤسسات التربوية التى صنعت على الصورة الغربية .

ويجب أن نقنع بأنه لا يمكن أن تقوم للعرب قائمة دون الاسلام ، فهو وحده القادر على اعطائهم الشخصية المميزة ، فاذا توفرت لدينا هذه القناعة أصبح من السهل اعادة تشكيل الشخص المسلم بواسطة رؤيا اسلامية اصيلة تتصل بالقيم ومناهج الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها . ١٠ هـ .

مذهب اجتماعى وافد ، ظهر فى فرنسا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية وهو بمثابة رد فعل لمشاعر الهزيمة وثمره التدهير الذى أصاب فرنسا وأوجد فى نفوس شبابها احساس بالهزيمة والتمزق والغربة ، وقد احتوته القوى التمودية لاستغلاله لهدم نفسية الشباب الفرنسى ومن ثم تحولت الوجودية الى مذهب ملحد (هيدجر — سارتر — البيركامى) ، لا يعترف بوجود الاله الخالق والانسان فى نظرهم وجد فى هذا الكون دون أن تكون له ماهية مسبقة ، ودون أن يكون على صلة أو معرفة بالقوة التى دفعته الى هذا الوجود .

وسارتر الذى قاد مسيرة هذه النظرية منكر للخالق وهو يظن انه بالحاده ذلك يستطيع أن يخرج الانسان الى عالم الحرية الذى يريد أن يصنعه للانسان .

ويتصور الوجوديون : (أنهم جيل بلا امل ، جيل بلا عمق ، وبلا مستقبل ، ان عمقنا هو الهاوية وحبنا هو الوحشية ، وشبابنا بلا شباب وحياتنا علب من الورق ، فارغة وقابلة للتمزق ، ان حياتنا حطام الوحدة والعزلة والسلبية) والاتجاه الوجودى كما يقول رمضان لاوند — هو تعبير عن الاحساس الجارف بالغربة عن الحضارة والناس أو بتعبير آخر هو احساس الانسان بالوحدة وهو ينطلق من المسئلة التى تقول ان الأشياء لا تتحدد حقيقتها بماهيتها بل بوجودها والراى فى الوجودية أنها اعلان عن افلاس الانسان فى مواجهة القيم الانسانية العامة لقد أصبح الانسان الغربى والمثقف الغربى ، يؤمن بسقوط

الفصل الثانى عشر

الآثار

فى المتاحف أما فى الوادى فقد انقرضت كما انقرضت تماشيح النيل فى النهر (انظر مادة فرعونية) .

ولقد جرت قوى النفوذ الأجنبى لاحتضان الكشوف الأثرية واعتمدت لها مبالغ ضخمة لتجعلها وسيلة لتغريب المسلمين باعادتهم الى ما قبل الاسلام .

ولكن الحفريات التى جرت فى العالم الاسلامى والبلاد العربية قد حققت أشياء كثيرة تؤكد ما جاء فى القرآن الكريم ، وما تزال تكشف الحفريات كل يوم جديدا يزيح الستار عن حقيقة تاريخية ، تظاهر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبارك وتعالى نورا وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم تزداد ايمانا بأنه من عند العليم الخبير ، ولقد انكشفت حقائق كثيرة فى شأن فرعون عندما جاء (الدكتور موريس بوكاى) وكشف عن فرعون موسى الذى تبين أنه غرق ثم انجاء الله ليكون تية للناس ، (فاليوم ننجيك ببندك لتكون لمن خلفك آية) .

وكذلك فقد كشفت الحفريات ما يتعلق بشأن القرى المكتنات التى كانت تفعل الخبايا ومن قبل ذلك كشفت الحفريات كثيرا من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صحح كثيرا من الاكاذيب المدعاة التى حاولت رحلة ابراهيم الى مكة واقامة قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشوف الأثرية اثرها العكسى المضاد لما كان يهدف اليه بعض الدعاة .

وكان من أخطر الأحداث فى هذا الصدد ذلك الكشف الأثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطئ البحر الميت عندما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزته فذهب يبحث عنها فاهتدى فى أحد الكهوف على تلك الجرار الجحرية الغربية التى تشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحى بأسره وقد ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه مما يصدق ما جاء فى القرآن الكريم .

اتخذت قوى النفوذ الأجنبى الآثار والحفريات والكشوف الأثرية أداة لتغريب المسلمين واهياء مفاهيم سابقة للإسلام ، وكانت مسألة اكتشاف قبر توت عنخ آمون وغيره من الآثار الفرعونية والآشورية والبابلية إحدى مسائل النفوذ الأجنبى فى حجب الواقع الإسلامى القريب ومحاولة تجديد ما قبل الإسلام ورد الأمم الى هذا التاريخ ودعوتهم الى احياء هذا التاريخ البائد الذى قضى عليه الإسلام فيما قضى من وثنيات ولغات وتقاليد واحيا بدلا منها مفهوما جديدا قائما على التوحيد الخالص .

ولقد أجرى النفوذ الأجنبى اهتماما كبيرا بحفريات تل العمارقة وآثار اخناتون ومراكب الشمس وغيرها وحاول أن يصف ما قام به (اخناتون) بأنه دين التوحيد ، بينما كان عمله هو توحيد الوثنية حول عبادة قرص الشمس (آتون) ثم كان ما كان من اكتشاف مقابر تحتمس الرابع والملكة حتشبسوت وسيلة لاعلاء مفاهيم الوثنية الفرعونية .

وما تزال أحاديث تثار حول هذه الحفريات فى سبيل احياء الفرعونية فى مصر ، وقام كثيرون بكتابة تاريخ هذه الفترة ويتصدى كثير من كتاب الصحف الى موالة هذه الحفريات تحت اسم الدعوة الى تشجيع السياحة .

وهى محاولات مضللة ترمى الى اعطاء هذه المرحلة من تاريخ مصر أكثر من حجمها الحقيقى ، وعندما يعرف أن هذه المرحلة لا يوجد لها أدب ولا ثقافة ولا لغة يمكن الاعتماد عليها فى احيائها تبغى هذه المحاولات وكأنها تهدف الى تغريب التاريخ .

ولعل أهم ما يذكر فى هذا الصدد ، ما ذكره ارنولد توينبى من قوله :

بالبحث عن الحضارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة يتبين أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم ، وقال دكتور حمدان أن مصر الفرعونية لم تعد موجودة الا

الفصل الثالث عشر

الفلكلور (الأدب الشعبى)

نثرها الاسلام بتحرير العقل البشرى من عبادة الأوثان
وكل ما يتعلق بالخرافات والعرافين .

ان الهدف هو الردة الى القديم البالى فى عصر
الوثنية ، وحجب المسلمين عن مفاهيم الحضارة الاسلامية
التي قدمتها للبشرية .

ولقد تحدث الباحثون فى هذا الصدد فأشاروا :

أولاً : الى أن الأساطير والسير الشعبية وألف ليلة
ومجموعة الأمثال العامة لا يمكن أن تقدم تصورا صحيحا
للمجتمعات الاسلامية .

ثانياً : ان هناك انقطاعا حضاريا قد تم بين عصور
ما قبل الاسلام وعصر الاسلام نفسه وان هذا الفلكلور
ليس هو تراث مجتمعاتنا الاسلامية الحقيقية الذى تكون
منذ أربعة عشر قرنا .

وعندنا ان احياء الفلكلور لا تتحقق به المحافظة
الشخصية للأمة ولا يمكنها من أن تنمو وتزدهر وتتمكن
من الحفاظ على ذاتيتها الخاصة ولا من رد أى عدوان
عليها وانما الذى يستطيع ذلك هو الميراث الاسلامى
الحقيقى (القرآن والسنة) واللغة الفصحى وتاريخ
الاسلام ، ذلك ان الفلكلور يقوم على أوهام الشعوب
وأهوائها وعلى أدنى قدر من العواطف والمشاعر التي
تتعلق بها النفوس الضعيفة المحدوءة الأفق ، التي لم تصل
الى قدر من الثقافة التي يقدمها الاسلام من حيث تحرر
النفس والعقل من الوثنيات والماديات .

وفرق عميق بين التاريخ وبين الفلكلور وبين التراث
بل ان الفلكلور نفسه انما يستهدف احياء الاقليميات

يطلق اسم الفلكلور على الكتابات العامة الشعبية
المستقاة من المجتمعات الريفية والبدوية عبارة عن
ترنيمات وفحاهات وعبارات قيلت فى مناسبات وجرت
مجرى الأمثال تصدر عن العقلية البسيطة الساذجة التي
لم تصل اليها الثقافة العربية اتصلت بالقرآن الكريم
والحديث النبوى وشعر الشعراء الفحول . وهى تمثل
طفولة البشرية وساذجة المجتمعات قبل تحضرها
واتصالها بالأدب الرفيع . ولم تكن لهذه الكتابات أهمية
تذكر لولا أن المستشرقين ودعاة الغزو الفكرى كانوا قد
تنبهوا الى ذلك منذ وقت بعيد رغبة منهم فى اعزاز العامة
وخلق تراث لها يمكنهم من الادعاء بان العامة هى لغة
مستقلة تختلف عن اللغة العربية الفصحى وقد وصف
الفلكلور بأنه كل ما يتصل بالساذجة والانحطاط فى الحس
الجمالى والفنى .

ومصطلح الفلكلور لا يشمل فى مفهوم فنون القول
فحسب وانما هو يشمل كل الفنون والمصنوعات
والعبادات والتقاليد والمناسبات الخاصة والاحتفالات
المتعاقبة بها والتي يتبعها شعب من الشعوب البدائية
وما يتعلق بعطاءات البيئة ، وحياة الأمم واعادته مرة
أخرى بعد أن عذبته الشعوب والأمم هذا التطور ودخلت
فى الاسلام الذى قدم لها أرقى المفاهيم وأصح القيم فى
مختلف مجالات الميثافيزيقا (الغيب) والحضارة فهى ردة
الى النسل العامة الساذجة التي قالها الناس فى عهود
الساذجة والضعف والعجز عن فهم الكون الواسع .

والهدف مكر خبيث من حيث احياء النكات والأمثلة
والرقص ومفاهيم الخوف من الطبيعة والأساطير وتقديم
الذبايح للالهة .

وكل هذا يهدف الى اعلاء شأن العاميات التي
لا تستطيع أن تفسر إلا عن أدنى المشاعر وهل يمكن أن
يوضع هذا فى صف أدب الفصحى ومفاهيم الحضارة التي

والتفرغ الى قبول أمر الله والرضا به والإيمان بكل
قـدر الله .

وهذا كله يصل بنا الى أن نشجب القول بأن التراث
الشعبي للمجتمع هو المرآة التي تعكس ما استقر في
الوجدان الاجتماعي من توهيمات عرفتھا طفولة البشرية
عبر القصور والأجيال ، هذا الوجدان وجدان زائف مبطل
ولا يصح القياس عليه لأنه انحرف عن مفهوم الاسلام .

وهذا كله كذب والقول بأن المواويل والأغاني
والفكاهات والنكات هي تراث شعبي يصور نفسية الأمة
ويدل عليها وهم باطل وانما الحقيقة أن هذا كله ركام زائف
«ما عرفته الأم في عصر بدوتها وفي مرحلة طفولتها قبل أن
تدخل مرحلة الرشد الفكرى الذى ادخلها اليه الاسلام .

والوثنياء والتقاليد والعادات التى انحرفت عن مفهوم
العقائد الصحيحة مما صنعه الانسان البدائى الساذج في
حالات الفرح والحزن وفي خلال مراحل الالتقاء الاجتماعى
العام وهى في مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق
الذى هدينا اليه ، ولذلك فان احياء هذا النوع من التراث
هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدرا
كبيرا من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التى
بناها الاسلام في نفوس أهله .

والمعروف أن المواويل والأغاني هي مجموعة خواطر
ساذجة سواء في الأفراح أو الأحزان وهى في مجموعها
تعارض المفهوم الإسلامى الذى يرتقى من النخب والسطم .

اسـلة المصطلحات المعاصرة
دراسة مستقلة تضم ١٥٠ مصطلحاً
تصدر فى هذه الموسوعة

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين ججازى • قصر العيني •
٣٥٥١٧٤٨٠٥٠

رقم ايداع بدار الكتب ٤٢٠١ — ١٩٨٦
الترقيم الدولى ٨ — ١٣٢ — ١٤٢ — ٩٧٧